مطبوعات مركز تحقيق التراث

نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان

للخطيب الجوهري علي بن داود الصيرفي

الجزء الثالث

(٨٢٥ - ٨٤٣ هـ)

تحقيق وتعليق

الدكتور حسن حبشي



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٧٤

جمهورية مصر العربية

وزارة الثقافة

مركز تحقيق التراث

نزهة النفوس والأبدان

فى تواريخ الزمان

للخطيب الجوهرى على بن داود الصيرفى

الجزء الثالث

(٨٢٥ — ٨٤٢ هـ)

تحقيق وتعليق

الدكتور حسن حبشى



مطبعة دار الكتب

١٩٧٣

مقدمة

يصدر هذا الجزء الثالث من نزهة النفوس والأبدان تتمة لسابقيه وإن أعقبه الرابع ختاما لما تبقى لدينا — مما هو معروف حتى الآن — من هذا الكتاب الذى ألفه على بن داود الجوهرى الصيرفى، والذى هو — بأجزائه الأربعة هذه — فى اعتقادنا حلقة من سلسلة طويلة أزمع المؤلف على وضعها للتاريخ العربى الاسلامى منذ الجاهلية حتى عصره، أعنى ختام القرن التاسع الهجرى :

ولستُ فى هذا المجال ولا فى هذه العجالة القصيرة بصدد الكتابة التفصيلية عن هذا القسم وصاحبه، بعد أن أشرت إلى شىء من ذلك فى مقدمة الجزء الأول من هذا السفر، وكما أشرت من قبل أيضا إلى الصيرفى فى المقدمة التى أدرجتها بين يدى ما نشرتُه له من كتاب آخر هو «إنباء الهصر بأنباء العصر»، وإن كنتُ فى الوقت ذاته أرجو أن تمكننى الظروف من كتابة دراسة مطولة بعض الشىء فى الجزء الرابع — وهو الأخير فى الوقت ذاته — من تحقيقى لهذا الكتاب :

* * *

ولقد حاولتُ ما وسعنى الجهد أن أُعرِّف بقدر الإمكان بما يعترض سبيل مُطالعة من تفسير وترجمة لبعض مما يقرؤه وهو فى رحلته مع الصيرفى، فى هذا الجزء، مع الرجوع فى تجميع الأخبار والشروح من مظانها : القديمة والحديثة على السواء فى العربية وغيرها مما أسعفنى به ظروف المكان بالاطلاع عليه :

وإذا كان لى رجاء فهو أن نخرج هذا الكتاب فى صورة تيسّر للقارئ مطالعته دون مشقة أو عناء ، وكل ما أتمنّاه أن يجد فيه طلاب التاريخ – متناً وحاشية – ما يوضح أمامهم شعاب هذه الفترة من ناحية الأحداث والتراجم والألفاظ والمصطلحات ، ولست أزعم أنى قد بلغت ما أرجوه من الصورة التى أحبّ أن يكون عليها تحقيق المخطوطات ونشرها ، ولكن المحاولة اجتهاد ، والاجتهاد قد يبلغ حدًّا لا بأس به من الإتقان أو قد يقصر عن بلوغ الغاية ولكنها على أية حال مساهمة فى جلاء جوانب من تاريخنا الذى هو بضعة من تاريخ الانسانية فى موكب تقدّمها ، وأرجو أن أسمع من النقد البنّاء ما يقوّم ما قد يكون فاتنى سهواً أو تقصيراً غير مقصود أو مفروض بظروف خارجة عن إرداتى ، والكمال لله وحده ، ومنه أستمد العون وهو نعم المولى ونعم النصير :

طرابلس فى ١ / ٨ / ١٩٧٣ .

حسن حبشي

سلطنة نظام الملك

الملك الأشرف أبى النصر برسباى

لما وقع ما وقع من حركة طَرَبَاى أمير كبير وحضر كافل المملكة الشامية المسمّى تانى بك ميق [1] اقتضى رأيه ورأى أهل الدولة وأصحاب الحلّ والعقد أن تكون السلطنة لشخص كبير يفهم الخطاب ويردّ الجواب ، وينظر فى أحوال الناس ، ويدبّر الأمر ، وينصر المظلوم ؛ ولم يروا كفوأ لذلك وأهلا إلاّ نظام الملك برسباى لكونه متصفا بصفات الكمال من الدين والفقه والمهابة وطهارة الذيل واللسان ، وقوة القلب والجنان ، والشجاعة والفروسية ، فاختاروه أن يتولى أمرهم ويضبط ملكهم لما عرفوا فيه من مصالح العباد وإصلاح البلاد ، فاجتمعت الأمراء والخليفة — وهو المعتضد بالله داود العباسى — والقضاة الأربعة وأرباب الدولة ونائب الشام تنبك ميق فعقدوا له بالسلطنة ، ولقبوه بالملك الأشرف ، وكنوه « بأبى النصر » ،

---

(١) هو تانى بك ميق العلائى الظاهرى ، هذا وقد ذكر أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ٦/٥٤٣ أنه لمّا قدم من الشام تلقاه برسباى « ونثر على رأسه الذهب والفضة » ثم خلا به برسباى وعرض عليه سلطنة مصر والشام باعتباره (أى باعتبار تانى بك ميق) «أغات المماليك وكبيرهم وأقدمهم هجرة» ، فرفض تانى بك ذلك العرض ، ثم قام وقبّل الأرض بين يدى برسباى وقال له : « ليس لها غيرك » ، فشكره برسباى وبذلك أصبح سلطاناً على مصر والبلاد الشامية ، انظر أيضا النجوم الزاهرة ٦/ ٧٧٩ ، والضوء اللامع ٣ / ٢٦ ، Melange de la Faculté de Beyrouth, P, 346-7; Description de Damas, Journal Asiat., t. II, p. 297, 483 وانظر أيضا ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٣١٢ ترجمة رقم ٦ .

وأُلبس الخلعة الخليفتية — وذلك قبل الظهر بمقدار درجتين — يوم الأربعاء الثامن من ربيع الآخر من هذه السنة — أعنى سنة خمس وعشرين وثمانمائة — ولما عقدوا له السلطنة كان بمرقد الأشرفية (١) ، ثم خرجوا منها وركب وعلى رأسه القبة والطير ، ودخل القصر ، ونُصب له تخت فى القصر الكبير فجلس عليه ، وقُدِّمت (٢) له القصص فعلّم على بعضها ، وتقدّم الأمراء وأرادوا أن يقبّلوا له الأرض فمنعهم من ذلك فقبلوا يده ، وبطل من ذلك اليوم بوس الأرض ، ثم نهض وطلع القصر الفوقانى ، وكان له يوم (٣) مشهود وجمع محمود :

* * *

وفى يوم الخميس التاسع من ربيع الآخر خلع على تنبك ميق نائب دمشق واستقر على عادته فى نيابة الشام ، وخلع على الأمير بيبُغا (٤) المظفرى واستقر أتابك العساكر بالديار المصرية عوضاً عن الأمير طرباى بحكم مسكه، وخلع على الأمير قَجَق (٥) العيساوى الذى كان أمير مجلس واستقر أمير سلاح عوضاً عن بيبغا المظفرى بحكم انتقاله فى أتابكية العساكر ، وخلع

---

(١) هكذا فى الأصل ، هذا ويلاحظ أنه لما فوّض الخليفة المعتضد بالله لبرسباى تدبير أمور المملكة نيابة عن السلطان الصغير الصالح محمد تقرر أن يسكن برسباى بطبقة الأشرفية على عادته ، أما الأمير الكبير طرباى فسكن فى داره تجاه باب السلسلة ، أنظر فى ذلك النجوم الزاهرة ٦/٥٣٢ .

(٢) فى الأصل « وتقدّمت » .

(٣) فى الأصل « يوما مشهوداً وجمعا محمودا » .

(٤) هو بيبغا المظفرى التركى ، راجع عنه النجوم الزاهرة ٣ / ١٠٦ ، وإنباء الغمر ٣ / ٤٤٥ ترجمة رقم ١٥ ، والضوء اللامع ٣ / ١٠٦ ، وابن إياس : بدائع الزهور ٢ / ١٥ — ١٧ .

(٥) الضبط من الضوء اللامع ٦ / ٧٠٢ ، وهو قجق الشعبانى الظاهرى برقوق ، ولم أجد فى ترجمته بالضوء ما يفيد تلقيبه بالعيساوى وإن وردت فى النجوم الزاهرة ٦ / ٧٩٤ ، أما ابن حجر : إنباء الغمر ٣ / ٢٨٠ ترجمة رقم ١٠ فقد ضبطه بضم القاف والجيم .

على الأمــير آقبغا التمرازى[1] واستقر أمير مجلس عوضاً عن الأمير قجق بحكم انتقاله إلى وظيفة أمير سلاح :

وفى يوم الخميس السادس عشر من ربيع الآخر كانت خدمة الإيوان :

وفيه خلع على الأمير ببيغا المظفرى واستقر ناظراً على البيمارستان المنصورى على عادة من تقدمه ، وخُلع أيضاً على الرسل الذين قدموا من الإفرنج وركبوا على خيول مسومة بسروج مفرقة وكنابيش[2] زركش :

وفى العاشر من جمادى الآخر وصل الخبر بأنّ نائب صفد : الأمير إينال — الذى تولّاها عوضاً عن شاهين الأعور — قد عصى[3] على السلطان واتفــق مع نائب القلعة[4] — وهو أخوه — وأخرجوا الأمراء المحبوسين فى القلعة ، وهم : الأمــير يَشْبك الأنالى[5] الذى كان أستادار العالية ، والأمير

(١) كان أقبغا العــلائى التمرازى ممن ولى نيابة الإسكندرية ، ومات بدمشق سنة ٨٤٣ ، وقد وصفه السخاوى فى الضوء اللامع ٢/١٢/١٠١٢ بأنه كان «دينا متهجداء وتخرّج به جماعة فى فن الفروسية ، هذا وقد اكتفى ابن حجر فى وفيات سنة ٨٣٩ بالإحالة إلى ماذكره عنه فى الحوادث ، انظر أيضاعنه ابن اياس : بدائع الزهور ٢ / ٢٥ وما بعدها ، Sobernheim : Materiaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum, Syrie du Nord (in) Memoires de l'Institut français d'Archeologie Orientale, t, xxv., p. 68.

(٢) الكنابيش جمع كنبوش . بفتح الكاف ، والأرجح أنها منديل رأس من البز تحفظ بها رءوس الأطفال ، راجع المعجم المفصل بأسماء الملابس العربية ، لدوزى ، ص ٣١٤ ، ٣١٥ .

(٣) كان خروجه على الأشرف برسباى بسبب وفاته لأستاذه ططر إذ كره من الأشرف أن يقدم على ما أقدم عليه من خلع الملك الصالح وأخذه مقاليد السلطنة بدلا منه .

(٤) أى قلعة صفد .

(٥) قيل إنه سمى بالأنالى لقدومه مع أمه من بلاده ، إذ أن كلمة « أنالى » كلمة تركية ويقصد بها «له أم» . هذا ويلاحظ أن الضوء اللامع ١٠/١٠٧٨ أشار إلى أن ططر حبسه فى شعبان سنة ٨٢٤ حتى مات ، وورد فى إنباء الغمر ٣ / ٢٤٧ أنه قبض عليه فى ذلك العام مع من قبض عليه من الأمراء المؤيدية « لما أرادوا الوثوب على ططر فى آخر شعبان » ، ووردت الإشارة فى النجوم الزاهرة ٦/٥٦١ إلى أن برسباى كتب لنائب الشام بالقبض على يشبك أنالى هذا .

إينال الحَكَمي[1] الذى كان رأس نوبة كبيراً والأمير جلبان الذى كان أمير آخور ثانياً أحد المقدمين؛ ثم جاء الخبر بأن هؤلاء الأمراء قصدوا نائب الشام[2]، وأظهروا الطاعة للسلطان، وحضر بهذا الخبر مملوك[3] من عند نائب الشام فى يوم الإثنين الثالث والعشرين من جمادى الآخرة وخلع عليه خلعة عظيمة، ثم جهز السلطان لهم ثلاث خلع بطرز زركش عراض، وأرسل تشريفاً للأمير مقبل[4] [الحسامى] أتابك العساكر بدمشق واستقر فى نيابة صفد؛ وكان نائب صفد لما عصى أرسل كتاباً مع قاصده إلى نائب الإسكندرية الأمير فارس[5] فأرسل القاصد صحبة الكتاب إلى السلطان فقطع السلطان يده وأذنه[6] ثم عزل فارساً عن الإسكندرية وطلبه إلى القاهرة على إقطاعه [وإمرته وهى] تقدمة ألف، واستقر عوضه الأمير أسندمر[7]

(١) الوارد فى الضوء اللامع ٢ / ١٠٧٤ أن الظاهر ططر حبسه وظل فى الحبس حتى أطلقه الأشرف برسباى، ومع أن وفاته كانت سنة ٨٤٢ إلا أن ابن حجر لم يترجم له فى وفيات هذه السنة فى إنبائه، راجع عنه ابن الشحنة: الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب ص ٢٣٦، وأبو المحاسن: مورد اللطافة ص ١٢٥، Sobernheim: Materiaux pour un Corpus inscriptiorum arabicarum, Syrie du Nord, pp. 67-68.

(٢) وكان إذ ذاك الأمير تنبك ميق.

(٣) فى الأصل «مملوكا».

(٤) كان مقبل الزين الحسامى الرومى فى الأصل مملوكا لبعض أمراء دمشق، ثم اتصل بالمؤيد شيخ الذى عمله خاصكيا حين آلت إليه السلطنة، راجع السخاوى: الضوء اللامع ١٠ / ٦٩٦.

(٥) ورد اسمه مجردا هكذا أيضا فى الضوء اللامع ٦ / ٥٤٩، وقال عنه وفارس: أحد المقدمين بمصر»، ويستفاد من ترجمته هذه أنه هو المقصود فى المتن إذ يشير إلى أنه ولى نيابة الإسكندرية فى عهد ططر، وقد اكتفى أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة بتسميته «فارس دوادار ططر»، وخلت وفيات سنة ٨٢٦هـ فى إنباء الغمر من الترجمة له.

(٦) خلت السلوك، ورقة ٢٥١ ب من الإشارة إلى غضب برسباى على فارس، لكن يستدل منها على أنه استدعاه وخلع عليه، وهذا يقارب ما ورد فى النجوم الزاهرة.

(٧) راجع ترجمته فى النجوم الزاهرة ٦ / ٥٦١، ٥٦٩، والضوء اللامع ٢ / ٩٨٨.

النوري أحد المقدّمين بالديار المصرية وخُلع عليه يوم الخميس السادس والعشرين من جمادى الآخرة (١) ، ثم توجّه إلى محل ولايته .

وفي يوم الخميس الثالث (٢) من شعبان كسر الخليج ونزل إليه الأمير الكبير بيبغا المظفري ، ووافق الكسر قبل دخول مسرى بيومين وهذا شيء غريب لم يتفق إلاّ قليلاً ، وقد انتهى في هذه السنة إلى عشرين ذراعاً وإصبع (٣) من أحد وعشرين ، وغرق أكثر الأراضي والغيطان ، ورسم السلطان للأمراء بالتركيز على السواحل ليحفظوا الجسور خوفاً من الغرق يطرق أطراف البلد من الغيطان والبيوت والعمائر ، وكان انتهاء زيادته إلى العشرين من رمضان ، وتوقف من الحادي والعشرين منه فلم يزد ولم ينقص ، ورُويت في هذه السنة أراضي كثيرة لها عدّة سنين لم يطرقها الريّ مثل جزيرة بني (٤) النصر وأمثالها .

---

(١) عبارة أبي المحاسن في النجوم الزاهرة ٦ / ٥٦١ صريحة في أن ذلك تمّ يوم ٢٧ رجب وليس في شهر جمادى الآخرة .

(٢) اتفق أبو المحاسن والمقريزي في كل من النجوم الزاهرة والسلوك على أن الخميس هو رابع شعبان وليس بثالثه ، غير أن ماورد في جدول السنين في التوفيقات الإلهامية ، ص ٤١٣ ، يطابق ما ورد في المتن من أن الثلاثاء كان أوله ويوافقه السابع والعشرون من أبيب من شهور القبط سنة ١١٣٨ ، لكنه ذكر أن الوفاء كان يوم ١٩ أبيب ، وهذا هو نفس ماجاء في تقويم النيل لأمين سامى ج ١ ص ٢١١ ، هذا وقد كانت غاية الوفاء عشرين ذراعا وإصبعا من إحدى وعشرين ذراعا ، وثبت على ذلك إلى نصف هاتور سنة ١١٣٩ أي العاشر من نوفمبر ١٤٢٢ م .

(٣) في الأصل « وإصبعا » .

(٤) سماها القاموس الجغرافي للمدن المصرية ، ق ١ ، جا ص ٢١٣ - ٢١٤ بجزيرة بني نصر وليست بجزيرة بني النصر ، وعرفها بأنها كانت من أقسام الوجه البحري القديمة ، وكانت تشمل المنطقة الواقعة على الشاطئ الشرقي لفرع رشيد من محلة اللبن بمركز كفر الزيات شمالا إلى منطقة زاوية رزين بمركز منوف ، وهي منسوبة إلى قبيلة بني نصر التي هي بطن من هوازن من العدنانية ، أنظر في ذلك القلقشندي : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، ص ٤٣١ ، ٤٤٢ .

وفى يوم الإثنين الحادي والعشرين من شعبان خلع على القاضى بدر الدين [١١٤ ا] العينى واستقر فى حسبة القاهرة ومصر عوضاً عن القاضى صدر الدين أحمد(١) بن القاضى جمال الدين محمود العجمى بحكم عزله ، وأضيف إليه أيضاً النظر فى الأحكام الشرعية مضافاً إلى مابيده من نظر الأحباس المبرورة بالديار المصرية .

وفى يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من رمضان أخلع على الأمير أيتمش(٢) الخضرى واستقر أستادار العالية عوضاً عن الأمير أرغون(٣) شاه [النوروزى الأعور] بحكم عزله ، وخُلع أيضاً على تاج الدين بن الهيصم واستقر ناظر الديوان المفرد على عادته .

(١) هو الصدر أحمد بن محمود بن محمد بن عبد الله بن الجمال ، العشيرى الأصل القاهرى الحنفى، وكان يعرف بابن العجمى ومولده سنة ٧٧٧ ، وتعلم على أيدى جماعة من علماء الأعاجم وغيرهم ، وشغل كثيرا من الوظائف الضخمة التى يشغلها كبار رجال العمائم كالتوقيع بديوان الإنشاء ونظر الجيش بالشام والحسبة بالقاهرة ونظر الجوالى ، وقد لقى الصدر شدة زمن الناصر فرج ، وكانت وفاته سنة ٨٣٢ ، أنظر عنه ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٤٤٢ ترجمة رقم ٨ ، والسخاوى : الضوء اللامع ٢ / ٦٢٣ .

(٢) هو أيتمش الخضرى الظاهرى برقوق ، تأمر عشرة زمن المؤيد شيخ فلما جاء برسباى إلى السلطنة ولاه الأستادارية الكبرى لكنه لم يوفق فيها ، هذا وقد وصفه ابن حجر حين ترجم له فى وفيات سنة ٨٤٦ فى كتابه إنباء الغمر « بأنه كان قارئا للقرآن محبا فى حملته مع شر فيه وبذاءة لسان » انظر أيضا النجوم الزاهرة ٧ / ٢٨٦ ، والضوء اللامع ٢ / ١٠٦٠ .

(٣) هو أرغون شاه النوروزى الحافظى ، وقد يقال له « المحمودى » أيضا ، وكان من شأنه أنه ولى الأستادارية عدة مرات زمن الأشرف برسباى إلا أنه عمل أستادارية السلطان بدمشق وظل بها حتى مات سنة ٨٤٠ ، راجع عنه إنباء الغمر وفيات سنة ٨٤٠ ترجمة رقم ٧ ، والضوء اللامع ٢/٨٢٨ ، والسيوطى : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، ج ٢ ص ١٣٠ .

وفى يوم الأحد السادس والعشرين من رمضان قدم نائب قلعة صفد الذى كان عصى على السلطان واتفق مع[(١)] نائبها وتحصنوا فى قلعة صفد ، وكان النائب أرسله ليطلب الأمان من السلطان وتسلم الأمير مقبل [الدوادار] نائب صفد قلعة صفد ، وكان معه جماعة من الترك والتركمان ، فهرب بعضهم ومسك منهم قريب ثلاثين[(٢)] نفراً من الترك ، فأرسلهم النائب إلى القاهرة فوصلوا يوم الأربعاء الرابع من ذى القعدة وأحضروهم بين يدى السلطان فى الحوش فأمر بضربهم وقطع أيديهم ونفيهم من القاهرة فضُربوا وقطعت أيديهم ثم نفوا من القاهرة وهم مشاة ثم ركبوا بعد ذلك على الجمال بالتشاريف وشيعوهم إلى الشام ، ومات أكثرهم فى الطرقات، ثم ولى السلطان نيابة قلعة صفد للأمير أردوبغا وكان أمير عشرة بالقاهرة :

* * *

وفى يوم السبت السادس من ذى الحجة خلع على القاضى[(٣)] علم الدين صالح بن الشيخ سراج الدين عمر بن رسلان البلقينى واستقر قاضى القضاة

---

(١) يجوز فى قراءتها « مع ما بها » يعنى « من بها » لكن الأرجح هو ما أثبتناه بالمتن ولا عبرة بأن الفعل التالى لهذه الكلمة جاء بصيغة الجمع بدلاً من المثنى وذلك لأن المؤلف لم يكن ليراعى الدقة النحوية التامة فى كتابته .

(٢) المستفاد من رواية النجوم الزاهرة ٦ / ٥٦١ – ٥٦٢ أن ثلاثين من أصحاب إينال – نائب صفد – أرسلوا فى الحديد إلى القاهرة ، فرسم السلطان بقطع أيدى تسعة وعشرين منهم ، أما الأخير فقد أمر بتوسيطه ، ثم أفرج عمن قطعت أيديهم ونفوا إلى بلاد الشام فمات بعضهم فى الطريق خلال ترحيله .

(٣) راجع الضوء اللامع ٣ / ١١١٩ والسيوطى : نظم العقيان ، ص ١١٩ .

الشافعية بالديار المصرية عوضاً عن القاضى ولى الدين [أبى زرعة] بن العراقى بحكم عزله :

وفى يوم الإثنين الثامن من ذى الحجة خلع على الأمير أرغنشاه (١) الأستادار واستقر فى الوزارة عوضاً عن تاج الدين بن كاتب المناخات بحكم استعفائه (٢) عنها وادعائه أنه غرم من ماله — من حين تولى إلى يوم عزله — أكثر من ستين ألف دينار ؛ واستقر أرغون شاه وزيراً وأستاداراً :

* * *

بقية الحوادث فى هذه السنة

منها قضية الأمير تغرى (٣) بردى نائب حلب :

وهى أنه لما استقر فى حلب نائباً طغى ، وتمرد وبغى ، وأظهر الفساد فى البلاد ، وقصد الانفراد بالمملكة التى هو فيها ، واستحقر الظاهر ططر وصار يعكس الأمور ، فأرسل وراءه الأمير كزل نائب سلطنته الذى تسحب من المؤيد ولم يقابل الظاهر أيضاً وطلبه وسأله أن يجيء إليه وكان هو قد

---

(١) هو أرغون شاه النوروزى وقد سبق التعريف به ، راجع ص ١٠ حاشية رقم ٣ .

(٢) فى الأصل « استعفائها » .

(٣) يستفاد من ترجمة تاق بك البجاسى الواردة فى الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٦ س ١١ — ١٢ أن تغرى بردى المذكور فى المتن هو تغرى بردى من قصروه ، على أن نفس المرجع ، ج ٣ ص ٢٧ ترجمة رقم ١٣١ يشير إلى أنه مات سنة ٨١٨ وهو خطأ ، والصحيح أن تغرى بردى المؤيدى المعروف بأخى قصروه — كما جاء فى النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٧٨٥ — ٧٨٦ كانت وفاته سنة ٨٢٨ ، انظر عنه ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٣٥٣ ترجمة رقم ٤ ، وابن إياس : بدائع الزهور ج ٣ ص ١١ .

وصل إلى العمق (١) فأجاب إليه وحضر لديه ، ولما سمع الظاهر ططر بذلك أرسل إلى العساكر الشامية والحلبية أن يجتمعوا إليه ويقبضوا عليه ، فلما أحس بذلك طلب الهروب لأنه لم يقدر على الإقامة في حلب لعجزه عن مقاومة عسكرها ، فهرب وكزل معه ، وتوجها إلى مدينة بهسنا (٢) ودخلا قلعتها بمن معهما ، فلما سمع السلطان ططر بذلك أرسل إلى نائب حلب الذي تولى موضعه — وهو الأمير تنبك البجاسي (٣) — وأمره أن يأخذ العسكر وينزل على قلعة بهسنا ويحاصرها إلى حين أخذها ، فذهب النائب بعسكره إليها وحاصرها حصاراً شديداً ، وفي أثناء الحصار مات الأمير كزل ، ولما طال الحصار عليهم استأمنوا فنزلوا بالأمان وأخذوا تغرى بردى وحضروا به إلى حلب فحبس بقلعتها وتفرق شمله ، ثم تولى نيابة بهسنا الأمير جربغا الذي كان دوادار يشبك المشد (٤) نائب حلب ، وكان نزول تغرى بردى من قلعة بهسنى في شهر صفر .

* * *

(١) ورد في مراصد الاطلاع ، ج ٢ ص ٩٦٢ أن العمق كورة من نواحي حلب ، ويقال إن اسم «العمق» هو الاسم القديم لإقليم حارم ، ويقال أيضا إنه يتبع ناحية تعرف بالريحانية وهو اسم طائفة من التركمان استقرت في هذه الناحية بناء على ما ذكره Burkhardt: Travels in Syria, Vol. I, p. 630
وقد حدد ابن الشحنة في كتابه : ص ١٦٦ حدود منطقة حارم ، أنظر أيضا :
Le Strange: Palestine Under The Moslems, p. 391.

(٢) عرفها مراصد الاطلاع ، ج ١ ص ٢٣٤ بأنها « قلعة حصينة عجيبة بقرب مرعش وسميساط ورستاقها هو رستاق كيسوم ، وهي من عمل حلب » .

(٣) أنظر عنه ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ٣، ص ٣٢٣ ترجمة رقم ٧ ، والسخاوى : الضوء اللامع ١٢٥/٣ ، أنظر أيضا Marcel: l'Egypte depuis la conquête des Arabes, p. 183; Sauvaire: Description de Damas, t. II, p. 287 - 288.

(٤) وصفه الضوء اللامع ١٠ / ١٠٩٦ بأنه « كان شابا جاهلا فاسقا ظالما عسوفا طماعا » ، اشتراه المؤيد شيخ وعمله شاد الشربخاناه ، أما فيما يتعلق بنهايته فراجع ما كتبه ابن حجر في إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٢٣٩ — ٢٤٠ فهو مصدر أول في هذه الأحداث .

ومنها قضية صفد وقد ذكرناها ؛

* * *

ومنه قضية الصعيد ونصرة الكاشف على جماعة العربان العاصين وقتلهم :

فهذه القضايا التى انقضت كلها على هذا الوجه الذى كان يريده الملك الأشرف ويختاره ، وهو مما يدل على سعده ونصرته وتأييده :

* * *

وحجّ بالناس فى هــذه السنة من القاهرة الأمير ياقوت(١) مقدّم المماليك السلطانية ، وكان الحاج كثيراً جداً فى هذه السنة حتى عدّوا من الترك قريباً من خمسمائة نفس ، منهم : مماليك السلطان ــ بالخصوص ــ أربعمائة نفس، وكان أمير الركب الأول أسندمر الذى كان نائب قلعة الجبل .

* * *

ذكر من توفى فيها من الأعيان

٦١٣ ــ القاضى بهاء الدين أحمد بن عثمان بن المناوى توفى يوم الإثنين السادس عشر من رمضان ودُفن صبيحة يوم الثلاثاء فى القرافة الصغرى وكان رجلاً جميلاً محتشماً قريباً من الناس، وكان من أكبر نواب الشافعى، ولقد بلغ الرتبة فى القضاء ولو عاش لكان يتولّى ، وخلّف وظائف كثيرة جداً.

(١) المقصود بذلك ياقوت الأرغونشاوى الحبشى الذى صار مقــدم المماليك السلطانية أيام الظاهر برقوق ، وحج مرتين أميرا المحمل المصرى ، أنظر إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٤٥٢ ترجمة رقم ٥٠ ، والضوء اللامع ١٠/٩٢٢ .

٦١٤ – الشيخ بدر الدين محمود بن الشيخ أحمد[1] الأقصراوى ، توفى يوم الإثنين الخامس من المحرم آخر النهار وصلى عليه فى المصلى التى خارج باب الوزير يوم الثلاثاء ودفن فى تربة والده بالصحراء ، وكان فاضلاً عالماً مطبوعاً كريماً رحمه الله، وكان – رحمه الله – قد اشتهر[2] جداً عند أرباب الدولة.

٦١٥ – (١١٤ ب) الشيخ الفاضل العالم الصالح شمس الدين محمد الحبتى[3] الحنبلى شيخ الخروبية[4] ، وكان اشتغل قديماً فى دمشق وأدرك

(١) اتفق السلوك، ورقة ٣٤٥ ا ، والنجوم الزاهرة ، وإنباء الغمر ج ٣ ص ٢٩٥ ترجمة رقم ٣٠ على أنه « محمود بن محمد » .

(٢) حين ترجمت له النجوم الزاهرة ج ٦ ص٧٧٦ أشارت إلى أنه كان يجالس المؤيد شيخ وينادمه ، ولكن الضوء اللامع ١٠/٥٧٢ أرجع ذلك إلى أنه كان يقرئ إبراهيم بن السلطان فى الفقه ، واكتفت شذرات الذهب ج ٧ ص ١٧٢ بالإشارة إلى مجالسته المؤيد ثم اختصاصه بالملك الظاهر ، أما ابن حجر فقال عنه إنه « اتصل بالملك المؤيد فعظم قدره » ، راجع إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٢٩٥ ترجمة رقم ٣٠ .

(٣) فى الأصل « الجيتى » ، ولكنها « الحبتى » فى النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٧٧٧ وكذلك شذرات الذهب ج ٧ ص١٧١ ، وإنباء الغمر ، ج ٣ ص ٢٩١ ترجمة رقم ٢١ ، وأرجعت الشذرات هذه النسبة إلى « حبتة بنت ملك بن عمرو بن عوف » ، علما بأن السخاوى قال فى الضوء اللامع ٧ / ٢٣٤ إن الإسم يرسم بصورتين : « الحبتى » و « الحمتى » وقال : « رأيت من أبدل الموحدة ميما وقال إنه الصواب » ، واستعملت السلوك « الحمتى » .

(٤) يقصد ابن الصيرفى بذلك الخانقاة الخروبية بساحل الجيزة ، وقد ذكر المقريزى فى الخطط ج ٣ ص ٤٢٢ أنها « كانت منظرة من أعظم الدور وأحسنها ويرجع تأسيسها إلى زكى الدين أبى بكر الخروبى كبير تجار الكارم بمصر، وقد تحولت إلى خانقاه بأمر السلطان المؤيد شيخ فى رجب سنة ٨٢٢ ، والواقع أن تحولها من منظرة إلى خانقاه كان اغتصابا وقسراً بدليل قول ابن حجر فى إنبائه ج ٣ ص ٢١٣ ، إن المؤيد قرر الحبتى سنة ٨٢٣ فى « مشيخة الخانقاه المستجدة بالجيزة التى انتزعت من الخروبى وكانت وقفاً على الذرية ثم على الزاوية المجاورة لها فأخفى كتاب الوقف واشتريت للسلطان من الورثة بقدر حصصهم وغالبهم أشهد عليه ولم يقبض الثمن » ، ويشير المقريزى : نفس المرجع والجزء والصفحة إلى أن السلطان رتب للحبتى فى كل يوم عشرة دراهم مؤيدية سوى السكن وقرر عنده عشرة فقراء ، لكل منهم مع الخبز مؤيدى فى كل يوم » هذا ويلاحظ أن هناك المدرسة الخروبية فى نفس المنطقة لكنها من إنشاء محمد بن أحمد بن على الخروبى ، وكان بجانبها مكتب سبيل ، راجع الخطط ج ٣ ص ٣٢٣ ، وإنباء الغمر ، ج ١ ص ٢٨٥ ترجمة رقم ٣٠ .

مشايخها وحصل طرفاً جيداً من الحديث والأخبار ، وكانت له يد طولى فى قراءة البخارى ، وتولى عوضه فى مشيخة الحروبية الشيخ فضل الله بن نصر الله البغدادى الحنبلى :

٦١٦ — الأمير سيدى حسن بن سودون الفقيه ، خال السلطان الصالح محمد بن الظاهر ططر ، توفى ليـلة الجمعة الثالث عشر من صفر ، وكان ضعفه مقدار شهرين وأكثر ، ودفن بالصحراء خارج باب البرقية بالقاهرة فى يوم الجمعة بكرة النهار ؛ وكان وصوله إلى هذه المنزلة بواسطة الظاهر ططر فإنه كان زوج أخته بنت سودون الفقيه ، وكان أولا فى خدمة ططر بجامكية[(١)] ، ولما تولى نظام الملك أعطاه إقطاع طبلخاناه، ثم لما تسلطن[(٢)] أعطاه تقدمة ألف ، ولم تطل مدته حتى انتهشته المنية ، رحمه الله :

٦١٧ — الأمير آقجا[(٣)] الأحمدى كاشف الوجه القبلى ، توفى يوم السبت الحادى والعشرين من المحرم ، ولم يكن مشكوراً ولايته فإنه كان يأخذ أموال الناس غالباً بطريق العسف :

٦١٨ — السلطان كرشجى ، واسمه محمد جلبى بن السلطان أبى يزيد بن مراد بن أرخان بن عثمان جق صاحب الأوجات بأسرها وعلى بعضها، وكرسيها مدينة برسا، توفى فى هذه السنة ، وخلف ولدين كبيرين فتولى عوضه الكبير منهما واسمه مراد بك ، وهؤلاء كلهم ملوك غزاة فى سبيل الله تعالى، رحمهم الله :

* * *

(١) الجامكية هنا هى الراتب أى أنه كان يتناول راتبا معينا من السلطان فى بداية الأمر ، وقد أوردها القلقشندى فى صبح الأعشى، ج ١٣ ص ٩٩ مقرونة بكلمة « الرواتب » تارة و« الجراية » تارة أخرى .

(٢) يقصد بذلك الأشرف برسباى الدقماق .

(٣) « أق خجا » فى السلوك، ورقة ٣٥٣ ب، وكذلك فى النجوم الزاهرة، ج ٦ ص ٧٧٧، والضوء اللامع ٢/١٠٢ .

فصــل

فيما وقع من الحوادث

فى السنة السادسة والعشرين بعد الثمانى مائة

إستهلت هـذه السنة المباركة وأولها يوم الأربعاء[1] ، وخليفة الوقت المعتضد بالله داود العباسى ، وسلطان البلاد المصرية والشامية الملك الأشرف برسباى ، والأمير الكبير أتابك العساكر المصرية الأمير بيبغا المظفرى ، وأمير سلاح هو الأمير قجق العيساوى ، وأمير مجلس الأمير آقبغا التمرازى ، وحاجب الحجاب الأمير جقمق أخى المصارع ، والدوادار الكبير سودون من عبد الرحمن ، وأمير آخور كبير الأمير خسرو[2] ، ورأس نوبة كبير الأمير أزبك[3] ، وأستادار العالية الأمير أرغون شاه الشاوى ، وأضيفت إليه الوزارة أيضاً فى أواخر السنة الخالية عوضاً عن تاج الدين بن كاتب المناخات ، وكاتب السر علم الدين داود بن الكويز[4] ، وناظر الجيش زين الدين عبد الباسط.

(١) الوارد فى التوفيقات الإلهامية ص ٤١٣ أن أول هذه السنة هو يوم الثلاثاء ١٩ كيهك سنة ١١٣٩ ويوافقه ١٥ ديسمبر ١٤٢٢ .

(٢) هو فى المراجع الأخرى « قصروه من تمراز » ، راجع ص ١٢ حاشية رقم ٣ .

(٣) انظر عنه ابن حجر ج ٣ ص ٤٤٣ رقم ٩ ، وابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٢ ص ١٦ .

(٤) فى الأصل « كويز » ، انظر ابن حجر : إنباء الغمر ج ٣ ص ٣١٣ ترجمة رقم ٩ ، والحاشية رقم ٢ به ، وكذلك Wiet: Les Secretaires de la chancellerie en Egypte sous les Mamlouks Circassiens No. XIII.

ونائب الإسكندرية الأمير أسندمرا النورى ، ونائب غزة الأمير يونس[1] الأعور ، ونائب صفد الأمير مقبل ، ونائب دمشق الأمير تنبك ميق ، ونائب حماة الأمير جارقطلو، ونائب حلب الأمير تنبك البجاسى .

وصاحب بلاد قرمان الأمير محمد باك ، والسلطان فى بلاد آجات — وكرسيها برسا — مراد بك بن السلطان كرشجى واسمه محمد جلبى ،والحاكم فى تبريز وبلادها وما والاها الأمير إسكندر[2] بن الأمير قرا يوسف ابن الأمير قرا محمد ، والحاكم فى بغداد الأمير محمد شاه بن الأمير قرا يوسف بن الأمير قرا محمد ، والحاكم فى بلاد خراسان وهراة وبلخ وسمرقند وما والاها شاه رخ بن تمرلنك، وصاحب بلاد الدست — وكرسيها : سراى — السلطان محمد خان من ذرية جنكيز خان .

وصاحب اليمن الملك الناصر بن الملك الأشرف، وصاحب مكة شرفها الله تعالى حسن بن عجلان ، وصاحب المدينة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام عجلان بن نعير الحسينى .

* * *

ذكر من أنعم عليه بإمرة أو إقطاع أو وظيفة

لما[3] كان يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من المحرم خلع على زين الدين قاسم ابن قاضى القضاة جلال الدين عبدالرحمن بن البلقينى واستقر ناظرا على الحوالى بالديار المصرية عوضاً عن القاضى صدرالدين أحمد[4] بن العجمى بحكم عزله.

---

(١) هو يونس الركنى بيبرس بن أخت الظاهر برقوق ، وقد تقلبت به الأحوال فى عهود السلاطين حتى أخرج جقمق إقطاعه وأقامه بطالا بدمشق ؟ وبها كانت وفاته سنة ٨٥١ .

(٢) انظر ابن حجر : إنباء الغمر ، وفيات سنة ٨٤١ ترجمة رقم ٧ والحواشى الواردة هناك ، وكذلك الضوء اللامع ٢ / ٨٨٥ .

(٣) انظر عنه الضوء اللامع ٦/ ٦٢٠ .

(٤) انظر ماسبق ص ١٠ حاشية رقم ١ ، وإنباء الغمر ج ٣ ص ٤٤٢ ، والنجوم الزاهرة ج ٦ ص ٨١٦ ، والضوء اللامع ٢ / ٦٢٤ .

وفى الرابع عشر من صفر خلع على الأمير خسرو — أمير آخور كبير — واستقر فى نيابة طرابلس عوضاً عن الأمير إينال[١] النوروزى بحكم انتقاله إلى مصر واستقراره على إقطاع خسرو المذكور .

وفى أوائل جمادى الأول تولى نيابة الكرك الأمير أركماس عوضاً عن الأمير شاهين بحكم وفاته إلى رحمة الله تعالى ثم عزل، وتولى الأمير عرب شاه التركمانى ، وكان أصله من جعبر .

وفى يوم الإثنين الخامس من جمادى الأول خُلع على الأمير جقمق — حاجب الحجاب بالديار المصرية — واستقر أمير آخور كبيراً بالديار المصرية عوضاً عن خسرو بحكم انتقاله إلى نيابة طرابلس .

وفى هذا الشهر (١١٥ ا) عزل الأمير يونس الأعور من نيابة غزة لكثرة المرافعة ونفى إلى القدس الشريف بطالا ، وتولى غزة نائب قلعة الروم المسمى تمراز ، وأرسل إليه المقامُ الشريف قاصداً بسبب ذلك .

وفى يوم الإثنين الثانى والعشرين من شهر شعبان خلع على الأمير شرباش قاشق[٢] واستقر حاجب الحجاب بالديار المصرية عوضاً عن جقمق أخى جركس المصارع بحكم استقراره فى الإمرة الآخورية الكبرى كما قدمناه .

* * *

(١) كان إينال النوروزى هذا زوج بنت أبى المحاسن المؤرخ صاحب النجوم الزاهرة ، انظر عنه نفس المرجع ج ٦ ص ٥٦٣ ، ٨٤٠ ، وإنباء الغمر ، ج ٣ ص ٣٧٥ ، ترجمة رقم ٣ ، وراجع Sobernheim : Op. cit. 64.

(٢) وتسميه بعض المراجع المعاصرة له إذ ذاك « جرباش عاشق » ، انظر فى ذلك الضوء اللامع ٣ / ٢٧٠ وراجع أيضا النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٥٦٥ .

وفى العشر الأخير من شهر رمضان عين السلطان الأمير تنبك البجاسى نائب حلب لنيابة دمشق عوضاً عن الأمير تنبك ميق بحكم وفاته وتوجه إليه بالتقليد الأمير جانبك[1] [الأشرفى] الخازندار مملوك المقــام الشريف ، وعين الأمير جار قطلو — نائب حماة — لنيابة حلب عوضاً عن الأمير تنبك البجاسى بحكم انتقــاله إلى نيابة دمشق ، وتوجه بتقليده الأمير قطج[2] رأس نوبة ثانى ، وعين لنيابة حماة الأمير جلبان الأرغونشاوى أحد الأمراء المقدمين بالشام ، وتوجه بتقليده خُشْكَلْدى[3] الخاصكى :

وفى يوم الخميس العاشر من شهر شوال خلع على القاضى جمال الدين يوسف[4] ناظر الجيش بطرابلس وكان قد قدم إلى القــاهرة واستقر كاتب

(١) إكتفى من ترجموا له بذكر اسمه هكذا « جانبك الأشرفى برسباى » وأولهم أبو المحاسن فى المنهل الصافى ، ويلاحظ أنه هو الأمير الذى أرسله السلطان برسباى فى سنة ٨٢٦ إلى الشام لتقليد النواب وكانت سنه إذ ذاك تقرب من العشرين عاما ، لكنه كان شديد التمكن من أستاذه وبلغ من شدة تمكنه منه أن راح يبيع الوظائف ، والظاهر أنه أراد أن يبيع وظيفة القضاء لابن حجر الذى رفض ذلك وقال بيتين سخر فيهما منه :

الدوادار قــال لى أنا أقضى مآربــك
قم زن المال ، قلت : لا حفظ الله « جانبك »

انظر النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٥٧١ والضوء اللامع ٣ / ٢١٦ وعلى مبارك : الخطط التوفيقية ج ٣ ص ٣٦ ، و Mehren: Melanges Asiatiques, t. VI, p. 325; Van Berchem: Materiaux pour un corpus inscriptionum arabicarum, Egypte, t. I p. 362.

(٢) لعله قطج من تمراز الظاهرى ، ولم يرد فى المنهل الصافى سوى واحد اسمه « قطج » هو هذا ، لكن ليس فى الوظائف التى تولاها ما يشير إلى أنه كان رأس نوبة ثانيا ، راجع :
Wiet; Les Biographies du Manhal Safi, No. 1863.

(٣) الأرجح أنه هو خشكلدى من سيدى بك الناصرى فرج المعروف بالجقمقى جقمق الأرغونشاوى ، فقد ورد فى وظائفه أنه كان خاصكيا وإن لم يحدد متى كان ذلك ولكنه كان بعد اتصاله بالأشرف برسباى ، ولم تعرف كذلك سنة وفاته على وجه الدقة ولكنها كانت على أية حال بعد سنة ٨٤٥ ، انظر الضوء اللامع ٣/ ٦٨٩ .

(٤) فى الاصل «عبدالله» لكن راجع النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٥٦٧ حيث ذكر أنه جمال الدين يوسف ابن الصفى الكركى ، وأشار إلى أن استقراره فى نظارة الجيش كان بعد علم الدين بن الكويز كما أن الأشرف برسباى ولاه كتابة السر الشريف فعيب ذلك على السلطان لعدم باع الكركى فيها وقلة بضاعته فى العربية .

السر الشريف بالديار المصرية عوضاً عن القاضى علم الدين داود بن الكويز بحكم وفاته .

وفى منتصف شهر شـوال استقر الأمير آقبغا التمرازى[(١)] فى نيـابة إسكندرية وكان قد توجه إليها يوم الأحد التاسع من رمضان ومعـه جماعة من المماليك السلطانية بسبب إشاعة حركة الفرنج فى البحر المـالح، وأرسل إليه خلعة النيابة عوضاً عن الأمير أسندمر النورى بحكم عزله لأمور غير مرضية[(٢)] صدرت عنه ، وطلب إلى القاهرة فلما حضر رسم بنفيه إلى دمياط بطالا .

وفى يوم الأربعاء الثالث والعشرين من شهر شوال طلب المقام الشريف القاضى بدر الدين العينى وسأله فى استقراره ناظراً على أوقاف السادة الأشراف عوضـاً عن شرف[(٣)] الدين عبد الوهاب بن نصر الله بحكم توجهه إلى الحجاز فامتنع من ذلك ، فلما أصبح خلع على بدر الدين حسن — ولد السيد على نقيب الأشراف — واستقر فى الوظيفة المذكورة على عادة أبيه ، وكان سبب الوظيفة خروجها[(٤)] عن الأمير فخر الدين بن أبى الفـرج وكان بعد عزله وليها ثم بعد وفاته وليها ناصر الدين محمد بن البارزى كاتب السر — كان — الحموى ، ومن بعد وفاته استقر شرف الدين المذكور .

---

(١) هو الأمير آقبغا العـلائى التمرازى الذى ولاه برسباى نيـابة الإسكندرية مع استمراره على الإقطاع السابق .

(٢) أخذ برسباى على أسندمر النورى ما اتهم به عنده من أنه أهمل فى أمر جانبك الصوفى مـا يسر له الهروب من سجن الإسكندرية ، ومع أن جانبك كان مصدر قلق وخوف السلطان إلا أنه لم يعاقب أسندمر بما يكافىء هذا التفريط ، وسبب ذلك — كما شرحه أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٥٦٩ — أن «أسندمر كان من أغوات برسباى ومن أكابر انيات جركس القاسمى المصارع» .

(٣) فى الأصل « تاج » الدين » ولكنها هكذا فى السلوك حيث قال : « شرف الدين محمد ابن عبد الوهاب بن نصر الله» وكذلك سيعود المؤلف بعد قليل، ص ٢٢٠ ، س ٤ إلى تسميته «بشرف الدين» .

(٤) فى الأصل « خروج عنه » .

وفى يوم الإثنين الثامن والعشرين من شهر شوال خلع على القاضى صدر الدين أحمـــد بن القاضى جمال الدين محمود العجمى واستقر فى نظر الكسوة ونظر الجوالى بالديار المصرية . فنى نظر الكسوة عوضاً عن شرف الدين ابن تاج الدين المذكور ، وفى نظر الجوالى عوضاً عن زين الدين قاسم البلقينى بحكم عزله .

وفى يوم الثلاثاء التاسع والعشرين منه خلع على الأمير ناصر الدين المعروف بابن أبى والى[1] القدسى الذي كان أستادار الأمير جقمق نائب دمشق ثم أستادار الأمير تنبك ميـــق نائب دمشق أيضاً واستقر أستادار العالية عوضاً عن أرغون شاه الشامى بحكم عزله ومسكه .

وخلع أيضاً على القاضى كريم الدين بن تاج الدين بن كاتب المناخات. واستقر وزيراً بالديار المصرية عوضاً عن الأمير أرغنشاه المذكور ، وخلع على الأمير إينال النوروزي — الذى قدم من طرابلس فى التاريخ الذى ذكرناه — واســـتقر أمير مجلس عوضاً عن آقبغا التمرازى بحكم استقراره فى نيابة إسكندرية .

وفى أواخر شـــوال استقر الأمير قُرْقُماس[2] الدوادار الثانى بالديار المصرية فى تقدمة ألف بالديار المصرية ، وخرجت وظيفة الدوادار عنه .

* * *

(١) أشارت النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٥٦٩ — ٥٧٠ والسلوك ، ورقة ٣٥٧ ب ، إلى أن اسمه هو « محمد بن محمد بن موسى المرداوى المعروف بابن بولى » بضم الباء وفتح الواو ، ولكن العامة تسميه « ابن أبى والى » .

(٢) المقصود بذلك قرقـــاس الشعبانى الظاهرى برقـــوق المعروف بقرقاس أهرام ضاغ أى « جبل الأهرام » وذلك لما طبع عليه من التكبر ، أنظر الضوء اللامع ٦ / ٧٢٩ والسخاوى: التبر المسبوك ، ص ١٣٩ ، وابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٢ ص ٢٤ — ٢٧ ، ٣٥ .

ذكر الأسعار فى هذه السنة المباركة بالقاهرة

فى شهر صفر منها نزلت أسعار الحبــوب جداً فبيع الإردب من القمح النقى من الغلة بتسعين درهماً فلوساً جدداً ، وهى الدراهم النقرة أربعة دراهم ونصف درهم أشرفية ، وما دون ذلك بثمانين وسبعين وستين .

والإردب من الشعير بخمسة وستين وبستين ، والإردب من الفول بخمسة وسبعين وبسبعين ، والبطة الدقيق التى هى خمسون رطلا بخمسة وثلاثين درهماً [١١٥ ب] فلوساً ، والخبز : الرطل وثلث رطل من الخبز بدرهم فلوس جدد ، والرطل من الجبن المقلى بتسعة دراهم بالفلوس ، ولكن سعر اللحم كان متحسناً(١) جداً لعــدم الأغنام فوصل الرطل من السليخ إلى ثمانية ، ومن السميط إلى سبعة ، ومن البقرى إلى خمسة دراهم فلوس ، وكذلك السيرج كان متحسناً فأبيع الرطل منه بثلاثة عشر درهماً بالفلوس: وفى أوائل شوال زاد سعره فوصل إلى ستة عشر ولكنه رخص بعد ذلك جداً فى شهر ذى القعدة فأبيع الرطل بثمانية وتسعة ، وبيع الإردب من الشعير فى شوال وذى القعدة بستين درهماً ، ومن الفول بسبعين درهما ، وتحسن السعر فأبيع الإردب من القمح بمائة وخمسين درهما ، وما دونه بمائة وأربعين وثلاثين وعشرين ، وأما التبن فكان عزيزاً ، ووصل الحمل إلى سبعين درهماً :

* * *

وفى هذه السنة قلت الفلوس الجدد جداً وسبب ذلك نقلها فى البحر إلى بلاد اليمن وسبكها فى المعامل أوانى وصحوناً وكوباً وغير ذلك ، فلما

(١) أى أن السعر كان مرتفعا جدا .

بلغ السلطان ذلك برز المرسوم الشريف بالنداء عليها بتسعة دراهم كل رطل وكان بستة ، وأبطل الفلوس العتق وكانت بخمسة الرطل فنودى عليها بأربعة ، وحصل للناس الضرر الزائد بسبب قلة الفلوس الجدد ، فنادى السلطان بين الناس أن يكون الرطل منها بسبعة حتى تكثر بين أيدى الناس ، ولم يفد ذلك شيئاً :

وأما الفضة فصارت فى المعاملة من أنواع الدراهم : مؤيدية وصالحية وأشرفية وقرمانية وعثمانية وحجازية وتكرورية وبندقية ، فعند ذلك رسم السلطان ألا يتعامل إلا بالدراهم المصكوكة بالديار المصرية والشامية ، وتبطل ما سوى ذلك ، خلا الدراهم التكرورية :

وأما أسعار القماش والفراء بأنواعها فكانت غالية جداً :

* * *

ذكر بقية الحوادث

فى يوم الإثنين السادس والعشرين من صفر قدم الأمير إينال النوروزى نائب طرابلس إلى خدمة السلطان واستقر فى القاهرة أميراً على ما قدمنا على إقطاع الأمير خسرو ونزل فى الدار التى تقابل الكبش[1] على بركة الفيل :

* * *

(١) الكبش من مناطق القاهرة وتقع على ما يعرف بجبل يشكر الذى كان يعد من المناطق الطيبة فيها ، إذ تقع تجاهه بركة كبيرة كانت تعرف فى القرن التاسع الهجرى ببركة قارون ويشرف عليها ما يسمى بمناظر الكبش بجوار جامع ابن طولون ، ومنها يستطيع الإنسان « أن يرى بابى زويلة والقاهرة وباب مصر ومدينة مصر وقلعة الروضة وجزيرة الروضة وبحر النيل الأعظم وبر الجيزة ، فكانت من أجل المتنزهات » . انظر المقريزى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٥٢٩ وما يليها .

وفى يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من ربيع الأول آخر النهار جاءت ريح حمراء فطبق وجه السماء بحيث أظلمت الدنيا وكأنها الليل ، ولم تزل الريح تهب إلى آخر الليلة التى صبيحتها يوم الأربعاء ، وكان مجيئها من ناحية بلاد برقا ووصلت إلى بلاد الصعيد وإلى الصالحية[١] من الشرق وأتلفت شيئاً كثيراً من الزرع ، وظنت الناس فى ذلك اليوم أنه ابتداء أيام القيامة ، وحصل لهم هلع وجزع ورعب شديد .

* * *

وفى يوم الخميس السادس والعشرين من ربيع الآخر قدم إلى القاهرة الأمير تنبك البجاسى نائب حلب ونزل فى بيت الأمير نوروز فى الرميلة وكان السلطان قد جهز الأمراء لملاقاته[٢] وتعظيمه وبالغ فى ذلك وأرسل إليه أمير أستادار الصحبة بالمطابخ وغير ذلك من أنواع الحلاوات والسكر ، وأقام فى القاهرة إلى أن سافر يوم الخميس الثالث من جمادى الأولى مستمراً على نيابته[٣] .

ومن الحوادث وقوع الفناء العظيم فى البلاد الحلبية والشامية ، وكان ابتداؤه من حلب وبلادها ، ومات منها[٤] خلق كثير معظمهم من الأطفال

---

(١) يوجد بالديار المصرية ستة أماكن يعرف كل منها بالصالحية ، أنظر فى ذلك فهرس القاموس الجغرافى، مادة « الصالحية » ،على أن الصيرفى يقصد بالصالحية هنا البلدة الواقعة فى محافظ الشرقية الحالية والتى تعرف اليوم باسم «الصالحية الكبرى »وهى منسوبة إلى منشئها الملك الصالح نجم الدين أيوب فقد أسسها سنة ٦٤٤ هـ « لتكون منزلة للعساكر عند ذهابهم إلى الشام وعودتهم منها » « انظر القاموس الجغرافى ، ق ٢ ج ١ ص ١١٢ — ١١٣ ، اما إشارة الصيرفى إلى الصالحية فتحمل معنى قوة هذه الريح واكتساحها معظم الدلتا حتى بلغت هذه الناحية البعيدة عن برقة .

(٢) أى لملاقاة الأمير تنبك البجاسى .

(٣) أى فى حلب .

(٤) ربما كان ضمير المؤنث هنا عائدا على حلب و بلادها .

وفى يوم الخميس السابع والعشرين من شعبان حضر جماعة كثيرون وفيهم شخص كبير يسمى عمر بضمتين من بلاد ابن عثمان وكانوا قد خرجوا من بلادهم لقصد (١١٦ ا) الحج إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، فلما وصلوا دمشق قويت همتهم على دخول مصر للتمثل بين يدى السلطان والتوجه منها إلى مكة المشرفة، فلما بلغ السلطان حضورهم أمر الحجاب فاستقبلوهم وأنزلوهم بالميدان الكبير[1]، وجهز إليهم السلطان سماطاً عظيماً، ثم رسم لهم بمرتب جار عليهم قدر كفايتهم من اللحم والحياش والسكر والحلوى والشمع ونحو ذلك، فأقاموا إلى أيام سفر الحجاج فسافروا معهم وكانوا أحضروا معهم للسلطان تقدمة من عند ابن عثمان صاحب برسا فقدموها إليه، وقدم هو أيضاً لابن عثمان أشياء من عنده.

وفى يوم الاثنين الثانى[2] من رمضان كانت خدمة الإيوان بسبب هؤلاء المذكورين.

وفى هذا اليوم كُسر الخليج فنزل إليه الأمير بيبغا المظفرى أتابك العساكر.

وفى يوم الأحد مستهل شهر رمضان أمر السلطان بنفى الأمير[3] سودون الأشقر إلى القدس بطالا ثم وقعت فيه الشفاعة ورسم له بالتوجه إلى دمشق على إمرة تقدمة ألف.

---

(١) المقصود بذلك ما يعرف بالميدان السلطانى وهو من إنشاء الملك الصالح نجم الدين أيوب بأرض اللوق من القاهرة وكان يصل بينه وبين الخليج قنطرة.

(٢) فى الاصل «الثالث»، وقد صححناها إلى «الثانى» بناء على ما جاء فى نفس الصفحة هنا س ١٣، ص ٢٩ س ١٤، وكذلك ماورد فى التوفيقات الإلهامية ص ٤١٣ من إن أول رمضان هو الأحد.

(٣) هو سودون الظاهرى برقوق وقد عرف بالأشقر تمييزا له عن سودون آخر بنفس الإسم والنسبة ولكنه سودون الجلب. هذا وقد ترقى سودون الأشقر هذا أيام الناصر فرج فبلغ التقدمة وشد الشربخاناه، ثم صار رأس نوبة النوب زمن المؤيد شيخ، وقد نفاه الأشرف برسباى إلى دمشق فبقى بها حتى مات سنة ٨٢٧، انظر فى ذلك إنباء الغمر، ج ٣ ص ٣٢٥، والضوء اللامع ٣/١٠٦٩، Wiet: op. cit. No 1130

وفى يوم السبت سابع رمضان توجــه الأمير صبرغتمش[١] رأس نوبة أحد الأمراء الطبلخانات ومعه مائة مملوك من المماليك السلطانية إلى دمياط المحروسة لأجل إشاعة حركة الفرنج .

وفى يوم الأحد ثامن رمضان توجه الأمير آقبغا التمرازى إلى إسكندرية كما ذكرنا .

* * *

وفى يوم السبت الثالث عشر من شوال قدم ثقل نائب دمشق الأمير تنبك ميق وجميع موجوده من الذهب والفضة والقماش والخيل والجمال والمماليك ، وحضر أيضاً قاضى القضاة شهاب الدين أحمــد بن القاضى يحيى ابن الكشك قاضى[٢] الحنفية بدمشق مطلوباً .

وفى يوم السبت التاسع عشر من شهــر شوال خرج المحمل[٣] الشريف من القاهرة .

* * *

وفى يوم الأحد السابع والعشرين منه قبض على الأمير أرغون شاه الأستادار والوزير وعوق فى البرج بقلعــة الجبل ، وسببه تأخر الجامكية

---

(١) أشار السخاوى فى ضوئه ٣/ ١٢٣٥ إلى أن الصواب فى أسم صرغتمش هو « صلغ أطمش » بضم الصاد وسكون اللام وفتح الغين المعجمة ومعناه « الرمى على اليسار » ، ولم أستطع تحديد صرغتمش هذا المقصود فى المتن ، على أن الوارد فى النجوم الزاهرة ، ح ٦ ص ٥٦٧ هو أنه لما سمع الأشرف برسباى بخبر قدوم الفرنج ندب عدة أمراء إلى السواحل لدفعهم عن البلاد ، وأن الذى توجه معهم إلى الإسكندرية هو آقبغا ، لكنه لم يشر إلى خروج الجماعة إلى ثغر دمياط .

(٢) ابن طولون : قضاة دمشق ، ص ٢١٢ — ٢١٤ .

(٣) وكان ذلك بصحبة الطواشى الحاج افتخار الدين ياقوت الأرغون شاوى الحبشى مقدم المماليك السلطانية .

وإظهار العجز ، وتكلم فى حقه أنه أخذ أموالا جمة فى سرحاته إلى البحيرة والغربية والجهات القبلية ، وأنه أخذ جميع هذه الأموال فجهزها إلى دمشق وضرب ضرباً مؤلمـاً ، ثم بعد أيام يسيرة وقعت فيه الشفاعة بعد أن قرر عليه مال كثير من الذهب ونزل إلى بيته .

* * *

وفى يوم الأربعاء سلخ شـوال قدم أخـو[1] السلطان من بلاد جركس فرسم السلطان أن يجهز إليه قماشاً وخيلا ومطبخاً مكملا ولاقاه بعض الأمراء والمماليك .

* * *

ذكر ما وقع من الأمور فى البلاد

منهـا :

أن محمـد باك بن علاء الدين بن قرمان — صاحب قونية[2] ولارنده وما والاهما — لمـا خلص من الحبس فى القاهرة فى أيام الملك الظاهر ططر

(١) فى الأصل « أخى » ، والمقصود بذلك يشبك أخو الأشرف برسباى ولم يكن حضوره هو وحده وإنما قدم معـه — كما جاء فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٥٧١ — إخوة السلطان وأقاربه من بلاد جركس ، أما يشبك هذا فأسن من أخيه السلطان برسباى الذى أنعم عليه بإمرة طبلخاناة حين مجيئه إلى مصر ، وقد مات يشبك مطعونا سنة ٨٣٣ ، أنظر إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٤٥٣ ترجمة رقم ٥٣ ، والضوء اللامع ١٠ / ١١٠١ .

(٢) ضبطها مراصد الاطلاع ، ج ٣ ص ١١٣٤ بضم القاف وسكون الواو والنون بعدها ياء مفتوحة ، وقال إنها من أعظم مدن المسلمين بالروم وأنها أحد مكانين يسكنهما ملوكهم ، وهى تعرف عند الغربيين باسم (Iconium) ، ثم اتخذها سلاجقة الروم عاصمة لهم بعد أن تم لهم فتحها سنة ١٠٨٤ م (= ٤٧٧ هـ) على أنه يقال إن فردريك بربروسة انتزعها منهم بعد قرن من الزمان ، سنة ٥٨٦ هـ (= ١١٩٠ م) ، ثم أخذت فى التدهور وكانت تكتنفها قلعة تعرف بقلعتقره حصار ، راجع فى ذلك كله لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص١٧٢ ، ١٨١ ، أما لارندة فكانت عاصمة إمارة قرمان ، وقد وصفها ابن بطوطة فى القرن الثامن الهجرى بعبارة نقلها لسترانج فى نفس المرجع ، ص ١٨٠ ، وذكر أنها « كثيرة المياه والبساتين » .

على ما قدمنا وذهب إلى بلاده فى البحر المـــالح شرع فى استرجاع البـــلاد التى أخذها ابن عثمان منه ، ومن ذلك أنه توجه إلى مدينة أنطاكية التى على البحر المـــالح ونزل بها يحاصرها ، واتفق أنه ركب يوماً من الأيام وتوجه إلى قريب السور لينظر إلى الجماعة الذين بهـــا فرموه بحجر من أحجار المكحلة (١) فمات منه وتفرق شمله وتشتت عسكره ، فتولى عوضه فى بلاده ولد الأمير إبراهيم باك — وهو أكبر أولاده — فهرب منه عمه الأمير عليباك ، وكان محمد باك رجلا كريماً سخياً (٢) ملازماً للصـــلاة والتسبيح والتهجد لا يتنـــاول المسكر ولا يقول باللواط ولا بالزنا ، وإنما كان يتناول المعاجين المفرحة ، وكان يكرم أهل العلم إكراماً بليغا ويتفقد أحوالهم ويقف عند أقوالهم ، ولكنه فيه عيب شديد هو أنه كان يأخذ « البريم » وهو الجباية من الناس فى كل جمعة وكل شهر ، وكان له أعوان يجمعون له ذلك من أهل بلاده ولا يترك منه شيئاً ، فلذلك كانت الرعية يحبون أخاه عليباك أكثر منه ، فإنه قطع عنهم ذلك لمـــا تولى بلاد أخيه لمـــا مسكه الأمير ناصر الدين محمد ابن ذلغادر صاحب أبلستين وأرسله إلى مصر ، وقد ذكرنا أن الملك المؤيد رحمه الله قد أرسل معه عسكراً عظيماً ومع ولده سيدى إبراهيم فتولى بلاد قرمان نيابة عن السلطان المؤيد ، وتقدم بيان أحواله مفصلا .

* * *

(١) فى الإصل « الكحلة » .

(٢) فى الإصل « سخى » .

ومنها أن الأمير مراد بك بن كرشجي — واسمه محمد باك بن عثمان صاحب برسا والاجات — قتل أخاه الأمير مصطفى باك وكان فى ذلك[1] البر من البحر، ثم إنه نزل على قسطنطينية وجاءت الأخبار بذلك إلى القاهرة.

ومنها أن صاحب مكة الشريف حسن[2] الحسينى لم قابل[3] أمير الركب ولاحج فى هذه السنة خوفا من كثرة الأتراك أن يمسكوه ولو قابله لفعلوا به ذلك لأجل كثرة ظلمه للناس لا سيما التجار وأخذه أموالهم عسفاً وكثرة فساد حاشيته وعبيده.

* * *

ومنها أن الحجاج لما عادوا من مكة ووصلوا إلى مدينة ينبع ركب من الترك جماعة كثيرة خلف مقبل[4] صاحب ينبع فإنه قد خامر على السلطان، وكان السلطان عزله وولى عوضه عاقل، فلما وصلوا إليه وقع بينه وبينهم [١١٦ ب] قتال عظيم، وآخر ذلك أنه انكسر وهرب، فنهب الترك موجوده ومسكوا حاشيته، ولما أفصلوه[5] واستقروا فى ينبع وتقرر بها عاقل على ولايته، وتأخر هناك الأمير قرقماش الشعبانى لأجل النظر فى أمر مكة المشرفة أرسل يسأل السلطان فى نجدة يتوجه بها إلى مكة ليأخذها ويريح المسلمين من حسن بن عجلان.

* * *

(١) أى على هذا الساحل من البحر.
(٢) راجع عنه الضوء اللامع ٣ / ٤١٧.
(٣) عبارة «لم قابل» تعبير مصرى عامى بمعنى «لم يقابل».
(٤) هو مقبل بن نخبار المتوفى سنة ٨٣٠ بحبس الإسكندرية وكان قد حمل إليه فى سنة ٨٢٨، راجع النجوم الزاهرة، ج ٦ ص ٥٨٨، إنباء الغمر، ج٣ ص ٢٩٧-٢٩٨ والضوء اللامع ٣/٦٩٣.
(٥) أى «فصلوه».

وفيها بلغ النيل إلى إصبعين من عشرين فكمل بسبعة عشر ذراعاً ورويت البلاد واطمأنت العباد ، وما خلا موضع من الرى إلا ما شرق من جهة الجسور .

* * *

وفيها حج بالناس من القاهرة بالركب المصرى الأمير ياقوت مقدم المماليك السلطانية ، وكان أمير الركب الأول الأمير إينال الشثمانى (١) أمير طبلخاناة وأحد رءوس النوب ، وحج بالركب الشامى الأمير برسباى (٢) حاجب الحجاب بدمشق . وحج فى هذه السنة من مصر من الأمراء المقدمين ثلاثة وهم : الأمراء قجق أمير سلاح والأمير أركماس (٣) الظاهري والأمير قرقماس ؛ ومن الأمراء العشرات الأمير شيخ (٤) أحد رءوس النوب والأمير قنصوه النوروزي ؛ وأما من المماليك السلطانية فعدة كبيرة إلى الغاية ؛ وأما من غيرهم من الناس فخلق كثيرون .

(١) وكانت وفاته سنه ٨٥١ ، وقد أجمل أبو المحاسن شتى الوظائف التى تقلدها من أمير عشرة إلى محتسب فأمير طبلخاناة فرأس نوبة فنائب صفد فأمير مائة فمقدم ألف فأتابك دمشق، انظر أيضا النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ٣١٢ .

(٢) المقصود بذلك برسباى من حمزة الناصرى فرج ، وكان ممن انتمى إلى نوروز الحافظى وخرج معه ضد المؤيد شيخ الذى حبسه ثم أطلقه فى أخريات أيامه ، ثم لما تولى السلطنة الأشرف برسباى ولاه حجوبية الحجاب بدمشق ، وكان موته سنة ٨٥١ هـ ، راجع عنه السخاوى: التبر المسبوك ، ص ١٧٦ ، ١٨٢ وانظر أيضا Sobernheim: Materiaux ...., pp. 66-68; Van Berchem: op. cit., Egypte, t. I, p. 225.

(٣) انظر عنه الضوء اللامع ، وابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٢ ص ٢١ ، ٢٢ ، ٢٥ ، Melange de la Faculté des Beyrouth, t. I, p. 353.

(٤) الأرجح أنه هو شيخ الحسن الظاهرى برقوق المعروف بشيخ المجنون، فقد ورد فى ترجمته – دون بقية تراجم من يسمون بشيخ فى الضوء اللامع ، ج ٣ ص ٣٠٧ – ٣١٠ وهم سبعة أشخاص – أنه كان من رءوس النوب مما يتفق مع ماورد فى المتن أعلاه ، وكان « تركي الجنس طائشاً جاهلا ومات سنة ٨٣٠ أو التى بعدها فى حلب » .

وحج أيضاً فى هذه السنة القاضى زين الدين عبد الباسط[1] ناظر الجيوش المنصورة واستناب عوضه فى الجيش القاضى بدر الدين بن مزهر[2] .

* * *

ذكر من توفى فيها من الأعيان

٦١٩ - قاضى القضاة الشيخ الإمام العالم المحدث الفقيه ولى الدين أحمد ابن الشيخ الإمام العلامة شيخ المحدثين ومفيد الطالبين زين الدين عبد الرحيم الشافعى الشهير بابن العراقى ، كان رحمه الله رجلا عالماً فاضلا ، له تصانيف فى الأصول والفروع وفى شرح الأحاديث النبوية ، وله يد طولى فى الفتيا ، وقال الحافظ بدر الدين العينى رحمه الله فى تاريخه : « كان آخر الأئمة الشافعية فى الديار المصرية » ناب فى الحكم عن القضاة الشافعية مدة طويلة ، مع عفة وديانة وصلاح ، ثم ترك النيابة واستمر يشتغل بالدروس والتصانيف ، ثم تولى القضاء عوضاً عن قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن البلقينى بحكم وفاته وذلك يوم الإثنين السادس عشر من شهر شوال من سنة أربع

---

(١) هو عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم — فى قول — ويعقوب فى قول آخر ، وقد أشار الضوء اللامع ٣ / ٨١ إلى أنه لما استقر الأشرف برسباى فى السلطنة أخذ عبد الباسط فى التقرب إليه بالتقادم والتحف « وفتح له أبواباً فى جمع المال وأنشأ العمائر فزاد اختصاصه به » ؛ وقد جمع صاحب الترجمة بين الوزارة والأستادارية ، إلا أنه لقى المذلة على يد جقمق فيما بعد ؛ وقد أشارت النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٣٠١ إلى أنه أستولى على القيسارية التى كان دمرداش شرع فى بنائها ثم أكملها هو وجعل بأعلاها ربعا وكانت تعرف فى زمن أبى المحاسن بسوق الباسطية ، وقد شغل الزين هذا فترة من تاريخ هذه الحقبة حتى زمن السلطان جقمق ، انظر عنه السمهودى : خلاصة الوفا ، طبعة بولاق ١٢٨٥ ، ص ١٨٠ وتاريخ مكة (طبعة فستقلد) ليبزج ١٨٥٧ ، ج ٢ ص ١١٧ ، ج ٣ ص ٢١٢ ، ٢١٤ ، وعلى مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ٣ ص ٢٦ ، ج ٥ ص ٤٤ — ٤٥ ، Van Berchem : Materiaux.... Egypte, t. I, pp. 345, 350.

(٢) هو محمد بن محمد بن أحمد بن مزهر الدمشقى كاتب السر المتوفى سنة ٨٣٢ ، راجع عنه إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٤٣١ ترجمة رقم ٢٣ ، والنجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٨٠٧ .

وعشرين وثمانى مائة ، واستمر قاضيا إلى أن عزل يوم السبت السادس من ذى الحجة سنة خمس وعشرين وثمانى مائة بالقاضى علم الدين صالح بن عمر بن رسلان البلقينى ، ولم يزل بعد ذلك متعللا متخللا بالصحة والمرض إلى أن مات رحمه الله تعالى يوم الخميس السابع والعشرين من شعبان من هذه السنة ودفن صبيحة يوم الجمعة الثامن والعشرين من شوال فى الصحراء خارج البرقية بجوار والده الشيخ زين الدين المذكور ، وكان الذى صلى عليه قاضى القضاة علم الدين صالح فى الجامع الأزهر ، وحضر جنازته خلق كثير من العلماء والأمراء والقضاة وطلبة العلم الشريف ، وكان مشكور السيرة فى أيام ولايته ولم يخلف ولداً ذكراً وخلف ابن إبنة فأنعم عليه السلطان بجميع وظائفه ، واستناب فيها جماعة من أهل العلم :

ومن جملة وظائفه : مشيخة خانقاه[1] جمال الدين يوسف البيرى الأستادار والدرس بها وتدريس مدرسة قرا سنقر وتدريس الحديث بالمدرسة الظاهرية العتيقة وتدريس القانبيهية وتدريس جامع طولون وغيره .

---

(١) الأصح أن يقال فيها « مدرسة » ولم تكن خانقاه أبداً وهى من إنشاء الأمير جمال الدين الأستادار الذى بذل عليها كثيراً من الأموال حتى صارت آية فى الحسن والبهاء ، وكانت هذه المدرسة تقع برحبة باب العيد من القاهرة ، وكان بدؤ إنشائها فى جمادى الأولى سنة ٨١٠ ، واشترى لها بانيها كثيراً من الكتب القيمة ، كما كان بها مجموعة من المصاحف بخطوط كبار الخطاطين أمثال ابن البواب وياقوت ، وأقيمت فيها دروس للمذاهب الأربعة كما درس فيها الحديث الشريف ابن حجر ، والتفسير الجلال البلقينى ، وجعل لكل من هؤلاء المدرسين الستة ثلاثمائة درهم كل شهر . وقد استولى السلطان فرج على هذه المدرسة سنة ٨١٢ وأزال اسم صاحبها وكتب اسمه على « دائر صحنها من أعلاه وعلى قناديلها وبسطها وسقوفها » وسماها بالمدرسة الناصرية ، فلما كانت سنة ٨١٥ وقد تسلطن شيخ – وكان حقيا بجمال الدين الأستادار – ردها إلى بيت جمال الدين ، راجع الخطط ج ٣ ص ٢٧٩ – ٢٨٣ . أما المدرسة القراسنقرية فكانت تجاه خانقاه سعيد السعداء فيما بين رحبة باب العيد وباب النصر ، وكان إنشاؤها بأشارة قرا سنقر المنصورى سنة ٧٠٠ هـ ، ويقول المقريزى فى شأنها . أنها من المدارس =

٦٢٠ – الشيخ الإمام العالم الفاضل الزاهد الكامل كمال الدين عمر البلخى نزيل القدس الشريف مات رحمه الله تعالى فى هذه السنة وكان رجلا صالحاً ديناً متعبداً تاركاً للدنيا ، قدم للدرس فى البلاد وتوطن بالقدس وأشغل الطلبة على مذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة وفى غيره من العلوم ، وكان من أكابر تلامذة[1] الإمام العلامة الشريف الجرجانى رحمه الله :

٦٢١ – الشيخ الإمام العالم الفاضل الزاهد نصر[2] المغربى المالكى نزيل القدس الشريف ، قدم من بلاد المغرب وأقام فيه مدة قريبة من عشرين سنة ، منقطعاً إلى الله تعالى متجرداً مشتغلا بالعلوم الشرعية والعبادة الصالحة ، قانعاً من الدنيا بالقوت اليسير إلى أن جاءه الموت المحتوم على الخلائق فى هذه السنة ، فقضى نحبه ولحق بربه ودفن بالقدس الشريف ، رحمه الله :

٦٢٢ – قاضى القضاة الشافعية بالمدينة النبوية زين[3] الدين عبد الرحمن ابن محمد المعروف بابن صالح ، مات فى هذه السنة وتولى عوضه ولده أبو الفتح:

= المليحة ، وكنا نعهد البريدية إذا قدموا من الشام وغيرها لا ينزلون إلا فى هذه المدرسة حتى يتهيأ سفرهم» . راجع أيضا الخطط ج٣ ص ٣٥٧–٣٦١ ، و إنباء الغمر ، ج٢ص ٣٨٨ ، ٣٩٩ ، ٤٨١ .

أما المدرسة الظاهرية فكانت بالقصر الكبير ، وتنسب إلى السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى وقد بدئ بعمارتها سنة ٦٦٠ هـ ، وحين افتتحت تغنى الشعراء بامتداحها وكان منهم أبو الحسين الجزار وابن الخشاب والسراج والوراق ، أما وصف الصيرفى لها بالعتيقة فراجع إلى ما أشار إليه المقريزى فى قوله : «وهذه المدرسة من أجل مدارس القاهرة إلا أنها تقادم عهدها فرثت» .

(١) فى الاصل «تلاميذه» والأرجح أنها «تلامذة» ، يؤيد هذا ما ورد فى الضوء اللامع ٦/٤٤٧ من أنه كان من أكثر تلامذة الشريف الجرجانى» .

(٢) راجع عنه الضوء اللامع ١٠ / ٨٥٧ .

(٣) الوارد فى النجوم الزاهرة و الضوء اللامع ٤ / – ٣٤٤ «ناصر الدين» انظر إنباء الغمر : ج٣ ص ٣١٧ ترجمة رقم ١٥ ، أما ابنه أبو الفتح الذى سيذكره المؤلف بعد قليل فاسمه «محمد» وقد تولى عن أبيه قضاء المدينة المنورة و الخطابة والإمامة كما صرح بذلك الضوء اللامع ٨ /٩ فى ترجمته إياه ، ثم تخلى عن القضاء سنة ٨٤٤ لأخيه .

٦٢٣ - الأمير فارس[1] أحد المقدمين بالديار المصرية مات فى أوائل المحرم منها ، وكان أولا جندياً دواداراً للملك الظاهر ططر لما كان أميراً ، فلما ملك ططر الديار المصرية أعطاه إمرة طبلخاناة ، ثم تولى نيابة إسكندرية وأقام فيها مدة ثم عزل فى أواخر [١١٧ أ] السنة الماضية ، وقدم إلى القاهرة واستقر أحد المقدمين الألوف بها إلى أن مات فى التاريخ المذكور ؛ أثنى عليه شيخنا قاضى القضاة البدر العينى فى تاريخه ، فقال : «وكان رجلا جيداً متورعاً متواضعاً» ، رحمه الله .

٦٢٤ - الأمير تنبك ميق نائب دمشق مات فى شهر شعبان من هذه السنة ، ويقال عنه إنه لما وصل الفناء إلى دمشق استمر هارباً فى بلادها من الموت فأوقعه الله فيما خاف منه ، وخلف موجوداً كثيراً ولم يخلف أولاداً ، وحمل جميع موجوده إلى القاهرة للمقام الشريف كما ذكرنا ذلك ولم يكن مشكور السيرة فى ولايته بل كان المشهور عنه الطمع وأخذ الرشا وشرب الخمر وغير ذلك ، قال البدر العينى : «وأراح الله أهل الشام منه» ، وتولى عوضه بدمشق الأمير تنبك البجاسى نائب حلب كما قدمنا .

٦٢٥ - الأمير شاهين[2] نائب الكرك مات فى هذا العام وهو شجاع فارس مشهور بهما .

---

(١) اقتصر السخاوى أيضا فى الضوء اللامع ، ٦ ٥٤٩١ على تسميته بفارس أحد المقدمين بمصر وذكر أنه نقل ذلك عن العينى .

(٢) بهذه الصورة ورد اسمه أيضا فى الضوء اللامع ٣ / ١١٤٤ ناقلا ذلك - كما نص - عن العينى ، أما كلمة «بهما» الواردة فى آخر ترجمته ، س١٦ فى السطر التالى فيقصد بها «الشجاعة والفروسية» كما يستدل على هذا من الضوء .

٦٢٦ — الأمير سيف الدين [شاهين] [1] الفارسى أحد المقدمين بالشام ، توفى فى هذا العام بعلة الطاعون :

٦٢٧ — زين الدين فارس الطواشى الخازندار مات يوم الأربعاء الخامس [2] والعشرين من شهر الله المحرم هذه السنة وخلف مالا كثيراً وموجوداً كبيراً من الذهب النقد وغيره ، واستولى السلطان عليه جميعه وكان المذكور خازندار الملك الناصر ثم الملك المؤيد ثم الملك الظاهر ططر ثم الملك الأشرف ، هذا ولم ينقل عنه شىء ينقصه ، وكان رحمه الله يكتب خطاً حسناً ورزقه الله حظاً حسناً ، وكان كريماً إلى الغاية :

سافر والدى رحمه الله صحبته فى أيام الملك المؤيد والملك الظاهر ططر فنقل لى عن كرمه ما لا يكاد أن يوجد إلا فى الملوك الماضين أو البرامكة المتقدمين ، فإن والدى كان صيرفى المقام الشريف وكان رفيق الزينى عبدالباسط من البلاد الشامية وبينهما صحبة قديمة ، فقربه الزينى عبد الباسط وأدناه وصار كلما رسم السلطان بصدقة للفقراء وكلما [3] زار القدس يأخذ الوالد صحبة الأكياس المملوءة من الفضة والذهب فيأمره بإعطاء الفقراء ولا يسأله عما بقى ولا عما صرف :

وكان يرمى النشاب إلى غاية ما يكون فى الحسن ، ويشتغل بالعلم الشريف ويجتمع عنده الطلبة من أولاد العرب والعجم فيحسن إليهم وينعم عليهم ، لكن ميله إلى أولاد العرب أكثر من أولاد العجم ؛ وتولى عوضه الخازندارية فارس الدين خشقدم الطواشى :

---

(١) أورد الضوء اللامع ٣ / ١١٤٠ ترجمته أطول مما هى عليه هنا، فذكر أنه من أنشاهم المؤيد شيخ إلى أن جعله أحد المقدمين ثم قبض عليه ططر وحبسه فى الإسكندرية ، وأضاف إلى ذلك قوله : « وكان من الفرسان ظنا » .

(٢) الوارد فى إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٣٢٠ ، س ٨ أنه مات فى النصف من المحرم .

(٣) فى الأصل « ولما » .

٦٢٨ - القاضى علم الدين [داود] بن الكويز كاتب السر الشريف، مات يوم الإثنين سلخ رمضان(١) من هـذه السنة ودفن فى تربة كمشبغا الحموى بالصحراء خارج باب البرقية عند أخيه صلاح الدين ، وكان ضعيفاً منذ سبعة أشهر منقطعاً عن الخدمة ، وحضر جنازته جميع أمراء مصر وأعيانها وقضـاتها والمباشرون(٢) بها وخلف أشياء كثيرة من سائر الأصناف ، وترك ولداً ذكراً وزوجة وهى بنت القاضى ناصر الدين بن البارزى الحموى ؛ وتولى عوضه القاضى جمال الدين ناظر جيش طرابلس وكان قدم إلى القاهرة بإشارة القاضى علم الدين المذكور قبل موته بأيام :

٦٢٩ - الست زينب بنت الملك الظاهر برقوق زوجة(٣) الأمير قجق العيساوى أمير سلاح ماتت يوم الأحد التاسع والعشرين من ربيع الأول من هـذه السنة ودفنت فى تربة الملك الظاهر برقوق بالصحراء خارج باب النصر .

* * *

(١) « شوال » فى النجوم الزاهرة ٦ / ٧٨٠ .

(٢) فى الأصل « والمباشرين » .

(٣) وكانت قد تزوجت قبله الملك المؤيد شيخ . هذا وقد ذكرت النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٧٧٩ أنها ماتت ليلة السبت ٢٨ ربيع الآخر ، ولكنه « ربيع الأول » فى الضوء اللامع ج ١١ ص ٤٠ رقم ٢٣٤ .

فصــل

فيما وقع من الحوادث

فى السنة السابعة والعشرين بعد الثمــان مائة

استهلت هذه السنة وأولهــا يوم الأحد[1] وخليفة الوقت المعتضد بالله داود العباسى ، وسلطان البلاد المصرية والشامية أبو النصر برسباى وليس له نائب فى مصر ، وأتابك العساكر بالديار المصرية الأمير بيبغا المظفرى ، وأمير سلاح قجق العيساوى ، وأمير مجلس إينال النوروزى ، وأمير آخور كبير جقمق أخى المصارع ، والدوادار الكبير سودون من عبد الرحمن ، وحاجب الحجاب شرباش قاشوق ، وأستادار العالية ناصرالدين محمد الشامى.

والوزير كريم الدين بن كاتب المناخات ، وكاتب السر القاضى جمال الدين ناظر جيش طرابلس كان ، وناظر الخاص بدر الدين حسن بن نصر الله ، وناظر الجيش زين الدين عبد الباسط .

والقضاة الأربعة ، هم : القاضى علم الدين صالح قاضى القضاة الشافعية، والقاضى الحنفى زين الدين عبد الرحمن التفهنى ، والمــالكى الشيخ شمس الدين البساطى ، والحنبلى علاء الدين بن مغلى الحموى .

---

(١) هذا يطابق ما ورد فى جدول السنين فى التوفيقات الإلهامية ص ٤١٤ ، وهو يعادل ٥ ديسمبر ١٤٢٣ .

وناظر الأحباس القاضي بدر الدين العيني ناظر الأحباس المبرورة ، والمحتسب القاضي صدر الدين بن العجمي ، ووالى القاهرة التاج الشامى .

ونائب دمشق تنبك البجاسى ، ونائب حلب جارقطلو، ونائب صفد مقبل ، ونائب غزة تمراز ، ونائب إسكندرية آقبغا التمرازى .

وصاحب بلاد قرمان الأمير إبراهيم باك بن محمد باك بن قرمان ، وصاحب الآجات وكرسيها برسا مراد باك بن كرشجى واسمه محمد ، وصاحب تبريز الأمير إسكندر بن الأمير قرا يوسف ، وصاحب بغداد محمد شاه بن قرا يوسف أيضاً ، وصاحب بلاد سمرقند وخراسان وما والاها شاه رخ بن تمر لنك ، وصاحب اليمن الملك الناصر بن الملك الأشرف ، وصاحب بلاد الدست [١١٧ ب] محمد خان من ذرية جنكزخان .

وقاضي القضاة الشافعية بالشام نجم الدين بن حجى ، والقاضي الحنفى شهاب الدين بن الكشلك ، والقاضي المالكى شمس الدين الأموى ، والقاضي الحنبلى ابن الحبال الطرابلسى ، وكاتب السر بها القاضي بدر الدين حسن وهو ناظر الجيش أيضاً .

والقاضي الشافعي بحلب علاء الدين بن خطيب الناصرية ، والقاضي الحنفى ابن أمير الدولة ، والقاضي المالكى ابن الشحنة ، والقاضي الحنبلى شهاب الدين أحمد بن الرزاز العينتابى وكان حنفياً وتحنبل لأجل الوظيفة ، قال الحافظ البدر العينى فى تاريخه بخطه : « وهو عار من جميع المذاهب غير متلبس بالعفة والديانة » ، وكاتب السر بحلب القاضى ناصر الدين بن السفاح .

* * *

وفى يوم الإثنين ثانى المحرم قدم الأمير مقبل الحسامى الدوادار نائب صفد إلى القاهرة وتمثل بين يدى السلطان يوم الثلاثاء الثالث منه وخلع عليه واستقر على عادته فى نيابة صفد، وأقام فى القاهرة ثمانية أيام ، ثم توجه إلى محل ولايته ونيابته .

* * *

ذكر عصيان الأمير تنبك البجاسى نائب الشام وما وقع له ومسكه واعتقاله وقطع رأسه عن جثته ووصولها إلى القاهرة وتولية الأمير سودون من عبد الرحمن الدوادار الكبير بنيابة دمشق عوضا عن الأمير تنبك البجاسى

وسبب ذلك أن تنبك البجاسى لما انتقل من نيابة حلب إلى نيابة الشام رأى نفسه بعين العجب والتجبر والتيه ، واستهوته الوساوس الشيطانية وحكمت عليه النفس الأمارة بالسوء أن يخرج عن الطاعة السلطانية ، وأظهر العصيان ، فبلغ ذلك السلطان فى الباطن من جماعة ناصحين له ، وهم وصلوا[1] إلى ذلك من الثقات ، فلما تحقق للسلطان ذلك طلب الأمير سودون[2] من عبد الرحمن واستقر به نائباً عوضه قبل أن يشتهر أمره ، فتجهز سودون المذكور وهو يظهر للناس أنه يتوجه إلى بحيرة إسكندرية ، هكذا ذكر

---

(١) يعنى بذلك أنهم عرفوا مخامرته على السلطان من جماعة من الثقات .

(٢) هو من الشخصيات الكبيرة التى لعبت دورا بارزاً فى هذه الفترة حربيا واجتماعيا ، ويمكن طلب المزيد عنه بمراجعة كل من مورد اللطافة ، ص ١٢٠ ، وابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٢ص ٥ ، ١٦ ، Marcel: L'Egypte depuis la conquête des Arabes, p. 183; Lammens: La Syrie, t. II, p. 21; Sobernheim: Materiaux ..., Syrie, p. 57.

الحافظ العينى فى تاريخه — وهو عجيب جداً — بعد أن خلع السلطان عليه بنيابة الشام يظهر التوجه للبحيرة لمـــاذا ، غير أنه علل ذلك بأن السلطان أنعم عليـــه بدورة البحيرة قبل توجهه إلى الشام فظن الناس ذلك صحيحاً ، وإنما فعل ذلك حتّى لا يبلغ الخبر إلى تنبك البجاسى فيزداد عصيانه ويتهيأ لملاقاته ويتأهب بعدة من الناس يجمعهم ويحشدهم ويتلف فى الشام وفى أهلهـــا .

ولمـــا كان يوم الإثنين الثالث والعشرين من المحرم برز الأمير سودون من عبد الرحمن بطلبه [1] إلى جهة دمشق :

وفى يوم الخميس السادس والعشرين من المحرم أرسل السلطان الأمير سودون تنباى [2] أمير عشرة ورأس نوبة ليأخذ نائب الشام تنبك البجاسى ويتوجه به إلى القدس الشريف بطالا بناء على أنه مطيع ولا يخرج عن كلام السلطان ، وذلك لأن عصيانه ما تحقق وما قطع به اليقين ، وإن كان أظهر بعضه لكنهم غالطوه ، وصنعوا معه تجاهل العارف وما أفاد ذلك، ولمـــا وصل سودون المذكور إلى دمشق يشتم عصيان النائب توقف فى الدخول عليه ثم قوى عزمه على الدخول إليه ليبلغه ما أرسل له من قبل السلطان ، فأرسل أولا البدوى الذى فى خدمته يعلم نائب الشام بقدوم أستاذه ، فلما وصل إليه وجده فى جمع كبير ومحفل جسيم وهم ملبسون، فأخبرهم باستأذه فأخذوه ودخلوا به عليه دار السعادة وقد امتلأت بالخلائق وظاهرها إلى

(١) الطلب هنا بمعنى الجيش .

(٢) لم يرد هـــذا الاسم فى النجوم الزاهرة ولا فيمن ترجم لهم السخاوى فى الضوء اللامع باسم « سودون » .

الجسر وكلهم ملبسون ، فكلمه كلاماً كثيراً ، وناوله المرسوم السلطانى فأخذه وجعل يضرب به الأرض يعبث به ، ثم إن سودون لما أكثر معه من الكلام زجر النائب جماعة ممن حوله من الخواص فانقضوا عليه فى الحال وقطعوا ماعليه من الثياب والقماش والطراز الذهب وعزروه التعزير الفاحش ، ثم وضع فى رقبته باشة وجنزير ، وسجنه .

ثم إنه لما خرج ليلاقى الأمير سودون من عبد الرحمن الذى تولى عوضه نيابة الشام أخذ سودون معه وذلك بعد أن خرج من خدمته من العشران والترك والتركمان جمع عظيم ، فتلاقيا عند جسر يعقوب ووقع بينهم قتال شديد ، وحضر مقبل نائب صفد للأمير سودون من عبد الرحمن ومعه عسكر صفد وكذلك غزة وما والاها من القرى والبلدان ، وكان كل فرقة من العسكرين فى ناحية وكانوا قد قطعوا الجسر ، فأراد تنبك البجاسى أن يدور ويأتى على سودون عبد الرحمن فيكبس عليه ، فعمل سودون المذكور حيلة وأخذ من معه من العسكر وترك مكانه الأمير شاهين نائب القدس الشريف بمن معه من العسكر ليشغلوا تنبك البجاسى عن سودون من عبد الرحمن حتى يبعده عنه . فلما عمل سودون هذه الحيلة خاض النهر وساقوا مجدين إلى أن دخلوا دمشق وملكوها ، فبلغ الخبر بذلك تنبك البجاسى فتبع سودون عبد الرحمن حتى وصل دمشق وهجم عليه وقاتله قتالا شديداً وكان قتالهم فى مكان فيه طين من المطر ، فكبا فرس تنبك البجاسى به ووقع فى الطين فتكاثروا عليه وأرادوا قتله فمنعهم سودون من قتله فمسكوه وحملوه إلى القلعة ، وفى الحال كتب سودون من عبد الرحمن

بالواقعة مفصلة وجهز بها دواداره الثانى المسمى أحمد بن طولون وهو صهره ، فوصل إلى القاهرة يوم الأربعاء باكر النهار السابع عشر من صفر وطلع إلى السلطان ، فقرأ السلطان مطالعته وفرح بما تضمنته فرحاً شديداً ودقت البشائر ونكست أعلام أعدائه ، وأخلع السلطان على سيدى أحمد المذكور خلعة سنية وكان حضوره إلى القاهرة على هجين ، ومدة سفره ستة أيام لأنه خرج [١١٨ أ] من الشام يوم الأربعاء ودخل مصر يوم الأربعاء المذكور ، ولا يحسب يوم الخروج ولا يوم الدخول .

وكان الناصحون للسلطان فى غاية ما يكونون من الضيق والتشويش قبل حضور هذا القاصد ومعظمهم الزينى عبد الباسط فإنه كان يتوهم أن سودون ما يقاوم تنبك ، فأطفأ الله تعالى هذه الفتنة ، وهذا من سعد السلطان ونيته الخالصة الطيبة .

ثم إن نائب الشام الأمير سودون من عبد الرحمن استقر فى مملكته ونيابته ونظر فى أحوال رعيته وأحوال عسكره ، وميز الطائعين من العاصين ، والمنافقين من المخلصين ، وعرف السلطان بجميع ذلك فأجابه السلطان بما يفعله من المسك والإطلاق والأخذ والعفو ، وأكد عليه أن يحتفظ بتنبك البجاسى فى السجن ، ثم أردفه بعد ذلك أن ينفذ فيه قضاء الله وقدره ؛ فلما وصل إليه المرسوم السلطانى بذلك عمل بمقتضاه وقطع رأسه وجهزها إلى القاهرة فوافق وصولها يوم الأحد الثانى عشر من ربيع الأول ، فرسم السلطان أن تشهر وينادى عليها : « هذا جزاء من عصى السلطان من النواب وأثار الفتن وخرج عن الطاعة » ، فطاف بها الأمير التاج الوالى

وهو ينادى عليها إلى أن دار بها البلد ، وآخر أمرها علقت على باب الفتوح[١] المجاور للمقشرة وحصل بذلك رعب فى قلوب المفسدين وانقطع دابر القوم الظالمين .

وكان مسفر سودون من عبد الرحمن إلى الشام الأمير برد بك[٢] أمير آخور ثانى ، وهو والد مخدومنا الجناب الزينى فرج أمير حاجب بالديار المصرية الآن ، وحصل له مبلغ عشرة آلاف دينار سوى الخيول والقماش وغير ذلك : رحمه الله رحمة واسعة وسائر أموات المسلمين .

* * *

ذكر من أنعم عليه السلطان عليه بامرة أو وظيفة أو إقطاع

لما انحل إقطاع الأمير سودون من عبد الرحمن ووظيفته بحكم استقراره فى نيابة الشام أنعم السلطان بإقطاعه على الأمير قجق العيساوى أمير سلاح ، وأنعم بإقطاع قجق على الأمير شرباش قاشوق حاجب الحجاب ، وأنعم بإقطاع شرباش على الأمير قطش[٣] رأس نوبة ثانى ، وكان أمير طبلخاناه ، واستقر أحد المقدمين الألوف بالديار المصرية .

---

(١) فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٥٧٦ « باب النصر » .

(٢) هو الأمير سيف الدين برد بك السيفى أيتبك بن أزدمر المعروف بأمير آخور ، وكانت وفاته سنة ٨٣٣ ، أنظر ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٤٤٤ ترجمة رقم ١٤ ، والنجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٨١١ ، ٨١٥ .

(٣) ويعرف أيضا باسم « قطج الظاهرى » وسيورده المؤلف بهذا الرسم أيضا بعد قليل ، أنظر ترجمة رقم ٩ فى وفيات سنة ٨٤٣ فى ج ٤ من إنباء الغمر ، وانظر أيضا الضوء اللامع ٦ / ٧٤٠ .

وفى يوم الخميس الثانى عشر من صفر خلع على الأمير قانباى البهلوان[1] رأس نوبة ثالث واستقر حاكما موضع الأمير قطج بحكم استقراره رأس نوبة ثانياً .

وفى يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من ربيع الأول خلع على الأمير أزبك[2] المحمدى الظاهرى رأس نوبة كبير واستقر دواداراً كبيراً عوضاً عن الأمير سودون من عبد الرحمن ، وخلع على الأمير تغرى بردى[3] المحمودى أحد المقدمين بالديار المصرية واستقر رأس نوبة كبيراً عوضاً عن الأمير أزبك بحكم انتقاله إلى الدوادارية .

وفى يوم الثلاثاء الثالث من جمادى الآخرة خلع على الأمير صلاح الدين محمد بن القاضى بدر الدين حسن بن نصر الله ناظر الخاص واستقر أستادار العالية بالديار المصرية عوضاً عن ناصر الدين محمد بن أبو والى بحكم عزله ، وكان السلطان قد عوقه يوم الإثنين الثانى من جمادى الآخرة ومعه كريم الدين بن كاتب جكم ناظر الدولة ، وفى آخر النهار أطلقهما .

---

(١) هو قانباى الأبو بكرى الناصرى فرج المعروف بالبهلوان ، وقد ورد فى الضوء اللامع ٦٥٣/٦ أن الأشرف برسباى جعله رأس نوبة ثانيا ثم مقدما ثم نائب ملطية مضافا للتقدمة ، ثم صار أتابك حلب فدمشق ، كما ذكر أبو المحاسن فى المنهل الصافى أنه صار رأس نوبة ثانيا وليس ثالثا ، انظر أيضا السخاوى : التبر المسبوك ، ص ١٩٢، ١٩٦ ، والطباخ : إعلام النبلاء، ج ٣ ص ٤٤ ، Sobernheim: op. cit (La Syrie), p. 68.

(٢) هو أزبك الظاهرى المتوفى سنة ٨٣٣ ، وقد تعددت الإشارة إليه فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٥٣٢ ، ٥٧٦/٦٣٥ ، ٨٠٤ ، ٨٢٥ ، راجع أيضا إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٤٤٣ ترجمة رقم ٨ .

(٣) هو تغرى بردى المحمودى الناصرى ، وكان رأس غزاة جزيرة قبرص ، راجع عنه إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٥٠٤ ترجمة رقم ٧ ، هذا وقد ذكر أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة أنه كان أول أمير لبس التخافيف الكبار العالية ، فقلده الناس فى ذلك « من بعده حتى خرجوا عن الحد » ، أنظر النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٨٢٤ ، و :
Melanges de la Faculté orientale de Beyrouth, t. I, p. 363.

وفى سلخ هذا الشهر أنعم السلطان على دقماق الخاصكى الذى كان تولى حماه وحلب وغير ذلك بإقطاع جربغا نائب بهسنا بحكم وفاته ، وكان دقماق المذكور وهو أستادار الملك الأشرف هو الذى قدمه للملك الظاهر برقوق ، وتولى نيابة بهسنا الأمير قرابغا أحد الطبلخانات بطرابلس فتوجه إليها وهو على إقطاعه بطرابلس .

وفى يوم السبت الثامن والعشرين من شهر الله المحرم الحرام خلع على سيدنا ومولانا وشيخنا الشيخ الإمام نادرة الليالى والأيام خادم السنة والأثر الشهير بنسبه العريق بابن حجر واستقر قاضى القضاة الشافعية بالديار المصرية عوضاً عن القاضى علم الدين صالح بن البلقينى بحكم عزله ، وكان قد طلع يوم الخميس ليلبس فتعوق .

وفى يوم السبت عاشر شهر ربيع الآخر خلع على قاضى القضاة شمس الدين محمد بن عطاء الله الرازى الشافعى الشهير بالهروى واستقر كاتب السر الشريف بالديار المصرية عوضاً عن القاضى جمال الدين(١) ناظر جيش طرابلس بحكم استعفائه وعجزه عن إقامته بالوظيفة ، مع أن خلقاً كثيراً سعوا فى الوظيفة فى أيام استعفائه فما كانت إلا من نصيب الهروى ، وكان للبسه [الخلعة] يوم(٢) مشهود وركب معه خلق كثير من الأمراء والأتراك والقضاة والفقهاء ، ومن جملتهم الأمير تغرى(٣) بردى رأس نوبة كبير ،

(١) المقصود بذلك جمال الدين يوسف بن الصفى الكركى ، راجع النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٥٧٦ س ١٦ .

(٢) فى الأصل « يوما مشهودا » .

(٣) هناك ثلاثة بهذا الاسم هم : تغرى بردى الرومى البكلمشى المعروف بالمؤذى اللى جعله الأشرف برسباى من رءوس النوب كما جاء فى الضوء اللامع ٣ / ١٣٣ والمتوفى سنة ٨٤٦ ، وأما الثانى فهو تغرى بردى المحمودى الناصرى اللى كان رأس نوبة النوب ، وأما الثالث فهو تغرى بردى المؤيدى رأس نوبة النوب ، راجع ترجمته فى الضوء اللامع ٣ / ١٤٠ .

وكان السلطان خلع عليه خلعة هائلة بطرازين زركش وأركبه فحلا خاصاً بسرج ذهب وكنبوش زركش ، ثم إن الهروى قدم ذلك الفرس بقماشه للأمير تغرى بردى [المحمودى] المذكور ، ثم لما مضت بعض أيام على توليته شرع بعضهم يتكلم بأن الهروى يتوقف جداً فى قراءة الكتب والمطالعات بين يدى السلطان ويحجم عن ذلك ، وكثر القال والقيل ، وآخر الأمر صمم السلطان على عزله فشاع الخبر بذلك بين الناس ، وكان القاضى نجم الدين بن حجى قاضى القضاة الشافعية بدمشق قدم القاهرة فى الرابع عشر من جمادى الأولى فسعى فى الوظيفة المذكورة مع جملة من سعى ، فقدر الله له ذلك وخلع عليه يوم السبت الحادى والعشرين من جمادى الآخرة واستقر كاتب السر الشريف [١١٨ ب] عوضاً عن الهروى بحكم عزله ، وكان السلطان عرض على الهروى أن يتولى قضاء الشام عوضاً عن القاضى نجم الدين المذكور فلم يرضه ذلك واختار البطالة ، ثم إن الله تعالى منّ عليه بوظيفة قضاء الشافعية بالديار المصرية :

فنى يوم الإثنين الثامن من شهر ذى القعدة الحرام خلع عليه واستقر قاضى القضاة الشافعية بالديار المصرية عوضاً عن شيخنا العلامة ابن حجر بحكم عزله ، وكان لبسه التشريف عند باب الستارة لأن السلطان كان قد خرج من القصر فألبسه الخلعة وهو واقف وكان له يوم مشهود[1] .

* * *

(١) فى الأصل « يوما مشهودا » .

ذكر مسك يبيغا المظفرى أتابك العساكر بالديار المصرية

لما كان يوم السبت سلخ شوال مسك السلطان الأمير يبيغا المظفرى بعد انفضاض الخدمة ، فأرسل إليه الدوادار الكبير ومسكه ، وفى يومه أمر أن يسافروا به إلى ثغر إسكندرية للاعتقال بها ، فسافر به فى يومه ذلك الأمير تنبك(١) رأس نوبة صغير ، وكان السبب فى ذلك طول لسانه وتكلمه فيما لا ينبغى ، فاحتمله السلطان كثيراً وآخر أمره قبض عليه .

وفى يوم الخميس الرابع من ذى القعدة خلع على الأمير قجق العيساوى أمير سلاح واستقر أتابك العساكر بالديار المصرية عوضاً عن يبيغا المظفرى بحكم مسكه واعتقاله فى الإسكندرية وأنعم من إقطاعه بشىء على الأمير تغرى برمش(٢) [بن أحمد المعروف بابن المصرى] نائب القلعة وكان طبلخاناه فاستقر أحد المقدمين الألوف بالديار المصرية ، وأنعم بإقطاعه على الأمير سودون ميق رأس نوبة صغير وأمير عشرة وصار طبلخاناه ورأس نوبة على عادته ، وأنعم بإقطاع سودون المذكور على الأمير إينال الششمانى أحد رءوس النوب ، وأنعم بإقطاع إينال الششمانى على الأمير قطلوخجا رأس نوبة ، وأنعم بإقطاع قطلو خجا على ألطنبغا الجمدار وكان أمير عشرة فى

---

(١) هو تنبك من برد بك الظاهرى الذى سيصبح فيما بعد أتابك العساكر المصرية .

(٢) هناك كثيرون يسمون بتغرى برمش ، ذكر منهم السخاوى خمسة ، لكن المقصود هنا هو الأمير حسين بن أحمد البهسنى نائب قلعة الجبل ، وقد نعته النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٥٨١ « بالتركمانى » على أن هذا النعت أورده السخاوى فى الضوء اللامع ٣/١٤٢ لواحد ممن كان أقرب إلى الفقهاء منه إلى الأمراء ، ولكنه حين ترجم لتغرى برمش هذا سماه تغرى ورمش ، وهذا اسم صحيح أيضا لم يشر إلى هذه الكنية بل قال إن أباه عرف بابن المصرى ، أنظر نفس المرجع ٣/١٤٧ .

أيام الملك الناصر فرج ، وكان السلطان قد وفر من الإقطاعات المتوفرة باسم الأمير إينال الحكمى الذى كان مشد الشراب خاناه للملك المؤيد ، ثم لما مات المؤيد أعطى تقدمة ألف واستقر رأس نوبة كبيراً ، ثم سافر ططر صحبة الملك المظفر بن المؤيد إلى الشام وتولى نيابة حلب مدة يسيرة ثم مسك وحبس ، ثم أفرج عنه السلطان الملك الأشرف وأرسله إلى القدس الشريف بطالا ، ثم بعد قضية يلبغا المظفرى طلبه فقدم القاهرة يوم الإثنين الخامس عشر من ذى القعدة وتمثل بين يدى السلطان ونزل فى بيت الأمير جمال الدين الأستادار بعد أن أخلع عليه واستقر أمير مجلس عوضاً عن الأمير إينال النوروزى بحكم استقراره أمير سلاح عوضاً عن الأمير قجق العيساوى بحكم استقراره أتابك العساكر عوضاً عن بيبغا المظفرى .

* * *

ذكر بقية الحوادث فى هذه السنة

وفى أواخر المحرم حصل مطر عظيم على القاهرة وتوالى خمسة أيام لم ينقطع ولم يعهد بمثله .

وفى يوم الخميس الرابع والعشرين من صفر خلع على الشيخ سراج الدين عمر[1] بن الشيخ على الشهير بقارىء الهداية واستقر فى مشيخة مدرسة

(١) هو الشيخ سراج الدين عمر بن على بن فارس الحسينى الحنفى ويعرف بقارىء الهداية لكثرة قراءته إياها ، وقد اعتنق المذهب الحنفى حين وعد يلبغا كل من يتحنف بخمسمائة دينار ، وتردد الشيخ سراج الدين على كثير من علماء عصره فى الفقه واللغة والحديث وانتهت إليه رياسة الحنفية وكثر تلاميذه والآخذون عنه ، أما قصة ركوبه الفرس السلطانى فترجع إلى أنه حين استقر بالشيخونية أراد الذهاب إليها ماشيا فأرسل إليه برسباى بهذه الفرس وألزمه ركوبها فركبها لكن مع أخذ عصا بيده ليسوقها بها ونزوله عنها برجليه معاً من جهة واحدة « كما ينزل راكب الحمار » كما أشار إلى ذلك الضوء اللامع ٦ / ٣٤٤ ، هذا وسترد ترجمته فيما بعد ص ١٠٧ رقم ٦٤١ ، وأنظر أيضا إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٣٧٩ ترجمة رقم ٩ والحواشى الواردة هناك .

شيخون[1] عوضاً عن الشيخ شرف الدين يعقوب بن جلال الدين التبانى[2] بحكم وفاته ، ونزل إليها وهو راكب فرساً من خيل السلطان وبين يديه جماعة كثيرة من الطلبة والأمير أزبك رأس نوبة وهو الناظر على مدرسة شيخون ؛

وفى يوم الجمعة السابع من جمادى الأولى أقيمت الجمعة فى المدرسة الأشرفية المستجدة على رأس الحريريين[3] وكان الخطيب بها الواعظ[4] الحموى ٥

وفى ليلة السبت الرابع عشر من جمادى الأولى ولد للسلطان ولد ذكر من سريته جلبان[5] وسماه يوسف :

---

(١) الأصح أن يقال فيها خانقاه شيخون أو شيخو لوقوعها أمام جامع شيخو ، وهى منسوبة إلى منشئها الأمير سيف الدين شيخو العمرى سنة ٧٥٦ ، وقد وصفها المقريزى فى الخطط ، ج ٣ ص ٤١٢ بأن « مساحة أرضها زيادة على فدان ، فاختط فيها الخانقاه وحمامين وعدة حوانيت يعلوها بيوت لسكن العامة » ، وقد رتب صاحبها لكل طالب بهاقى اليوم الطعام واللحم والخبز وفى الشهر الحلوى والزيت والصابون » ، وقد ظلت مزدهرة حتى موت الشيخ أكمل الدين ، انظر ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ١ ص ٢٩٨ ترجمة رقم ٢٥ .
هذا وقد طمع السلطان فرج فيها فأخذت فى التدهور .

(٢) هو يعقوب بن جلال بن أحمد بن يوسف ، ويسمى أيضا أحمد بن جلال الدين ، كما يسمى كذلك رسولا الرومى ، وكان يسكن التبانة خارج القاهرة ، وقد تولى تدريس مدرسة ألجاى اليوسفى سنة ٧٩٠ ولقى شدائد من السلطان الناصر فرج لكن عوضه خيراً عن ذلك المؤيد شيخ ، أنظر الضوء اللامع ١٠ / ١١٠٩ ، وشذرات الذهب ج ٧ ص ١٨٣ — ١٨٤ .

(٣) فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٥٧٦ « بخط العنبريين » .

(٤) يقصد بالواعظ الحموى هنا عبد الرحيم بن أبى بكر بن محمود خطيب الأشرفية ويعرف بالأوسى وبالحموى نسبة لمولده بحماة كما يعرف بابن الأدمى وكان يقرأ المواعيد وله نغمة طيبة فى القراءة ، وقد ولى بعض وظائف الخطابة كخطابة المسجد الأقصى ، وكان يعظ بالأزهر ، ومات فجأة سنة ٨٤٨ بعد أن جاوز الثمانين من عمره ، أنظر إنباء الغمر ، ج ٤ ترجمة رقم ٦ وفيات سنة ٨٤٨ ، والضوء اللامع ٤ / ٤٤٩ .

(٥) هى جلبان بنت يشبك ططر وقد تزوجها برسباى بعد موت زوجته خوند الكبرى أم ولده الناصرى محمد ، وبلغ من عظيم مكانتها عنده أنه استقدم إخوتها وأمها وأقاربها وأنعم عليهم بالإقطاعات ويقال إنها ماتت مسمومة وبعلة الصرع ، أنظر ترجمة رقم ٩ وفيات سنة ٨٣٩ فى الجزء الرابع من إنباء الغمر ، والضوء اللامع ج ١٢ ص ١٧ ترجمة رقم ٨٩ .

وفى ذلك اليوم قدم القاضى نجم الدين بن حجى من الشام إلى القاهرة وقبل قدومه بيومين قدم الأمير ناصر الدين بن منجك من الشام والأمير طغرق بن داود بن إبراهيم بن قراجا بن ذلغادر نائب ملطية وأقام بها ثم سافر إلى محل ولايته :

وفى يوم الخميس الثالث من رجب خلع السلطان على الشيخ علاء الدين على بن الرومى الحنفى واستقر به شيخاً لمدرسته التى أنشأها بجوار الحريريين (١) كما قدمنا ، وركب وتوجه إليها واتفق له إجلاس عظيم حضر فيه أعيان القاهرة من العلماء والقضاة وغيرهم ، واستفتح فخطب خطبة بليغة متضمنة لمدح السلطان ، ثم شرع يتكلم فى قوله تعـالى (٢) « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله » ، الآية ، وكان قدومه إلى القاهرة يوم السبت الثامن والعشرين من جمادى الآخرة ، وكان حضوره فى البحر المالح من العلايا (٣) التى على ساحل البحر فوصل إلى دمياط فى سبعة أيام ، وعند قدومه بلغ السلطان فأقبل عليه إقبالا عظيماً ثم ترادفت عليه نعمه ورواتبه ، ومن جملتها أنه خلع عليه مرات متعددة وأنعم عليه فى شهر رمضـان بأشياء : قمحاً وسكراً وذهباً ، ثم سأل فى سفر الحجاز فأنعم عليه بهجين ومبلغ من الذهب جملته مائة وخمسون ديناراً ؛ وقال شيخنا العلامة البدر العينى فى تاريخه ما جملته : والذى حصل له فى أيام الملك الأشرف ما حصل لأحد قبله من الدول المـاضية إلا أن كان فى أيام الملك الأشرف شعبان رحمه الله » :

---

(١) فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٥٧٨ « بخط العنبريين » ، راجع ص ٥٢ س ٥ ، وحاشية رقم ٣.

(٢) سورة التوبة ، ٩ : ١٨ .

(٣) العلايا ميناء على الساحل الجنوبى للبحر الأسـود وهى منسوبة إلى بانيها السلطان علاء الدين السلجوقى ، وقد وصفها ابن بطوطة سنة ٧٣٣ « بالكبر والأتباع والمتاجرة مع ثغر اسكندرية » ، كما صعد هو نفسه قلعتها التى قال عنها : « إنها عجيبة منيعة » راجع لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٨٣ .

وفى يوم الخميس المذكور هرب الأمير مقبل بن نخبار صاحب ينبع وكان قد قدم إلى خدمة السلطان طائعاً ، وكان سبب هروبه على ما قيل إن صاحب ينبع الذى تولى عوضه المسمى عاقل أرسل قاصده إلى السلطان فتوهم مقبل أنه إنما جاء بسبب قتله وحبسه فهرب ؛ وفى يوم الخميس الرابع من رجب مسك السلطان ولده وكان فى القلعة وأرسله إلى الإسكندرية فاعتقل بها ؛ وكان سبب عزله من ينبع [١١٩ أ] وتولية عاقل مكانه لمباشرته أسباب العصيان ، وأيضا فإنه لما رجع الحاج فى السنة الماضية ووقع بين الترك الذين كانوا مع الحجاج وبينه قتال شديد قريباً من ينبع وانهزم انهزاماً قبيحاً ونهب جميع ما معه فلم يزل بعد ذلك دائراً وحائراً فى بلاد ينبع ، وآخر أمره قدم طائعاً وفعل ما فعل .

* * *

وفى العاشر من رمضان قدم الأمير عليباك بن الأمير خليل بن الأمير زين الدين قراجا بن ذلغادر صاحب مدينة إبلستين ومرعش كبير التركمان إلى القاهرة وتمثل بين يدى المواقف الشريفة ثم نزل فى بيت الأمير جمال الدين الأستادار البيرى وأنعم السلطان عليه بقماش كثير وأجرى عليه مرتبات وكان حضوره إلى المقام الشريف من العجائب لأنه وأخاه الأمير ناصر الدين محمد وأباهما الأمير خليل وجدهما زين الدين قراجا وأعمامهم وسائر أقربائهم عاصون ديدنا على السلطنة ، فلولا أنه اعتراه أمر عظيم لما خاطر وتمثل لدى السلطان ، وآخر الأمر عرف مجيئه بسبب ما وقع بينه وبين أخيه ناصر الدين محمد من العداوة التى أدت إلى أن كبسه وهو فى غفلة وقلة

رجاله ، ونهبه نهباً شنيعاً بحيث إنه تركه على الأرض السوداء لا يملك بيضاً ولا صفراً ، فمن قهره وصبره تجرأ على القدوم وحصل له من السلطان جبر عظيم وأنعم عليه بألف دينار ورسم له بمثلها من الشام ، وأنعم عليه أيضاً بالقماش والخيل والجمال ، وقال شيخ الإسلام البدر العينى فى تاريخه لمـــا ذكر قصته : « وما كان يليق به إلا القتل وأقل عقابه الحبس لأنه من العجزة المفسدين ومن الظلمة المجرمين » :

وفى يوم السبت السابع عشر من ربيع الآخر كان ختان سيدى محمد ابن السلطان الملك الأشرف برسباى وكان يوماً مشهوداً .

* * *

وفى هـــذه السنة أمر السلطان ، أن يقرأ البخارى من أول شعبان وأن يحضر القضاة الأربعة ، وهم : القاضى شمس الدين الهروى والقاضى زين الدين عبد الرحمن التفهنى ، والقاضى شمس الدين البساطى المالكى ، والقاضى علاء الدين بن مغلى الحنبلى ، وأمر أن يحضر الفضلاء من كل مذهب ، وأن يحضر القاضى شهاب الدين بن حجر فحضروا شهرين كاملين لسماع البخارى ، وكان السلطان يحضر معهم فى القصر البرانى الكبير ، والقارىء للبخارى نور الدين السويفى أحد أئمة السلطان ، ولما كان الختم خلع السلطان على أكثر من عشرين فقيهاً كل واحـــد منهم صـــوف مربع بسنجاب طرى ، وخلع على القضاة الأربعة طرجات وجبات ، وخلع على القاضى شمس الدين الهروى كاملية خضراء بفرو سمور ، وخلع على القاضى البدر العينى صوف مربع بسنجاب ، وعلى القارىء والمادح ، وفرق على أكثر من مائة نفس من الطلبة من سائر المذاهب لهم فلوساً لكل إنسان ، رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح الجنة :

* * *

ذكر الأسعار فى هذه السنة

لم يتغير فيها سعر الذهب والفضة فكان كل مثقال من الذهب الهرجة بمائتى درهم وخمسين درهماً من الفلوس الجدد ولكن الهرجة قلت جداً ، وأما المشخص من الأفلوريات فبمائتين وعشرين درهماً من الفلوس بحسب الأمر السلطانى ، وكان بين الناس بزيادة خمسة دراهم ، وكل درهم من الأشرفية الفضة بعشرين درهماً فلوساً ، والدرهم المؤيدى بسبعة دراهم :

وكان الرطل من الخبز فى أوائل السنة بدرهم ، وفى آخرها صار كل عشرة أواق وتسعة أواق بدرهم ، والرطل من اللحم الضانى السليخ بسبعة دراهم ثم زاد نصف درهم ، وكل رطل من الضانى السميط بستة دراهم ثم زاد نصف درهم ؛ وكان الرطل من العسل المصرى بثلاثة عشر درهماً والرطل من السمن والزيت بثمانية ، ومن السيرج بتسعة ، والرطل من الجبن المقلى بتسعة وبعشرة ثم نزل إلى سبعة :

وتحسن سعر الفراء والثياب البعلبكى :

وكان الإردب من القمح بمائة وأربعين وثلاثين وعشرين ثم انتهى مائتين وعشرين ، والإردب من الشعير كان بخمسة وأربعين وخمسين ثم وصل إلى تسعين ومائة ، والإردب من الفول بستين وسبعين ثم بلغ إلى مائة :

* * *

وفيها فى يوم الأربعاء[1] الحادى والعشرين من رمضان أوفى بحر النيل المبارك ونزل سيدى محمد بن السلطان وفى خدمته الأمير أزبك الدوادار الكبير

(١) الوارد فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٤١٤ أن أول رمضان سنة ٨٢٧ كان الجمعة ويعادله الرابع من مسرى ١١٤٠ من سنى القبط مما يختلف بضعة أيام عما هو وارد بالمتن أعلاه .

والأمير جانبك الدوادار الثانى وكسروا السد وحصل بذلك فرح عظيم ، ووافق ذلك الثالث والعشرين من مسرى وكان النيل قد توقف قبله بثلاثة أيام حتى ضجت الناس وتزاحموا على القمح ، ثم سهل الله الأمر وعاد إلى ما كان عليه ، لكن شرق غالب البلاد :

وفيها حج بالناس من القاهرة الأمير قرا سنقر (١) أمير عشرة وكان كاشف البلاد الجيزية فعزله السلطان ثم ولاه إمرة الحاج ، وكان أمير الركب الأول الأمير برد بك (٢) أمير آخور ثانى والد سيدنا ومخدومنا الزينى فرج الحاجب :

وحج فى هذه السنة من الأعيان أخو مولانا السلطان الملك الأشرف وهو سيف الدين يشبك وكان قدم من بلاد الجراكسة فى السنة الماضية ومعه جماعة من أقاربه [١١٩ ب] وأصحابه من البلاد :

* * *

ذكر من توفى هـذه السنة من الأعيان

٦٣٠ – الشيخ الإمام شرف الدين يعقوب (٣) بن الشيخ الإمام العالم العلامة جلال الدين أحمد الديرى الرومى الشهير بالتبانى ، توفى وقت صلاة الصبح ليلة الأربعاء السادس عشر من صفر فجأة ودفن صبيحة يوم الأربعاء عند والده بالصحراء خارج باب المحروق بالقرب من باب الوزير ، وكان

(١) هو قرا سنقر الشمسى الظاهرى برقوق وقد صار فى أيام المؤيد طبلخاناه وسافر أمير الحج أكثر من مرة زمن الأشرف برسباى ، وقد أنشأ « مدرسة صغيرة » بالقرب من ميدان الخيل ببركة الناصرى بالقاهرة تجاه داره ومات سنة ٨٣٩ ، انظر الضوء اللامع ٦ / ٧٢١ .

(٢) يضاف إلى ماسبق أنه كان كثير الخير والشفقة ميالا للبر .

(٣) فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٧٨٢ « يعقوب بن رسولا بن أحمد بن يوسف »

رجلا عالماً ذكياً فاضلا مستحضراً ضحوكاً ، وكان عنده كرم مفرط ، تولى خطابة جامع الأمير ألجاى وإمامته والتدريس به فى أيام والده فى حدود سنة تسعين وسبعمائة ، ثم تولى بعد أبيه نوبة الأمير قجا السلحدار خارج باب الوزير ، وتولى أيضاً مشيخة خانقاه[١] قوصون مدة ثم نزل عنها ، وتولى هو وأخوه شمس الدين محمد النظر على القدس الشريف فى أيام الملك الظاهر برقوق بسفارة الأمير أيتمش أتابك العساكر ، ثم تولى هو النظر على الكسوة الشريفة ووكالة بيت المال ، فأقام فى النظر على الكسوة مدة طويلة عزل عنها بمرافعات كثيرة ، واستمرت الوكالة معه إلى حين وفاته : وتولى مشيخة الشيخونية فى أيام الملك المؤيد عوضاً عن القاضى أمين الدين عبد الوهاب بن الطرابلسى[٢] الحنفى بحكم عزله واستمر فيها إلى أن مات :

وجرت عليه أمور كثيرة بسبب مشيخة الشيخونية ، ولما مات كان عمره ما ينيف على سبعين سنة ، رحمه الله تعالى بكرمه وحلمه .

---

(١) هى من إنشاء الأمير سيف الدين قوصون سنة ٧٣٦ وقرر لشيخها كل ما يحتاجه من « الدراهم والخبز واللحم والصابون والزيت حتى جامكية غلام بغلته » على حد قول المقريزى ، وأجرى مثل هذا على من قرره بها من الصوفية وأبطل ذلك فى سنة ٨٠٦ فى وقت الاضطرابات الداخلية فى مصر ، انظر الخطط ج ٣ ص ٤١٩ ، وانظر أيضا عن مؤسسها الخطط المقريزى ، ج ٢ ص ٢١٧ - ٢١٨ .

(٢) هو عبد الوهاب بن محمد أحمد بن أبى بكر بن صديق الطرابلسى الأصل المعروف بابن الطرابلسى ، ولد سنة ٧٧٣ أو فى التى بعدها وأكثر من السماع والأشغال والنظر فى الفقه وإن وصف فى بعض المصادر بأنه « عار من أكثر الفنون إلا استحضار شىء يسير من الفقه » راجع إنباء الغمر ج ٣ ص ١١١ ترجمة رقم ٢٣ ، والضوء اللامع ٥ / ٣٩٣ ، وشذرات الذهب ج ٧ ، ص ١٣٧ .

٦٣١ — قاضي القضاة جمال الدين بن زيد[1] الشافعي البعلبكي مات يوم الثلاثاء السابع من ربيع الأول ودفن ببلدة بعلبك ، وكان تولى قضاء الشافعية بدمشق مرتين مرة في أيام الملك المؤيد ومرة في أيام الملك الأشرف برسباي في كليهما[2] عوضاً عن قاضي القضاة نجم الدين بن حجي ولكن لم تطل مدته في توليته كلها ، قال البدر العيني في تاريخه : « ولم يكن مشهوراً بالعلم ولا بالبيت الكبير » :

٦٣٢ — الوزير تاج الدين عبد الرزاق بن عبد الله الشهير بابن كاتب المناخات مات ليلة الجمعة الحادي والعشرين من جمادى الأولى وصلى عليه يوم الجمعة قبل الصلاة في باب النصر ودفن في تربة بجاس وكان معزولا عن الوزارة ، ويوم وفاته كان والده وزيراً عوضاً عن أرغنشاه : وكان تاج الدين المذكور سهل العريكة في وزارته خفيف الوطأة على الناس قريباً خائفاً من الله تعالى غير خائض في الظلم الشديد ، وكانت عنده شفقة على خلق الله تعالى[3] : وقد قدمنا في عزله أن تقدمته في هذه الوظيفة كانت نحواً من ستين ألف دينار :

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد بن زيد ، وبهذا يعرف ، وقد ولي قضاء بعلبك ثم طرابلس ثم دمشق مرتين إحداهما سنة ٨١٩ والأخرى سنه ٨٢٦ ، هذا وقد ورد في ابن طولون : قضاة دمشق ص ١٤٩ / ١٥١ أن وفاته كانت يوم الثلاثاء سادس الشهر . أما الضوء اللامع ٥/٢٣٧ فذكر الشهر دون أن ينص على اليوم ، انظر شذرات الذهب ج ٧ ص ١٧٩ حيث ضبط الاسم منه كذلك النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ، ج ١ ص ١٤٦ .

(٢) في الأصل « في كلاهما » .

(٣) أشارت النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٧٨٣ إلى ما استجده في أيامه من مكس الفاكهة ، وعلق على ذلك بقوله : « هذا هو الشق الذي ظلم الناس لغيره » ، انظر أيضا نفس المرجع ج ٦ ص ٤٨٤ ، ٥٦٣ ، والسيوطي : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، ج ٢ ص ١٣٠ .

٦٣٣ — الأمير آق قجا[(١)] الكركى أمير عشرة ، توفى فى جمادى الآخرة وأنعم بإمرته على آقبغا التركمانى .

٦٣٤ — الأمير سودون الأشقر[(٢)] توفى فى هذه السنة بدمشق وكان آخر المقدمين بها ، وكان أصله من مماليك الظاهر برقوق وترقى المنازل فى أيام الملك الناصر فرج فأعطى أولا إمرة عشرة ، ثم أنعم عليه بإمرة عشرين واستقر رأس نوبة وكان يحكم بين الناس ، ثم ترقى إلى أن أنعم عليه بتقدمة ألف بالديار المصرية ، ثم تولى رأس نوبة كبيراً ، وعزله عن هذه الوظيفة الملك المؤيد ومسكه ونفاه إلى دمياط مدة ، ثم نقاه إلى القدس الشريف فأقام فيها مدة طويلة ، ثم لما ولى ططر السلطنة حضر معه من القدس إلى القاهرة ، وأنعم عليه الملك الأشرف بإمرة طبلخاناة مدة طويلة ثم نفاه إلى دمشق وأنعم عليه بها بتقدمة ألف فاستمر بها إلى أن توفى فى هذه السنة ولم يكن مشكور السيرة .

٦٣٥ — الأمير سودون الحموى[(٣)] مات بدمشق فى أوائل شهر ذى القعدة ، وكان أحد المقدمين الألوف بدمشق وأتابك العساكر بها ، وكان أحد الأمراء

---

(١) ورد فى الضوء اللامع ٢ / ١٠٢٣ « أقفجا » وكذلك فى فهرسته ص ٢٥٠ .

(٢) هناك أكثر من سودون الأشقر ، غير أن هذا اسمه « سودون الظاهرى برقوق » ، أما وصفه إياه فى نهاية ترجمته أعلاه بأنه لم يكن مشكور السيرة فراجع إلى بخله ، هذا وقد زاد أبو المحاسن على ذلك فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٧٨٣ « أنه كان غير مشكور السيرة فى دينه ودنياه » ، انظر أيضا الضوء اللامع ٣ / ١٠٦٩ .

(٣) عاش فى هذه الفترة بالذات إثنان عرف كل منهما بسودون الحموى ومات كل منهما أيضا بدمشق ، أما أحدهما فسودون الحموى النوروزى نوروز الحافظى الذى مات فى حدود سنة ٨٣٠ ، وثانيهما هو المقصود فى المتن أعلاه ، وقد أرسله برسباى إلى الشام عوضا عن قانباى الحمزاوى فى الأتابكية والتقدمة مما يصحح ماورد أعلاه . أنظر الضوء اللامع ٣ / ١٠٥٩ ، على أنه ليس فى ترجمة قانباى الحمزاوى الواردة فى نفس المرجع ٦ / ٦٦١ ما يفصح عن أى القولين أصح : أالصيرفى أم السخاوى .

بالديار المصرية فسكه الأشرف وحبسه مدة ثم أرسله إلى دمياط بطالا ثم أرسله إلى الشام على الإمرة ، وأنعم السلطان بأتابكية الشام على الأمير قانباى الحمزاوى[1] أحد المقدمين الألوف بها :

٦٣٦ — قاضى القضاة وشيخ الإسلام الإمام العالم الفاضل شمس الدين محمد بن جمال الدين عبد الله بن أبي الخير سعد الديرى الحنفى الشهير بابن الديرى ، توفى ليلة عرفة التاسع من ذى الحجة ودفن ببيت المقدس وكان عمره يوم توفى قريبا من تسعين سنة[2] ، وكان ممتعا بحواسه عالما فاضلا كاملا رأسا فى مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة رضى الله عنه ، متخلقا بأخلاق أهل التصوف : أدرك علماء كثيرة فى مصر والشام وبيت المقدس، وعاشر جماعة من الصلحاء الأخيار وذلك لأن بيت المقدس محط رحالهم وغاية مقصودهم وآمالهم ، ولما مات قاضى القضاة ناصر الدين محمد بن قاضى القضاة كمال الدين عمر بن العديم الحلبي الحنفى بالديار المصرية فى التاريخ الذى ذكرناه[3] طلبه السلطان الملك المؤيد شيخ إلى الديار المصرية فقدم يوم الأربعاء الثالث عشر من جمادى الأول سنة تسع عشرة وثمان مائة ، وفى يوم

---

(١) راجع عنه السخاوى : التبر المسبوك ، ص ٩٦ ، ١٩٦ ، ٢١٠ ، ٢٥٣ ، Van Berchem: Materiaux..... Egypte, t. I, p. 224; Sobernheim: Materiaux..... Syrié, p. 68.

(٢) إذا أخذنا برواية النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٧٨٤ التى جعلت مولده سنة ٧٤٤ فإنه مات وقد بلغ الثالثة والثمانين من العمر ، كما أن شذرات الذهب ، ج ٧ ص ١٨٢ تردد بين عامى ٧٤٢ ، ٧٤٣ مما لا يبدل كثيراً فى تقدير عمره يوم وفاته ، أنظر أيضا السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص ١١١ وابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٢ ص ١٣٢٧ .

(٣) كانت وفاته سنة ٨١٩ ، راجع الصيرفى : نزهة النفوس والأبدان ، ج ٢ ص ٣٧٣ ترجمة رقم ٥٤١ ، وإنباء الغمر ، ج ٢ ص ١١٨ ترجمة رقم ٣٩ ، والنجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٤٥٥ ، ٧٨٥ ، وحسن المحاضرة ، ج ٢ ص ١١١ .

الإثنين السابع عشر منه خلع عليه واستقر قاضي القضاة الحنفية بالديار المصرية عوضا عن القاضي ناصر الدين بن العديم بحكم وفاته ، واستمر قاضيا إلى أن تولى مشيخة الشيوخ بالمدرسة المؤيدية المستجدة بجوار باب زويلة ، وخلع عليه يوم الجمعة الحادى والعشرين من شوال سنة اثنتين وعشرين وثمان مائة ، ولم يزل يباشر وظيفته فى المدرسة [١٢٠ أ] المذكورة إلى أن استأذن السلطان فى توجهه إلى القدس الشريف فى شهر شعبان من هذه السنة لإجل ضعف حصل له، ورام أن ينتقل بالوفاة إلى رحمة الله تعالى ببيت المقدس الشريف أو يطيب به لصحة هواه فإنه يوافق مزاجه، فأذن له فى ذلك فتوجه إلى القدس الشريف فأقام به إلى أن أدركته المنية فى التاريخ المذكور :

٦٣٧ — السلطان الملك الناصر أحمد بن السلطان الملك الأشرف إسماعيل ابن السلطان الملك الأفضل عباس بن الملك المجاهد على بن الملك المؤيد داود ابن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن رسول التركمانى .

تولى الناصر السلطنة[(١)] باليمن بعد وفاة أبيه فى سنة ثلاث وثمانى مائة ، فمدة سلطنته أربع[(٢)] وعشرون سنة ، وكان ردئ السيرة جداً ولم يعرف له إلا ظلم وفسق كذا ذكره شيخنا العينى رحمه الله فى تاريخه :

تولى بعده ولده عبد الله[(٣)] ويلقب بالملك المنصور وأظهر العدل والإحسان إلى الرعية وفرح الناس به ودعوا له لمـــا ذاقوه من ظلم أبيه وجوره وفسقه.

(١) عددت النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٧٨٤ المدن الداخلة فى حكمه فكان من بينها زبيد وتعز وعدن والمهجم وحرض وجبلة والمنصورة والحالب والجدة والدهلوة وقوارير والشحر .

(٢) فى الأصل « أربعة » .

(٣) لم يجزم السخاوى فى الضوء اللامع ٥ / ١٢ بتحديد سنة وفاته وإن جعلها عام ٨٣٠ بناء على ما ذكره له بعض الثقات من أصحابه ، وقد اعتبر ابن حجر هذه السنة هى سنة موته فأدرجه فى وفياتها ، أنظر إنباء الغمر ج ٣ ص ٣٨٨ ترجمة رقم ٨ .

٦٣٨ – الست المصونة المحجبة خوند فاطمة(١) بنت قجا زوجة السلطان الملك الأشرف برسباى ، توفيت ليلة الأحد الخامس عشر من جمادى الآخرة من هذه السنة ودفنت فى المدرسة الأشرفية المستجدة بجوار العنبرانيين ، وحضر جنازتها جميع الأعيان ، كيف لا وهى زوجة ملكهم وحاكمهم ، ومشى الخليفة والقضاة والأمراء والحكام والأجناد وسائر من فى البلد ولم يتخلف أحد منهم ، وصلى عليها فى باب الستارة ، ومشى من ذكرناهم من الأعيان فى خدمتها إلى أن دفنوها فى صبيحة يوم الأحد .

وكانت متضعفة مدة طويلة ، وأما ترجمتها فهى دينة تسعى فى الخيرات عند السلطان للناس ، وتأسف السلطان عليها وحزن حزناً شديداً وأكثر الترحم عليها ، ومن حين وضعها فى قبرها شرع القراء فى قراءة القرآن وعمل المدة فى المطبخ إلى صبيحة يوم الجمعة ، فجملة ذلك ستة أيام :

* * *

(١) الإضافة من النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٧٨٤ ، على أنها واردة فى الضوء اللامع ج ٢ ص ٩٩ ترجمة رقم ٦٢٢ باسم « فاطمة بنت قجقار » ، وقال السخاوى فى ذلك « سمى العينى أباها قجا » كما أشار إلى أنه أورد وفاتها فى جمادى الأولى ، وعقب على ذلك بقوله « والله أعلم » .

فصــل

فيما وقع من الحوادث

فى السنة الثامنة والعشرين بعد الثمان مائة

استهلت هذه السنة المباركة وأولها يوم الخميس المبارك :

وخليفة الوقت المعتضد بالله داود العباسى ، وسلطان البلاد المصرية والشامية الملك الأشرف أبو النصر برسباى وليس له نائب فى الديار المصرية ، وأتابك العساكر بالديار المصرية الأمير قجق العيساوى ، وأمين سلاح الأمير إينال النوروزى ، وأمير مجلس الأمير إينال الحكمى ، وأمير آخور كبير الأمير جقمق أخو المصارع ، ورأس نوبة كبير الأمير تغرى بردى المحمودى ، والدوادار الكبير الأمير أزبك :

وأستادار العالية الأمير صلاح الدين بن نصر الله ، ووالده القاضى بدر الدين بن نصر الله ناظر الخاص ، والوزير القاضى كريم الدين بن كاتب المناخ ، وناظر الجيش القاضى زين الدين عبد الباسط بن خليل الشامى :

والقاضى الشافعى شمس الدين الهروى ، والحنفى زين الدين التفهنى ، والقاضى المالكى شمس الدين البساطى ، والحنبلى علاء الدين بن مغلى الحموى ، ومحتسب القاهرة القاضى بدر الدين محمود العينى الحنفى ، ووالى القاهرة التاج الشويكى :

ونائب الإسكندرية الأمير آقبغا التمرازى ، ونائب غزة الأمير تمراز [المؤيدى الخازندار] ، ونائب صفد الأمير مقبــل ، ونائب حلب الأمير جارقطلو :

وقاضى القضاة الشافعية بدمشق السيد الشريف علاء الدين ، والقاضى الحنفى شهاب الدين بن الكشلك ، والقاضى المالكى شمس الدين الأموى ، والقاضى الحنبلى بن الحبال الطرابلسى ، وكاتب السر بدر الدين حسن وهو ناظر الجيش .

والقاضى الشافعى بحلب علاء الدين بن خطيب الناصرية والقاضى الحنبلى شمس الدين بن خازوق وكاتب السر ناصر الدين بن السفاح :

وصاحب بلاد قرمان الأمير إبراهيم بن الأمير محمد باك بن قرمان وصاحب الأجات — وكرسيها مدينة برسا — الأمير مراد باك بن كرشجى واسمه محمد باك ، وصاحب مدينة تبريز الأمير إسكندر بن الأمير قرايوسف وصاحب بغداد الأمير محمد شاه بن الأمير قرا يوسف ، وصاحب بلاد العجم وسمرقند وتلك البلاد كلها مثل شيراز وهراة وغيرها الأمير شاه رخ بن تمرلنك :

وصاحب مكة الأمير قرقماس الشعبانى تولى عوضاً عن السيد الشريف حسن ، وصاحب المدينة النبوية غرير ، وصاحب اليمن الملك المنصور عبد الله بن الملك الناصر :

وأما الدست التى [١٢٠ ب] كرسيها صراى فإن فيها اختلافاً كثيراً بسبب أن كل واحد منهم استولى على ناحية ولم يتفق الأمر لأحد .

* * *

ذكر من أنعم عليه بوظيفة
ومن عزل عنها

لما كان يوم الإثنين الرابع والعشرين من صفر خلع على الشيخ محب الدين أحمد بن نصر الله[١] البغدادى الحنبلى واستقر قاضى القضاة الحنابلة بالديار المصرية عوضاً عن القاضى علاء الدين على بن محمود بن مغلى الحموى بحكم وفاته رحمه الله تعالى .

وفى يوم الثلاثاء الثانى من ربيع الأول خلع جمال الدين يوسف السمرقندى[٢] واستقر قاضى القضاة الحنفية بمدينة حلب عوضاً عن القاضى شمس الدين بن أمين الدولة الحلبى بحكم عزله ، وكان جمال الدين هذا قد قدم من البلاد الحلبية فى أيام الملك المؤيد إلى القاهرة واعتنى به الملك الظاهر ططر وتعصب له وسفّره إلى الحجاز الشريف ، ولما عاد أنعم عليه ببعض وظائف من التدريس والأنظار بمدينة حلب وسافر إليها وأقام بها إلى أن قدم القاهرة فى أول هذه السنة ، وذلك لأنه وقع بينه وبين القاضى المذكور بسبب المدرسة[٣] الشاذبختية التى بحلب فى سوق النشاب غوغاء ووثبوا عليه وأرادوا أن يتعصبوا عليه وشكوه إلى النائب فسافر خفية ، وقدم إلى القاهرة وتمثل لدى الملك الأشرف وأخبره بصورة الحال فعند ذلك

---

(١) انظر ابن حجر « إنباء الغمر » ج ٤ ترجمة رقم ٥ وفيات سنة ٨٤٤ ، والسيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ص ٢٢٣ ، ج ٢ ص ١١٣ ، وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ١١٤ ، ٢٧١ ، وابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٢ ص ٢٠ .

(٢) انظر فيما بعد ص ١٠٧ ، ترجمة رقم ٦٤٠ ، والضوء اللامع ١٠ / ١٢٨٨ ، وإعلام النبلاء ، ج ٥ ص ١٨٠ .

(٣) المدرسة الشاذبختية من المدارس الكبرى بحلب .

أمر السلطان بطلب ابن أمين الدولة فحضر إلى القاهرة بناء على أن ينتصر على غريمه ويعود إلى حلب على عادته ووظيفته ، فلم يتفق ذلك مع مساعدة بعض المباشرين له وسافر بطالا ، واستقر جمال الدين يوسف المذكور قاضياً عوضه .

وفى يوم السبت العاشر من جمادى الأول خلع على القاضى بدر الدين حسن بن نصر الله واستقر أستادار العالية عوضاً عن ولده صلاح الدين محمد بحكم عزله لعجزه عن سد الوظيفة .

وفى يوم الاثنين الثانى عشر من جمادى الأولى خلع على كريم الدين عبد الكريم بن سعد الدين بركة بن كاتب(١) جكم واستقر ناظر الخواص الشريفة عوضاً عن بدر الدين حسن بن نصر الله بحكم عزله وإبقائه على وظيفته الأستادارية ، ثم فى يوم الثلاثاء الثامن من رمضان المعظم رسم السلطان بمسك القاضى بدر الدين حسن بن نصر الله المذكور وتعويقه فمسك وعوق وطلب ابنه صلاح الدين من بيته وعوق، وطلب منهما أموال جمة وهددا بالقتل والعذاب ، وآخر أمرهما استقر الطلب منهما ثلاثين ألف دينار، ثم بعد يومين أو ثلاثة أطلق سبيل بدر الدين [حسن بن نصر الله] وعوق ولده بالقلعة على أن يتولى بدر الدين ويدولب ويحمل الأموال، فلما نزل شرع فى بيع موجوده من الأملاك والدور وغيرها، ثم أطلق ولده صلاح الدين أيضاً واستقرا فى بيتهما بطالين؛ وكان بدر الدين المذكور قد نزل إلى الجامع الأزهر يوم الأربعاء العاشر من شعبان وادعى أنه استعفى عن وظيفته .

(١) انظر ترجمته فى إنباء الغمر، ج ٣ ص ٤٤٧ رقم ٢٤، والنجوم الزاهرة؛ ج ٦ ص ٨٠٩ .

وفى يوم الخميس الحادى عشر من شعبان طلبه السلطان فطلع إليه وخلع عليه خلعة هائلة .

وفى يوم السبت التاسع من جمادى الآخرة[1] مسك السلطان نجم الدين بن حجى كاتب السرالشريف بالديار المصرية وسجنه ببرج قلعة الجبل لما بلغه عنه من كلام صدر منه، ونزلت الحوطة على داره :

وفى ليلة الثلاثاء الثانى عشر من جمادى الأولى أمر السلطان بإطلاق نجم الدين المذكور من البرج ونفيه إلى دمشق فى باشة وجنزير على هذه الهيئة .

وفى الثلث الأول من الليل ذهبوا به على هذه الهيئة إلى أن وصل غزة وقيل إلى الرملة ، ثم وقعت فيه الشفاعة أن يتوجه إلى دمشق فى هذه الهيئة البشعة ولكن بعد أن قرر عليه جملة من الذهب :

وفى يوم الاثنين ثامن عشر جمادى الآخرة خلع على بدر الدين محمد بن مزهر ناظر الإصطبلات الشريفة ونائب كاتب السر الشريف واستقر كاتب السر الشريف عوضاً عن نجم الدين بن حجى بحكم عزله ونفيه إلى الشام :

وفى يوم الإثنين الثالث من رجب خلع على سيدنا ومولانا وشيخنا شيخ الإسلام ، ونادرة الليالى والأيام ، شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى واستقر فى قضاء الشافعية بالديار المصرية عوضاً عن القاضى شمس الدين الهروى بحكم عزله .

---

(١) فى الأصل « جمادى الأولى »، وقد أثبت ما بالمتن بعد مراجعة النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٥٨٥ حيث بين أسباب غضب السلطان عليه .

وفي يوم الإثنين الرابع عشر من رمضان خلع على جمال الدين الطرابلسي الذي كان تولى كتابة السر الشريف بالقاهرة [١٢١ أ] عوضاً عن علم الدين ابن الكويز واستقر في كتابة السر بدمشق المحروسة عوضاً عن القاضي بدر الدين حسن الذي كان جمع بين كتابة السر ونظر الجيش بحكم عزله عن كتابة السر واستمراره بالجيش .

وفي يوم السبت السادس عشر من ذي القعدة برز المرسوم الشريف للأمير أزدمر شاية أحد المقدمين بالديار المصرية أن يلزم بيته وذلك لأنه كل وقت كان يقول : « السلطان أنعم عليّ بنيابة في بلد من البلاد فإن هوا هذه البلدة لا يوافقني » :

فاستمر بطالا وندم على ما قاله ، ثم بعد ذلك بمدة يسيرة رق عليه السلطان وأعاد له إقطاعه واستمر به على عادته ، وأرسل إليه الأمير ياقوت مقدم المماليك السلطانية يبشره بذلك ورسم له أن يتوجه صحبة كاشف الصعيد لمساعدته على إرداع المفسدين وإزاحة الفساد من الظالمين ، فخلع على مقدم المماليك خلعة مخمل بسمور .

* * *

ذكر أسعار هذا العام

الذهب الهرجة وصل إلى مائتين وسبعين المثقال بالفلوس ، وأما الأفلوري فإنه ظل على حاله مائتين وخمسة وعشرين ، وأما الفلوس فإنها قلت جداً حتى إن الشخص يدور بدرهم من الفضة ليصرفه فما يجد به فلوساً ، والرطل منها بسبعة دراهم ، فنادى السلطان عليها بإثني عشر درهماً فاستمرت على ذلك مع قلتها .

وأما الحديد فإنه عز جداً ، وبلغ الرطل المعمول منه إلى عشرين درهماً ووصلت التطبيقة من النعال إلى سبعين درهماً فلوساً ؛ وأما النحاس المعمول فوصل الرطل منه إلى أزيد من ثلاثين درهماً .

وأما أنواع القماش فغلت جدا حتى وصل الثوب البعلبكى الرفيع أكثر من عشرة أفلورية . وأما أنواع الفراء فكذلك فى الغلو حتى وصل كل أربعة شقات منها يعنى من السنجاب الحديد سبعة عشر درهماً وثمانية عشر مشخصاً .

وأما أنواع الحبوب فغلت جداً حتى بلغ الإردب من القمح فى شهر ذي القعدة وشهر ذي الحجة إلى قريب ثلاث مائة درهم فلوساً ، وكذلك بلغ الإردب من الفول إلى ثلاثمائة درهم، والإردب من الشعير إلى مائتين وثمانين درهماً ،ولم يعهد مثل هذا فى الديار المصرية فى الزمان القريب، وبلغ بذر البرسيم الإردب منه إلى ألف ومائتين درهماً فلوساً ، وهذا أيضاً لم يعهد قبل ذلك .

وأما الرطل من الخبز فبيع بدرهم ونصف :

وأما الأجبان فعزت جداً لأجل غلو العلف ، وبلغ الرطل من الجبن المقلى إلى أربعة عشر درهماً والشريحة هكذا ، والأزرار بتسعة ، والحالوم بإثنى عشر . وأما اللبن فكل رطل بثلاثة دراهم فلوسا . والعسل نحل المصرى إلى قريب من عشرين درهما لعدم فلاح النحل فى هذه السنة .

ووصل السيرج إلى ثلاثة عشر درهماً كل رطل، والزيت الطيب [إلى] إثنى عشر ، والسمن ثمانية عشر درهماً .

ووصل القدح من الأرز إلى تسعة دراهم ، وبلغت البطة من الدقيق إلى تسعين درهماً بالفلوس ، وهى خمسون رطلا بالمصرى .

وكذلك زادت الأسعار فى الحبوب فى سائر البلاد الشامية لا سيا بلاد غزة والرملة وبيت المقدس . ووصلت الغرارة الشامية وهى ثلاثة أرادب بالمصرى أكثر من عشرين ديناراً وكان السبب لغلو هذه الحبوب فى هذه البلاد ظهور الفأر المتجاوز عن الحد ، فحكى أهلها عن الفأر أشياء غريبة من كثرتها وغلبتها على الحبوب ، وحكى جماعة من أهل البلاد أنهم وجدوا الفئران على وجه الأرض مثل السواد العظيم مقطعة[1] الآذان والأيدى والأرجل والجراحات الظاهرة فيها ، وذلك لمـا وقع بينهن من الحرب بين الطائفتين من الآدميين .

* * *

ذكر بقية الحوادث فى هذه السنة

لما كان يوم الثلاثاء الحادى عشر من صفر نزل السلطان الملك الأشرف إلى البحر ونظر إلى الأغربة[2] التى أمر بعمارتها ثم التفت من هناك إلى ناحية

---

(١) فى الأصل « مقطعون » .

(٢) الأغربة جمع غراب وهو نوع من السفن الحربية التى كانت تستعمل فى العادة فى البحر الأبيض المتوسط منذ أيام الإمبراطورية الرومانية ، والأرجح أن هذا النوع من السفن سمى بهذا الإسم نظراً لمشابهته لهذا الطائر من حيث السواد لطلائها بالقار والزفت ، كذلك لاستواء مناقيرها على حد قول النويرى فى مخطوطته الإعلام بما جرت به الأحكام المقضية فى وقعة الإسكندرية . وتختلف الأغربة بعضها عن بعض من حيث الحجم ما بين صغيرة وكبيرة وذلك لعدد مجاديفها التى تتراوح ما بين عشرة ومائة وثمانين مجدافا ، ولنا أن نتصور عدد من يكون بالواحد منها من المقاتلة ، ويستفاد ذلك من كتاب الأحكام الملوكية لابن منكلى بغا .

جزيرة الفيل ، وذهب منها إلى منية السيرج[١] ثم منها إلى البرج وطلع إليه فأعجبه إعجاباً زائداً ولم يكن رآه قبل ذلك ، ثم عاد منه وطلع إلى القلعة .

وفى يوم الثلاثاء التاسع من ربيع الأول عدى السلطان إلى ذلك البر فنزل بناحية أوسيم[٢] وهو فى دست المملكة وأقام هناك قريباً من عشرة أيام [١٢١ ب] ثم عاد وطلع إلى القلعة .

وفى يوم الخميس[٣] السادس عشر من ربيع الآخر قدم الأمير سودون من عبد الرحمن كافل المملكة الشامية إلى القاهرة وتمثل لدى المقام الشريف ، وكان الأمراء والرؤس النوب وغالب الخاصكية استقبلوه من بلبيس[٤] ومن الخانقاه بسرياقوس ، وبات عنده بالخانقاه المذكورة الأمير يشبك[٥] الساقى

(١) منية السيرج وقد تعرف أيضا بمنية الشيرج ، وتقع على مقربة من القاهرة فى الطريق الواصل بينها وبين الأسكندرية ، وكان اسمها فى الأصل منية الأمراء ، وتعددت إلى جانب ذلك أسماؤها عند الجغرافيين ؛ فهى عند المقدسى تسمى بالمنيتين (يعنى بذلك منية الشيرج ومنية الاصبغ) وهى عند المقريزى فى خططه وفى التحفة والانتصار «منية الأمراء» . ، وترجع شهرتها بمنية السيرج لكثرة معاصر السمسم التى يستخرج منه زيت السيرج ، انظر فى ذلك كله محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ق ٢ ج ١ ص ١٤ — ١٥ .

(٢) أوسيم من البلاد المصرية القديمة الواقعة بمركز إمبابة على حدود القاهرة ، وكانت متنزها ومصيداً للسلاطين فى العصر المملوكى ، انظر القاموس الجغرافى ، ق ٢ ج ٣ ص ٥٧ .

(٣) الوارد فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٥٨٤ أن الخميس هو السابع عشر من شهر ربيع الآخر ، وهو يتفق مع ما ورد فى التوفيقات الإلهامية ص ٤١٤ من أن أول الشهر هو الثلاثاء .

(٤) بلبيس من المدن المصرية القديمة ، وكانت قصبة الحوف الشرقى أيام الفتح العربى لمصر ثم صارت قاعدة لأعمال الشرقية من أيام الدولة الفاطمية إلى نهاية حكم الجراكسة ، وكان يمر بها المسافر إلى الرملة وبلاد الشام ، انظر فى ذلك القاموس الجغرافى ، ق ٢ ج ١ ص ١٠١ .

(٥) هو يشبك الساقى الظاهرى برقوق ويعرف بالأعرج ، وقد قدمه الأشرف برسباى سنة ٨٢٥ وسكن طبقة الزمام بالقلعة ، وكان موته سنة ٨٣١ رقم راجع فيما بعد ترجمة ٦٦١ ص ١٤٠ ، انظر إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٤١٧ ترجمة رقم ٢١ ، والنجوم الزاهرة ج ٦ ص ٨٣١ ، والضوء اللامع ١٠ / ١٠٨٨ ، وانظر أيضا Wiet: Les Biographies du Manhal, No. 2652.

والأمير أزبك الدوادار الكبير ، ومن جملة الذين استقبلوه المقام الناصرى سيدى محمد ولد السلطان الملك الأشرف برسباى وفى خدمته الأمير جانى بك الدوادار الثانى ، وجهز صحبته ولده المذكور كاملية محمل بسمور إليه .

ولما تمثل بين يدى السلطان خلع عليه أطلسين وطراز ذهب يلبغاوى وفرساً بسرج ذهب وكنبوش زركش ، ثم ترادفت عليه التقادم من الخيول والقماش من الأمراء وأرباب الدولة : وأقام بالقاهرة إلى أن سافر يوم السبت السابع والعشرين من الشهر المذكور .

وفى يوم الخميس الخامس والعشرين من ربيع الآخر قدمت رسل من عند الأمير قرايلوك التركمانى .

وفى يوم الإثنين العاشر من شهر رجب داروا بالمحمل الشريف وإنما استعجلوا به عن عادته لأجل الأغربة التى صنعت برسم الغزاة :

* * *

وفى يوم الإثنين الخامس والعشرين من ذى القعدة لعب شخص من المماليك يسمى يشبك على الحبل من الأشرفية إلى مئذنة السلطان حسن ، فحضر السلطان من القصر وجميع الأمراء وتفرجوا عليه وأبدى صنائع جمة ورمى بالمكحلة ورمى قوس الرجل ، كل ذلك وهو فوق الحبل وكان له يوم مشهود[1] : وأنعم عليه السلطان بمال من الخزانة وأركبه فرساً[2] كامل العدة وخلع عليه خلعة بطرازين ، وأحسن إليه الأمراء أيضاً .

---

(١) فى الأصل « يوما مشهودا » .
(٢) فى الأصل «فرس » .

وهذا المملوك أصله من الجراكسة ثم وقع عند صاحب قبرص فأقام عنده مدة على دينهم، ثم وفقه الله تعالى وهاجر إلى الديار الإسلامية فأسلم عند السلطان الملك الأشرف وأنزله فى جملة المماليك ، ورتب له الجامكية واللحم والعليق والكسوة والأضحية ؛ وكان حضوره إلى القاهرة فى هذه السنة .

* * *

وفى يوم السبت الثانى والعشرين من ذى الحجة قدم إلى القاهرة يشبك النوروزى من عند الأمير تغرى بردى المحمودى أمير الحاج من مكة المشرفة وأخبر أن الشريف حسن بن عجلان الذى كان صاحب مكة أطاع السلطان وحضر[1] إلى خدمة أمير الحاج وتجهز للحضور بين يدى المقام الشريف وعن قريب يصل للقاهرة ، فخلع عليه السلطان خلعة ؛ وكان حضوره من مكة قبل وقوفه بعرفات .

وفى يوم السبت[2] التاسع والعشرين من ذى الحجة وصل مبشر الحاج المسمى خشكلدى الخاصكى وأخبر بسلامة الحاج وأن الأزواد كبيرة والمياه كذلك وأنهم وقفوا يوم الإثنين وكان العيد يوم الثلاثاء ، والعيد كان فى القاهرة يوم الإثنين .

* * *

---

(١) يفهم من سياق هذه العبارة أن الذى حضر إلى خدمة أمير الحاج هو الأمير حسن بن عجلان ، لكن أبا المحاسن ينص صراحة فى النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٥٩٥ على أن الذى قدم إنما هو بركات بن حسن بن عجلان حتى إذا استوثق بالأيمان على سلامة أبيه قدم أبوه إلى مكة ووعد بالمضى إلى القاهرة واستخلاف ولده بركات فى غيبته .

(٢) الوارد فى جدول السنين بالتوفيقات الإلهامية ، ص ٤١٤ ، أن الأحد كان أول ذى الحجة سنة ٨٢٨ .

ومما وقع من الحوادث فى البلاد أن الأمير حسن بن الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير خليل بن الأمير زين الدين قراجا بن ذلغادر الذى هو نائب والده فى قيسارية الروم جمع طائفة من التركمان ومشوا إلى ناحية مدينة تكروه من بلاد ابن قرمان فأغاروا عليها وأخذوا منها شيئاً كبيراً ، ثم عادوا منها ونزلوا فى موضع قريب من بلدة تسمى دواأو ليقسموا ما حصل معهم وكان قد اجتمع عسكر قصراى وخلق من مدينة تكروه ومن تلك البلاد فساروا إليهم وكبسوهم على غرة ، وأخذوا منهم جميع ما أخذوه ، وقتلوا منهم عشرة أنفس وأسروا منهم قريباً من مائتى نفس ، قيل منهم الأمير حسن المذكور ، وكان ذلك فى أول هذه السنة .

* * *

ومما وقع من الحوادث أن عساكر حلب خرجوا فى طلب تركمان ابن الأمير رمضان كبير التركمان لأجل القتال وذلك لوقوع الحرب بينهم وبين تركمان بن الأمير أدر ، ثم إن السلطان أمدهم بعسكر الشام فخرج الأمير سودن من عبد الرحمن نائب الشام ومعه عسكر دمشق ووصلوا إلى حلب .

ومنها أن السلطان رسم للأمير برد بك أمير آخور ثانى والد مخدومنا الزينى فرج أمير حاجب الذى قدمنا ذكره أن يسافر ومعه أربعون هجينا إلى نخل التى هى أحد منازل الحج من القاهرة وعقبة أيلا ، وسبب ذلك أن أبا بكر [١٢٢ أ] التبريزى قدم إلى القاهرة وأخبر أن الأمير مقبل صاحب

ينبع الذى كان قدم إلى خدمة السلطان الملك الأشرف — ثم تسحب فى التاريخ الذى ذكرناه — قد ندم على ما فعل وهو فى نخل ، فتجهز الأمير برد بك المذكور ليلة السبت الثانى والعشرين من جمادى الآخرة وسافر فظفر به فى التيه واحتاط عليــه وعلى من معه وحضر بهم إلى القاهرة، بعد أن أوقع فى مقبل باشة وجنزيراً ، فحين تمثل بين يدى المواقف الشريفة أمر بسجنه فى البرج بقلعة الجبل بالقاهرة ، ثم رسم بنقله إلى حبس إسكندرية ، وكان قدومه فى يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر جمادى الآخرة .

* * *

ذكر قصة غزوة قبرس فى هذا العام وذكر الغزوتين المـاضيتين

وكان السبب فى ذلك أنه لمـــا حصل بالإسكندرية ما حصل فى أيام يلبغا العمرى وآقبغا التمرازى من الفرنج وقد ذكرنا تاريخه فيما مضى ،وقيل إن الفرنج أظهروا الفساد فى البحر وصاروا يأخذون المسلمين من المراكب الآتيــة من الشام إلى دمياط وإسكندرية ويأسرونهم[1] ، فلما بلــغ السلطان — نصره الله — ذلك شق عليه وغمه وهمه ، فحمله ذلك إلى أن أمر بتجهيز الأغربة فجهزت وجهز فيها آلاتها من سائر الأنواع لأجل أخذ قبرس ، وأصرف[2] عليها من الأموال جانبا نفيساً وشحنت بالعدة والعدد والرجال والأبطال وكانت غزوة قبرص ثلاث غزوات .

---

(١) فى الأصل « ويأسروهم » .
(٢) أي صرف عليها .

الأولى كانت فى السنة الماضية أعنى سنة سبع وعشرين وثمانى مائة وهى الغزوة الصغرى ، وكان الملك الأشرف عين لها سبعين[1] مملوكاً من المماليك السلطانية ، وكبيرهم مملوكان أحدهما يقال له يشبك الحرون والآخر يقال له إياس الطويل وانضم إليه آخرون من الرجال فى خمسة مراكب ، وكان خروجهم من القاهرة فى التاسع من رمضان من سنة سبع وعشرين وثمان مائة ، فلما ركبوا وأقلعوا وساروا وصلوا إلى بيروت ثم إلى طرابلس وأقاموا فى السواحل أياماً ثم ساروا نحو الجزيرة فوصلوا إلى ملسون ونهبوا قرى من السواحل وأسروا نحو الثلاثة عشر نفراً وعادوا سالمين ومعهم بعض جوخ وقطن وآلات بيوت ونحو ذلك ، وكانت هذه الغزوة سبباً للغزوتين اللتين حصلتا بعدها ، فلما حضروا قدموا غنائمهم بين يدى السلطان فتصرف فيها على قاعدة الشرع الشريف . هذا معنى ما ذكره شيخنا البدر العينى فى تاريخه .

والثانية فى هذه السنة أعنى سنة ثمان[2] وعشرين وثمانمائة .

وفى يوم الخميس الثالث عشر من رجب من هذه السنة أنفق السلطان على العسكر الذى عينهم لقبرس وهم من الأمراء المقدمين الأمير شرباش قاشوق حاجب الحجاب بالديار المصرية والأمير قرا مراد خجا من الطبلخانات ، ومن الطبلخانات الأمير يشبك شاد الشراب خاناه الشريفة والأمير قانصوه ، ومن العشرينات والعشرات الأمير شيخ رأس نوبة والأمير آقبغا الناصرى

---

(١) فى الأصل « سبعون » ، على أنه ورد فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٥٨٠ أنه خرج غرابان فيهما من المماليك السلطانية ثمانون نفراً غير المطوعة .

(٢) فى الأصل « ثمانية » .

والأمير كمشبغا الأحمدى ؛ ومن المماليك السلطانية ما يقارب أربعمائة نفر ، ومن كل مقدم ألف عشرة أنفار ، ومن الطبلخانات نفران خارجاً عما استخدمهم السلطان من البطالين ، وهم جمع كبير .

وأما النوطيـــة[1] وأصحاب آلات الحرب من الرماة ونحو ذلك فعدد له جرم زائد ، واستمروا مسافرين من القاهرة إلى آخر يوم الخميس السابع والعشرين من رجب فكان سفرهم من القاهرة إلى دمياط أربعة عشر يوماً ، وكان ركوبهم البحر من ثغـــر دمياط يوم السبت العشرين من شعبان من هذه السنة .

فلما ركبوا وأقلعوا متوكلين على الله تعـــالى وصلوا إلى بيروت يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شعبان ، وسافروا من بيروت يوم السبت الخامس من شهر رمضان ووصلوا إلى طرابلس فى آخر السبت المذكور فأقاموا فى طرابلس أياماً للراحة وتجديد التجهيز ، وخدمهم الأمير خسرو نائب طرابلس .

ثم سافروا من طرابلس يوم الإثنين الرابع عشر من شهر رمضان ووصلوا إلى بر جزيرة قبرس فأرسوا فى الميناء يوم الجمعة الثامن عشر من شهر رمضان ، ثم دخلوا إلى رأس الماغوصة يوم السبت التاسع عشر من شهر رمضان، ونزلت الخيل إلى رأس المـــاغوصة يوم الأحد العشرين من رمضان فنهض من المسلمين سبعة فرسان وبعض رجالة من مماليك السلطان كشافة فالتقوا مع جماعة من الكفار من أهل قبرس زهاء ثلاث مائة

---

(١) النوطية هم الملاحون فى السفن ، وهى مرادفة للكلمة اللاتينية Nautae بمعنى « البحارة » .

فارس ، وفيهم أخو صاحب قبرص ، فلما رأى[(1)] هؤلاء قلة المسلمين طمعوا فيهم ودكسوا عليهم فعلت ألسنة المسلمين بالتكبير والتهليل والصلاة على سيدنا محمد البشير النذير ، وحملوا عليهم وقتلوا منهم خمسة عشر فارساً وجرحوا أكثر من خمسين فارساً ، فاستشهد من المسلمين إثنان من المماليك [١٢٢ ب] السلطانية ، ورفعت أرواحهما إلى عليين ،وغنم المسلمون من أعداء الدين شيئاً كثيراً وأسروا من نسائهم وأولادهم جماعة ، ومن رجالهم أيضاً ، وأخربوا ضياعاً كثيرة ، وهدموا كنائس عدة وأحرقوها .

ثم رحلوا من الماغوصة ليلة الأربعاء الحادى والعشرين من رمضان فوصل تلك الليلة إلى البر جماعة من المماليك السلطانية مشاة واجتهدوا في طلب الأعداء ولم يلاقوا المراكب المنصورة إلا في صبيحة تلك الليلة عند رأس العجوز وصحبتهم ثلاثون أسيراً فحين ركبوا المراكب جاء[(2)] على المسلمين ثماني شواني[(3)] وقرقورة كبيرة وسلورتان، فلما رآهم المسلمون كبروا

(١) في الأصل « رأوا » .

(٢) في الأصل جاءوا » .

(٣) الشواني جمع اختلف في مفرده مابين شين وشاني وشينة وشونة ، وهو نوع من السفن الحربية الكبيرة ، ويستدل من بعض النصوص التاريخية على أنها كانت تصنع بمصر وتسير في النيل ومنها إلى البحر الأبيض المتوسط ، ومما جاء في تاج العروس للزبيدي أن « الشونة مركب معد للجهاد في البحر » وكانت تسير بمائة وأربعين مجدافا ، وكانت ضخمة حتى لتقام بها الأبراج ومنها يرمى النفط كما جاء في قول ابن حمد يس :

ترمى ببرج إن ظهرت لعدو مخرقة بطنا
وبنفط أبيض تحسبه ماء وبه تذكى السكنا

ومما جاء في آثار الأول ، ص ١٩٧ ، أن الشواني كانت تجهز بما يقال له اللجام ، وهو «حديدة طويلة محددة الرأس جدا وأسفلها مجوف كسنان الرمح» يدخل عند الحرب في أسطام المركب ، وهو الخشبة التي في مقدم الشيني ، وقد يتأخرون به قليلا ثم يقذفون به قذفة واحدة قوية فينطح المركب فيحرقه » ، وإذا قرب الشيني من آخر خرج منه كلاليب كبار من الحديد ذات سلاسل معقودة =

وهللوا وصلوا على النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن عظم ضجيجهم جاوبهم صدى البر والبحر ثم حملوا على الكفار بهمم عالية وقلوب صافية وألسن ذاكرة ، فلطف الله بهم حتى هزموا القرقورة والسلورتين، ووقفت الشوانى مجتهدة[1] للقتال وقاتلهم المسلمون بآلات الحرب من المدافع والمكاحل، ورموا[2] هم أيضاً المسلمين بالحوخ وغيرها فتقدم المسلمون وقربوا منهم وهم يكبرون ويهللون ويصلون على سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، فحين قربوا منهم انهزموا هاربين وسار المسلمون وراءهم فتخلصوا بالهروب، ودخل المسلمون بلادهم يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان فوجدوا على البر فرساناً منهم مقدار ثلاثمائة فارس ، ووجدوا تلك الثمان شوانى التى هربوا التى عدتهم ثمانية ، فبرز من المماليك السلطانية نحو من ثلاثين فارساً مشاة ، فلما رأوهم طمعوا فيهم لقلتهم وحطموا عليهم فكبر المسلمون عند ذلك وهللوا وأكثروا من الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ودخلوا فى وسط هؤلاء الكفرة ، ورموا خمسة عشر فارساً منهم

= أما القرقورة أو القرقور فيرى دوزى أن اللفظ إيطالى الأصل Cercurus ، ونسمع من أحد الإخصائيين فى آلات الحرب وأساليب القتال ، فى مصر المملوكية وهو ابن منكلى أن القراقر عدة أنواع ، ويشير المقريزى فى الإعلام إلى أن صاحب القرقور يعرف بلغة الفرنج « كبطان » أى CAPTAIN وكاتبه يسمى « شكرباتى » أى Scriber ، وتسير القرقورة بثلاثة قلاع تسمى بليطة وأزدموت وور كاكوا .

أما السلورة — وتعرف أيضا بالسلارية — فكان عدد مجاديفها حسب مايذكره ابن منكلى يتراوح بين ١٦ ، ٢٤ مجدافاً ، ويشير المقريزى أن السلورة كانت من سفن البحر الملح مما يتفق وما هو وارد فى المتن أعلاه .

(١) فى الأصل « مجتهدين » .

(٢) فى الأصل « أرموا » .

وجرحوا منهم نحو ستين فارساً ، فعند ذلك انهزم[1] أعداء الدين وكسرت شوانيهم وقطع دابر الذين كفروا والحمد لله رب العالمين، ونهض المسلمون فأخربوا الملاحة وجميع ضياعها وكنائسها وأطلقوا فيها النار ؛ وضبطوا الأسارى الذين أسروهم من عند رأس الماغوصة فوصل عددهم أربعمائة واثنين وتسعين أسيراً :

وبينما المسلمون في تخريب ديار الكفرة وتحصيلهم إذا بشخص قد حضر وصحبته ثلاث عجلات عليها زرد خاناه وقد أرسلها صاحب قبرص إلى الملاحة تقوية لأهلها ومساعدة لهم على قتال المسلمين ، فأخذها المسلمون ووجدوا ذلك الشخص اللذى معه الزرد خاناه أصله جركسياً وأسره[2] النصارى فصار مملوكاً لهم، فأخذه[3] المسلمون وسافروا من الملاحة يوم الإثنين الثامن والعشرين من شهر رمضان فدخلوا اللمسون يوم الأربعاء سلخ شهر رمضان، فنزل في البر منهم مقدار مائة وخمسين من المجاهدين ومعهم بعض مماليك سلطانية ، فدخلوا برجاً هناك فيه نصارى فرموا على المسلمين فجرحوا منهم بعض أناس كونهم غير لابسين فباتوا ليلة العيد هناك ، وأصبحوا يوم العيد فصلوا صلاة الصبح ولبسوا وهم صارخون بالتهليل والتكبير والصلاة على سيدنا محمد البشير النذير ، وأحاطوا بالبرج المذكور ، وجدوا في القتال واجتهدوا فأخذوه بقدرة الله تعالى قبل الظهر ، وصعد السنجق السلطاني عليه مع المسلمين وقتلوا فيه من فرسان النصارى نحواً من

---

(١) في الأصل « انهزموا » .
(٢) في الأصل « وأسروه » .
(٣) في الأصل « فأخذوه » .

متين فارساً وأسروا مائتى[1] أسير وأحرقوا البرج وهدموه فحصل عند المسلمين بذلك من الفرح والسرور ما لا يوصف من النصر على أعداء الله، وإعلاء كلمة الله ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ؛ وصادف هذا الفرح والسرور يوم عيد المسلمين .

ولم يكن فى جزيرة قبرس برج مثل هذا البرج فى التحصين وعظم العمـــارة .

وحضر إلى المسلمين خمسة من أسارى المسلمين كانوا فى مكان يسمى « أسكبية » وكانوا إثنى عشر مسلماً قد أسرهم النصارى وسجنوهم هناك فاتفقوا وهربوا ، وعلم بهم أعداء الله فساروا وراءهم وأدركوا منهم سبعة أنفار فمسكوهم وقيدوهم وخشبوهم وطلعوا بهم الجبل ولم يدركوا الخمسة وأعانهم الله حتى وصلوا إلى المسلمين وذكر أن إسكبية للبنادقة وعندهم أسارى المسلمين .

وذكروا أيضاً أنه وصل مركب قرقورة من البنادقة ودخلت إسكبية وفيها تجار يأخذون السكر وصحبتهم زردخاناه جهزها صاحب البنادقة إلى صاحب قبرس عوناً له وخدمة ليدافع بها المسلمين ، وهى خمسة وعشرون صندوقاً فيها قرا قلات ، وخمسة عشر صندوقاً فيها خوذ ، وثلاثة صناديق فيها سيوف ، وسبع مائة درع وأربعة رءوس خيل دهم ، وستة سروج ، ومائة وخمسون ، حبلا وأربعة قلوع ، وإثنا عشر سرياقات قنب لأجل الشوانى .

(١) فى الأصل « مائتين أسيرا » .

ثم إن المسلمين توكلوا على الله تعالى وسافروا ليلة الثلاثاء السادس من شهر شوال فوصلوا إلى ألطينة[1] التي بالقرب من قطيا من بر المسلمين ، وكان وصولهم إلى ألطينة يوم السبت عاشر شهر شوال ، [١٢٣ أ] ووصل الخبر بذلك إلى السلطان من متولى قطيا : وأخبر أيضاً في كتابه أن الأمير جانبك قد حضر أيضاً إلى ألطينة وصحبته الأسرى من جزيرة قبرس ، فرسم السلطان لهم بتجهيز الملاقاة عليه الأوجاقية والهجانة ، ثم أمر السلطان القاضي كاتب السر أن يتوجه إلى المدرسة الأشرفية ويقرأ الكتاب الذى وصل من الأمير شرباش قاشوق حاجب الحجاب ومقدم عسكر الغزاة على المسلمين ، فقرئ وفيه ما وقع للمسلمين مع النصارى أعداء الدين :

وكان القارئ له القاضي ناصر الدين الفاقوسى[2] على المنبر ، واجتمع بها خلق كثير لا يحصون ، فلما سمعوا ذلك أطلقوا ألسنتهم بالتكبير والتهليل والصلاة والتسليم على سيدنا محمد البشير النذير ، وحصل من الفرح والسرور ما لا يوصف ودقت البشائر وزينت الأسواق .

وفي يوم الأحد الخامس والعشرين من شوال قدمت الأمراء والأجناد من الغزاة وسائر من وصل معهم من ثغر دمياط والأسرى صحبتهم قريباً

(١) هناك مكانان في مصر يعرف كل منهما باسم « ألطينة » ، أحدهما شرق بورسعيد والآخر بمركز جرجا من أعالي صعيد مصر ، أما ألطينة المقصودة في كلام ابن الصيرفي فهي الأولى ، وهي من البلاد القديمة المندرسة ، وقد نعتها ياقوت في معجمة بأنها « بليدة » ، ولكن المرحوم محمد رمزى أنكر ذلك إذ تبين له بالبحث عنها أنها كانت نقطة عسكرية لحراسة الحدود ، وبها قلعة لهذا الفحص ، وتقع على بعد ٣٤ كم شرق مدينة بور سعيد ، انظر في ذلك القاموس الجغرافي ، البلاد المندرسة ج ١ ص ٨٠ .

(٢) هو ناصر الدين محمد بن حسن بن حسن بن سعيد بن محمد ويعرف بابن الفاقوسى ، وهو لقب لبعض آبائه ، وقد ولد بالقاهرة سنة ٧٦٣ واشتغل بالفقه وعلوم الحديث ولبس خرقة التصوف .

من الألف نفر رجالا ونساء وأطفالا ، ومعهم الغنائم التى غنموها من جزيرة قبرس ، وطلعوا إلى السلطان فى الحوش بقلعة الجبل ، وكان يوماً عظيماً : ثم إن السلطان رسم للأمير إينال الششمانى أحد الأمراء العشرات ورءوس النوب أن يتولى بيع هؤلاء الأسرى فنزل إلى باب السلسلة وشرع فى بيعهم أياماً ، وبلغ ثمنهم ثمانية عشر ألف دينار وثمانى مائة دينار ، ثم باعوا حديداً خاصة بخمسمائة دينار ، ثم بقية الغنائم من الجوخ والصوف وأنواع القماش بما يزيد على ألفى دينار :

* * *

الغزوة الثالثة :

كانت فى سنة تسع وعشرين وثمانى مائة وهى الغزوة الكبرى ، وإنما ذكرناها هاهنا ليكون نظام الكلام مرتباً ولوقوع الغزوات الثلاث على نسق واحد فى ثلاث سنين متوالية فنشرع ، وبالله التوفيق :

لما كان يوم الإثنين الثالث من شهر ربيع الآخر عام تسع وعشرين وثمانى مائة عين السلطان لأجل غزوة قبرس من الأمراء المقدمين أربعة أنفس ، وهم : الأمير إينال (١) الحكمى أمير مجلس ، والأمير تغرى بردى المحمودى رأس نوبة كبير ، والأمير قرا مراد خجا الشعبانى ، والأمير تغرى برمش الذى كان نائب القلعة ، ومن الطبلخانات الأمير يشبك السودونى شاد الشراب خاناه الشريفة ، والأمير إينال الأجرود ؛ ومن

(١) كان هو مقدم العسكر فى مراكب البحر فى هذه الغزوة ، أما تغرى بردى المحمودى فكان أميرهم فى البر .

العشرات جانبك السيفى ويلبغا الناصرى ، والأمير تغرى بردى البكلمشى والأمير أيتمش السودونى ، والأمير حطط البكلمشى ، والأمير أقبردى القجماسى والأمير جلبان العمرى ، والأمير قزماى من عبد الكريم ، والأمير جانم المحمدى ، والأمير بيغوت الحكمى رأس نوبة ، والأمير طوخ من عبد الرحمن رأس نوبة ، والأمير قطاوقجا الإبراهيمى رأس نوبة ، والأمير ألطنبغا من إسكندر ، والأمير يونس النوروزى ، والأمير طوغان من غازى ، والأمير يلبغا مقدم البريدية : فعدة هؤلاء الأمراء أجمعين أحد وعشرون أميرا ، وأربعة مقدمون وإثنان طبلخانات وخمسة عشرات ، خارجاً عن المماليك السلطانية وعدتهم ألف نفر .

وفى يوم الإثنين الثالث عشر من جمادى الآخرة من سنة تاريخه حضر جماعة من طرابلس ودمشق وصفد وغزة لأجل الغزو صحبة العسكر المنصور وكان لقدومهم يوم مشهود[1] :

وفى يوم الجمعة الثانى من شهر رجب توجه[2] الأمراء المصريون على بركة الله وعونه :

وفى يوم السبت العاشر من شهر رجب المذكور خرج الجماعة الذين قدموا من بلاد الشام من الأمراء والأجناد وغيرهم .

وفى الثالث والعشرين من تاريخه اجتمعت العساكر كلهم وأوسقوا مراكبهم بالعدة والعدد والآلات والعدد والمياه العذبة والزاد من كل شىء ، ولم يبق لهم شغل سوى الإقلاع ، وانتهى عددهم إلى خمسة آلاف ، ومن

(١) فى الأصل « مشهوداً » .
(٢) فى الأصل « توجهوا » .

الأتراك خاصة ما يزيد على ألفين، ومماليك السلطان نحو ألف ، ومماليك الأمراء المصريين والذين جاؤا من البلاد الشامية نحو ألف ، وغير ذلك من المطوعة من مصر والشام .

وفى يوم السبت الرابع والعشرين من رجب ركب[1] العساكر بأجمعهم وأقلعوا ولم يتأخر منهم إلا الأمير إينال الحكمى أمير مجلس ومقدم العساكر المنصورة ، وأجمع رأى رؤساء المراكب – وهم أكثر من مائة رئيس لمائة مركب ما بين صغير وكبير – أن الريح اليوم ما هو معتدل للسير والإقلاع ، فلم يسمع العساكر منهم ولا التفتوا إليهم ، فعند ذلك [١٢٣ ب] هبت ريح عاصف وأظلم الجو واصطدمت السفن بعضها ببعض فغرقت منها أربعة مراكب بما فيها من القماش والزاد والخيول ، غير بنى آدم فإنهم نجوا ، أحدها مركب الأمير تغرى بردى رأس نوبة ، والأخرى مركب الأمير قرا مراد خجا ، والأخرى مركب الأمير يشبك شاد الشراب خاناه ، والرابعة مركب عسكر طرابلس ، وحصل فى هذا اليوم من الأمور المزعجة والأهوال الصعبة ما لم يوصف ، ولكن الله عز وجل من فضله لطف بخلقه وسلموا ونجوا إلى البر فى الزوارق ، ووصل الخبر بذلك إلى السلطان يوم الخميس سلخ شهر رجب المذكور مع الأمير حطط البكلمشى على هجين ، فحصل عند السلطان من ذلك ألم وغم وهم ونكد ، وكذلك المسلمون .

---

(١) فى الأصل « ركبوا » .

وفى يوم الخميس مستهل شعبان من هذه السنة[١] جهز السلطان الأمير شرباش قاشوق حاجب الحجاب إلى العسكر من أصحاب المراكب التى غرقت يخيرهم بين أن يتوجهوا إلى السفر أو يعودوا إلى القاهرة ، ويأمر بقيـــة العساكر بالتوجه إلى ما هم بصدده، ورسم لهم بعـــوض ما تلف وغرق ، وأرسل إليهم خمس مائة قنطار بقسماط وثلاثين ألف سهم[٢] من النشاب ، وثلاثين قرقلا وغير ذلك مما يحتاج إليه المسافرون :

وفى يوم الأربعاء آخر النهار الثالث عشر من شعبان قدم الأمير شرباش حاجب الحجاب وأخبر السلطان أنه رتب أحوال الغزاة كما برزت المراسيم الشريفة وأنهم أجمعون ركبوا المراكب وتوجهوا نحو الإسكندرية ليسافروا منهـــا .

وفى يوم الثالث عشر من شعبان المذكور أقلعت[٣] المراكب وعزموا متوكلين على الله العزيز القدير ، رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة والتسليم على البشير النذير ، فوصلوا إلى جزيرة قبرس يوم الأربعاء السابع والعشرين من شعبان المـــذكور فنزلوا بحول الله وقوته وضربوا خيامهم فى أرض الجزيرة ، وبعد أن أقام منهم جماعة فى المراكب مستعدين متجهزين للقتال دهمهم مراكب لبعض الفرنج :

ثم إن بعض المسلمين توجهوا لقلعة لمسون فوجدوها قد عمرها الفرنج أحسن مما كانت وأحصن ، وكان المسلمون قد ملكوها فى الغزوة السابقة : فعملوا لها خندقاً عظيماً ، فنصب عليها الغزاة الفرسان سلالمهم وصعد عليها

---

(١) يعنى سنة ٨٢٩ .

(٢) فى الأصل « مهما » .

(٣) فى الأصل « أقلعو » .

بعض الفُرسان الشجعان فلم يلحقوا رأس السور لقصر السلالم عنه مقدار ذراع وأكثر ، فتعلق شخص منهم وطلع إليها وهو عريان من السلاح وحماه الله تعالى ببركة دين الإسلام مع أن بها ستين مقاتلا بالعدد والأسلحة ، فخذلهم الله تعالى عن هذا الفارس، ولما استولى عليها تبعه القوم وتكاثروا، فعند ذلك هرب الفرنج وملك المسلمون القلعة ونصبوا عليها السنجق السلطانى وأطلقوا ألسنتهم بالتهليل والتكبير والصلاة والتسليم على سيدنا محمد البشير النذير ، وقتلو من فيها من المقاتلة .

ووصل الخبر بذلك إلى السلطان يوم السبت السابع من شهر رمضان مع شخص يقال له جانى بك النوروزى ، وأخبر أن المسلمين وصلوا إلى جزيرة قبرس سالمين وانتصروا على الكفرة المتمردين فى قلعة لمسون ، وأن صاحب قبرس حصن مدينته ، وأن عنده من الفرسان المقاتلة ألفى فارس ونحو ثمانية آلاف راجل ، وأن غالب الرعية منهم هربوا إلى الجبال المنيعة ، وحضر معه خمسة من الأسرى فعرضوا على السلطان فأعرض[1] عليهم الإسلام فأسلم منهم أربعة وامتنع واحد منهم فضربت عنقه بالرميلة ، ودقت البشائر بسبب ذلك وكان يوماً مشهوداً .

وزاد النيل فى هذا اليوم المبارك عشرين[2] إصبعا فضم الفرح إلى الفرج وتباشر الناس بالخير والظفر :

* * *

وأما الغزاة هناك فانهم لما فتحوا قلعة لمسون شرعوا فى هدمها وتخريبها .

---

(١) أى عرض .

(٢) فى الأصل « عشرون » .

ثم فى يوم السبت سلخ شهر شعبان المذكور حضر إلى ميناء اللمسون غراب مستعد مشحون بالرجال المقاتلين وصحبتهم العدد والآلات ، فبرز عند ذلك على الفور الأمير تغرى بردي المحمودى رأس نوبة وجهز غرابه وهو فيه ، وطلب غراب الكفرة اللئام ، وتبعه آخر من المسلمين ، فلما رأوا ذلك ولوا منهزمين مخذولين، وسار إليه من البر فرسان من المسلمين مجردين منهم : أركماس العلائى وإياس الطويل، فوجدوا [١٢٤ ا] غراب العدو الذى انهزم منهم قد أرسى بساحل البحر ، وطلع منه جماعة إلى البر وهم مسلحون، وأطلق فرسان المسلمين خيولهم على هؤلاء الكفرة فهزموهم ووضعوا فيهم السيوف وقتلوا منهم خمسة أنفار وقطعوا رءوسهم وعلقوها على جدار قلعة اللمسون :

* * *

ثم بعد ذلك قصد العساكر المجاهدون التوجه من المراكب إلى ميناء الملاحة فلم يوافقهم الأمير تغرى بردى رأس نوبة، وآخر الأمر اتفقوا على أن يسير الأمير تغري بردى بمن معـــه من المعينين فى البحر ويكون اجتماعهم بعد ذلك بميناء الملاحة يوم الأحد مستهل شهر رمضان المعظم قدره ، ثم ساروا كلهم معلنين أصـــواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على ســـيدنا محمد البشير النذير من البر والبحر ، فلم يسر الأمير تغري بردى إلا مدة يسيرة [إلا] وقد طلع عليهم طلائع الفرنج وكشافتهم وهم نحو ثلاث مائة فارس مع جمع كثير من المشاة ، فتوجه إليهم من المسلمين ثلاثون فارسا من الشجعان ومعهم بعض المشاة ، فحملوا عليهم حملة صادقة مع التوكل

---

(١) فى الأصل « رأوا » .

الصادق على الله عز وجل ، وإعلانهم بالتكبير والتهليل ، والصلاة على البشير النذير ، فلما رأى الكفار ذلك ولوا على أعقابهم ناكصين مخذولين ؛ ولما انهزموا لم يلبثوا إلا ساعة لطيفة حتى أقبل صاحب قبرس ومعه جيشه : والطلائع الذين انهزموا ومعه خلق كثير من الإفرنج من سائر البلدان : الكتيلان ورودس ، ومعهم أيضا تراكمين استخدموهم بالمال وجمعهم مقدار عشرة آلاف أو أكثر فتلاقى الجمعان ووقع الحرب وحمى الوطيس وقامت الحرب على ساقها من الساعة الرابعة من النهار المذكور، والسيف يعمل فى أبدانهم ، وأسنة الرماح تطعن فى أعناقهم ، فى الحال عادت كثرتهم قلة، وقوتهم ضعفا ، وأنزل الله النصر على عباده المؤمنين ومن الله عليهم بالظفر والفتح المبين ، وهزم الله أعداء الدين ، فقتل منهم جمع لا يحصون وجرح آخرون ، ولم ينج منهم إلا من تأخر أجله من علم المكنون ، ووقع صاحب قبرس فى أيدى المسلمين ، وجرح فى ثلاثة مواضع ، ووقع فى قبضتهم كبير طائفة الكتيلان ، وقتل فى المعركة أخو صاحب قبرس، قتله تغرى بردى البكلمشى [المؤذي] ،وصارت الخيول تخوض فى دماء الكفار والمشركين .

ثم بعد ذلك تفرق المسلمون فى بلادهم وقراهم فأخربوا وحرقوا وسبوا وغنموا وهدموا كنائس كثيرة، ومن جملة ما هدموا وأحرقوا الموضع الذى كان فيه صليبهم الأعظم الذى كانوا يعبدونه ويقصدونه من البلاد البعيدة .

ولم يزل المسلمون فى ذلك اليوم فى القتل والسبى والتخريب والتحريق إلى آخر النهار ، ثم اجتمعوا فى ميناء الملاحة ووصلت المراكب التى فيها بقية عسكر الإسلام إلى الميناء المذكورة أيضاً يوم الأربعاء من هذا الشهر

الشريف ، ثم وصل إليهم أخبار متوالية بأن لصاحب قبرس أخا آخر ، وأنه قد حصن الأقفهسية التي هي كرسي قبرس ، وأنه تأهب للقتال مع بقية عساكرهم ، فعند ذلك ركب الأمير تغرى بردى رأس نوبة ومعه طائفة من العسكر المنصور وتوجه لأخذ الأقفهسية ، ثم تبعه الأمير تغرى برمش مع طائفة منهم .

وأما الأمير إينال الحكمى فإنه استمر فى المراكب لحفظ جانب البحر فلم يشعر إلا وقد حضر فى البحر سبعة قراقير وثمانية أغربة فيها القرقورة الكبيرة التي كانت وصلت إلى ثغر سكندرية ، فحين وصلوا شرعوا فى القتال ، وبادر الأمير إينال الحكمى أيضاً بمن معه واشتغل بالقتال ، وأرسل قاصداً إلى الأمير تغرى بردى يعلمه بهؤلاء الواصلين ، فأدركه القاصد فى أثناء الطريق وأعلمه بذلك ، فعاد الأمير تغرى برمش أحد المقدمين الألوف والأمير يشبك المشد والأمير إينال الأجرود وبقية الأمراء ومعه نحو ستين فارساً لا غير ، ووقع الحرب العظيم فى البحر ، واستمر القتال إلى بكرة نهار الخميس خامس الشهر الشريف ، واجتهد الأمير إينال الحكمى بمن معه فى المراكب اجتهاداً عظيماً وصار منهم من يلقى نفسه على مراكب أعداء الله مع تكاثر المدافع والسهام ، وآخر ذا من الله تعالى بالنصر للمسلمين على الكافرين ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ، فهزموهم بإذن الله وقتلوا منهم من أول القتال إلى آخر الانفصال مائة وأحدا [١٢٤ ب] وسبعين نفراً ، وانهزمت البقية منهم وولوا مدبرين ، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .

وأما الأمير تغرى بردى رأس نوبة فإنه توجه بمن معه إلى الأقفهسية كرسي صاحب قبرس وفتحها بكرة يوم الخميس خامس الشهر الشريف

ودخل فيها ونزل بالقصر الذى هو مستقر صاحب قبرس، ثم أشهر النداء فى مدينة قبرس بالأمان والاطمئنان ، وأنها صارت من جملة مدن السلطان الملك الأشرف :

واتفق أعيان أهل قبرس وتجارها أن يجمعوا من بينهم مالا ويقدموه للسلطان بسبب مناداة الأمان لهم ، وحضروا إلى خدمة الأمير تغرى بردى رأس نوبة وقدموا له بعض شيء وأخبروه أن يجمعوا للسلطان مالا ، فقرر الأمر معهم على ذلك :

ثم فى بكرة النهار الذى هو يوم الجمعة السادس من شهر رمضان وصل الأمير تغرى برمش ومعه بعض مماليك، ولم يسمعوا عن الأمان الذى أعطاه الأمير تغرى بردى [المحمودى رأس نوبة] لأهل قبرس وشرعوا فى النهب والقتل والأسر ، ووقع جفل عظيم وخباط كثير ، وأخذوا شيئاً لا يعد ولا يحصى من أهل قبرس وبلادها وأسروا خلقاً كثيراً ، وأخطأوا فى هذا الفعل لأن ذلك بعد الأمان غير جائز وليس ذلك من شروط الغزو ، ثم بعد هذا أطلقوا النار فى قصر الملك ولم يخرج منه الأمير تغرى بردى رأس نوبة إلا بألف جهد ، ثم توجهوا أجمعين إلى ناحية المراكب فى البحر :

وهذا الفتح العظيم والنصر المبين لم يتيسر لأحد من سلاطين بنى أيوب ومن بعدهم من سلاطين الترك ولا من قبلهم أيضاً على هذا الوجه إلا لأمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان وكان ذلك فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وجهزوا الأمير جانبك رأس نوبة للبشارة بهذا الفتح العظيم والنصر العزيز للسلطان ولسائر المسلمين .

وفى يوم الأحد الثانى والعشرين من شهر رمضان سنة تاريخه حضرت بطاقة من ألطينة التى بالقــرب من قطيا تتضمن حضور جانبك المذكور وصحبته مماليك .

وفى يوم الإثنين الثالث والعشرين منه قدم الأمر جانبك المذكور ومعه كتب من الأمراء المذكورين تتضمن جميع ما قدمناه من الأمور ، وأنهم واصلون وصحبتهم صاحب قبرس مأسوراً فى غاية الذل والهوان ، فعند ذلك دقت البشائر وزينت البلد وأبواب بيوت الأمراء ، ورسم السلطان أن يتوجه لملاقاتهم أربعة أمراء طبلخانات وأربعمائة نفر من المماليك السلطانية ويجتهدوا فى تحصيل مراكب بدمياط وسكندرية ، ورسم لهم بخيول وهجن ومأكل وإقامات ، ثم أمر القاضى بدر الدين بن مزهر كاتب السر أن يقرأ الكتاب – الذى وصل – فى الأشرفية والمؤيدية ، فحضر كاتب السر والقضاة الأربعة إلى الأشرفية ، وصعد القاضى شرف الدين الموقع الحلبى نائب كاتب السر منبر الأشرفية وقرأ الكتاب وضجّ الناس المجتمعون بها بالتهليل والتكبير والصلاة على سيدنا محمد البشير النذير ؛ ثم توجهوا إلى المؤيدية ، ووقف القاضى شهاب الدين بن تقى المالكى خليفة الحكم العزيز بالديار المصرية فى أحد شبابيك المؤيدية المطل على الطريق وقرأ الكتاب فضج الناس والعوام بالتهليل والتكبير والصلاة والتسليم ، وكان يوماً مشهوداً وجمعاً محموداً .

وفى يوم الأربعاء ثالث شوال وصلت مراكب كثيرة من المجاهدين إلى دمياط متوجهين إلى القاهرة :

وفى يوم الإثنين الثامن من شوال دخل المجاهدون القاهرة وصحبتهم صاحب قبرس فى غاية الذل والهوان والتنكيل وهو راكب بغلة عرجاء ، وقد زينت البلد وخرجت البنت من خدرها ، وسنجقه مسحوب بين يديه على الأرض وكان يوماً مشهوداً ، ووقفوا بين يدى السلطان فى الحوش بالقلعة وعرضوا عليه أولا صاحب قبرس ، ثم عرضوا الأسارى طائفة طائفة، ثم عرضوا الغنائم من سائر الأصناف ، وكان يوماً عظيماً .

ثم رسم السلطان بتعويق صاحب قبرس فى برج من أبراج القلعة .

وفى يوم الثلاثاء تاسع شـــوال أمر السلطان بتقويم السبى والغنائم تقويماً وأن يفرق على المجاهدين بقدر أنصبائهم[(١)] ، ورسم أن يجهز للأمراء جماعة من السبى ليفرقوهم على من كانوا معهم .

وفى يوم الأربعاء عاشر شوال أمر السلطان ببيع بقية الأسرى فى الرحبة التى قدام بيت الأمير النائب [١٢٥ أ] عند الإيوان بالقلعة ، فأحضروا تجار سائر الأسواق لأجل بيع البضائع والأقمشة من الغنائم ، وأما صاحب قبرس فإنه لم يزل مقيما بالبرج الذى فى القلعة إلى يوم السبت السابع والعشرين من شهر ربيع الآخر من سنة ثلاثين وثمان مائة ، فأطلقه السلطان فى هذا اليوم وخلع عليه خلعة سنية وأركبه فرساً مسرجاً بذهب وكنبوش زركش ونزل فى الكافورى ، وقرر عليه مائتى ألف دينار يقوم منها بمائة ألف دينار عاجلا ، ومائة ألف أخرى إذا وصل إلى بلاده يرسلها فى آخر السنة المذكورة ، ثم إن الأمير التاج متولى القاهرة شرع فى التوجه صحبة صاحب قبرس إلى

(١) أى أنصبتهم .

المفترجات[1] والمتنزهات ونوع له المآكل والمشارب والحلاوات وصنع له ضيافات ، ثم بعد أيام قليلة سافر إلى ثغر سكندرية وأقام بها قليلا ثم ركب البحر المالح وتوجه إلى محل ولايته ، خذله الله تعالى .

* * *

ذكر بقية حوادث
سنة ثمان وعشرين وثمان مائة

فمنها :

يوم السبت السادس من شعبان حصلت زلزلة وقت طلوع الشمس وحصل للمسلمين منها رعب شديد ، ولكن الله لطف بالمسلمين وأسكنها على الفور ولم تستمر حتى إن غالب الناس لم يشعروا بها .

ومنها أن السلطان الملك الأشرف عطف على الأمير طراباى[2] الظاهري المعتقل بثغر سكندرية ورسم بإطلاقه لكن بشرط توجهه إلى القدس الشريف ، فأخرج من الاعتقال ، وتوجه بيبغا مقدم البريدية وأوصله إلى القدس ولم يدخل به القاهرة .

* * *

وفيها في الثاني والعشرين من رمضان أوفى الله النيل ونزل إلى كسر الخليج المقام الناصري سيدى محمد ولد المقام الشريف وصحبته الأمير أزبك

---

(١) أى إلى أماكن الفرجة والنزهة .

(٢) هو الأمير طرباى الظاهرى برقوق وقد أمسكه برسباى قبل سلطنته وحبسه بإسكندرية وكان موته بنيابته فى طرابلس سنة ٨٣٧ . انظر إنباء الغمر ؛ ج ٣ ص ٥٥٨ .

الدوادار والأمير جانبك الدوادار الثانى والأمير تغرى بردى المحمودى رأس نوبة كبير ، وكان موافقاً الرابع عشر من مسرى[(١)] .

وفى هــذه السنة حج بالناس الأمير تغرى بردى المحمودى رأس نوبة النواب *

* * *

ذكر من توفى فيها من الأعيان

٦٢٩ — قاضى القضاة علاء الدين[(٢)] على بن محمـــود بن أبى بكر الحنبلى الحموى المصرى الشهير بابن مغلى ، قدم إلى القاهرة فى أيام السلطان الملك المؤيد بواسطة القاضى ناصر الدين بن البارزى كاتب السر الشريف ، وتولى قضاء القضاة بالديار المصرية على مذهب الإمام أحمد بن حنبل عوضاً عن قاضى القضاة مجد الدين سالم الحنبلى ، ولم يزل فى القاهرة على منصبه مع حرمة وافرة ونعم متطافرة حتى إن امرأة شكت إليه السلطان المؤيد فأرسل يعلمه بذلك ، فجهز له الخازندار وكيلا عنـــه فسمع دعواها وأرضاها وفرح السلطان بذلك وحمد الله تعالى الذى جعل فى مملكته قاضياً يخلص الحق منه .

(١) الوارد فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٤١٤ ، أن غاية فيضان النيل هذه السنة بالروضة بلغت عشرين ذراعاً ، ويتفق معه فى التاريخ القبطى .

(٢) « نور الدين » فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٧٨٦ ، ومع ذلك فقد ذكره فى المنهل الصافى بلقب « علاء الدين » وكذلك فى إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٣٥٧ ؛ ترجمة رقم ١٢ ، انظر أيضا: Wiet; Les Biographies du Manhal Safi, No. 1666.

ووقع من حافة إيوانه[1] فكسرت رجله فاستمر متمرضاً مدة ، ثم توفى يوم الخميس العشرين من صفر[2] وقت العصر وصلى عليه صبيحة يوم الجمعة فى الجامع الأزهر ، وكان الذى صلى عليه قاضى القضاة شمس الدين الهروى الشافعى ثم صلى عليه مرة أخرى فى مصلى باب النصر ودفن فى تربة خارج باب النصر وكانت جنازته حافلة جـداً وخلف مالا كثيراً ، ولم يخلف ولداً [ولكن] خلف ابن عم، وأوصى لفقراء أهل العلم من المذاهب الثلاثة بمال من ماله له جرم نحو الخمسمائة دينار وأكثر ، وبمثلها للتربة التى دفن فيها ، وأوصى من كتبه لجماعة من العلماء بنحو خمسين كتاباً بالخزانة بمدرسة الملك الأشرف برسباى ، واحتاط على تركته ابنُ عمه وخَدَمَ أهل الدولة بمال حتى سكتوا عنه ومكنوه من التصرف فى التركة .

وكان رحمه الله من أهل الفضل والعلم والإتقان والحفظ الزائد والملكة القوية ، بحراً لا يجارى فى سائر العلوم مع الفهم والتحقيق والنظر والتدقيق، لُقِب بمفتى الفرق ، وكان يستحضر من كل مذهب كتاباً فى الفقه حفظاً كالمـــاء الجارى .

كنت صغيراً نحو العشرسنين إذ ذاك عمرى وأنا غالب إقامتى فى بيته وعند ولده محيي الدين نقرأ القـــرآن جميعاً، وكان يسمينى بالولد ،وكان لوالدى عنده منزلة عظيمة فإنه بلديه من مدينة حماة وأكثر إقامتنا عنده وكان يحفظ « مجمع البحرين » فى فقه الحنفية كالمـــاء الجارى رحمه الله وغفر له .

(١) ذكر ابن حجر — وكان من معارفه — أنه وقع من السلم ،وأنه ثار به القولنج الصفراوى ، راجع إنباء الغمر ، ج ٣ص ٣٣٠ ، ٣٥٨ .

(٢) فى النجوم الزاهرة ج٦ ص ٧٨٦ « محرم » ،وقد رجح بوبر أن يكون صفر هو الصحيح اعتماداً على أن الخميس كان العشرين منه ، ويتفق هذا مع ماجاء فى التوفيقات الإلهامية ص ٤١٤ من أن أول صفر كان يوم السبت .

فصـــل

فيما وقع من الحوادث

فى السنة التاسعة والعشرين بعد الثمـــان مائة

استهلت هذه السنة والخليفة المعتضد بالله العباسى ، والخليفة المستعين بالله مخلوع عن الخلافة مقيم باسكندرية ، وسلطان البلاد المصرية والشامية والحلبية الملك الأشرف أبو النصر برسباى الدقماق الجاركسى ، والأمير الكبير أتابك العساكر [١٢٥ ب] بالديار المصرية قجق العيساوى ، وأمير سلاح إينال النوروزى ، وأمـــير مجلس إينال الجكمى ، والدوادار الكبير أزبك ، ورأس نوبة كبير تغرى بردى المحمودى ، وأمير آخور كبير الأمير جقمق أخو جركس المصارع .

وكاتب السر بدر الدين بن مزهر ، وناظر الجيوش المنصورة زين الدين عبد الباسط ، والوزير عبد الكريم بن تاج الدين بن كاتب المناخات ، وناظر الخواص الشريفة كريم الدين بن كاتب جكم ، وأستادار العالية زين الدين عبد القادر بن الأمير فخر الدين أبى الفرج .

وقاضى القضاة الشافعية شهاب الدين أحمد بن حجر ، وقاضى القضاة الحنفية زين الدين عبدالرحمن التفهنى ، وقاضى القضاة المـــالكية شمس الدين البساطى ، وقاضى القضاة الحنابلة محب الدين نصر الله البغدادى .

والوالى بالقاهرة ومصر التاج الشوبكى ، والمحتسب بمصر والقاهرة القاضى بدر الدين محمود العينى ولكنه عزل يوم الاثنين منتصف صفر وتولى عوضه الأمير إينال الششمانى أمير عشرة ورأس نوبة صغير :

وناثب إسكندرية آقبغا التمرازى الذى كان أمير مجلس ، ونائب غزة الأمير تمراز ، ونائب صفد الأمير مقبل ، ونائب دمشق الأمير سودون من عبد الرحمن ، ونائب حلب الأمير جارقطلو ، ونائب طرابلس الأمير خسرو ، ونائب حماة الأمير جلبان .

وقاضى القضاة الشافعية بدمشق الشريف شهاب الدين الحسنى ، وقاضى القضاة الحنفية شهاب الدين أحمد بن كشك ، والقاضى المالكى شمس الدين الأموى ، والقاضى الحنبلى ابن الحبال الطرابلسى .

وكاتب السر جمال الدين عبد الله الطرابلسى الذى كان كاتب السر بالديار المصرية ، وناظر الجيش بدر الدين حسن .

وقاضى القضاة الشافعية بحلب علاء الدين بن خطيب الناصرية ، والقاضى الحنفى جمال الدين يوسف السمرقندى ولكنه توفى وأعيد القاضى شمس الدين ابن أمين الدولة إلى القضاء على عادته ، والقاضى المالكى ابن الشحنة ، والقاضى الحنبلى شمس الدين بن خازوق ، وكاتب السر ناصر الدين ابن السفاح :

* * *

وفى أوائل ربيع الأول خلع على سودون[1] المفرق أمير عشرة واستقر أحد الحجاب الصغار بالقاهرة ، وخُلع أيضاً على كمشبغا[2] من حاجى واستقر حاجباً صغيراً، وعزل ألطنباش عن الحجوبية ، وكان أحد الحجاب الصغار من الأجناد الظاهرية برقوق .

* * *

وفى يوم الإثنين الثالث عشر من صفر قدم قاصد من عند الملك شاه رخ بن تمرلنك وعمل له خدمة فى القصر الأوسط يوم الخميس السادس عشر من صفر وكان مكثه فى السفر تسعة أشهر :

وفى يوم الثلاثاء الثالث عشر من ربيع الأول قدم الأمير خسرو نائب طرابلس إلى القاهرة وتمثّل لدى المواقف الشريفة : وخُلع عليه خلعة الاستمرار ، وكان السلطان جهز إليه عند الملاقاة كاملية سمور وسرج ذهب وكنبوش زركش وفرساً خاصاً .

وكذلك قدم الأمير يربغا[3] التنمى من عند صاحب اليمن وكان السلطان قد أرسله إلى صاحب اليمن وكان معه جماعة خلفهم فى المراكب[4] حين خرج

---

(١) لعله سودون المغربى الذى تأمر بعد موت شيخ واستقر حاجبا فى الأيام الأشرفية ، وكان موته سنة ٨٤٣ ، انظر النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ٢٦٦ والضوء اللامع ٣ / ١٠٧٤ .

(٢) هو كمشبغا من خجا الظاهرى برقوق ، وكان ممن اشتغل بالعلم وجعله الأشرف برسباى من جملة الحجاب ومات مقتولا سنة ٨٣٠ ، انظر عنه الضوء اللامع ٦ / ٧٩ .

(٣) أوردته النجوم الزاهرة فى أكثر من موضع بالباء الموحدة (ج ٦ ص ٥٩٦ ، ٧١٤ ، ٧١٦) ولكنه فى الضوء اللامع « يربغا » بالياء التحتانية المثناة أما قصة السفر إلى اليمن فقد ذكرتها النجوم ، ج ٦ ص ٥٩٦ بأن البعض كان قد أغرى برسباى بأخذ اليمن « وهون عليه أمرها » فأرسل السلطان هدية لصاحب اليمن مع يربغا هذا ، غير أن بعض رجالاته ممن كانوا معه وثبوا على بعض أتباع صاحب اليمن مما أغضبه ورده إلى القاهرة .

(٤) وهى المراكب التى بقيت فى حلى بنى يعقوب .

الاقاة صاحب اليمن فوقع بينهم[1] بعض مناوشة وقتال ، فتغير صاحب اليمن حين بلغه ذلك ولم يكرمه ولا التفت إليه .

وحضر فى هذه الأيام الأمير شاد بك[2] [الحكمى] أمير عشرة وأحد رءوس النوب من ينبع ومعه عدة من المماليك السلطانية ، وكان السلطان جهزهم لأجل فتنة وقعت مع صاحب الينبوع .

وفى يوم الإثنين الثالث من ربيع الآخر سافر الأمير خسرو[3] إلى طرابلس على عادته فى النيابة . وخلع عليه خلعة السفر ، ثم أرسل إليه السلطان خلعة أخرى وهى كاملية مخمل أخضر بسمور .

وفى يوم الإثنين الثامن من ربيع الآخر خلع على الأمير يشبك الساقى الأعرج واستقر أمير سلاح بالديار المصرية عوضاً عن الأمير إينال النوروزى بحكم وفاته .

وفى يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من ربيع الآخر خُلع على الشيخ كمال الدين محمد بن الهمام واستقر فى مشيخة مدرسة السلطان الملك الأشرف عوضاً عن الشيخ علاء الدين الرومى بحكم رغبته عنها وتوجهه إلى بلاد الروم .

* * *

(١) جاءت هذه العبارة فى الأصل هكذا « فوقع بينهم أمامين من جهة صاحب اليمن بعض مناوشة » .

(٢) انظر عنه النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ٣٤٢ .

(٣) اعتبرت النجوم الزاهرة خروجه لطرابلس يوم السبت أول ربيع الآخر .

وفى يوم الأربعاء السادس[1] والعشرين من ربيع الآخر اجتمعت الحنفية فى قصر السلطان وقت العصر بسبب مدرسة شيخون ومشيخة الخانقاه ووقع كلام كثير ، فتأخر الأمر عين السلطان القاضى زين الدين عبد الرحمن التفهنى فى المشيخة ،وعين القاضى بدر الدين العينتابى لقضاء القضاة الحنفية بالديار المصرية عوضاً عن التفهنى .

وفى يوم الخميس الثامن والعشرين من ربيع الآخر خُلع على القاضى بدر الدين العينى قاضى القضاة الحنفية [١٢٦ أ] بالديار المصرية وخلع على القاضى زين الدين التفهنى فى هذا اليوم واستقر شيخ الشيخونية عوضاً عن الشيخ سراج الدين قارىء الهداية بحكم وفاته ، وكان قصد التفهنى أن يجمع القضاء والمشيخة ، فما تمّ له ذلك .

وفى يوم الأحد سلخ ربيع الآخر حضر الأمير أرنبغا أمير عشرة ورأس نوبة من مكة المشرفة وصحبته المماليك السلطانية الذين تأخروا هناك بعد توجه الأمير قرقماس وعدتهم نحو السبعين نفراً ، وخلع على أرنبغا خلعة بطراز .

وفى يوم الأحد الرابع عشر من جمادى الأول جاء الخبر من نائب حلب بأنه ركب ببعض العساكر وتوجه إلى عينتاب وكبس على نائبها الأمير عليباك بن ذلغادر وقبض عليه وعلى جماعة من حاشيته المفسدين ، فقتل منهم جماعة، وصفد الباقين مع عليباك وسلمهم إلى نائب القلعة بحلب ، وفرح الناس بذلك فرحاً شديداً لمـــا كان يصدر منهم من أنواع الظلم والفسق والفجور .

---

(١) هكذا فى الأصل والصحيح ٢٧ منه ؛ هذا ويلاحظ أن المؤلف كرر فى هذا الخبر ما أورده حالا بشأن العينى والتفهنى .

وفى يوم الخميس الرابع عشر من شهر شعبان قدم جماعة من أولاد ناصر الدين بن ذلغادر ومن حاشيته ومعهم امرأة كبيرة القدر من قومهم لأجل الشفاعة فى عليباك المذكور ، ولم تنفعه هذه الشفاعة وأخذه الله أخذ عزيز مقتدر فقتل على يد الكفيلى جارقطلو وأراح الله البلاد والعباد من ظلمه وفساده .

وفى اليوم المذكور أخذت إمرة الأمير أيتمش الخضري وأنعم بها على سرق[1] قريب الملك الظاهر ططر ، وكانت إمرة عشرة ، وأعطى إقطاعه للأمير أيتمش المذكور .

وفى يوم الإثنين الثالث عشر من شهر جمادى الآخرة خُلع على القاضى عز الدين عبد العزيز بن على بن العز البغدادى المقدسى الحنبلى واستقر فى قضاء القضاء الحنابلة بالديار المصرية عوضاً عن القاضى محب الدين أحمد ابن نصر الله البغدادي بحكم عزله[2] .

وفى يوم الخميس الثالث[3] عشر من رمضان خرج إقطاع الأمير قجق العيساوى باسم الأمير يشبك الساقى الأعرج ، وخرج إقطاع يشبك باسم الأمير قرقماس الذى كان حاكماً بمكة المشرفة ، وخرج إقطاع الأمير

---

(١) الصواب فيه بالصاد فقد ورد بهذه الصورة فى أكثر من موضع من النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٩١٣ (كشاف الأعلام تحت اسم صرق الظاهرى) كما ورد فى اسم آخر فى نفس المرجع ، ج ٦ ص ٢٥٤ هو « بنت صرق » ، وبهذا الرسم أيضا ورد فى الضوء اللامع ٣ / ١٢٣٧ حيث قال إنه اسم الرنج وإن لم تكن الترجمة الواردة هناك هى ترجمة صرق المشار إليه فى المتن .

(٢) الواقع أن عزله كان بسبب سوء سيرة أخيه وابنه .

(٣) يضطرب المؤلف فى تحديد أيام هذا الشهر فهو يعتبر الخميس ١٣ رمضان ، ثم فى ص ١٠٤ س ٥ يجعل السبت ١٤ منه ، ثم فى ص ١٠٤ س ١٠ يجعل الأثنين ١٦ رمضان ، وفى نفس الصفحة س ١٤ يجعل الخميس ١٦ منه ، ثم يعود فى س ١٨ فيجعل الخميس ٢٦ ، وبعد قليل يجعل السبت ٢٨ منـــه .

قرقماس باسم الأمير بردي باك أحد الأمراء الطبلخانات وأمير آخور ثانى، وخرج إقطاع الأمير بردى بلك باسم الأمير يشبك أخى المقام الشريف، وخرج إقطاع يشبك باسم الأمير برد بلك الإسماعيلى الذي كان كاشف النواب بالشرقية .

وفى يوم السبت الرابع عشر من رمضان هذه السنة خلع على الأمير يشبك الساقى الأعرج أميرسلاح واستقر أتابك العساكر المنصورة بالديار المصرية عوضاً عن الأمير قجق [العيساوى] بحكم وفاته، وخلع أيضاً على الأمير سودون ميق واستقر أمير آخور ثانياً عوضاً عن الأمير برد بلك بحكم انتقاله إلى التقدمة .

* * *

وفى يوم الإثنين السادس عشر من رمضان حضر المقام الشريف وقدم قود نائب حلب (وهو الأمير جارقطلو) صحبة خازنداره، وهو من الخيول مائة رأس ما بين أكاديش وفحول ، وخمس قطر جمال، وأحمال قماش ما بين سنجاب وسمور وثياب صوف وبعلبكى .

وفى يوم الخميس السادس عشر من رمضان كانت خدمة الإيوان بسبب قدوم رسل ابن عثمان صاحب الاجات إلى بر[1] قسطنطينية وصحبتهم من التقدمه تسعة[2] مماليك ، ومن القماش عدة أحمال ما بين سنجاب وسمور وحرير .

وفى يوم الخميس السادس والعشرين من رمضان خُلع على الأمير يشبك الأعرج واستقر فى نظر البيمارستان المنصوري ، وخلع أيضاً على

(١) أى الممتدة إلى بر القسطنطينية .

(٢) فى الإصل « تسع ».

الشريف بركات[1] بن حسن الحسنى صاحب مكة وكان قد قدم من الحجاز يوم الإثنين الثالث والعشرين من رمضان .

وفى يوم السبت الثامن والعشرين من رمضان قدمت تقدمة الأمير سودون من عبد الرحمن كافل المملكة الشامية، : التقدمة إثنا عشر ألف دينار وحملت على أقفاص الحمالين ما بين سمور وسنجاب وقاقم، من كل صنف عشرة أحمال، ومن البعلبكى خمسون حملا ، ومن الصوف عشرة أحمال ، وخمسون حملا قسى شامية، ومائة وخمسون رأساً منها خمسة بالسروج الذهب والكنابيش الزركش ، ومنها ثلاثون رأساً بعبي قلعية، ومن الجمال مائتان وخمسون رأساً ومن البخاتى قطاران ، قيل إن جميع ذلك قُوم بثلاثين ألف دينار .

وفى يوم الثلاثاء تاسع شوال حضرت تقدمة صاحب الغرب وهى ثلاثون رأساً من الخيل بأغشية كلها بيض ، وكذلك قدمت تقدمة ابن سالم الدوكارى أخى صاحب الموصل . ثلاث بخاتى خاص عديمة النظير ، وكانت أربعة ، مات منها واحد فى الطريق .

وفى هذا اليوم أخرج السلطان فحلا [١٢٦ ب] خاصاً بسرج ذهب وكنبوش زركش وسُلِّم لقاصد نائب الشام الذى حضر صحبته القود ليتوجه به إلى أستاذه .

وفى يوم السبت الثالث عشر من شـــوال خُلع على الأمير قرقماس واستقر حاجب الحجاب بالديار المصرية عوضاً عن الأمير شرباش قاشوق،

(١) فى الأصل « ابن البركات حسن الحسنى » والصواب ما أثبتناه بالمتن كما جاء فى الضوء اللامع ٣ / ٥٠ ، أما كنيته فأبو زهير ، وكان مولده سنة ٨٠١ ، وموته فى شعبان سنة ٨٥٩ بأرض خالد من وادى مر بأعمال مكة ، ويلاحظ أنه عاد إلى مكة أميراً مكان أبيه .

وخلع على الأميرشرباش قاشوق واستمر أمير مجلس عوضاً عن الأمير إينال الحكمى ، وخلع على الأمير إينال المذكور واستقر أمير سلاح عوضاً عن الأمير يشبك الساقى الأعرج بحكم انتقاله إلى الأتابكية .

* * *

وفى يوم الثلاثاء السادس عشرمن شوال قدم الأمير عيد بن نعيركبير العربان، ولما قرب القاهرة تلقاه الأمراء إلى قبة النصر ،أما الأمير جانبك الدوادار الثانى فإنه تلقاه من الخانقاه—أعنى سرياقوس—ونام عنده ليلتين وأخذ صحبته من السلطان كاملية مخمل بسمور .

وفى يوم الخميس السادس والعشرين من ذى الحجة الحرام قدم الأمير جارقطلو نائب حلب ونزل فى بيت طشطمر حمص أخضر ، وكان السلطان جهز إليه كاملية مخمل بفرو وسمور .

وفى يوم الإثنين السادس والعشرين من ذى الحجة الحرام قدم السيد الشريف قاضى القضاة الشافعى من دمشق وهو فى وظيفته، وكان القاضى نجم الدين عمر بن حجى الشافعى معزولا ، وقدم قبله إلى القاهرة فى أوائل ذى الحجة، ونزل كل منهما عند القاضى زين الدين عبد الباسط فأنزل ابن حجى فى دارهالتى على بركة الرطلى،وأنزل السيد الشريف فى مدرسته المجاورة لبيته فى القاهرة .

* * *

وفى هذه السنة كانت أسعار النقود على حالها، والفلوس كل رطل منها بإثنى عشر درهماً ، وأما الصوف والثياب البعلبكي والفـراء فعلى حالها ، وكذلك وقع الرخص فى الحبوب .

وفيها حج بالناس من الديار المصرية الأمير شرباش قاشوق أمير مجلس، وكان أمير الركب الأول الأمير قرم خجا أمير عشرة :

* * *

ذكر من توفى فيها من الأعيان

٦٤٠ ــ قاضى القضاة جمال الدين يوسف السمرقندى[1] الحنفى، تولى قضاء القضاة الحنفية بحلب عوضاً عن قاضى القضاة شمس الدين بن أمين الدولة بحكم عزله ، وكانت توليته فى ربيع الأول سنة ثمان وعشرين وثمانمائة على ما ذكرناه ، وتوفى فى هذه السنة وقيل إنه مات مسموماً ، والله العليم :

وتولى عوضه القاضى شمس الدين بن أمين الدولة على عادته أولا؛ وكان جمال الدين المــذكور رجلا فاضلا ، غير أنه كان مدعياً معجباً بنفسه ولم يظهر له زيادة علم عند الناس :

٦٤١ ــ الشيخ سراج الدين عمر بن على بن فارس الحنفى الشهير فى الديار المصرية بقارىء الهداية،توفى يوم الأحد الثالث والعشرين من ربيع الآخرة من هذه السنة ، وصلى عليه شيخنا العلامة شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى الشافعى ، ودفن فى الحوش الذى بناه الملك الأشرف برسباى المجاور لتربة الملك الظاهر والملك الناصر ابنه فرج بالصحراء . وكانت جنازته حافلة ، وكان عمره ــ حين مات ــ قد فاق على الثمانين ؛ وذكر شيخنا العلامة البدر العينى إنه كان أول أمره شافعياً ثم انتقل إلى مذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة فاشتغل على جماعة من الحنفية الكبار ، وقرأ « الهداية » فى مذهب الإمام أبى حنيفة على الشيخ الإمام العلامة علاء الدين السيرامى

(١) انظر الضوء اللامع ١٠ / ١٢٨٨ .

فى المدرسة البرقوقية بين القصرين ، وكان قد قرأ الهداية قبل ذلك مرتين أو ثلاثة فلذلك سُمِّىَ قارىء الهداية ، وكذلك كانت شهرته .

وكان أحَد الطلبة المنّزلين فى الظاهرية واستمر مدة طويلة عازباً إلى أن تولى القاضى شمس الدين عمر بن العديم قضاء الحنفية بالديار المصرية فطلبه وأحسن إليه وسأله أن يشغل ولده القاضى ناصر الدين فلازمه ، وقرأ عليه الولد والوالد(١) واستفادا منه وأحسنا إليه كثيراً وأخرجا له عدة وظائف من وظائف الطلبة ومن التداريس ، وتزوج من عندهم جارية. ولم يزل يترقى فى أيامهم إلى أن حصل جملة من الوظائف ، وآخر الأمر تولى مشيخة خانقاه شيخون عوضاً عن الشيخ شرف الدين يعقوب بن التبانى واستقر فيها إلى أن توفى فى التاريخ المذكور .

وفى آخر عمره كان هو المتعين للإفتاء على مذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة رضى الله عنه ، وكان له اشتغال كثير ومطالعات فى الكتب طول عمره ، ولكن كان عنــده توقف فى ذهنه ولم يظهر له تصنيف ولا تعليقة على شىء من الكتب ، لكنه خلف كتباً كثيرة .

وكان متقشفاً فى معيشته حريصاً على الدنيا جداً وخلف شيئاً من الدنيا ، وترك من الورثة ولداً ذكراً وبنتاً ، وأعطى السلطان وظائفه جميعها لابنه الصغير ما خلا مدرسة شيخون ، واستنابوا عن ولده فى الوظائف فإنه كان صغيراً جداً وعينوا للنيابة(٢) فى ذلك الشيخ عبد السلام البغدادى الحنفى .

---

(١) كذلك أشار أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ٦ ص ٧٩١ إلى أنه كان أول من أقرأه القرآن بعد موت أبيه تغرى بردى اليشبغاوى .

(٢) ناب الشيخ عبد السلام البغدادى عن ولد السراج قارىء الهداية فى تدريس الناصرية والأشرفية القديمة والأقبغاوية بجوار الأزهر ، والإعادة بطولون ، انظر فى ذلك الضوء اللامع ج ٤ ص ٢٠١ س ٩ — ١٢ .

٦٤٢ — الشريف حسن بن عجلان صاحب مكة [١٢٧ أ] مات فى القاهرة ليلة الخميس السابع عشر من شهر جمادى الأخرى فى هذه السنة ، وفى صبيحة يوم الخميس دفن فى الحوش الذى بناه السلطان الملك الأشرف برسباى بالصحراء ؛ وكان قد تجهز ليستقر على إمرته وعادته ففجأه الأجل المحتوم فمنعه عما يروم ، وقد قدمنا أنه كان خرج عن طاعة السلطان مدة حتى تولى عوضه الأمير قرقماس الشعبانى ، ثم إن الأمير تغرى بردى المحمودى — رأس نوبة كبير — لما حج فى سنة ثمان[1] وعشرين وثمان مائة تحيل[2] عليه وأمنه ورضاه وألطف له فى القول إلى أن دخل فى طاعة السلطان ، وقدم إلى القاهرة ، وكان ذا[3] حرمة وافرة وسطوة باهرة بأرض الحجاز ، غير أنه كان يأخذ أموال التجار وغيرهم بغير وجه شرعى ؛ وتولى عوضه ولده بركات وكان أصلح أولاده .

٦٤٣ — قاضى القضاة جمال الدين يوسف بن خالد بن نعيم المالكى البساطى توفى ليلة الإثنين العشرين من جمادى الآخرة ودفن صبيحة غده وصلى عليه فى الجامع الأزهر ، وكان له مدة بطالا عن القضاء : وكان عارفاً بصناعته ، قال شيخنا البدر العينى : « لم يكن مشكوراً فيه ولم يكن أيضاً قوياً فى معرفة مذهبه ولا غيره » .

٦٤٤ — قاضى القضاة شمس الدين محمد بن عطاء الله بن محمد بن محمود الرازى الشافعى الشهير بالهروى ، توفى فى شهر ذى الحجة من هذه السنة ببيت المقدس المشرف ، وكان عالماً فاضلا مفتناً . وله تصانيف عدة

---

(١) فى الأصل « ثمانية » .

(٢) فى الأصل « فتحيل » .

(٣) فى الأصل « ذو حرمه » .

منها « شرح مشارق الأنوار » و « شرح صحيح مسلم » و شرح « الجامع الكبير » من أوائله ولم يكمله ، وغير ذلك . وكان قد أدرك جماعة كبيرة من المشايخ العلماء الكبار مثل الشيخ سعد الدين التفتازانى والسيد الشريف الجرجانى وغيرهما ، وكان له حرمة وافرة فى بلاد سمرقند وهراة وغيرهما ، وكان تمرلنك الأعرج يعظمه ويحترمه ويكرمه ويقتدى بأقواله حتى إنه كان يدخل على حريمه ، وربما كان يرسله فى الأمور المهمة فلذلك قال بعض الناس إنه[1] « وزير تمرلنك » ؛ قال البدر العينى : « لم يكن وزيره »[2] وكان قدم إلى الديار المصرية الشامية فى أيام الملك الناصر فرج بن الظاهر وتوطن فى القدس الشريف وتولى تدريس الصلاحية ومشيختها والنظر عليها ، ثم إنه قدم إلى الديار المصرية فى يوم الخميس العشرين من ربيع الأول سنة ثمان[3] وعشرين وثمانمائة [من[4]] القدس الشريف ، وأقبل عليه السلطان إقبالا عظيماً ، وكان اجتماعه بالسلطان الملك المؤيد أولا فى الرملة حين رجع السلطان من قبل نوروز وحين ذهب أيضاً فاستأذنه فى الحضور إلى القاهرة فأذن له وقدم فى التاريخ المذكور ، ثم وقع له وقائع كثيرة ذكرناها فيما تقدم فى السنين الماضية ، وملخص ذلك أنه تولى قضاء القضاة الشافعية بالديار المصرية فى أيام الملك المؤيد عوضاً عن قاضى القضاة جلال الدين ابن البلقينى ثم عزل قبل تمام السنة وذهب إلى القدس الشريف ، ثم تولى كتابة السر الشريف فى أيام الملك الأشرف برسباى ، ثم تول القضاء أيضاً

---

(١) أى الهروى .

(٢) أى أنه لم يكن وزير تيمورلنك .

(٣) فى الأصل « ثمانية » .

(٤) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل ولكن أثبتناها ليستقيم المعنى .

بالديار المصرية ، ثم عزل بالقاضي شهاب الدين بن حجر ، ثم ذهب إلى القدس وحج وترك هذه الأشياء وتجرد في بيته ثم جاءه أمر الله تعالى وتوفى فى التاريخ المذكور ، ولم يخلف من الورثة غير زوجة إبنة الشيخ همام الدين العجمي مدرس مدرسة الجمالية ، وكان يقال إن له ولداً فى مدينة هراة ، وكان قد تولى النظر على القدس ومدينة الخليل عليه السلام مدة طويلة ، وكان صاحب حرمة وسطوة فى منصبه غير أنه لم يكن مشكوراً عند الناس من غير علة ظاهرة فيه .

٦٤٥ — الأمير إينال النوروزي أمير سلاح بالديار المصرية،توفى يوم الأحد الثانى من ربيع الآخرة من هذه السنة ودفن صبيحة غده خارج باب القرافة ، وخلف موجوداً كثيراً من الذهب العين وغيره من القماش والأوانى والغلال والخيول والبغال والجمال ولم يوص بشيء من ذلك لأحد من الفقراء ، وأخذ السلطان العين من الذهب وهو خمسة عشر ألف دينار ، ولم يخلف من الورثة غير امرأته[1] بنت الأمير تغري بردي الذى كان أتابك العساكر بالديار المصرية ثم توفى فى الشام وهو نائب بها.وهو والد[2] مخدومنا الجمال يوسف المؤرخ وكانت حبلى فوضعت ولداً ذكراً بعد ذلك .

٦٤٦ — الأمير قجق (بضم القاف والجيم وفى آخره قاف) العيساوي أتابك [١٢٧ ب] العساكر بالديار المصرية ، توفى يوم الاثنين التاسع من رمضان وصلى عليه فى مصلى المؤمنى بالرميلة ، ونزل إليه السلطان من باب السلسلة وصلى عليه ، وكان الذى صلى عليه إماماً الشيخ الإمام قاضى القضاة

---

(١) وهى أخت أبي المحاسن صاحب النجوم الزاهرة .

(٢) أى تغرى بردى اليشبغاوى .

بدر الدين العينى الحنفى،ودفن فى الحوش الذى بناه السلطان بالقرب من تربة الملك الظاهر برقوق فى الصحراء ، وكان رجلا متواضعاً حليماً شجاعاً ديناً يخاف على دينه ولم يظهر منه شر فى أيام عزته .

٦٤٧ ــ الأمير عليباك بن خليل بن ذلغادر،قتل فى هذه السنة على يد الأمير جارقطلو لما كان نائب حلب وقد ذكرناه مفصلا .

* * *

فصــل

فيما وقع من الحوادث

فى السنة الثلاثين بعد الثمــانمــائة

استهلت هذه السنة وأولها يوم السبت[1] المبارك ، والخليفة والسلطان على حالهما وليس للسلطان نائب بالديار المصرية، وأتابك العساكر يشبك الأعرج الساقى ، وأمير سلاح هو الأمير إينال الجكمى ، وأمير مجلس هو الأمير شرباش قاشوق، ورأس نوبة كبير هو الأمير تغرى بردي المحمودى ، وأمير آخــور كبير هو الأمير جقمق أخو جركس المصارع ، والدوادار الكبير هو الأمير أزبك .

والوزير كريم الدين بن كاتب المناخات ، وناظر الخاص كريم الدين ابن كاتب جــكم ، وأستادار العالية الأمــير زين الدين عبد القادر بن أبى الفرج ، وناظر الجيش القاضى زين الدين عبد الباسط ، وكاتب السر القاضى بدر الدين بن مزهر :

وقاضى القضاة الشافعية شيخنا العلامة أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلانى ، وقاضى القضاة الحنفية شيخنا العلامة بدر الدين محمود العينى ،

---

(١) يتفق هذا مع ماورد فى التوفيقات الإلهامية ص ٤١٥ ، كما أنه يطابق السادس من هاتور سنة ١١٤٣ .

وقاضى القضاة المالكية شمس الدين البساطى المالكى ، وقاضى القضاة الحنابلة عز الدين القدسى الحنبلى :

والمحتسب بالقاهرة ومصر الأمير إينال الششمانى ، ونائب إسكندرية آقبغا التمرازى ، ونائب غزة الأمير تمراز ، ونائب صفد الأمير مقبل، ونائب الشام الأمير سودون من عبد الرحمن، ونائب حماة الأمير جلبان ، ونائب طرابلس الأمير قصروه ، ونائب حلب الأمير جارقطلو .

وصاحب بلاد قرمان — التى كرسيها قونية[1] — الأمير محمد باك بن علاء الدين باك بن قرمان ، وصاحب اللاجات الأمير مراد باك من أولاد عثمان جوق :

وصاحب تبريز وبلادها إسكندر بن بهادر بن قرا يوسف التركمانى :

وصاحب بغداد محمد شاه بن قرا يوسف .

وصاحب بلاد فارس وخراسان وسمرقند وغيرها شاه روخ بن تمرلنك .

وصاحب اليمن الملك المنصور بن الملك الناصر بن الملك الأشرف :

وصاحب مكة بركات بن الشريف حسن الحسينى ، وصاحب المدينة النبوية على حاله .

---

(١) قونية وتعرف فى المصادر الغربية باسم Iconium ، وهى من المدن الكبرى فى بلاد الروم بآسيا الصغرى وقد صارت من المدن الإسلامية الهامية خصوصا بعد أن اتخذها السلاجقة عاصمة لهم ، ولكن ضعف شأنها فى عهد الدولة القرامانية حتى دب الخراب إليها ، أنظر فى ذلك لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٨١ .

وصاحب قرم وغيرها محمد خان من ذرية جنكيز خان ، وبلاد الدست مضطربة وفيها اختلاف كثير بين أكابر أمرائها .

* * *

وفى يوم الخميس السادس منه خلع على الأمير أزدمر [جيا] واستقر حاجب الحجاب بحلب :

وفى يوم السبت الثامن من المحرم خلع على القاضى نجم الدين عمر بن حجى واستقر قاضى القضاة الشافعية بدمشق على عادته عوضاً عن السيد الشريف بحكم عزله :

وفيه دخل أزدمر جيا على السلطان بوسائط أن يعفيه من الحجوبية بحلب فأعفاه ولكنه عينه لنيابة ملطية فخلع عليه بذلك ، فخرج يوم الإثنين الثالث والعشرين من المحرم .

وفيه سافر القاضى نجم الدين بن حجى إلى الشـــام :

وفى يوم الخميس خامس صفر منها خلع على الشيخ شمس الدين البرماوى الشافعى واستقر فى مشيخة الصلاحية بالقدس الشريف عوضاً عن القاضى شمس الدين الهروى بحكم وفاته :

وفى يوم السبت الرابع عشر من صفر قـــدم الأمير سودون من عبد الرحمن نائب الشام إلى خدمة السلطان وخلع عليـــه خلعة الاستمرار ونزل فى بيته عند جامع يشبك ، وكان المقام الناصري سيدى محمد ولد السلطان والأمير جانبك الدوادار الثانى قد استقبلوه إلى سرياقوس ، وكان السلطان قد جهز إليه كاملية مخمل سمور وفرساً بسرج ذهب وكنبوش ، وأقام فى خدمة السلطان فى حرمة وهيبة وزعامة إلى أن توجه مسافراً فى يوم الاثنين الثالث والعشرين من صفر :

وفى يوم الخميس السابع من جمادى الأولى خلع على الأمير شرباش قاشوق أمير مجلس واستقر فى نيابة طرابلس عوضاً عن الأمير [١٢٨ أ] قصروه بحكم انتقاله إلى نيابة حلب عوضاً عن نائبها الأمير جارقطلو بحكم عزله وطلب إلى الديار المصرية ، وعين لتقليد شرباش قاشوق وتسفيره الأمير إينال العلائى الأجرود أمير طبلخاناة بالديار المصرية وأحد رؤس النوب ولكنه أعطى عادته ولم يسافر صحبته ، وعين لتقليد الأمير قصروه — وقيل فى إسمه خسرو أيضاً — الأمير يشبك شاد الشراب خاناه الشريفة ، وسافر يوم الجمعة الثامن من جمادى الأولى :

وفى أوائل هذا الشهر المذكور أمر السلطان الأمير تمرباى — الذى كان معوقاً بثغر دمياط حين مسك — بأن يحضر إلى الأبواب الشريفة فحضر وأقام مدة ، ثم أنعم عليه السلطان بإمرة تقدمة ألف بحلب ، وسافر فى أوائل هذا الشهر :

وفى يوم السبت التاسع من جمادى الأولى ضرب السلطان ناصر الدين محمد بن العيزازى بالمقارع ومعه جماعة آخرون مسكوا بالزغل ووجد عندهم آلات صلك السكة والختم والأشرفيات .

وفى يوم الخميس الحادى والعشرين من جمادى الأولى برز الأمير شرباش لسفره إلى محل ولايته بطرابلس :

وفى يوم الخميس الثامن والعشرين من جمادى الأولى خلع على الأمير كمشبغا الفيسى (١) واستقر كاشف البهنساوية عوضاً عن الكاشف بها ، وكان كمشبغا المذكور منفياً بدمياط .

---

(١) فى الأصل « الفيسوى » ولم أجد فيمن ترجم لهم السخاوى باسم كمشبغا من لقبه « العيسوى » والأرجح أنه هو كمشبغا الفيسى الذى وردت ترجمته فى إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٤٤٨ رقم ٣٠ ، والضوء اللامع ٦/٧٩٧ ، وسماه ابن حجر بالكاشف حيث إن الأشرف برسباى ولاه كشف الوجه البحرى ، انظر أيضا النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٨١٠ .

وفى هذا الشهر وصل كتاب من المتغلب على قرم واسمه دولت بردى مشتمل على عبارات رائعة وأشعار فائقة وأمثال ما لها نظير فى حسنها مما احتوت عليه من المعانى والبيان والبديع فقرىء على السلطان ، مضمونه الدعاء والثناء، وأن فى بلاد الدست خباطاً عظيماً ، وأن ثلاثة من الملوك متنازعون فى المملكة أحدهم دولت بردى وهو صاحب هذا الكتاب غلب على قرم وما والاها ، والثانى محمد خان غلب على سراى وما والاها ، والثالث يسمى بوان ملك البلاد التى تتاخم بلاد تمرلنك .

وفى يوم الثلاثاء العاشر من جمادي الآخرة مسك السلطان الأمير تغرى بردى [المحمودى]رأس نوبة كبيراً بعد فراغه من لعب الكرة وصُفِّد فى وقته وساعته وسُفر إلى الثغر السكندري للاعتقال به ، وتوجه مسفراً عليه الأمير سودون أمير آخور ثالث .

وفى يوم الخميس الثالث عشر من جمادى الآخرة خُلع على الأمير أركماس الظاهرى أحد الأمراء المقدمين الألوف واستقر رأس نوبة كبيراً عوضاً عن الأمير تغرى بردى المحمودى بحكم مسكه واعتقاله بالإسكندرية ، وأنعم بإقطاعه على الأمير أركماس [الظاهرى] المذكور، وأعطى إقطاع الأمير أركماس للأمير قانباى البهلوان أحد الأمراء الطبلخانات ورأس نوبة ثانى .

وفى يوم الإثنين الثانى من رجب الفرد قدم الأمير جارقطو – الذى كان نائباً بحلب ثم عزل – إلى القاهرة ومثل بين يدى السلطان ، ثم نزل فى بيت أيتمش المجاور لجامع آق سنقر .

وفى يوم الخميس الحادى عشر من رجب داروا بالمحمل الشريف .

وفى يوم الجمعة السابع عشر من شعبان خُلع على الشيخ جمال الدين الشيبي المكى واستقر قاضياً شافعياً بمكة المشرفة عوضاً عن القاضى أبى البركات بحكم عزله .

وفى يوم السبت السابع عشر من رمضان قدم القاضى زين الدين عبد الباسط من الشام وكان سفره فى وسط شعبان بسبب النظر فى أسوار حلب وغير ذلك من التعليقات السلطانية .

وفى يوم الأحد الثامن عشر من رمضان قدّم القاضى عبد الباسط تقدمته وهى : من الخيول مائتا رأس ، ومن البغال إثنا عشر رأساً ، ومن الهجن كذلك ، ومن الثياب البغدادية والموصلية والبعلبكية والصوف والسمور والسنجاب والوشق والقراصيا ما لا يوصف ، وسروج مفرقة، وغير ذلك من التحف والطرف .

وفى يوم الإثنين التالى من شوال قدمت تقدمة الأمير سودون من عبد الرحمن نائب الشام ، [وهى] : مائتا رأس من الخيل، ومائتا قطعة من السمور والوشق والقاقم والقرضيات ، وحملة مستكثرة من القسى الشامية ، وثلاثة أقفاص من الذهب والفضة ضمن أكياس ، وغير ذلك من التحف والطرف .

وفى يوم الخميس السادس من شوال مسك الأمير شيخ[1] اليحياوي أمير عشرة ورأس نوبة صغير وحبس بالبرج ثم سفر إلى حلب وكان

(١) الأرجح أنه شيخ الحسنى الظاهرى برقوق المعروف بشيخ المجنون ، فقد ورد فى ترجمته بالضوء اللامع ٣ / ١١٨٥ أنه أمير عشرة ومن رءوس النوب وأن الأشرف برسباى نفاه إلى حلب ، وكانت وفاته سنة ٨٢٠ أو ٨٣١ ، انظر أيضا Wiet: op. Cit. No. 1187

سبب ذلك أنه جمع جموعاً فى بيته وسكروا [١٢٨ ب] ، ووجدوا فى بيته ميتاً من المماليك الناصرية يقال له آقبغا حشيش ؛ وأنعم السلطان بإقطاعه(١) لتنبك السماقى الخاصكى .

وفى يوم الثلاثاء العاشر من ذى القعدة حضر نجاب من الشام وأخبر أن القاضى نجم الدين بن حجى قاضى القضاة الشافعية بها قد قتل فى داره ببستان له على رأس وادي الربوة(٢) ، نقب عليه اللصوص حول داره ودخلوا عليه فضربوه بالسكين أو الخنجر ضربات متعددة .

* * *

وورد الخبر أيضاً أن طائفة كبيرة من تركمان قرا يلوك وصلوا إلى ملطية فبرز لهم نائبها مع أهل البلد واقتتلوا معه قتالا عظيماً وآذوا التركمان وقتلوا منهم جماعة وأسروا آخرين ، وكان السلطان قد عين جماعة من عسكر مصر وأمرائها ليخرجوا إلى تلك البلاد مثل الأمير الكبير يشبك الأعرج والأمير أزبك الدوادار والأمير تغرى برمش المقدم والأمير قانباى البهلوان والأمير برد بك المقدم، وأضيف إليهم جماعة من الطبلخانات والعشرات ثم بطل ذلك .

---

(١) أى بإقطاع الأمير شيخ اليحياوى .

(٢) فى النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٦٢٣ « النيرب » ، ويلاحظ أن النيرب الفوقانى يقع بالقرب من الربوة غربى دمشق كما جاء فى النعيمى : الدارس فى تاريخ المدارس ج ١ ص ١٦ حاشية رقم ٦ ؛ هــذا وقد جاء فى نفس المرجع ، ج ١ ص ٢٥٨ س ١ - ٢ أنه « توفى قتيلا بمنزله بين الربوة والنيرب » وجاء فى شذرات الذهب ، ج ٧ ص ١٩٣ أنه قتل ببستانه فى النيرب خارج دمشق، انظر عن هذا المكان Dussaud: Topographie Historique de la Syrie, p. 307

وجاء الخبر أيضاً أن الأمير إبراهيم بن قرمان قد أرسل إلى السلطان إبراهيم بن رمضان الذى أظهر العصيان والخروج عن الطاعة وهرب والتجأ إليه وكان السلطان قد أرسل إليه الأمير شاد بك أمير عشرة ورأس نوبة صغيراً، وكان لما وصل إلى الطرسوس[1] أقام فيها لوقوع الخلف بين الأمير إبراهيم وبين أخيه الأمير عيسى بن محمد باك بن قرمان ، وآخر الأمر أرسل الأمير إبراهيم بن قرمان إبراهيم بن رمضان .

وجاءت الأخبار أيضاً بأن طائفة من الروم يقال لهم أنكرور خرجوا متوجهين إلى الديار المصرية وقاصدين بلاد ابن عثمان، وأنهم عدوا نهرطنا وهم فى عدد كبير يقال إنهم يزيدون على مائة ألف وخمسين ألفا ، ثم وصلت الأخبار بأن ابن عثمان انتصر عليهم ، ورد الله الكافرين على أعقابهم :

وفى يوم الخميس الثالث عشر من ذى القعدة قدم إلى القاهرة سبعة أنفار من أكابر الفرنج أرسلهم صاحب قبرص، فتمثلوا بين يدى المواقف الشريفة فأسلم منهم اثنان ، وطلب الخمسة أن يكونوا فى الخدمة مثل الأجناد .

---

(١) الصحيح فيهـا « طرسوس » وهى من مدن وثغور آسيا الصغرى الهامة بل إن البعض ليجعلها أهم ثغورها على الإطلاق حماية للروم من الغارات عليهم ، ويرجع بناؤها إلى البيزنطيين وقد اهتم بها من تعاوروا حكم هذه النواحى : روماً كانوا أو مسلمين فنرى ابن حوقل يشير إلى أنه كان يفصلها عن بلاد الروم جبال شاهقة وكانت فى أيامه – أعنى القرن العاشر للميلاد – مركزا المتطوعين من شتى بلاد الإسلام .

وفى يوم السبت الرابع عشر من ذى القعدة خلع على الأمير قانباى البهلوان المقدم[(١)] واستقر فى نيابة ملطية عوضاً عن الأمير أزدمر شايه بحكم عزله وإقامته فى حلب :

وفى يوم الخميس السابع والعشرين من ذى القعدة سافر الأمير قانباى البهلوان إلى جهة ولايته بملطية ومعه جماعة من مماليك السلطان نحو ثلاثين نفراً.

وفى يوم الجمعة الثامن والعشرين من ذى القعدة قدم الأمير شاد بك ومعـــه الأمير إبراهيم بن رمضان فى أسوأ حالة مصفداً محتاطاً عليه ، وصحبته حريمه وعياله .

* * *

وفى سلخ ذى القعدة خلع على بهاء الدين محمد بن القاضى نجم الدين بن حجى الشافعى واستقر[(٢)] قاضى القضاة الشافعية بدمشق المحروسة عوضا عن والده بحكم وفاته مقتولا ، وقد بلغ من العمر حين ولى القضاء ما ينيف على ست عشرة سنة وهو عار من العلوم ؛ قال شيخنا البدر العينى فى تاريخه عند ذكره له : « وهذه ثلمة فى الإسلام وما ذاك إلا من أشراط الساعة ، وقد لعن صاحب الشرع الرشاة فى الأمور الدينية » :

* * *

(١) هـــو الأمير قانباى الأبو بكرى الناصرى فرج المعروف بالبهلوان وقد صار فى الدولة الأشرفية رأس نوبة ثانيا ثم مقدما ثم نائب ملطية ، وكانت وفاته سنة ٨٥١ .

(٢) كان استقراره مكان أبيه فى الخطابة ومشيخة الشيوخ ، ويقال إنه كتب خطه للسلطان الأشرف برسباى بخمسة آلاف دينار عن القضاء كما ذكر ذلك ابن قاضى شهبة ، راجع فى ذلك ابن طولون قضاة دمشق ص ١٥٦ ، وهذا ما يشير إليه العينى فى عبارته التى يختم بها الصيرفى ترجمة ابن حجى ، وقد جاء فى قضاة دمشق ص ١٥٩ ، أنه مات سنة ٨٥٠ « فى حدود الأربعين تقريبا » ، ومعنى ذلك أنه ولى مكان أبيه وهو ابن عشرين سنة ، أما أبو المحاسن فقال عنه فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٦٢٣ إنه ولى القضاء « قبل أن يستكمل عذاره » .

وفى العشرين من ذى الحجة جاء كتاب من أنطاكية إلى سكندرية صحبة جماعة من تجار الروم فأرسلوا الكتاب إلى السلطان فقرأه قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى يتضمن أن مراد بك صاحب اللاجات لمـا تقاتل مع طلائع أنكروز كان فى مقدمته ابن لار ، فلما تقابل الفريقان من المقدمين وقع ابن لار عن فرسه وهلك فى الحال وتفرق شمل المقدمة ، ولمـا بلغ الخبر بذلك ملك أنكروز رجع إلى بلاده؛ أما ابن عثمان فإنه داس بلاد ابن لار وغنم أموالهم وخرب ديارهم وسبى ذريتهم ورجع إلى بلاده سالماً مظفراً منصوراً مؤيداً ، وكان الناس فى وجل عظيم من مجيء ملك أنكروز فإنه كان فى عساكر عظيمة ، فلطف الله بالمسلمين وأخزى الكافرين ببركة سيد المرسلين [١٢٩ أ] صلى الله عليه وسلم .

* * *

وفى يوم الإثنين الثامن والعشرين من ذى الحجة قدم الأمير عيسى ابن محمد باك بن قرمان هارباً من أخيه إبراهيم باك وكان بينهما عداوة أكيدة بسبب الملك ، وكانا تقابلا وتقاتلا فى هذه السنة فانكسر الأمير عيسى وهرب ولم يقدر على الإقامة فى تلك البلاد وقصد الديار المصرية والتجأ إلى السلطان الملك الأشرف ، فأكرمه لما قدم عليه واحترمه ورسم له أن ينزل بيت الأمير أيتمش ، ورتب له ولجماعته ما يكفيهم وأنعم عليه بقماش وذهب وغير ذلك .

* * *

وقع فى هذه السنة من الحوادث حادثة شنيعة وهو أن الرّفض (١) كان كبيرهم المسمى : عجلان سلطان المدينة فعزله السلطان وولى عوضه شخصاً

(١) يقصد بذلك الرافضة .

سنيا يسمى خشرم بن دوغان ثم إنه دخل المدينة صحبة الأمير ياقوت مقدم المماليك السلطانية ، فلما خرج ياقوت المقدم المذكور من المدينة إلى مكة المشرفة وثب عجلان الرافضى وحشد معه جماعة من العربان وكبسوا المدينة المشرفة واستولوا عليها ومسكوا[1] خشرم ، ووقعت النهبة فى المدينة الشريفة النبوية ، وأخذوا جميع ما أودعه الحجاج الشاميون بها ، ولم يتأخر فى المدينة بيت من النهب حتى الأربطة،[2] ووصلوا حتى أخذوا كسوة الخطيب ، وأفسدوا فساداً شنيعاً فظيعاً ، ثم إن خشرم السنى اشترى نفسه من عجلان الرافضى بإثنى عشر ألف درهم حتى أطلقه وكتب بذلك جميعه إلى السلطان وبالله المستعان .

* * *

وفى يوم الجمعة الحادى والعشرين كان وفاء البحر المبارك ونزل لكسر الخليج الأمير الكبير يشبك الساقى والأمير أزبك الدوادار الكبير والأمير جانى بك الدوادار الثانى ، والمذكورون فى خدمة المقام الناصرى سيدى محمد ولد المقام الشريف ، وكان يوماً مشهوداً .

* * *

(١) الوارد فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٦٢٥ - ٦٢٦ أنه قبض على خشرم بن دوغان هذا يوم ٢٤ ذى الحجة لعدم قيامه بسدادما وعد به وفى الوقت نفسه استقر مكانه فى إمرة المدينة المنورة مانع ابن على بن عطية .

(٢) أى الربط جمع « لرباط » .

وفى هذه السنة حج بالناس الأمير قراسنقر الذى كان كاشف الجيزية، وكان أمير الركب الأول خشقدم[1] الطواشى ثانى مقدم المماليك السلطانية، وكانت سنة رحيمة أمينة، وكان المبشر بها الأمير ألطنبغا .

* * *

ذكر من توفى من الأعيان

٦٤٨ — الشيخ الإمام الصالح العابد الزاهد المنقطع المتجرد الشهير بابن عرب[2] توفى ليلة الأربعاء الثامن من ربيع الأول وصلى عليه صبيحة يوم الأربعاء فى مصلى المؤمنى، ونزل للصلاة عليه السلطان الملك الأشرف ولم يتخلف عن المشى فى جنازته أحد من الأمراء وأرباب الدولة إلا من له عذر، وكانت الرميلة ما يكاد يجد الإنسان بها مكاناً يضع رجله فيه، ودفن بخانقاه شيخون بجوار الشيخ أكمل الدين رحمهما الله تعالى، وسبب دفنه بهـا أنه كان مقيماً فيها أكثر من ثلاثين سنة منجمعاً[3] عن الناس حتى فى الكلام معهم، عديم التردد إلى أحد من الكبار والصغار،

(١) الأرجح أنه خشقدم الظاهرى برقوق الخصى الذى صار خزندارا فى زمن الأشرف برسباى، فقد ذكرت النجوم الزاهرة، ج ٦ ص ٧٩٨ أنه تولى الزمامية بعـد الطواشى الرومى شبل الدولة كافور الصرغتمشى فى ربيع الآخر سنة ٨٣٠ كما سيجىء ذلك، وظل زماما حتى مات سنة ٨٣٩، هذا وقد ذكر الضوء اللامع ٣ / ٦٨٠ والنجوم الزاهرة ج ٦ ص ٦٧٠ أنه حج أميراً للركب الأول سنة ٨٣٤ صحبة خوند جلبان زوجة برسباى، انظر عنـه أيضا على مبارك : الخطط التوفيقية، ج ٤ ص ١١٣ . .

(٢) هو أحمد بن إبراهيم بن محمد، اليمنى الأصل، الرماوى المولد، المصرى الدار والوفاة، أما وفاته فقد جاءت فى النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٧٩٥ ، والمنهل الصافى ج ١ ص ٢٠٥ بأنها يوم الإثنين الثانى من ربيع الأول وكذلك فى الضوء اللامع ج ١ ص ٢٠١ .

(٣) فى « الأصل مجتمع » .

وكان يكتب البردة الشريفة ويتقوت من ثمنها ، قنوعاً جداً فى معيشته ، له على وقف شيخون درهم[1] واحد من الفلوس :

وكان ملبسه خشناً كالخيش ، وقال شيخنا قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى فى تاريخه : « ثبت بالتواتر أنه أقام أكثر من عشرين سنة لا يشرب الماء أصلا ، وكان يقضى أيامه بالصيام ولياليه بالقيام ، ولم يعرف أنه أخذ من أحد شيئاً ، وكان أصله من الروم ولكنه كان يقال له ابن عرب » .

٦٤٩ — القاضى شهاب الدين أحمد المتبولى المالكى[2] توفى يوم الأربعاء الرابع والعشرين من ربيع الأول « وكانت له يد طولى فى صناعة التوقيع عند القضاة ، أقام سنين عديدة يباشر التوقيع وفى آخر عمره تولى القضاة المالكية ولم يكن مذموم السيرة ولكنه كان يكتب الكتب ويأخذ فى خطه أجرة زائدة عن القيمة ، رحمه الله .

٦٥٠ — الشيخ شهاب الدين أحمد بن يوسف الشهير بابن الزعيفرينى قبض فى اليوم[3] الذى مات فيه المذكور قبله أعنى المتبولى ، وكان له فى أوائل دولة الملك الناصر طنطنة ، وحصل منهم أموالا كثيرة معظمها من

(١) يقصد بذلك درهما واحدا كل يوم فقد أشارت النجوم الزاهرة ، ج٦ ص ٧٩٦ والمنهل الصافى ج ١ ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ إلى أنه أصبح من جملة صوفية خانقاه شيخون بمبلغ ثلاثين درهما فى الشهر .

(٢) أوردته الشذرات ج ٧ ص ١٩٢ بأنه «شافعى» ، انظر أيضا الضوء اللامع ٢/٦٥٢ وذكرت النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٧٩٧ أنه مات يوم ٨ ربيع الأول وسمته بأحمد بن موسى بن نصير (بالتصغير) المتبولى ، أنظر الحاشيتين التاليتين .

(٣) أى الثانى من ربيع الأول ، وهذا هو التاريخ الذى ذكره ابن حجر فى إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٣٨٥ رقم ٢ ، وانظر أيضا به الحاشية رقم ٤ وهو أيضا نفس التاريخ الذى أورده السخاوى فى الضوء اللامع ٦ / ٦٩٨ .

الأمير جمال الدين يوسف البيرى الأستادار ، ومع ذلك وقــع فيه عند الناصر بأنه يخالط حاشية نوروز ويتحدى به ويهجوه ويذمه فرسم الناصر بقطع لسانه فقطعوا من طرفه شيئاً يسيراً وأظهر أنه أخرس[١] خوفاً على قطع الباقى ، واستمر بعد ذلك فى خمول وذلة حتى انقطع عن الناس وسكن ببولاق ودولب طاحوناً ، ولم يزل على ذلك إلى أن توفى فى التاريخ[٢] المذكور :

٦٥١ – (١٢٩ ب) الأمير مقبل بن نخبار صاحب ينبع توفى فى شهر ربيع الأول وهو فى سجن إسكندرية :

٦٥٢ – الأمير شبل الدولة كافور الصرغتمشى الطواشى زمام الأدر الشريفة ، توفى ليلة الأحد الخامس والعشرين من ربيع الآخر ودفن فى تربته التى أنشأها بالصحراء؛ وكان رجلا ديناً خيراً وخلف أموالا كبيرة وأملاكاً كذلك ، وغالبها أوقفها على تربته المذكورة وعلى جامعه الذى أنشأه بحارة الديلم ، واستقر عوضه فى الوظيفة الأمير خشــقدم الخازندار ، وتولى عوضه فى الخازندارية الأمير قراجا أمير عشرة ، أحد مماليك السلطان الملك الأشرف الخواص :

٦٥٣ – خوند إبنة الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر برقوق زوجة الأمير قرقماس . حاجب الحجاب ، توفيت يوم الجمعة الرابع من ربيع الأول ودفنت صبيحة يوم السبت فى تربة الملك الظاهر برقوق بالصحراء :

* * *

---

(١) فى الأصل « أخرسا » .

(٢) راجع حاشية رقم ٢ ، ٣ ص ١٢٥ .

فصل

فيما وقع من الحوادث

فى السنة الحادية والثلاثين بعد الثمانمائة

استهلت هذه السنة وأولها يوم الأربعاء[1] والخليفة والسلطان على حالهما وكذلك سائر أصحاب الوظائف بالبلاد على حالهم .

* * *

وفى أواخر شهر الله الحرام حضر الأمير محمدمن أولاد رمضان وصحبته جماعة من حواشيه ، وسبب قدومه أن إبراهيم بن رمضان الذى كان أمير التركمان وكبيرهم الذى قدمنا أنه عصى على السلطان هرب إلى ابن قرمان والتجأ لصاحبها الأمير إبراهيم بن محمد وأن السلطان أرسل الأميرشاد بك إليه لطلب إبراهيم بن رمضان ، فلم يمكنه المخالفة وجهزه إلى السلطان ، فأحضره الأمير شاد بك للأبواب الشريفة ، فأمر السلطان باعتقاله فاعتقل فى برج من أبراج قلعة الجبل، ثم إن الأمير محمداً المذكور لما قدم القاهرة ادعى على إبراهيم المذكور أنه قتل عميه وفلاناً وفلاناً من إخوته وأولادهم وأقام جماعة فشهدوا بمضمون ما ادعى به ، فلم يقبل الشرع شهادتهم لمانع شرعى .

---

(١) هذا هو اليوم الوارد أيضا فى التوفيقات الإلهامية، ص ٤١٦ ، وهو يطابق يوم ٢٤ بابه سنة ١١٤٤ (= ٢٢ أكتوبر سنة ١٤٢٧) .

وفى ليلة الخميس العشرين من صفر قضى الله أمره فى إبراهيم المذكور، وفى صبيحة غده سافر محمد المذكور إلى بلاده وهو متول على البلاد التى التى كان ابن رمضان يحكم عليها وعلى تراكمين تلك البلاد ، وأخلع عليه بذلك خلعة سنية فى يوم الثلاثاء الثانى عشر من صفر من هذه السنة .

* * *

وفى هذا اليوم أيضاً أخلع على القاضى محب الدين بن نصر الله البغدادى الحنبلى واستقر قاضى القضاة الحنابلة بالديار المصرية عوضاً عن القاضى عز الدين القدسى بحكم عزله (١) .

وفى يوم السبت الثانى والعشرين قدم الأمير حمزة بن قراعيسى (أحد الأمراء الأعيان فى بلاده) وهى بين طرسوس وبلاد ابن قرمان تسمى ورسخ شامخة مشتملة على أشجار عظيمة المسالك ، وحضر صحبته نحو من أربعين نفساً ، وكان مجيئه إلى خدمة السلطان لدخوله تحت الطاعة وأنه من جملة رعيته، ولم يكن له عادة بالدخول إلى الديار المصرية ولا إظهار الطاعة لأحد من السلاطين، وهذا من سعد السلطان الملك الأشرف حيث دخل تحت طاعته القاصى والدانى ، وذل المطيع والعاصى .

وفى يوم الاثنين الثانى من ربيع الأول حضر شخص يقال له تغرى بردى الحجازى الخاصكى الأشرفى من بلاد الروم ، وكان السلطان قد أرسله إلى السلطان مراد بك تأكيداً للمودة وإظهاراً للمحبة ، وسبب تجهيزه إلى مراد بك بن عثمان ـ كما شاع الخبر ـ لخروج عسكر عظيم من الروم

(١) يعزى سبب عزله ـ حسبما جاء فى النجوم الزاهرة ج٦ ص ٦٢٦ ـ إلى أنه سار فى القضاء على غير المعتاد ، فكان إذا ركب أردف خلفه على بغلته عبده وكان يمشى فى الأسواق يشترى ما يحتاجه بنفسه .

وأنه تلاقى مع مراد بك ولم يعلم السلطان بحقيقة الأمر ، فأرسل المذكور حتى يتكشف الأخبار ويبلغ السلامة أيضا إلى مراد بك تأكيداً للمودة وإظهاراً للمحبة ، وكان المذكور قد غاب نحو خمسة أشهر ثم لما قدم أخبر بانتصار مراد بك على الروم والكفرة ، وأخبر أنه اجتمع فى بر القسطنطينية ، وأنه فرح بسبب إرسال السلطان إليه وسؤاله عن حاله فرحا شديداً ، وخلع عليه قماشه الذى لابسه حتى عمامته وقبعه وكان من ذهب خالص، وكانت العمامة من زركش ، وكان قماشه حريراً وجوخا رفيعا جداً حتى قيل إن كل ذراع منه يساوى دينارين .

* * *

وقدم أيضا فى هذه الأيام إلى إسكندرية قاصد من صاحب قبرس وصحبته الجزية المقررة عليه : صوف ألف وثمان مائة ثوب من الصوف الخاص (١٣٠ أ) الملونة .

* * *

وفى يوم الجمعة سلخ صفر سافر الأمير آقبغا[1] الناصرى التركمانى أمير عشرة والأمير مرمانى أمير عشرة ومعهما جماعة من المماليك السلطانية فى البحر المالح نجدة لمن فى قلعة العلايا ، وذلك لأن السلطان اشتراها من صاحبها الأمير قرمان بمبلغ خمسة آلاف دينار ولكن لم يقبض المبلغ ، واودعوه فى المودع الحكمى إلى أن يذهب صحبة المذكورين ويسلم القلعة لقصاد السلطان المذكورين الذين سافروا معه .

* * *

(١) هو آقبغا من مامش التركمانى الناصرى فرج وقد جعله الأشرف أمير عشرة وكانت وفاته سنة ٨٤٣ أورق التى بعدها .

وفى يوم الخميس العشرين من ربيع الأول حضر الأمير خسرو نائب حلب ومعه تقدمة فقدمها بين يدى السلطان يوم السبت الثانى والعشرين منه :

وفى يوم الإثنين مستهل شهر ربيع الآخر خلع على الأمير بردبك[١] الإسماعيلى أحد الأمراء العشرينات واستقر حاجباً ثانيا بالديار المصرية عوضا عن الأمير إياس الجلالى بحكم عزله ، وكان السبب فى ذلك أن إياس المذكور لا يخلو شهر من الشهور ولا جمعة من الجمع إلا ويشكو للسلطان من ضعف حاله وعجز إقطاعه وكثرة مصروفه ، فوقع أنه يوما من الأيام فعل عادته وأمعن فى الكلام فغضب السلطان عليه ورسم أن يحبس فى بيته وأخرج عنه إمرته وعزله عن الحجوبية .

وفى يوم الإثنين الثامن من ربيـــع الآخر خلع على الأمير تمرباى الدوادار الصغير[٢] واستقر دوادارا ثانيا عوضا عن الأمير جانى بك الدوادار بحكم انتقاله إلى رحمة الله تعالى .

وفى يوم السبت رابع جمادى الأولى ضرب السلطان فيروز[٣] انطواشى الساقى الخاص ضربا وجيعا فى الحـــوش تحت الشباك المطل عليـــه من

(١) الوارد فى كل من النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٨٤٤ والضـــوء اللامع ٣ / ١٩ أنه أحد الأمراء العشرات ، على حين أن أبا المحاسن نفســـه – حين الكلام عنـــه فى المنهل الصافى – لم يدرجه فى نطاق أصحاب هـــذه الوظيفة ، كذلك يلاحظ أن أبا المحاسن حين ترجم لكل من اسمه « بردبك » – وهم بردبك الخليلى المتوفى سنة ٨٢١ ، وبردبك السيفى الذى مات سنة ٨٣٣ وبردبك العجمى الأعور – لم يجعل أحداً منهم أمير عشرة ، وانما اختص أبو المحاسن بهذه الوظيفة اثنين فقط هما بردبك الاسماعيلى قصفا المشار إليه فى المتن ؛ والمتوفى سنة ٨٤٠ ، و بردبك الظاهرى البشمقدار فجعل كلا منهما أمير عشرة ؛ وكذلك أيضا ابن حجر حين ترجم له فى إنباء الغمر رقم ١٠ فى وفيات سنة ٨٤٠ .

(٢) المقصود بالدوادار الصغير هنا الدوادارية الثالثة التى تولاها تمرباى التمربغاوى المشطوب هذا حين تسلطن ططر ثم نقله الأشرف فى هذه السنة ٨٣١ للدوادارية الثانية على إمرة عشرة ، راجع النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٦٢٧ – ٦٢٨ والضوء اللامع ٣ / ١٦٢ .

(٣) المقصود بذلك فيروز الرومى الساقى الجاركسى جاركس القاسمى المصارع المتوفى سنة ٨٤٨ وقد أنشأ مدرسة داخل باب سعادة بالقرب من حارة الوزيرية .

الدهيشة ، ثم أمر بنفيه إلى المدينة الشريفة ، وسبب ذلك أنه كان فى الخلوة يكبس رجل السلطان فتجرأ عليه بالكلام وتدلل عليه بل وازداد وتكلم فى حق قاض من قضاة الشرع بكلام قبيح لا يليق بأن يذكره فى حق عاص من السفلة العوام ، فضلاً عمن هو معروف عند السلطان بالديانة والصيانة والعفة .

وفى يوم الإثنين الخامس من جمادى الآخرة خلع على الأمير جارقطلو الذى قدم معزولا من نيابة حلب وأنعم عليه بتقدمة ألف بالديار المصرية ، واستقر أتابك العساكر عوضاً عن الأمير يشبك الساقى الأعرج بحكم وفاته .

وفى يوم الثلاثاء العشرين من جمادى الآخرة خلع على عز الدين المقدسى الذى كان أحد نياب[1] الشافعية وشيخ المدرسة الباسطية واستقر فى مشيخة الصلاحية بالقدس الشريف عوضا عن الشيخ شمس الدين البرماوى الشافعى بحكم وفاته .

* * *

وفى يوم الخميس سلخ جمادى الآخرة قدمت رسل من عند مراد بك صاحب الآجات ونزلوا فى الميدان الكبير وتلقاهم الحجاب وبعض رءوس النوب خارج البلد .

وفى يوم السبت ثانى شهر رجب الأصب الأصم كانت الخدمة بالإيوان بسبب رسل ابن عثمان ورسل آخر من التركمان وكان يوماً مشهوداً ، ثم لما فرغت خدمة الإيوان قدمت تقدمة ابن عثمان وهى من المماليك : خمسون مملوكا كلهم من جنس الروم ، وطواشى أبيض ، وخمسة عشر

(١) أى نواب الشافعية .

من الطيور الجوارح المختلفة وشىء له صورة من السمور والسنجاب والوشق والفنك ، ومن المخمل شغل الفرنج نحو عشرين ثوبا وأنعم السلطـان على الأمراء ببعض شىء من المماليك والقماش :

وفى يوم الخميس السابع من رجب خلع على القـاضى كمال الدين بن القاضى ناصر الدين البـارزى واستقر كاتب السر بدمشق عوضا عن بدر الدين حسن[1] المهندس بحكم وفاته :

* * *

وفى يوم السبت تاسع رجب خلع على الأمير شاهين واستقر ناظرا على القدس وبلاد الخليل عليـه السلام عوضا عن حسام الدين حسن بحكم عـزله :

وفى هذه الأيام حصل للسلطان طلوع[2] صعب فى ركبته ربطه له المزينون ، وحصل له من ذلك ألم كبير ، وانقطع عن الخدمة يومين ، وهما الخميس والسبت :

وفى يوم السبت الثانى والعشرين من رجب قدم الأمير شرباش قاشق الذى كان نائب طرابلس وعزل بالأمير طرباى وكان فى القدس بطالا ، ولمـا مثل بين يدى السلطان خلع عليه واستقر فى وظيفته القديمة، وهى وظيفة أمير مجلس ، وأنعم عليه بإقطاع الذى[3] كان معه قبل أن يسافر وكان قد خرج للأمير جارقطلو الذى كان نائب حلب وعزل ، ثم إنه لمـا استقر أتابك العساكر المنصورة عوضا عن يشبك الساقى أخذ إقطاعه أيضا :

(١) فى الأصل « حسين » ، و هو مذكور بهذا الاسم فى النجوم الزاهرة فى موضعين هما ج ٦ ص ٥٨٩ ، ٦٣٢ ، ثم ذكرته باسم « حسن » مرة فى مكان آخر ، ج ٦ ص ٨٠٤ .

(٢) الطلوع هنا بمعنى الدمل .

(٣) فى الأصل « التى كانت » .

وفى يوم الإثنين مستهل شهر رمضان المعظم قدره قدم الأمير جلبان نائب حماه إلى القاهرة وتمثل[1] بين يدى السلطان وخلع عليه واستقر على عادته وأقام بالقاهرة أياما قلائل ، وتوجه إلى بلده :

وفى يوم الإثنين الثامن من رمضان خلع على الأمير قانصوه[2] أمير طبلخاناه بالديار المصرية واستقر فى نيابة طرسوس عوضا عمن بها بحكم عزله .

وفيه أخلع على الأمير زين الدين عبد القادر بن أبى الفرج خلعة الاستمرار والرضا .

* * *

وفى أوائل شوال وصلت مراكب فيها فرنج إلى الميناء بثغر إسكندرية ، وأحرقوا فيها مركب [١٣٠ ب] داود[3] المغربى وأخذوا جملة مستكثرة ، ووصل الخبر بذلك إلى السلطان فجهز جماعة من الأمراء منهم : الأمير جانى بك رأس نوبة سيدى ، والأمير كمشبغا الأحمدى رأس نوبة صغير ، وخمسين مملوكا ، ثم جاء الخبر بأنهم سافروا قبل خروج التجريدة .

* * *

وفى هذا العام عين السلطان الأمير أرنبغا[4] رأس نوبة أن يتوجه إلى مكة المشرفة وصحبته خمسون مملوكا لأجل منع الفساد هناك من جهة الأشراف وأنهم لا يتعرضون لأصحاب المراكب .

---

(١) الوارد فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٦٣٣ أن ذلك تم يوم ٢٠ شعبان .

(٢) المقصود بذلك قانصوه النوروزى الحافظى ، ولما استقربه الأشرف فى نيابة طرسوس أضاف إقطاعه إلى الديوان المفرد ، أنظر النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٦٣٣ والضوء اللامع ٦ / ٦٨٦ .

(٣) إكتفى السخاوى فى ترجمته إياه فى الضوء اللامع ٣/٨١٢ بقوله : « داود المغربى التاجر ، مات فى صفر سنه أربع وخمسين وخلف أشياء كثيرة » .

(٤) المقصود بذلك أرنبغا اليونسى الناصرى فرج الذى كان أمير عشرة ورأس نوبة أيام الأشرف برسباى ثم جاور بمكة مقدما على المماليك السلطانية ومات سنة ٨٥٧ .

ووصل الخبر أيضا من قاضى مكة بأن اليمن فيها فتن[1] كثيرة وذكر أيضا أن أهل اليمن وثبوا على صاحب اليمن، والمساعد له على ذلك القواد، فان صاحب اليمن أظهر فيهم الفساد والظلم الكثير .

* * *

وفى يوم السبت الرابع من شوال[2] مسك السلطان الأمير قطج من تمراز أحد المقدمين بالديار المصرية والأمير شرباش قاشوق وسفر قطج فى يومه إلى الثغر السكندرى ، وشيعه الأمير أركماس الظاهرى رأس نوبة كبير والأمير قرقماس حاجب الحجاب؛ وأما شرباش فإنه عوق حاله بالركنخاناه إلى بكرة النهار ثم سفر إلى دمياط بطالا ، وسبب مسكهما بسبب جانبك الصوفى المتوارى من السلطان لأمر صدر منهما .

---

(١) راجع ذلك بالتفصيل فى النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٦٢٨ – ٦٣٢ وخبر هذه الفتن أنه كان قد تولى عرش اليمن الملك الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل بن رسول وذلك فى جمادى الآخرة سنة ٨٢٧ حتى نفس الشهر من عام ٨٣٠ حيث مات وقام أخوه الملك الأشرف إسماعيل بن أحمد الناصر الذى عهد وزيره شرف الدين إسماعيل بن عبد الله بن عمر العلوى لتأخير رواتب الجند فتغيرت القلوب عليه وزاد الطين بلة أنه أخذ فى إهانة العسكر وحدث تجهيز خزانة من عدن وبرز الأمر بتوجه جماعة من العبيد والأتراك لإحضارها فطالبوا أن تكون نفقة الواحد منهم أربعة دراهم يوميا فأنكر عليهم الوزير ذلك فتآمروا على قتله ، فلما علم السلطان بخبر المؤامرة أفضى بها إلى وزيره العلوى ، ونجح فى القبض على الأشرف وسجنوه كما سجنوا الوزير ابن عمر العلوى ، وكان كبير الثوار واسمه برقوق ونادى بالأمير يحيى بن الأشرف إسماعيل بن عباس وسلطنوه بعد أن حلف لهم ألا يمد يده بالسوء لأحد منهم لقاء ما حدث من فتن .

(٢) أنظر النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٦٣٣ حيث جعل القبض عليه يوم الثلاثاء ٢٨ شوال ، وأنظر أيضا الضوء اللامع ج ١ ص ٢٧٧ س ٢٣ .

وفى يوم الخميس سلخ شهر شوال خلع السلطان على أسنبغا[١] الطيارى وأمره بالتوجه إلى غزة ويحضر نائبها الأمير تمراز ويحضر أيضا بيبغا المظفرى من القدس الشريف .

وفى هذا اليوم أيضا خلع على الأمير إينال العلائى أحد الأمراء الطبلخانات ورأس نوبة ثانى واستقر فى نيابة غزة عوضا عن الأمير تمراز الرمشى بحكم عزله وانتقاله إلى القاهرة :

وفى يوم الإثنين الثامن عشر من ذى القعدة خرج الأمير إينال المذكور من القاهرة إلى غزة محل ولايته ونيابته بها .

وفى هذا اليوم أيضا قدم الأمير تمراز من غزة ونزل فى بيت الأمير قطج [١٣٠ ب] الذى مسك .

وفى يوم الجمعة الحادى والعشرين من ذى القعدة قدم الأمير بيبغا المظفرى من القدس الشريف ونزل فى بيت الأمير أيتمش وأعطى تقدمة شرباش قاشوق ووظيفته أمير[٢] مجلس .

وفى أثناء هذه الأيام مسك السلطان إينال مملوك سودون الحلب وخازنداه وأخاه أيضا وضربهما[٣] ضربا مبرحا وعصرهما ونفاهما إلى قوص .

---

(١) لم يرد فى ترجمته بالضوء اللامع ٢ / ٩٨٤ مايشير من قريب أو بعيد إلى هذا الخبر الذى ساقه الصيرفى فى المتن كما خلت منه النجوم الزاهرة .

(٢) جرت العادة أن تكون منزلة أمير مجلس فى الجلوس عند السلطان ثانى ميمنة تحت الأمير الكبير ، لكن لما ولى بيبغا المظفرى فى ٢١ ذى القعدة سنة ٨٣١ وظيفة أمير مجلس أجلسه برسباى على الميسرة مخالفاً بذلك العادة وذلك لما سبق له من ولاية أتابكية العساكر بالديار المصرية ، انظر النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٦٣٤ .

(٣) استعمل المؤلف فى الأصل فى هذه العبارة كلها الجمع بدلا من المثنى .

وفى يوم الإثنين[1] آخر النهار الثالث من شهر ذى الحجة مسك السلطان أربعة أنفار من المماليك السلطانية الخاصكية وسجنهم فى الركنخاناه ، ورسم عليهم الأوجاقية .

وفى يوم الأربعاء الخامس من ذى الحجة آخر النهار مسك السلطان الأمير أزبك المحمدى الدوادار الكبير ، وعوق ليلة الخميس عند أمير آخور كبير ثم سفر إلى القدس الشريف صحبة الأمير قراجا أمير رأس نوبة صغير .

وفى يوم السبت الثامن من ذى الحجة خلع السلطان على الأمير تمراز القرمشى الذى قدم من غزة واستقر به رأس نوبة كبيراً عوضاً عن أركماس الظاهرى بحكم استقراره فى وظيفة الدوادارية الكبرى عوضا عن الأمير أزبك بحكم نفيه إلى القدس الشريف بطالا ، وأنعم السلطان بتقدمة أزبك المذكور على الأمير إينال الحكمى ، وأنعم بتقدمة إينال الحكمى على الأمير يشبك السودونى شاد الشراب خاناه واستقر من جملة المقدمين الألوف ، وأنعم بطبلخاناته على الأمير كمشبغا الأحمدى أمير عشرة ، ورأس نوبة ، وخلع على الأمير قراجا الأشرفى الخارندار واستقر شاد الشراب خاناه عوضا عن الأمير يشبك المذكور بحكم انتقاله إلى التقدمة ، وأنعم السلطان على إينال الفقيه بإمرة عشرة ، وهو من مماليك الظاهر برقوق .

وفى يوم عيد الأضحى خلع على الأمير بيبغا المظفرى واستقر رأس نوبة الأمراء ، وخلع على الأمير التاج الوالى واستقر مهمندارآ عوضا عن

---

(١) يتفق هذا التاريخ مع ما ورد فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٤١٦ .

الأخرس بحكم وفاته ومشد الدواوين أيضا مضافا لما بيده من ولاية القاهرة ومصر .

وفى يوم الثلاثاء الثامن عشر من ذى الحجة خلع على الأمير أركماس الظاهرى الدوادار واستقر فى نظر الأحباس المبرورة .

* * *

وفيها فى يوم السبت الخامس والعشرين من شوال أوفى الله تعالى النيل وكسر الخليج وكان ذلك موافقا لرابع عشر مسرى ، ونزل لكسر الخليج المقام الناصرى محمد بن السلطان الملك الإشرف ، [١٣١ ا] وركب فى خدمته الأمير أزبك الدوادار ورءوس نوب صغار وجماعة من المماليك السلطانية وكان يوما مشهوداً .

* * *

وفيها حج بالناس الأمير قرا سنقر ، وكان أمير الركب الأول إينال الششمانى أمير عشرة ورأس نوبة صغير ومحتسب القاهرة .

* * *

ذكر من توفى فى هذه السنة

٦٥٤ — القاضى بدر الدين حسن بن أحمد بن محمد البرديني(١) الشافعى أحد نواب الشافعية ، توفى يوم الإثنين الخامس والعشرين شهر رجب من هذه

(١) نسبة إلى بردين — بضم الباء وسكون الراء من القرى القديمة بمركز الزقازيق ، انظر القاموس الجغرافى ، ق ٢ ج ١ ص ٨٤ .

السنة ، وكان قد كبر وأسن وطال مرضه إلى أن مات ، وكان يعاشر الأكابر وأرباب الدولة ولم يشتهر عنه أمر سيء (١) ، ولا عزف بعلم من العلوم كذا ذكره شيخنا البدر العينى .

٦٥٥ — الأمير بكتمر السعدى توفى يوم الخميس الثالث عشر شهر ربيع الأول ، ودفن فى تربة الصوفية خارج باب النصر ، وكان من خيار الأمراء الذين يخافون الله عز وجل ، وكان متورعا عن الحرام دينا خيراً .

٦٥٦ — الأمير جانى بلك [بن (٢) عبد الله الأشرف برسباى] الدوادار الثانى ، توفى ليلة الخميس الثالث والعشرين من ربيع الأول بعد الثلث الأخير من الليل ، وحضر إلى بيته صبيحة يوم الخميس السلطان الملك الأشرف وسائر أعيان الدولة وأرباب الوظائف والقضاة والمماليك وغيرهم ، وجلس السلطان فى حوشه على دكة إلى أن فرغوا من غسله وتكفينه ، ثم توجه إلى مصلى المؤمنى فى الرميلة ومشت الناس جميعهم وصلوا عليه ، ثم ذهبوا به إلى مدفنه الذى أنشأه بمدرسته التى بالشارع الأعظم خارج باب زويلة ، وحصل للسلطان عليه أسف كثير من كثرة ما أظهره من البكاء والتحرق والتلهف ، وقيل إنه مات مقتولا ، والله أعلم ، وكان أميراً ذا وجاهة وضخامة وحرمة وافرة ومنزلة زائدة عند السلطان . فإنه كان رباه صغيراً كأحد أولاده ومشترواته ، ولم يزل فى خدمته فى السراء والضراء إلى أن أعطى الله تعالى السلطان هذه المنزلة العظمى ، فعظم جانبك

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٨٠٥ والضوء اللامع ٣ / ٣٨٤ .

(٢) أضيف مابين الحاصرتين تمييزاً له عن آخرين يعرف كل منهم بجانى بك الأشرفى ، ولهيم أيضا من شغل الدوادارية الثانية .

بسبب أستاذه ، وحصل من الأموال والقماش والأثاث والخيول والجمال والبغال والأملاك شيئا كثيراً لا تحصره دائرة الوصف والنطاق ، وأما الجاه فكذلك ، وغالب ما حصله فى وظيفة الدوادارية لأنه كان قد شاع ذكره فى الغرب والشرق بقضاء حوائج الناس ، وكان ينزل فى خدمته المباشرون كالمقر كاتب السر ، وناظر الجيش ، وناظر الخاص والأستادار . وما يكاد أحد يشق بابه من الازدحام فى أشغال الناس سيا أهل الشام وحلب من العرب والتركمان ، وهجمت عليه الدنيا فضحكت له ثم أبكته عقيب ذلك واقتنصته المنية وهو فى عنفوان شبابه وهكذا شأن الدنيا ، والبقاء والدوام لله وحده لا شريك له .

٦٥٧ — وتبعته زوجته أردباى جارية الملك الأشرف يوم الأربعاء ثالث ربيع الآخر من هذه السنة فبينه وبينها عشرون يوماً ، وقيل إنه لما أحس بالسم قالت له « لا أعيش بعدك » وسألته أن يجامعها فجامعها فلحقت به وخربت دياره بالكلية وصارت هباء منثوراً ، وخلفت شيئاً كثيراً من القماش والحلى والثياب والأثاث والعقار ، وخلفت ولدين أحدهما من الأمير جانبك فأخذ السلطان الولدين عنده وأحسن إليهما غاية الإحسان ، ولم يزالا حتى مات الذكر وبقيت الأنثى وهى الآن حية ترزق .

٦٥٨ — الأمير أزدمر جيا[1] توفى فى حلب المحروسة فى جمادى الأولى[2] وكان قد تولى ملطية على ما قدمناه فأقام بها مدة ثم استعفى منها فأعفاه

(١) سبقت الإشارة إلى الإختلاف فى إسمه ، هذا وقد أوردته النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٨٠٣ باسم «أزدمر بن عبدالله بن على جان المعروف بأزدمر شايا» ، أما ابن حجر قد أورده باسم « أزدمر شاية » فى إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٤٠٧ ترجمة رقم ٢ وبهذه الصورة أيضا ذكره السخاوى فى الضوء اللامع ٢ / ٨٦١ ، وزاد على ذلك بأن قال « إنه يعرف أيضا بأزدمر شها » .

(٢) « سادس شهر ربيع الآخر » فى كل من النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٨٠٣ والضوء اللامع ٢ / ٨٦١ ، وإنباء الغمر ج ٣ ص ٤٠٧ .

للسلطان ، وقدم إلى حلب وهو ضعيف فأقام فى ضعفه أياماً ثم مات . قال شيخنا قاضى القضاة البدرى محمود العينى : « لم يكن مشكور السيرة وكان عنده تجبر وظلم ولم يشتهر عنه معروف » ، ولما عزل عن ملطية ولى عوضه فيها الأمير قانباى البهلوان .

٦٥٩ — الأمير شيخ الحسنى [المجنون] (١) مات بحلب أيضاً وكان أحد الأمراء العشرينات ، وأحد رءوس النوب فى الديار المصرية ثم نفاه السلطان إلى حلب ، وكان موته بها فى شهر ربيع الآخر من هذه السنة .

٦٦٠ — الأمير إياس الجلالى توفى ليلة الثلاثاء التاسع والعشرين من جمادى الآخرة بالقاهرة ، وكان حاجباً ثانياً كما ذكرناه فى محله ثم عزله السلطان وأمره بلزوم بيته فإنه كان يشكو من ضعف رزقه ، ولم يزل على ذلك إلى أن توفى فى التاريخ المذكور ، وكان من مشتروات الملك الظاهر برقوق .

٦٦١ — الأمير يشبك الساقى الأعرج أتابك الديار المصرية ، توفى ليلة السبت قبل طلوع الشمس الثالث من جمادى الآخرة وصلى عليه فى مصلى المؤمنى ، [١٣١ ب] وحضر السلطان الصلاة عليه وسائر الأمراء وأعيان الدولة ، وصلى عليه الخليفة المعتضد بالله العباسى ودفن فى الصحراء ، وهو من مماليك الملك الظاهر برقوق وجرت عليه مجريات كثيرة من الحروب والشرور وإثارة الفتن والانتقال من وضع إلى وضع بالهروب ، وآخر مرة لما تولى للسلطان الملك المؤيد رحمه الله السلطنة رسم بنفيه إلى مكة المشرفة فأقام فيها سنين .

---

(٦٤) الإضافة من الضوء اللامع ٣ / ١١٨٥ .

وكان الظاهر ططر يساعده جدا ويتفقده ويحسن إليه ، وهو الذى أحضره من مكة لما آل الكلام إليه فى الدولة بعد موت المؤيد ، وأعطاه تقدمة ألف بالديار المصرية وأسكنه بالقلعـة فى الرواق الذى كان يسكن فيه من يكون زمام الأدر الشريفة ، ثم كبر أيضاً فى دولة الملك الأشرف بحيث أنه كان يلازمه فى غالب أوقاته ، وكان مقبول القول عنده وترقى فى أيامه إلى أن صار أمير سلاح، ثم تولى أتابك العساكر بالديار المصرية ، وتولى النظر على المارستان المنصورى، وسكن فى بيت شيخون الناصرى بالرميلة المقابلة لباب السلسلة ، ومات فى التاريخ المذكور . وكان عنده عرفان بأمور المملكة وترتيب الدولة غير أنه لم يشتهر عنه معروف. هكذا ذكر الشيخ الإمام بدر الدين العينى رحمه الله .

وكان محبا للدنيا والاستكثار منها والحرص عليها ، فجاءه الموت فجأة ، ولكنه كان يقرأ القرآن العظيم ويجوده ، ويكتب جيدا ويحفظ بعض مسائل فقهية ، وخلف بنتا كبيرة وجاءه بعد موته ولد أيضاً وحازا تركته ولم يخلف موجوداً .

٦٦٢ — الأمير قجقار الشهير ببرغطاى[1] الزردكاش أحد الأمراء الطبلخانات ، توفى ليلة الإثنين الخامس والعشرين من شهر رجب من هذه السنة ودفن صبيحة يوم الإثنين وخلف موجوداً كثيراً ، وكان تولى

---

(١) هو « جغطاى » أو « شغتاى » كما نص على ذلك النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٦٢٧، ٨٠٠ ، ٨٠١ والمنهل الصافى والضوء اللامع ٦ / ٦٩٩ ، حيث لقبه أيضا بالبكتمرى ، وقال عنه « ويقال له جغطاى ، وربما كتب بالشين المعجمة بدل الجيم وبالمثناة بدل الطاء » .

الوظائف الكبيرة من بعد حضوره من بلاد تمرلنك ، فتولى مدة وظيفة الدوادارية الأمير يكتمر جلق فى مصر والشام ، ثم تولى دوادارية سيدى إبراهيم بن السلطان الملك المؤيد ، ثم تولى زردكاشا للملك الأشرف ، واستمر على ذلك إلى أن توفى التاريخ المذكور وخلف موجوداً نفيساً وأخذ ماله الوزير ، وتولى بعده فى الزردكاشية سيدى أحمد الأسود أحد الدوادارية الصغار *

٦٦٣ — الأمير خرس المهمندار الشامى توفى فى ذى القعدة من هذه السنة وتولى عوضه فى المهمندارية الأمير التاج الوالى كما قدمناه *

فصــل

فيما وقع من الحوادث

فى السنة الثانية والثلاثين بعد الثمــانمــائة

استهلت هــذه السنة والخليفة والسلطان الملك الأشرف على حالهما ، ونائب اسكندرية الأمير آقبغا التمرازى ، ونائب غزة الأمير إينال الأجرود[(١)] العلائى ، ونائب صفد الأمير مقبــل ، ونائب طرابلس الأمير طرباى ، ونائب حماة الأمير جلبان ، ونائب حلب الأمير خسرو :

---

(١) هناك اثنان يعرف كل منهما بإينال الأجرود ، وقد لقى أحدهما مصرعه ذبحاً بأمر الناصر فرج سنة ٨١١ ، انظر إنباء الغمر ، ج ٢ ص ٤٠٥ رقم ٣ ، وأما ثانيهما وهو المقصود هنا واسمه إينال العلائى الظاهرى الأجرود فقد ولاه الأشرف برسباى نيابة غزة سنة ٨٣١ ثم تولى فيما بعد السلطنة بمصر ومات سنة ٨٦٥ ، انظر عنه بالتفصيل :

Van Berchem:
Materiaux pour un Corpus inscriptionum arabicarum, Egypte, t. I, Nos. 271-278, 280; Mehren: Cahirah of Kerâfat, Vol. I, p. 210; Mayer: Arabic Inscriptions of Gaya وكذلك المقالات التى نشرها كل من (in) Journ., of the Palestine Oriental Society, t. x, p. 60; Jaussen: Inscription d'Hebron (in) Bull. de l'Institut français d'Archeologie Orientale, t. XXV, Nos. 27-28.

وابن الشحنة : تحفة الأنباء فى تاريخ حلب الشهباء ، ص ١٣١ ، وابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٢ ص ٣٥ - ٣٩ . وانظر أيضا. Vincent et Mackay: Hebron, Le Haram El-Khalil, Sepulchre des patriarches, p. 210.

وأتابك العساكر بالديار المصرية الأمير جارقطلو ، وأمير سلاح الأمير إينال الحكمى، والأمير رأس نوبة الأمير تمراز، والدوادار الكبير الأمير أركماس العلائى .

وبقيـــة أرباب الوظائف من المباشرين والقضاة الأربعـــة على حالهم وكذلك قضاة الشام وقضاة حلب على حالهم .

* * *

وكان أول هذه السنة المذكورة يوم الإثنين [1] .

فى ليلة الإثنين خامس عشره حدث مع غروب الشمس برق يتوالى يتبعه ورعد شديد ثم مطر غزير واستمر معظم الليل فلم ندرك بمصر مثله رعداً وبرقا ولا عهدنا بمثل غزارة هذا المطر فى فصل الخريف [2] : وجاء الخـــبر بأنها أمطرت وقت العشاء ليـــلة الإثنين ثانية بناحيـــة بنى عدى من البهنساوية برداً بقدر بيضة الدجاجة وما دونها كبيضة الحمامة ، فهلك به من الدجاج والغنم والبقر شىء كثير ، فهلك لرجل ستون رأسا من الضأن ، وهلك لآخر ستون رأسا من المعز ، ولم يتجاوز هذا البرد بنى عدى ، وكان مع البرد والمطـــر رعد مرعب من شدته وبرق متوال ورياح عاصفة .

وفى هذا الشهر تتبع الأمير قرقماس حاجب الحجاب مواضع الفساد فأرق الخمور وحرق من الحشيشة المغيرة للعقل شيئا كثيراً ، وهجم مواضع ومنع من الاجتماع فى مواضع الفساد .

---

(١) يتفق هذا اليوم وما ورد فى التوفيقات الإلهامية ص ٤١٦ ، ويطابقه ١٤ بابه سنة ١١٤٥ ، = ١١ أكتوبر ١٤٢٨ .

(٢) كان سقوط هذا المطر فى شهر أكتوبر ١٤٢٨ .

[١٣٢ ا] وفى ثانى عشرينه قدم ركب الحاج الأول صحبة الأمير إينال الشمشمانى ، وقدم بعده من الغد ركب المحمل .

* * *

وحدث فى هذا الشهر من المظالم ثلاثة أشياء ، أحدها : أنه كان قد تقرر فى العام الماضى مع القاضى كريم الدين عبد الكريم بن بركة ناظر الخاص أن يعفى تجار الشام ومشهد على والكوفة والبصرة الذين يتبضعون بجدة من متاجر الهند من القدوم من مكة إلى القاهرة ببضائعهم ، وأن يقوموا[1] عن كل حمل بثلاثة دنانير ونصف ، فانتقض ذلك فى الموسم بمكة وألزم سائر التجار أن يحضروا من مكة ببضائعهم صحبة الركب ، وأقام عليهم أعوانا يحفظونهم ، فلم يقدر أحد أن يتأخر بمكة عن الحضور ولا يتوجه إلى الشام بل أحضروا بأجمعهم إلى القاهرة صحبة الحاج ، فنزل بهم من البلاء والظلم ما لا يعبر عنه :

ثانيها : أنه رسم بالإسكندرية أن لا ينصب قبان لوزن بضاعة أحد من التجار ومنعهم كافة من بيع البهار على الفرنج ، وألزم الفرنج بشراء الفلفل السلطانى المحضر من جدة بمائة وعشرين ديناراً الحمل ، وكانت قيمته مع التجار بثمانين ، فأخذ الفرنج ما وصلت قدرة مباشرى السلطان أن يبيعوه عليهم ولم يبيع[2] التجار عليهم ولا يشتروا منهم فرجع الفرنج بغالب بضائعهم إلى بلادهم ، وحصل على التجار بذلك غاية الأذى والضرر

(١) أى يدفعوا مكسا قدره ثلاثة دنانير ونصف دينار عن كل حمل .
(٢) أبقينا هذا النص على أصله لمقاربته للعامية فى مصر اليوم .

ثالثها : أنه بلغ السلطان أن التجار الواصلين إلى القاهرة من الموصل وحماة ودمشق يحصل لهم من الربح فيما يجلبونه من الثياب المنسوجة من القطن مال[1] كثير فألزم السماسرة أن لا يبيعوا[2] من هذا الصنف لأحد شيئا بل يكون بأجمعه متجرا للسلطان ، فأخذ من أحد التجار ثمانون ثوبا ، وأخذ من آخر عشرة وقومت بأقل من ثمنها فى بلادها ، وكتبت مراسيم سلطانية إلى البلاد الشامية أن لا يمكنوا التجار من حمل شىء من ذلك إلى القاهرة ، فصادف قدوم حمل من الموصل إلى حماة بثياب موصلية فرسم عليهم حتى دخلوا من حماة بما معهم راجعين به إلى البرية إلى بلادهم ، واحتجوا عليهم أن سبب هذا الفعل كون الثوب ناقص عن الثلاثين ذراعا فى الطول ، وفى العرض عن ذراع ونصف ، فحل بالناس بلاء لا يمكن وصفه ، وخربت الموصل بعد ذلك ، وبطل عمل الثياب بها كما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى :

* * *

ووصل من جزيرة قبرس ثياب صوف فحملت إلى دمشق وهى ثمانمائة ثوب ، فطرح الثوب منها بثمانية عشر دينارا على التجار ويحتاج إلى دينار آخر كلفةً لأعوان الظلمة فباعوا أحسنها بإثنى عشر ديناراً ، فخسر كل ثوب سبعة دنانير ، وطرح بها السكر المصنوع بالأغوار على الناس فلم يكد يسلم من الأخذ منه أحد ، ولله عاقبة الأمور :

شهر صفر أوله الثلاثاء[3] ، وفيه جبيت أثمان البضائع المطروحة بجور وظلم :

---

(١) فى الأصل « مالا كثيراً » .

(٢) فى الأصل « لايبيع » .

(٣) الوارد فى التوفيقات الالهامية ص ٤١٦ أن أوله كان الأربعاء .

وفى ثانى عشرينه كتب على نجاب بحضور الطواشى فيروز الساقى من المدينة النبوية :

وفى رابع عشريه خرجت تجريدة لأخذ خيول عربان الغربية والبحيرة :

* * *

شهر ربيع الأول أوله الخميس :

فيه نزلت طائفة كبيرة من مماليك السلطان الجلب الذين يسكنون الأطباق بقلعة الجبل إلى بيت الأمير زين الدين عبد القادر بن أبى الفرج الأستادار وتسوروا الجدران حتى دخلوه فنهبوا ما فيه من قماش ومتاع ، وعبثوا فى طريقهم على المسلمين فأخذوا ما قدروا عليه ، ثم مضوا إلى ناظر الديوان المفرد ثم إلى بيت الوزير فأدركهم مقدم المماليك والزمام وتلطفا بهم حتى انصرفوا عن بيت الوزير؛ وسبب ذلك تأخر جوامكهم بالديوان المفرد شهرين فشكوا ذلك إلى السلطان فرسم لهم أن ينهبوا بيوت المباشرين ففعلوا ، وكان يوما فظيعا شنيعا :

* * *

وفى خامسه نودى بمنع الناس من المعاملة بالدراهم (١٣٢ ب) البندقية والدراهم الانكية فامتنعوا ، وتصدى جماعة من جهة ناظر الخاص لأخذها بأقل من قيمتها لعلمهم بأن الدولة لا يمضى لها أمر ولا تثبت على حال، فخسر جماعة فى هذا الأمر جملة وربح جماعة جملة :

وفى حادى عشره قبض على الأمير زين الدين عبد القادر بن أبى الفرج الأستادار وضرب ثم خلع عليه من الغد واستقر على عادته :

* * *

شهر ربيع الآخرة

أوله الجمعـــة :

أهل هذا الشهر وقد ارتفع سعر القمح من أربعمائة الأردب إلى أربعمائة وخمسين ، والشعير من مائة وثمانين إلى ثلاثمائة ، والفول بنحو ذلك ، وأبيعت البطة من الدقيق بمائة وأربعين درهما ، هذا والربيع فى غاية ما يكون من الابتهاج ، والخيول والبهائم يرتعون فيه ، ومن العادة انحطاط سعر الغلال فى مثل هذه الأيام غير أن الغلال احتكر عليها وزادوا فى ذلك ويطمعون فى غلو أثمانها :

وفى ثامن هذا الشهر نودى على الفلوس بثمانية عشر درهما كل رطل، والناس متضررون[1] من عدم وجود الفلوس ، فإن التجار نقلوها إلى بلاد الهند وغيرها لطلب السـعر فيها بالنسبة إلى رخص النحاس الأحمر الذى لم يضرب :

* * *

وفى يوم السبت سادس عشره ركب السلطان بثياب جلوسه ونزل من قلعة الجبل إلى بيت القاضى زين الدين عبد الباسط ناظر الجيش فأقام عنده قليلا وعاد إلى القلعـــة فحمل إليه عبد الباسط من الغد ألفى دينار وخيولا وبغـــالا :

فى هذا الشهر تكرر ركوب السلطان مرارا :

وفيه ارتفع سعر القمح إلى خمسمائة درهم الإردب ، وأبيع الأرز بألف درهم الإردب بعد خمسمائة :

* * *

(١) فى الأصل « متضررين » .

وفى سادس عشرينه تقدم أمر سيدنا ومولانا وشيخنا قاضى القضاة شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على بن حجر خادم السنة والأثر إلى الشهود والموقعين الجالسين فى الحوانيت المتحملين للشهادات بين الناس أن لايكتبوا صداق امرأة إلا بأحد النقدين الفضة أو الدنانير الذهب ، وهكذا فعل قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن البلقينى رحمه الله فىسنة ست وثمان مائة لما رسم للموقعين والشهود أن لايكتبوا صداقا ولا مسطوراً ولا مبايعة إلا بالدراهم النقرة أو الذهب حتى راجت الفلوس .

وفى هذا الشهر حجر على بيع السكر ورسم أن لا يباع إلا للسلطان ثم بطل ذلك

* * *

وفى هذا الشهر مسلك تاجر من العجم منتم[1] إلى الإسلام من الظاهر وقد وجهه الحطى ملك الحبشة فى الباطن إلى ملك الفرنج يحثهم على القيام معه لإزالة دين الإسلام وأهله وإقامة الملة العيسوية ، فإنه[2] قد عزم على أنه يسير من بلاد الحبشة فى البر بعساكره ويلتقى بجموع الفرنج فى البحر فيخربوا سواحل بلاد المسلمين ، فسلك هذا التاجر الفاجر فى مسيره من الحبشة البرية حتى صار من وراء الواحات إلى بلاد المغرب ، وركب منها البحر إلى بلاد الفرنج ودعاهم للثورة مع الحطى على إزالة ملة الإسلام وأهلها ، واستعمل بتلك البلاد عدة ثياب مذهبة باسم الحطى ورقشها بالصلبان فإنه شعارهم ، وقدم من بلاد الفرنج فى البحر إلى الإسكندرية

(١) هو المعروف بعلى التبريزى

(٢) الضمير هنا عائد على الحطى ملك الحبشة

ومعـــه الثياب المذكورة وراهبان من رهبان الحبشة ، فنم عليه بعض عبيده فأحيط بمركبه وحمل هو والرهبان وجميع ما معه إلى السلطان .

* * *

وفى هـــذا الشهر رسم السلطان لمباشرى الديوان المفرد بكتابة ارتفاعه ومتحصله ومصروفه وأنه يعجز فى كل سنة مبلغ ستين ألف دينار خارجة عن النواحى المستأجرات والحمايات ورمى البضائع ، فعين له السلطان مبلغ ثلاثين ألف دينار من ربح متجر السلطان ، وأول مايبدءون به من ذلك تحكير السكر ودولبته وزراعة القصب واعتصاره وعمل القند سكرا ، وأن لا يباع ذلك إلا للسلطان ، وأن توزع الثلاثون ألف دينار الأخرى على الكشاف والولاة ، ثم أهمل هذا الأمر ولم يتم ، ولله الحمد والمنة :

* * *

وفى هذا الشهر برز المرسوم الشريف للدلالين بسوق الخيل أن لا يبيعوا فرساً على متعمم ولا جندى من أولاد الناس، ثم بطل ذلك بفضل الله الكريم المـــالك :

وفى سادس عشريه قدم الطواشى فيروز الساقى من المدينة النبوية باستدعاء فأعيد إلى ما كان عليه من الخدمة :

وفى هذه الأيام انحل سعر الغلال وانحطت الأثمان :

وفيه فرقت الجمال على الأمراء برسم التجريدة إلى بلاد الشام وحلب :

وفى يوم السبت سلخه كثر الإرجاف بأخذ خيول الناس من مرابطها على البرسيم بالنواحى ، فمن سبق بخيله نجا ومن تأخر أخذت منه قسراً ، وسلمت إلى الأمير آخور ، وسبب ذلك أن الخيول أشيع هلاكها، لمنفق

للسلطان ومماليكه [١٣٣ ا] نحو من ألف فرس ، ثم بعد ذلك وقف[1] بعض أصحاب الخيول للسلطان فأفرج لهم عنها فأخذوها :

وفى هذا الشهر هدم[2] علو بيت منجك بخط رأس سويقة منعم قريبا من مدرسة السلطان حسن وأبيعت أنقاضه بألفى دينار وهذا البيت من جملة أوقاف صهريج منجك ، وسبب هدمه أن الأمراء أصحاب الشوكة يسكنونه[3] ولايدفعون أجرته لمـــا هو موقوف عليه بل كلما تهدم فيه موضع ألزموا المباشر من دفعه بعمارته وتفاءل الناس بأن الخراب واقع فى بيوت الأمراء :

* * *

شهر جمادى الأول

أوله الأحد :

فى الثانى منــــه توجه ركب الحاج قاصداً مكة صحبة سعد الدين إبراهيم ابن المرأة ناظر جدة وفيه جماعة كثيرة .

* * *

وفيه بل فى رابع عشريه طلب المقام الشريف قضاة القضاة للنظر فى أمر نور الدين على الخواجا التبريزى الواصل برسالة الحطى ملك الحبشة إلى الفرنج فاجتمعوا بين يدى السلطان ، وندب قاضى القضاة شمس الدين محمد البساطى المـــالكى للكشف عنه وإنفاذ حكم الله تعالى فيه فنقل من

---

(١) فى الأصل « وقفوا » .

(٢) فى الأصل « أهدم » .

(٣) فى الأصل « ليسكنوه » .

سجن السلطان إلى سجنه (١) وأقيمت البينة الشرعية عند القاضى بما يقتضى إراقة دمه فشهر فى يوم الأربعاء خامس عشريه على جمل بمصر والقاهرة وبولاق ونودى عليه : « هذا جزاء من يجلب السلاح إلى بلاد العدو ويلعب بالدينين » ، ثم أجلس تحت شباك الصالحية بين القصرين وضربت عنقه ، وكان يوماً مشهوداً نعوذ بالله من شر الخاتمة .

* * *

وفى هذا الشهر عزم الأمير زين الدين عبد القادر بن أبى الفرج الأستادار على السفر إلى البلاد فتوجه وفرض على كل بلد ما لا وسماه « الضيافة » ليستعين بذلك على عجز الديوان المفـرد لنفقة المماليك السلطانية ، وحصل من ذلك مالا كبيراً فإنه كان يأخذ من مائة دينار إلى مادون ذلك وإلى ما فوقه بحسب الحال ، وحصل عند الفلاحين بذلك خلل يظهر أثره فيها بعد .

شهر جمادى الآخرة

فيه طلب شيخ الشيوخ شهاب الدين أحمد بن المحمرة (٢) من القدس وهو شيخ الصلاحية بها وعرض عليـه قضاء القضاة الشافعية بدمشق فقبله ،

(١) أى إلى سجن القاضى البساطى المـالكى فقد جاء فى النجـوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٦٣٨ س ٤ — ٥ « كان التبريزى مسجوناً فى سجن السلطان فنقله القاضى من سجن السلطان إلى سجنـه » .

(٢) راجع قضاة دمشق ص ١٦٠ — ١٦٢ ، وابن حجر : إنباء الغمر ، وفيات سنة ٨٤٠ ترجمة رقم ٣ بها ؛ هذا وقد كان ابن المحمرة يعرف أيضا بابن السمسار لأن أباه كان من سماسرة الغلال بساحل بولاق ، أما تلقيبـه بابن المحمرة فلأن أمه نسبتها إلى التحمير من الحمرة ، كذلك يعرف بابن الصلاح وهو لقب أبيه وجده ، وقد علق البقاعى على نسخة من مخطوطة لإنباء الغمر فى الهند فقال : « إنما الصلاح لقب جده » ، ثم قال أيضا : « ويعرف أبوه بابن البحلاق » ، انظر أيضا شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٣٤ والضـوء اللامع ٢ / ٥١٥ ، والبقاعى : عنوان الزمان فى تراجم الشيوخ والأقران ، ترجمة رقم ٨٥ ، والسيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ص ٢٠٢ .

وخلع عليه عوضاً عن بهاء الدين محمد بن نجم الدين عمر بن حجى ، وكان السلطان طلب قاضى القضاة علم الدين صالح قبله وسأله بذلك فلم يقبل ، وهو من حين صرف عن القضاء ملازم لداره ملازم عمل الميعاد ، وفى كل يوم جمعة قبل الصلاة بمدرسة والده يكتب على الفتيا ويلازم التدريس :

وفى يوم الثلاثاء منه خلع على جمال الدين يوسف بن الصفى الكركى واستقر ناظر الجيوش بدمشق عوضاً عن السيد الشريف شهاب الدين أحمد ابن عدنان ، وكان الجمال يوسف منذ عزل من كتابة السر مقيما بالقاهرة ؛

وفيه كتب بانتقال القاضى شهاب الدين أحمد بن الكشك من قضاء الحنفية بدمشق إلى قضاء طرابلس عوضاً عن شمس الدين محمد الصفدى ثم بطل ذلك ، واستقر الصفدى المذكور عوضاً عن ابن الكشك فى قضاء الحنفية بدمشق :

وفى ثامن عشره توجه قاضى القضاه شهاب الدين بن المحمرة والقاضى جمال الدين يوسف الصفدى إلى محل ولايتهما بدمشق ، وعين أحد من الخاصكية المسفرين معهما وأن يحضر الصفدى من طرابلس إلى قضاء دمشق ، وأن يأخذ من الثلاثة ألفاً وثلاثمائة دينار ذهباً يخص ابن المحمرة من ذلك ثلاثمائة دينار وتبقى الألف نصفين على ابن الصفى والصفدى ولم راينا[1] ولا سمعنا أن مسفراً من الخاصكية وغيرهم خرج مع أحد من القضاة ولا المتعممين :

* * *

(١) هذا تعبير مصرى دارج معناه « ما رأينا » .

وفى هذا الشهر نزل القمح إلى مائتين وثمانين الإردب بعد خمسمائة ، وأبيع الشعير بمائة وثلاثين درهماً الإردب بعد أن كان بثلاثمائة ، وأبيعت البطة من الدقيق بتسعين درهماً بعد ما وصلت مائة وخمسين :

* * *

وفيه برز المرسوم الشريف لمتولى الشرطة أن يتتبع العبيد السود وقبض على علة منهم لكثرة فسادهم ونفاهم من القاهرة .

وفيه رسم بأخذ الشـــعير من النواحى لعجز الديوان عن عليق خيول المماليك السلطانية فأخذ من شعير الناس شىء كثير :

* * *

(١٣٣ ب) شهر رجب

أوله الأربعـــاء :

دخل هذا الشهر والقمح من مائتين وأربعين إلى ما دونها كل أردب ، والشعير من مائة وثلاثين درهماً إلى ما دونها ، والذهب معدوم الوجود جداً ، وبلغ الدينار الأشرفى إلى مائتين وخمسين درهماً ، ورخص اللحم حتى أبيع لحم الضأن بستة دراهم ، ولحم البقر بأربعة دراهم الرطل :

وفى ثامنه خلع على جلال الدين محمد(١) بن بدر الدين محمد بن مزهر بكتابة السر عوضاً عن أبيه وله من العمر نحو خمس عشرة سنة ، وخلع

---

(١) فى الأصل «أحمد» هذا وقد ورد فى النجوم الزاهرة، ج ٦ ص ٦٤٠ أنه كان دون العشرين سنة ولم يطر شاربه ، أما الضوء اللامع فجعله ابن ثمانية عشر ربيعا بناء على ما ذكره ابن حجر فى إنباء الغمر بأنباء العمر من أنه ولد سنة ٨١٤ ، يلاحظ أنه قرر عليه — عند وفاة أبيه — أن يحمل السلطان مائة ألف دينار فى قول أو تسعين ألفا فى قول آخر ، وقد مات مطعونا فى السنة التالية لتوليته كتابة السر ، انظر الضوء اللامع ٩ / ٤٨٤ .

على شرف الدين أبي بكر[١] بن سليمان الأشقر الحلبي واستقر نائب كاتب السر، وقرر على ابن مزهر أن يحمل للخزائن الشريفة من تركة أبيه فشرع فى بيع موجوده وهو موجود كثير من سائر الأصناف ما بين بضائع وأصناف وكتب علمية وثياب بدنية وخيول وجمال ورقيق وذهب نقد، وحمل ما التزم به :

* * *

وفى تاسعه أدير المحمل على العادة فكان فيه من استحلال الأمور القبيحة ما لا يوصف، وذلك أن المماليك السلطانية نهبوا المطاعم وتعرضوا للنساء والشباب فى ليالى الزينة بشناعات عظيمة اقتضى الأمر فيها تجمع الناس لقتال المماليك السلطانية ، حتى قتل منهم اثنان[٢] :

* * *

وفى هذه الأيام حضر جماعة من التجار من الموصل فأخذ ما معهم من الثياب الموصلية وقومت بدون قيمتها ورسم أن يكون صنف البعلبكي والعاتكى والموصلى للسلطان ليشتريه ممن يجلبه إلى القاهرة ويبيعه فى الناس :

وفيه حكر بيع الكتان المجلوب من بلاد الصعيد وجعل من أصناف المتجر السلطانى، وحكر بيع الغلال فى النواحى بأسرها وجعلت أيضاً من المتجر السلطانى ، ثم بطل ذلك كله ، ولله الحمد :

وفيه طرحت بضائع من المتجر السلطانى على الناس ولم يعف أحد من التجار من أخذها ، فارتفعت الغلة من مائتين وأربعين درهماً إلى ثلاثمائة درهم :

---

(١) كان أول ماتعانى التوقيع فى حلب فبرع فيه ، ولما ولى نيابة كتابه السر بمصر عرض عليه الاستقلال بها فامتنع وانتهى به الأمر أخيراً لمباشرة كتابة السر بحلب سنة ٨٣٩ ، وكان رسولا فى الصلح بين برسباى وبين قرايلك فى حرب آمد ، انظر عنه البقاعي: عنوان الزمان فى تراجم الشيوخ والأقران ، والضوء اللامع ج ١١ ص ٣٣ – ٣٤ .

(٢) فى الأصل « اثنين » .

وفى ثانيه أيضاً خلع على شمس الدين محمد بن يوسف بن صالح الحلاوى[1] الدمشقى واستقر فى وكالة بيت المال عوضاً عن نور الدين السفطى، وكان قد وليها فى الأيام الناصرية مع نظر الكسوة :

وفى ثالث عشريه قدم الأمير سودون من عبد الرحمن نائب الشام وصحبته القاضى كمال الدين بن البارزى كاتب السر بدمشق وقدم تقدمته[2] فى ثالث عشريه ، ومن جملة التقدمة مبلغ خمسة عشر ألف دينار وخيل وثياب وحرير وفيها سمور وغير ذلك، فأخذ السلطان الذهب وأعاد ما عداه إعانة له على تقدمة الأمراء :

---

(١) اختلف مترجموه فى هذه النسبة ، فقال بعضهم إنه منسوب للمدرسة الحلاوية بحلب وقال آخرون بل لأن أباه كان يبيع الحلوى الناطف فى طبق ، هذا وقد ذكر الضوء اللامع ١٠ / ٢٩٢ أنه ولى وكالة بيت المال سنة ٨٢٧ وليس فى سنة ٨٣٢ — كما هو وارد فى المتن — حتى مات سنة ٨٤٠ وكان الحلاوى هذا ينمق الحكايات اللطيفة فلا يمل سامعها كما كان كبير اللحية جدا حتى هجاه بعضهم بقوله :

ظن الحلاوى جهلا أن لحيته تغنيه فى مجلس الافتاء والنظر

أما نور الدين السفطى فهو على السفطى المولود بسفط الحنا من أعمال الشرقية وكان يتعاطى الشهادة عند الأمراء ، كما باشر نظر البيمارستان ثم وكالة بيت المال والكسوة ، وكانت وفاته سنة ٨٣٢ ولم يرد ابن حجر فى ترجمته إياه عن ذكر وظائفه وأنه جاوز الخمسين عاما ، انظر إنباء الغمر ج ٣ ص ٤٢٨ ، ترجمة رقم ١٤ .

أما سفط الحنا فمن القرى المصرية القديمة فى مركز أبو حماد ، وقد ذكر المرحوم محمد رمزى فى القاموس الجغرافى، ق ٢ ج ١ ص ٧٣ أن جوتييه أوردها فى قاموسه باسمها المصرى القديم بما يفيد أن معناها « مدينــة الإله سوبدو » آله الشرق ؛ أما إضافتها إلى الحنا فمرجعها لوقوعها فى المنطقة التى تعرف أيام الفراعنة باسم غيط نبات الحنا .

(٢) يشير المؤلف هنا إلى مسألة هامة هى التقدمة أو الهدايا التى يقدمها الوافد الكبير إلى كبار أمراء الدولة .

وبعد هذا قدم القاضى كمال الدين بن البارزى تقدمة بخمسمائة دينار ما بين ثياب حرير وفرو وسمور :

* * *

شهر شعبان

أوله الخميس :

فى يوم الجمعة ثانيه نزل من المماليك الأجلاب بالطباق التى فى القلعة جماعة إلى بيت الوزير كريم الدين بن كاتب المناخ ونهبوه وسبب ذلك [أنه] انقطع عنهم اللحم المرتب لهم يوماً أو يومين :

* * *

وفيه توجه نائب الشام ومن حضر صحبته إلى محل ولاياتهم بعد ما قرر عليه[1] خمسين ألف دينار حمل منها خمسة وعشرين ووعد أن يرسل بقية ذلك من الشـــام .

وفى ثالثه خلع على نظام الدين عمر بن إبراهيم بن محمد بن مفلح[2] واستقر فى قضاء الحنابلة بدمشق وكان قد قدم القاهرة وعمل بالجامع الأزهر عدة

---

(١) أى على نائب الشام سودون من عبد الرحمن ، وذلك أن السلطان أراد عزله عمـــا بيده من النيابة واستبقاءه بمصر فكره ذلك خوفاً من الأجلاب ووعد أن يحمل لبرسباى خمسين ألف دينار لقاء إرجاعه إلى الشام .

(٢) كان مولده بصالحية دمشق سنة ٧٨٢ ، ولما قدم مصر تردد إلى المناوى والسراج البلقينى وابن خلدون ، كما ولى قضاء غزة استقلالا سنة ٨٠٥ وهو أول حنبلى وليه بها ، وقد عمر حتى بلغ التسعين ومات سنة ٨٧٢ ، انظر فى ذلك الضوء اللامع ٦/٢٢٢ ، وابن طولون : قضاة دمشق ٤ ص ٢٩٦ — ٣٠٠ ، وابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٣ ص ١٢ ، أما شذرات الذهب ، ج ٧ ص ٣١١ فقد انفردت دون المراجع السابقة بجعل وفاته سنة ٨٧٠ هـ .

مواعيد وسرد فيها علوماً جليلة نقلية وعقلية دلت على حفظه وإتقانه وقوة ملكته .

وفى سادسه ثارت فتنة بين طائفة من مماليك السلطان الجلب وبين طائفة من مماليك الأمير الكبير جارقطلو فباتوا على تخوف ، وأصبح الجلب تحت القلعة فى جمع كبير وقدتحصن الأمير الكبير منهم بداره وهى تجاه باب السلسلة فماج الناس وخافوامن النهب وكانت حركة مزعجة بالقاهرة من الناس ومبادرتهم إلى شراء الخبز والدقيق وحشد الذعر والمفسدون للنهب ، ثم بعد هنيهة سكنت الفتنة وأقام[1] الجلبان يومهم بكامله لا يقدرون على الأمير الكبير لعجزهم وقلة عرفانهم لمكائد الحروب وعدم السلاح ، فطلب السلطان من مماليك الأمير الكبير جماعة وضربهم وسجنهم فإنهم كانوا أصل الفتنة ، فرجع[2] الجلبان [١٣٤ أ] عن قتالهم بعد أن كانوا أوقدوا النار فى أبواب داره .

* * *

وفى خامسه وصل إلى ميناء الإسكندرية من أعداء الله الملاعين الفرنج خمسة أغربة مشحونين وباتوا وقد استعد لهم المسلمون ، ثم واقعوهم من الغد ، وفى أثناء الحرب أدركهم الأمير زين الدين عبد القادر بن أبى الفرج الأستادار — وكان بتروجة[3] — فى جمع كثير من العرب ، فانتصر المسلمون

(١) فى الأصل « وأقاموا » .

(٢) فى الأصل « فرجعوا » .

(٣) تروجة من القرى المصرية القديمة القريبة من الإسكندرية ، وهى داخلة فى أعمال كورة البحيرة ، وقد ذكر محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ق ١ (البلاد المندرسة) ص ١٩٠ أنها اندثرت ويعرف مكانها اليوم باسم كوم تروجة ، ناحية زاوية صقر بكفر أبو المطامير .

وكسر الكافرون فلما رأوا ما نزل بهم من الشدة والنكال انهزموا وردوا من حيث جاءوا ، ولم يقتل سوى فارس واحد من جماعة ابن أبى الفرج :

وفى ثانى عشرة أنفق(١) السلطان فى المماليك — وعدتهم ثلاثمائة نفر — كل نفر خمسين ديناراً ، وفى أربعة من الأمراء الألوف ، وهم : أركماس الدوادار وقرقماس حاجب الحجاب وتغرى بردى ويشبك المشد كل واحد ألفى دينار ، وأنفق فى عدة من الأمراء الطبلخانات والعشرات ، فبلغت النفقة نحو الثلاثين ألف دينار ، ورسم بسفرهم إلى الشام فتوجهوا فى سادس عشريه :

وفى هذا الشهر كثر الوباء بغزة والرملة وفلسطين :

* * *

شهر رمضان

أوله الجمعة(٢) :

فيه ابتدى بهدم حوانيت الصيارف وسوق الكتب وحوانيت الدواوين والأمشاطين فيما بين الصاغة والمدرسة الصالحية وهى جارية فى وقف المارستان المنصورى لتجدد عمارتها فى أيام ناظرها المقر الأتابكى جارقطلو والقاضى نور الدين بن مفلح .

وفى رابع عشره خلع على الصاحب تاج الدين عبد الرزاق بن الهيصم وأعيد إلى نظر الديوان المفرد ، وكان النظر شاغراً :

(١) فى الأصل « نفق » .

(٢) الوارد فى التوفيقات الإلهامية ص ٤١٦ أن أول رمضان سنة ٨٣٢ كان السبت ويوافقه ١٠ بؤونه سنة ١١٤٥ والرابع من يونيو ١٤٢٩ م .

وفيه حملت نفقة المماليك السلطانية إلى القلعة لينفق فيهم على العادة فامتنعوا من قبضها وطلبوا زيادة كل نفر ستمائة درهم :

وفى يوم الإثنين ثامن[1] عشره الموافق لسادس عشرى بؤونة أخذ قاع النيل فكان خمسة أذرع وسبع أصابع ونودى عليه من الغد بزيادة خمس أصابع :

وفيه زيد فى جوامك عدة من المماليك الجلبان الأشرار حتى سكن الشر وأخذوا النفقة جميعاً .

وفى حادى عشره استعفى ابن الهيصم[2] من نظر ديوان المفرد فأعفى ولزم داره على عادته :

* * *

وفى هذه الأيام اشتد فساد المماليك الجلب وكثر أذاهم للناس وأخذهم ما قدروا عليه من مال وحريم ، فجمعت السودان وقاتلوهم فقتل منهم عدة ، وصاروا جمعين لكل جمع عصبة :

* * *

شهر شـــوال

أوله الأحـــد :

أهل والأسعار قد ارتفعت بالقمح من مائتين وخمسين درهماً الإردب إلى ما دونها ،والشعير بمائة وثلاثين إلى ما دونها وسببه هيف الزرع فى كثير من النواحى عند توالى رياح حارة فقل وقوع الغلة عند المدارس ، واشتد

(١) فى الأصل سادس عشر » ، ولكن راجع الحاشية السابقة .

(٢) المقصود به تاج الدين عبد الرزاق بن إبراهيم القبطى المصرى المعـروف بابن الهيصم المتوفى سنة ٨٣٤ ، انظر ترجمته فى إنباء الغمر ج ٣ ص ٤٦٢ رقم ٧ ، والنجوم الزاهرة ج ٦ ص ٣٢٧ — ٣٢٧ ، ٨١٩ ، والسيوطى : حسن المحاضره ، ج ٢ ص ١٣٠ .

الله تعالى فاستجاب الله دعاءه وبلغه قصده ومناه ، وأغاث عباده ، ووفى النيل ستة عشر ذراعا ، ونودى عليه بالوفاء فى يوم الأربعاء تاسعه الموافق له سبع عشر مسرى ، فنزل المقام الناصرى محمد نجل المقام الشريف فخلق المقياس وفتح الخليج على العادة .

* * *

وفيه قدم الخبر بأخذ مدينة الرها ، وذلك أن العسكر سار من القاهرة لأخذ قلعة خرت برت(١) وقد مات متوليها ونازلها عسكر قرا يلوك فلما وصلوا إلى مدينة حلب ورد إليهم الخبر أن قرا يلك أخذ قلعة خرت برت [وقصد تحصينها(٢)] وتسليمها لولده، فتوجه العسكر وقد انضم إليهم(٣) الأمير سودون من عبد الرحمن وخمسة نواب الممالك(٤) الشامية ومضوا بأجمعهم إلى الرها فوافاهم بالبيرة كتاب(٥) من أهل الرها ضمنه طلب الأمان وقد رغبوا فى الطاعة فأمنوهم وكتبوا لهم بذلك ، وساروا من البيرة ومعهم مائتا فارس من عربان الطاعة كشافة ، فسبقت الكشافة إلى الرها فى تاسع عشر شوال

---

(١) خرتبرت مدينة بالفرات الأعلى ، وكانت تعرف عند الجغرافيين باسم شمشاط التى رجح لى ستر انج أنها هى المدينة المعروفة عند البيزنطيين باسم Orsamasaka « ارسموساكا » وكان لها حصن منيع ، انظر فى ذلك لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٤٩ ؛ أما البيرة فقد ذكر «مراصد الإطلاع» ، ج ١ ص ٢٤٠ ، أنها تقع على شط الفرات من بلد الجزيرة ولها رستاق وقرى .

(٢) فى الأصل « وتحصينها وتسليمها » ، وقد عدلناها إلى ما بالمتن بعد مراجعة النجوم الزاهرة ؛ ج ٦ ص ٦٤٥ س ١٠ – ١١ ، إذ أنها منقولة عنه .

(٣) فى الأصل « إليه » وقد صححت بعد مراجعة النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٦٤٥ .

(٤) فى الأصل « المماليك » .

(٥) فى الأصل « كاتبه » .

فاذا الأمير هابيل قد وصل إليها من عند أبيه الأمير عثمان بن طر على المعروف بقرا يلك فى عسكر نحو الثلاثمائة فارس ، وقتل منهم جماعة وعلق رءوسهم على قلعة الرها فأدركهم العسكر ونزلوا على ظاهر الرها فى يوم الجمعة عشرينه وقــد ركب الرجال السور ورموا بالحجارة ، فتراجع العسكر عنهم ثم ركبوا بأجمعهم بعد نصف النهار ، فأرسلوا إلى أهل الرها بالأمان ، وإن لم يكفوا عن القتال وإلا تخرب المدينة ، فكان جوابهم رميهم بالسهام ؛ فزحف العسكر وأخذوا المدينة فى لحظة ، وامتنع العظماء منهم وأهل الجلادة والقوة بقلعتها ، وصار العسكر وما حوى منتشرين بها ينهبون ما رأوه ويأسرون من قدروا عليـــه ، فما تركوا قبيحاً ولا مستقبحاً حتى فعلوه، وكان هذا الفعل الصادر منهم كفعل تيمورلنك وأصحابه لمـــا أخذوا بلاد الشام ، وأصبح يوم السبت وهم محاصرين القلعة وأرسلوا إلى من فيها بالأمان فلم يقبلوا ، وجلّ ما عندهم رمى النشاب والحجارة حتى إن أحداً لا يقدر على الدنو منها ، وباتوا ليلة الأحد وهم فى همة النقوب على القلعة وقاتلوا فى الغد يوم الأحد حتى اشتد الضحى فلم يثبت أهل القلعة وطلبوا الأمان وصاحوا فكفوا عن قتالهم حتى وافت رسلهم إلى الأمير نائب الشام فإنه صار مقدم العساكر ، فحلف[(٢)] لهم هو والأمير قصروه نائب حلب على أنهم لا يؤذيهم[(٣)] ولا ولا ، فركنوا إلى أيمانهم ، ونزل الأمير هابيل بن

---

(١) ولاه أبوه أمر حـــل محاربة العسكر المصرى والشامى فى هـــذه الآونة وقد دارت عليه المـــزيمة وحمل أسيراً إلى مصر حيث حبسه الأشرف فى أحد أبراج القلعة ومالبث أن مات مطعوناً فى رجب سنة ٨٣٣ ؛ انظر إنباء الغمر ؛ ج ٣ ص ٤٥٢ ترجمة رقم ٤٨ ، والنجوم الزاهرة ج ٦ ص ٨١٦ ، والضوء اللامع ١٠ / ٨٧٨ .

(٢) المقصود بذلك هو سودون من عبد الرحمن .

(٣) فى الأصل « يؤذوهم » .

قرايلك ومعه تسعة من أعيان دولته عند دخول وقت الظهر من يوم الأحد المذكور فتسلمه الأمير أركماس الدوادار ومقدم نواب المماليك إلى القلعة ، فوجدوا المماليك السلطانية قد وقفوا على باب القلعة ليدخلوها فمنعوهم فأفحشوا فى الرد على النواب وهموا بمقاتلتهم وهجموا على القلعة ، فلم يسع النواب ردهم ورجعوا إلى مخيماتهم ، وصار المماليك ينهبون ويأسرونهم ومن يتبعهم من التركمان والعربان والغلمان حتى [١٣٥ ا] نهبوا جميع ما فيها وأسروا النساء والصبيان وألقوا فيها(١) النار فأحرقوها بعد ما أجلوها من كل صامت وناعق وبعد أن أسرفوا فى قتل من كان فيها وفى المدينة وتجاوزوا الحدود وأخربوها وأحرقوها .

قال العلامة الشيخ تقى الدين المقريزى فى تاريخه السلوك : « ولقد أخبرنى من لا أتهم أنه شاهد المماليك وقد أخذوا النساء وفجروا بهن ، وكانت الواحدة منهن إذا قامت من تحت الواحد مضت إن كان لها ولد هى وولدها إلى موضع كان فيه شىء من التبن لتختفى فيه ، إلى أن اجتمع فى ذلك الموضع نحو الثمانين إمرأة ومعهن أو مع غالبهن أولادهن ، وقد زنوا بهن جميعاً ، ثم أضرموا النار عليهن حتى اشتعل التبن فأحرقهن جميعاً ، وأخبرنى الثقة أنه كان يدوس فى المدينة القتلى لكثرتهم وأن المـاء الذى كان لهم امتلأ بجيف القتلى ».

ثم رحلوا من الغد يوم الإثنين ثالث عشريه وقد امتلأوا بالنهوب والسبى فتقطعت منهم عدة نساء من التعب فمتن عطشاً وباعوا منهن بحلب وغيرها عدة ، وكانت هذه الكائنة من مصيبات الدهر :

وكنا نستطب إذا مرضنـا فجـاء الداء من قبـل الطبيب

(١) أى فى القلعة .

وما ذلك بالعهد من قديم : لقد عهدنا ملك مصر إذا بلغه عن أحد من ملوك الأرض أنه قد فعل ما لا يجوز أو فعلت ذلك رعيته أرسل ينكر عليه ويهدده فصرنا نحن نأتى من الحرام بأبشعه ومن القبيح بأفظعه ، وإلى الله المشـــتكى :

* * *

يوم الثلاثاء ثانى عشر شهر ذى القعدة : نودى على البحر بزيادة إصبع لتتمة سبعة عشر ذراعاً وأربعة عشر إصبعاً ، ولم يناد عليـــه من الغـــد :

* * *

وفيه برز المرسوم الشريف السلطانى باستدعاء السيد الشريف قاضى القضاة بدمشق وكاتب السر بها وناظر الجيش ونقيب الأشراف شهاب الدين أحمد بن على بن إبراهيم بن عدنلن الحسينى (١) ليستقر فى كتابة السر وتوجه لإحضاره من دمشق أحد الخاصكية :

* * *

وفى يوم الجمعة خامس عشره نودى على النيل بزيادة إصبعين بعد رد ما نقصه لتتمة ستة عشر إصبعاً من الذراع الثامن عشر ، وكان قد انقطع بعض جسور النواحى لفساد عملها فعز وجود الغلال ، وارتفع الإردب من مائتين وسبعين إلى ثلاثمائة الإردب،واستمرت زيادة النيل إلى يوم الثلاثاء تاسع عشريه وقد بلغ ثمانية عشر ذراعاً إلا إصبعين ، ونقص من يومه خمس أصابع ليقطع الجسور ، فتكالب الناس على شراء الغلال وعزت وشحت الأنفس ببيعها وارتفع ثمنها .

* * *

---

(١) انظر ابن طولون : قضاة دمشق ، ص ١٥٤ ومابعدها .

شهر ذى الحجـــة

أوله الخميس :

يوم السبت ثالثه رد النقص وبزيادة إصبعين لتتمة ثمانية عشر ذراعاً :

وفى ليلة الخميس ثامنه قدم السيد الشريف شهاب الدين[1] وقد هرع الناس والأعيان لتلقيه فوجد متوعكاً فلزم الفراش :

وفى ثامن عشره المـــوافق لخامس عشر توت نودى بزيادة إصبعين لتتمة ثمانى عشرة ذراعاً وعشرين إصبعاً ثم نقص من الغـــد لقطع الصليبيات :

وفى يوم الخميس نصفه خلع على السيد الشريف شهاب الدين واستقر فى كتابة السر عوضاً عن الجـــلال محمد بن مزهر وعملت الطرحة[2] خضراء برقمات ذهب ، وكان له موكب جسيم ، وركب بين يديه الأمراء والوزير والمباشرون[3] وقضاة القضاة الأربعة وأركان الدولة ، وابتهج الناس به وفرحوا بقدومه وأكثروا من الدعاء له .

وفى يوم الجمعة سادس عشره نودى على النيل برد النقص وزيادة إصبع :

وفيه خلع على الجلال محمد بن مزهر واستقر فى توقيع المقام الناصرى محمد نجل المقام الشريف كما كان فى أيام والده :

---

(١) يعنى الشريف أحمد بن على بن عدنان الحسينى نقيب الأشراف .

(٢) فى الأصل « الطرحا » ، والظاهر أن المؤلف نقل هذا الخبر من نسخة النجوم الزاهرة التى رمز لها ناشرها وليم بوبر بحرف × ، أنظر فى ذلك :
al-Nujum az-Zâhira, Vol. IV, p. 648, note g.

(٣) فى الأصل « والمباشرين » .

وفى رابع عشريه قدم الأمير هابيل بن الأمير قرا يلك ومن معه فى الحديد فشهروا فى القاهرة (١٣٥ ب) إلى القلعة وسجنوا بها فى البرج .

وفيه قدم مبشرو الحاج .

وفيه نودى على النيل بزيادة إصبع لتتمة تسع عشرة ذراعاً وست عشرة إصبعاً ووافق ذلك ثامن عشرى توت ثم لم يناد عليه ، وكانت هذه انتهاء زيادة النيل فى هذه السنة .

* * *

وفى هذا الشهر وقعت حروب بنواحى المدينة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام بين بنى حسين، وقتل فيها غير واحد من أعيانهم .

* * *

وفيه كان خراب مدينة توريز ، وسبب ذلك أن متملكها إسكندر ابن قرا يوسف بن قرا محمد بن بيرم خجا زحف على السلطانية[1] وقتل متوليها من جهة ملك الشرق شاه رخ بن تيمور كوركان فى عدة من أعيانها ونهب وأسر وأفسد ، فسار[2] إليه فى جموع كثيرة ، فخرج إسكندر من توريز وجمع لحربه ولقيه وقد نزل خارج توريز فانتدب لمحاربته الأمير قرا يلك صاحب آمد وقد لحق بشاه رخ وأمده بعسكر كبير وقاتله[3] خارج توريز يوم الجمعة سابع عشره قتالا شديداً قتل فيه كثير من الفئتين ، وانهزم إسكندر وهم فى إثره يطلبونه ثلاثة أيام ففاتهم ، هذا وقد نهبت

(١) السلطانيــة من المدن المغولية المندرسة التى أنشأها أصلا أرغون خان ثم تمت على يدى السلطان الجاتيو عام ٧٠٤ هـ (= ١٣٠٥ م) وفى وسط حصنها مقبرة، وقد صارت عاصمة الدولة الأيليخانية فى فارس ، انظر لى ستر انج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٥٧ – ٢٥٨ ، ٢٦٣ .

(٢) أى سار إليه شاه رخ .

(٣) أى شاه رخ .

جغطاى عامة تلك البلاد [1] وأوقعوا بهم الأسر والقتل ، وفعلوا من القبائح والمفاسد ما يستبشع ذكره .

ثم إن شاه رخ طلب أهل توريز وألزمهم بمال جزيل لا يطيقون أداءه حتى لم يدع لهم فيها ما ينظر إليه ولا يشار عليه، وجلاهم بعد ذلك إلى سمرقند [2] بأجمعهم ولم يترك بها إلا العواجز والضعفاء ومن لا يرتجى فيه خير.

ثم بعد ذلك بمدة رحل عنها قاصداً بلاده وقد اشتد معه الغلاء فأعقب بعد [3] رحيله عن توريز جراد عظيم لم يترك بها ولا بجميع أعمالها الورقة الخضـــراء .

(١) أى بلاد أذربيجان .

(٢) تقع سمرقند على نهر الصغد – عند العرب – أو صغديانا فى القديم ، وهى المناطق الخصبة الواقعة فيما بين نهرى سيحون وجيحون ، كما أنها أحدى عاصمتين للاقليم اللى يحمل نفس الاسم وإن غلب عليها الطابع السياسى ، أما العاصمة الأخرى فهى بخارى وتعتبر العاصمة الدينية ، ويستدل مما كتبه الجغرافيون المسلمون كاليعقوبى وابن حوقل والأصطخرى والمقدسى ، على أن هناك درباً يعرف بباب الحديد (أو كما جرت العادة حتى بين العرب على إطلاق اسمه الفارسى وهو درنجداهنين ويسمى سمرقند من ناحية الهند ، كما أن حول سمرقند سورا وخندقاً وبها قلعة شديدة الحصانة عظيمة الارتفاع لها أربعة أبواب أحدها فى المشرق هو باب الصيد وفى الشمال باب بخارى ومن الغرب باب النوبهار ومن الجنوب باب كش ، أما السور الذى حول سمرقند فقد اتفق الاصطخرى وابن حوقل على أن قطره فرسخان ، يضاف إلى هذا أنها كانت حافلة بالأسواق ، وإليها ترد التجارات من كثير من البلاد الخارجية لاسيما الصين والهنـــد ، ومع أنها قـــد عرفت صناعة الكاغد من الصين إلا أنها بزتها فى ذلك حتى أصبحت تصدره للخارج ، ولقد مر عليها مــــا يمر على الإنسان من رفعة وخفض ، فتعرضت لأهوال المغول حين هاجموها سنة ١٢١٩م (= ٦١٦ هـ) وتدهورت مكانتها وخربت بعض أجزاء من أسوارها على أنها استعادت مكانتها العمرانية حين اتخذها تيمور عاصمة له ، ويتضح لنا ما أصابته المدينة من التجديد مما ورد عنها فى مذكرات السفير الأسبانى كلافيجو حين زارها سنة ١٤٠٥ (= ٨٠٨ هـ) من حيث المقارنة بما وصفها به ابن بطوطة قبل ذلك بقرنين من الزمان .

(٣) فى الأصل « بعده وجلة عن توريز » .

وانتشرت الأكراد بتلك البلاد وكثر منهم الفساد والعبث ففقدت الأقوات وصار غالب الأحياء أمواتاً، قال الشيخ تقي الدين المقريزي عند ذكر هذه الواقعة حتى أبيع لحم الكلب كل منّ بعدة دنانير ، وصار فيما بين توريز وبغداد مسافة عشرين يوما وأكثر خرابا ، داثراً لا ينتفع به : وأما حال إسكندر فإنه توغل فى بلاد الأكراد وقد وقعت بها الأمطار والثلوج مدة، ثم انتهى أمره إلى قلعة سلماس[1] فحصره[2] بها الأكراد ونجا منهم لكنه مشتت فى البلاد، والله العليم .

* * *

ذكر من توفى هذه السنة من الأعيان

٦٦٤ — العبد[3] الفقير الصالح الناسك شمس الدين محمد بن إبراهيم بن أحمد الصوفى[4] بعد ما أضر سنين فى ليلة الثلاثاء ثالث عشر المحرم، ومولده فى سنة تسع وأربعين؛ قال العلامة المقريزى : « وهو أحد من صحبته من أهل العبادة والنسك » ، ورأس مدة واتصل بالملك الظاهر برقوق وولى نظر المارستان المنصورى وسافر فى أقطار البلاد حتى سلك بغداد والحجاز واليمن والهند ، رحمه الله تعالى » .

٦٦٥ — شمس الدين محمد بن سعيد المشهور بسويدان[5] أحد الأئمة السلطانية، توفى فى يوم الإثنين سابع شهر صفر وكان أبوه عبداً أسود يسكن القرافة ،

(١) ضبطها مراصد الاطلاع ، ج ٢ ص ٧٢٩ بفتح السين واللام ، وقال إنها مدينة مشهورة فى أذربيجان بينها وبين أرمينية يومان ، وتقع إلى الشمال الغربى منها مدينة سلماس التى كانت فى القرن الرابع الهجرى « ذات أسواق حسنة » ، وراجع لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٠٠ .

(٢) فى الأصل « فحصروه » .

(٣) هذه الترجمة منقولة من النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٨٠٦ .

(٤) انظر الضوء اللامع ٦ / ٨٦٣ .

(٥) ويعرف أيضا بالصالحى نسبة للصالح صالح بن الناصر محمد بن قلاون إذ كان أبوه مولى لبشير الجمدار مولى الصالح ، فنسب لمولى مولاه ، انظر السخاوى : الضوء اللامع ٧ / ٦٢٩ .

وحفظ كتاب الله فأتقنه ، وقرأ مع الأجواق ، وكان صوته حسناً فأعجب الظاهر برقوق فجعله أحد الأئمة[١] إلى أن أتت دولة الناصر فرج وهو مستمر على عادته فولاه الملك الناصر حسبة القاهرة ، ثم عزل فعاد على حالته يقرأ في الأجواق عند الناس ويتناول الأجرة على ذلك وهو رئيس جوقة حتى أدركته المنية وهو على ذلك ، وكان أسود اللون فصيح اللسان :

٦٦٦ — ناصر الدين محمد بن عبد الوهاب بن محمد البارنباري الشافعي توفي في ليلة الأحد حادي عشر شهر ربيع الأول وقد أناف على التسعين ، وكان بارعاً في الفقه وأصوله وفي النحو والحساب، وخطب ودرس سنين عديدة بدمياط والقاهرة[٢] :

٦٦٧ — الشيخ محمد بن عبد الله بن حسن[٣] المواز [توفي] في يوم الأحد حادي عشر ربيع الأول، قال الشيخ تقي الدين المقريزي : « قدم إلى زيارتي على عادته وطلع إلى سلماً كنت في مبيت بأعلاه فما هو إلا أن خلع أحد نعليه حتى خر على وجهه ، ثم رفع رأسه ونزل إلى الأرض وأنا استند به إلي وأعتبه على الانقطاع عني أياماً فزحف قدر ذراعين وسقط إلى الأرض فإذا هو ميت ، رحمة الله عليه ، ولقد كان لي به أنس ، وله في اعتقاد كبير ، وبلوت منه تألها وديانة وعبادة مرضية فرأيته سحر (١٣٦ أ) يوم الجمعة العشرين من صفر سنة ثلاث وثلاثين وقد أضجعت بعد الوتر فقدم على عادته لزيارتي فقمت إليه فرحاً به وأنا أذكر أنه ميت وقلت له

---

(١) ينص السخاوي في الضوء اللامع ، نفس الجزء والترجمة ، على أنه استمر على الإمامة حتى مات سنة ٨٣٢ ، ولكن الصيرفي نقل في المتن ما أوردته النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٨٠٦ — ٨٠٧ عن سويدان هذا .

(٢) تكاد هذه الترجمة تكون منقولة من النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٨٠٥ س ١١ — ١٥ .

(٣) في الأصل « حسين » لكن راجع الضوء اللامع ٨ / ١٧٩ .

وأنا مباسط له كيف دار البلاء ؟ فهش ، فقلت : أسلمت من عذاب القبر ؟ قال نعم ، قلت : وأنت الآن لا تعذب ولا يشوش عليك ، قال : نعم ، قلت : فلقيت الله عز وجل ؟ فأيقظني صوت رجل قريب مني قبل أن يخبرني ، رحمه الله » .

٦٦٨ – الشيخ شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الله الشطنوفي[1] الشافعي مات في ليلة سفر صباحها عن الإثنين سادس عشري شهر ربيع الاول وقد قارب الثمانين ، وكان رحمه الله بارعاً في الفقه والعربيةوالفرائضي وغير ذلك،وله سنين يدرس حتى انتفع به جماعة من الطلبة، رحمة الله عليه .

٦٦٩ – القاضي بدر الدين محمد بن محمد بن أحمد بن مزهر الدمشقي ، مات في ليلة الأحد سابع عشري جمادى الآخرة عن نحو الخمسين[2] سنة (١٣٤ ب) وهو من الأصلاء العرفاء من بيت الرياسة ، ويكفيه ما كتبه الشيخ الإمام النووي وعمل له إجازة كتابه المسمى[3] . . . . ونسبه بأن قال « الأنصـــاري » .

وولي أبوه كتابة السر بدمشق وانتشرت مكارمه على الفقراءوالأغنياء، كذا رئاسته .

---

(١) نسبة إلى شطنوف إحدى قرى مركز أشمون بمحافظة الشرقية قرب بلبيس ، وقد تزاد ألف بعد الطاء ، وقـد تسمى بالكورة ، ويقال إن اسمها القبطي القـديم هو Shantanufè شنطنوفه ومن ثم يكتبها البعض شنطوف ، كما فعل رينهرت دوزي ولكنه تحريف كما نص على ذلك محمد رمزي في قاموسه الجغرافي ، ق ٢ ، ج ٢ ، ص ١٦٣ .

(٢) الوارد في الضوء اللامع ٩ / ١٠٨ أنه ولد سـنة ٧٨٦ وبذلك لا يكون عمره حين وفاته خمسين سنة بل ستة وأربعين سنة ، انظر أيضا في تاريخ ولادته ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٤٣١ – ٤٣٢ .

(٣) بياض في الأصل بقدر كلمتين .

وباشر هو رحمه الله كتابة الإنشاء أيضاً بدمشق وتقرب من نائبها الأمير شيخ المحمودى وصار عنده عزيزاً مقرباً مكرماً ، فلما قدم شيخ بعد قتل الناصر فرج إلى القاهرة كان من جملة من قدم معه، وولاه نظر المارستان، ثم ناب عن المقر الكمالى محمد بن البارزى فى كتابة السر ، وقام بأعباء الديوان فى أيام العلمى داود بن الكويز ومن بعده ، ثم استقل بكتابة السر فاستبد بتدبير المملكة وسياستها أحسن سياسة وحصل للعامة والخاصة منه جميل الرعاية ، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بحضور الملك فيسمع منه ويرجع إليه ويقيم بأبهة الشرع الشريف ولا يتعدى فى أحكامه الأمور الشرعية ، وانقادت له البلاد والعباد بحسن التدبير ومكارم الأخلاق ، وكان يجتمع فى مجلسه العلماء والفضلاء والأدباء والأعيان ويتفقد أحوالهم وينظر فى مصالحهم ، ولم يكن له مشارك فى الدولة ، ونمى ماله وزاد فقيل إنه سم ، رحمه الله تعالى .

٦٧٠ — نور الدين على بن حجاج السفطى وكيل بيت المال، مات فى ليلة الثلاثاء سلخ جمادى الآخرة، وكان مشكور السيرة .

٦٧١ — السيد الشريف عجلان بن نعير بن منصور بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة بن هيثم بن قاسم بن مهنا بن حسين بن مهنا بن داود بن قاسم بن عبد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسين بن جعفر بن الحسين بن جعفر بن الحسين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رحمة الله عليه ، مات فى ذى الحجة وقد ولى إمرة المدينة الشريفة مراراً ، وقبض عليه فى فى الموسم سنة إحدى وعشرين وثمان مائة وحمل فى الحديد إلى القاهرة فسجن بالبرج فى قلعة الجبل ثم أفرج عنه، وكان فى الإفراج عنه ذكرى لمن كان له قلب ، وهو أن عز الدين عبد العزيز بن على بن المعز البغدادى الحنفى

قاضى القضاة ببغداد[١] ثم بدمشق رأى فى منامه كأنه بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا بالقبر المقدس قد انفتح وخرج منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس على شفيره وعليه أكفانه وأشار بيده الكريمة إلى عبد العزيز هذا، فقام إليه حتى دنا منه فقال له : « قل للمؤيد يفرج عن عجــلان » ، فانتبه وصعد إلى قلعة الجبل — وكان من جملة جلساء المؤيد — وجلس على عادته بمجلسه وحلف له بالأيمان المؤكدة أنه ما رآى ابن عجلان قط ولا بينه معرفة ثم قص عليه رؤياه فسكت، ثم خرج بنفسه بعد انقضاء المجلس إلى مرماة النشاب التى استجدها بطرف الدركاة واستدعى بعجلان من مجلسه بالبرج وأفرج عنه وأحسن إليه ، قال فقيه المؤرخين العلامة تقى الدين المقريزى : « وقد حدثنى قاضى القضاة عز الدين بهذه الرواية غير مرة وعنه كتبتها » ، وعندى بمثل الخبر فى حق بنى حسن وبنى حسين أخبار صحيحة فإياك والوقيعة[٢] فى أحد منهم فليست بدعة المبتدع منهم أو تفريط المفرط منهم فى شىء من العبادات أو ارتكابه محرماً من المحرمات بمخرجه من بنوة الرسول صلى الله عليه وسلم .

٦٧٢ — ومات الشريف خشرم بن دوغان بن جعفر بن هبه بن جماز ابن منصور بن جماز بن شيحه الحسينى مقتولا فى ذى الحجة أيضاً فى حرب .

---

(١) يستدل من ترجمته الواردة فى الضوء اللامع ٤ / ٥٧٠ على أن السخاوى يتشكك فى ولايته قضاء بغداد إذ يقول : « ولى قضاء ها فيما كان يزعم، ودام فيه دون ثلاث سنين » ، وهناك اتفاق على أنه كان يظهر التقشف الزائد عن غير صدق ؟ هذا وقــد ولى قضاء مصر ودمشق استقلالا ، على أنه لم يرد له ذكر فى قضاة دمشق الأحناف ، انظر ابن طولون : قضاة دمشق ، ص ٢٤٦ — ٢٤٧ .

(٢) أمامها فى هامش الأصل «تحذير من الوقوع فى حق الأشراف » .

٦٧٣ — شهاب الدين أحمد[1] أبو العباس بن عمر بن عبد الله المعروف بالشاب التائب الواعظ بدمشق ، توفى يوم الجمعة (١٣٦ ب) ثامن عشر[2] شهر رجب عن نحو سبعين سنة ومولده ومنشؤه بالقاهرة ، وكان من طلبة العلم على مذهب الإمام الجليل الشافعي ، ثم صحب في أثناء عمره رجلا من الفقراء يدعى بأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن عمر الزيات[3] أحد أصحاب الشيخ يحيى الصنافيرى فمال إلى طريقة التصوف ورحل إلى اليمن ثم قدم وبرع في الميعاد ونظم الشعر على طريقة الصوفية ، وبنى

(١) أشار الضوء اللامع مرتين في الجزء الثاني ، احداهما في ص ٥١ س ٨ — ٩ والثانية في ص ٥٤ س ٨ إلى أن المقريزى وابن فهد سميا جده بعبد الله ، ولكن السخاوى ترجم له في نفس المرجع ٢ / ١٤٠ باسم أحمد بن عمر بن أحمد بن عيسى ، وبهذا الاسم ورد في نسخة أنباء الغمر الموجودة بالهند ، انظر إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٤٢٤ حاشية رقم ١ ، وانظر أيضا النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٨٠٦ .

(٢) جعلت النجوم الزاهرة ، نفس الجزء والصفحة ، وفاته يوم الجمعة ١٢ رجب ، وقد أشار الناشر الأستاذ بوبر إلى أن الصحيح هو العاشر من رجب ، على حين أن نسخة إنباء الغمر والنسخة الأزهرية ، جعلت وفاته في غرة صفر من سنة ٨٣٢ ، انظر إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٤٢٤ س ١٨ ، ويلاحظ أن التوفيقات الإلهامية ، ص ٤١٦ ، اعتبرت الأربعاء هو أول رجب ، وربما كان الأقرب إلى الصحة ما جاء في المتن أعلاه ، وهو التاريخ الذى أخذت به شذرات الذهب . أما السخاوى فقد تردد في الضوء اللامع (ج ٢ ص ٥٠ ، آخر سطر) بين هذين التاريخين فقال : « مات يوم الخميس ثامن عشر أو ثاني عشر رجب » ، ثم زاد على ذلك قوله : « واتفق على أن موته في رجب واختلف في تعيين يومه وعدده » .

(٣) هو محمد بن محمد بن عبد الله بن عمر المعروف بابن الزيات ، الفقيه المعتقد أبو عبد الله الأنصارى الشافعي ، وقد ذكر السخاوى في الضوء اللامع ١٠ / ٥٦٩ أنه مات سنة ٨٠٥ ، وأشار إلى أن المقريزى ذكره في عقوده فيمن مات سنة ٨١٤ بخانقاة سرياقوس وأشار السخاوى أيضا إلى أنه وقف له شخصيا على كتاب «الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة» ، وتوجد من هذا الكتاب اربع نسخ في دار الكتب والوثائق بالقاهرة تحت رقم ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٧٢ ، ٢٤ م (خطى تاريخ) ، كما أنه طبع في القاهرة بمطبعة بولاق سنة ١٣٢٥ (= ١٩٠٧م) .

أما الشيخ يحيى الصنافيرى فكان من أصحاب الكرامات والمكاشفات الجمة التي بلغت حد التواتر ، كان موته سنة ٧٧٢ كما جاء في ابن حجر : الدرر الكامنة ٥ / ٥٩٦٠ ، وهو منسوب إلى صنافير إحدى القرى القديمة بمركز قليوب ؛ انظر محمد رمزى : القاموس الجغرافي ، ق ٢ ج ١ ص ٥٧ ،

زاوية خارج القاهرة فحصل له قبـــول من العامة، وكان يتكلم بالكلام الحسن البليغ والنقل الجيد بعبارة حسنة وطريقة واضحة ، وحج مراراً ثم رحل إلى دمشق وبنى بها زاوية وعمل الميعاد فأقبل عليه الناس وزاد اعتقادهم فيه بمصر والشام حتى توفى ولنعم الرجل هذا كان ؛ رحمه الله تعـــالى .

٦٧٤ — الشيخ الأديب المعتقد نور الدين على بن عبد الله الشهير بابن عامرية مات بالتجريدة[1] فى يوم الخميس سادس عشرى شهر ربيع الآخر وكان أكثر شعره فى المدائح النبوية رحمه الله تعالى والله تعالى أعلم ، لا إله إلا هو :

---

(١) هكذا فى الأصل، وربما كان الصواب أن يقال « النحريرية » ، فقد سماه السخاوى حين ترجم له ترجمته القصيرة فى الضوء اللامع ٥ / ٨٠٣ « بالنحريرى » كذلك أشار إلى أنه مات « بالنحرارية » التى ذكرها القاموس الجغرافى، ق ٢ ج ٢ ص ١٢٢ باسم « النحارية » وقال ان الاسم القديم الأصلى لها هو « النحريرية » نسبة إلى منشئها « نحرير الارغلى الإخشيدى » ، وتسميها العامة نحرارية ، كما ورد ذلك فى ابن مماتى : قوانين الدواوين ؛ والنحريرية من أعمال الغربية وكانت كثيرة السكان .

سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة

إستهلت هذه السنة بيوم الجمعة[1] الموافق ثانى بابه والشمس فى نصف برج الميزان والوقت فصل الخريف .

المحرم : أوله الجمعة :

فى ثانيه خلع على الأمير زين الدين عبد القادر بن أبى الفرج خلعة الاستمرار ، ثم خلع عليه ثانياً فى يوم الاثنين رابعه ، وخلع على الأمير آقبغا الجمالى كاشف الوجه القبلى خلعة الاستمرار ، وكان قد شاع وذاع وملأ الأسماع استقراره فى الأستادارية ، وتحمل للذخيرة عشرين ألف دينار بمساعدة المقر الزينى عبد الباسط .

وفى تاسعه خلع على الصاحب كريم الدين واستقر ناظر الديوان المفرد مضافاً إلى الوزارة ليساعد الزينى عبد القادر بن أبى الفرج ويقوى كلمته .

وفى ليلة تاسعه أو عاشره أمطرت مدينة حمص مطراً وابلا ونزل معه ضفادع[2] حتى امتلأت منه الدور والبقاع والأزقة والطرقات .

---

(١) الوارد فى جدول السنين فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٤١٧ ، أن أول هذا العام الهجرى كان يوم الجمعة ويوافقه الثالث من بابه من شهور القبط سنة ١١٤٦ ، و ٣٠ سبتمبر سنة ١٤٢٩ .

(٢) وردت الإشارة فى إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٤٣٣ إلى قصة إمطار السماء الضفادع فى حمص . هذا وقد علق البقاعى بخطه فى مخطوطة الأنباء الموجوده فى الهند على ذلك بقوله « أخبرنى الفاضل البارع بدر الدين حسن البيرى الشافعى أنه سكن آمد مدة ، وأنها أمطرت بها ضفادع وذلك فى فصل الصيف ، وأخبرنى أن ذلك غير منكور بتلك الناحية بل هو أمر معتاد ، وأن الضفادع تستمر إلى زمن الشتاء فتموت » .

وفى العشر الثانى من هذا الشهر حملت نفقة المماليك السلطانية من الأستادار إلى القلعة لينفق فى المماليك على العادة فامتنع[1] المماليك من القبض وطلبوا البسط لهم فى الزيادة على كل واحد منهم ثلاثمائة درهم فى كل شهر ، فبلغت هذه الزيادة نحو خمسة آلاف دينار ، وكانوا فى الشهر الماضى فعلوا ذلك فما تم ، وكان قبـــل رضائهم بذلك قد صالوا وطالوا وجالوا وزاد شرهم وأخذوا فى الغدر طورهم حتى خافهم أعيان الدولة ووزعوا ما فى دورهم وبيوتهم خوف وقوع الفتنة .

وفى حادى عشرينه قدم ركب من الشام فقدم أولا ، ثم قدم من الغد الركب الأول ، وقدم المحمل ببقية الحاج فى ثالث عشريه .

وفى رابع عشريه قدم رسول ملك المشرق شاه رخ بن تيمور كور كان بكتابه يطلب من السلطان « شرح البخارى »[2] لشيخنا العلامة الحافظ قاضى القضاة وشيخ الإســـلام خادم السنة والأثر الشهير نسبه الكريم بابن حجر وتاريخ « السلوك لدولة الملوك » للشيخ تقى الدين المقريزى ، وتعرض بكلام مفهوم ومنطوقه أن يكسو الكعبة ويجرى بمكة عيناً من المـــاء .

(١) فى الأصل « فامتنعوا » .

(٢) الذى ذكره ابن حجر فى كتابة إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٤٣٤ أنه ورد فى تلك السنة كتاب من شاه رخ « يستدعى من الأشرف هدايا فيها كتب من العلم ، منها فتح البارى بشرح البخارى ، فجهزت له ثلاث مجلدات من أوائل الكتاب » ويستدل من هذا على أن قسما من فتح البارى أرسل إلى شاه رخ ، على حين أن أبا المحاسن يقرر فى النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٦٥٠ ، أن كل ما طلبه شاه رخ « كتب له المنع فيه » ، ونحن نرجح رواية ابن حجر ، لاسيما وأنه كان فى مجلس السلطان ومؤلف الكتاب هذا إلى أنه يقول فى ختام هذا الخبر إن شاه رخ — ويسميه ملك الشرق — « أعاد طلبه لها فى سنة تسع وثلاثين فلم تتفق تتمة الكتاب » .

وفى ثامن عشره بعث صاحب تونس وأفريقيـة وتلمسان أبو فارس عبد العزيز أصطولا فيه من المقاتلة خمسة عشر ألفاً من العسكرية والمطوعية، ومن الفرسان مائتا فارس لأخذ جزيرة صقلية فنازلوا مدينة مادز حتّى أخذوها عنـوة وتوجهوا إلى ملاطه وحصروها حتّى لم يبق إلا أخذها ، فانهزم من حملتهم أحد الأمراء من العلوج فانهزم المسلمون لهزيمته فركب الفرنج أقفيتهم ، فاستشهد منهم فى الهزيمة خمسون رجلا من الأعيان ، ثم إنهم ثبتوا وقبضوا على العلج الذى كادهم بهزيمته وراسلوا أبا فارس فأمدهم بجنود كثيرة :

شـهر صفر

أولـه الأحـد :

فى رابع عشره خلع على السيد الشريف شهاب الدين كاتب السر بنظر الجامع المؤيدى ونزل إليه وقرىء تقليده بكتابة السر ، وتولى قراءته مؤلفه القاضى شرف الدين أبو بكر الأشـقر نائب كاتب السر وشهد هذا المشهد قضاة القضاة خلا الحنفى ، وحضر الأمير أركماس الدوادار الكبير وبقيـة المباشرين والأعيان وأركان الدولة ، وكان مشهداً حافلا فى غاية الحشمة والأبهة والرياسة :

وفى هذه الأيام ارتفع سعر الذهب حتّى بلغ الدينار الإفرنتى مائتين وستين درهماً ، وارتفع أيضاً سعر الحبوب ، وورد الخبر بارتفاع الأسعار أيضاً بحلب ودمشق ، وأن الوباء فشا بأهل دمشق وحمص :

وفى يوم الخميس سادس عشريه خلع على قاضى القضاة علم الدين صالح البلقينى وأعيد إلى قضاء القضاة عوضاً عن حافظ العصر وعلامة الدهر أحمد

ابن على بن حجر، وخلع أيضاً على قاضى القضاة زين الدين عبد الرحمن التفهنى وأعيد إلى قضاء القضاة الحنفية عوضاً عن بدر الدين محمود العينتابى، واستقر صدر الدين أحمد بن محمود العجمى فى مشيخة خانقاه الأمير شيخو عوضاً عن قاضى القضاة زين الدين التفهنى، وبرز المرسوم الشريف السلطانى أن لا يزيد الشافعى على عشرة (١٣٧ أ) من نوابه المشهورين بالعفاف والديانة، والحنفى على ثمانية بالشرط المذكور، والمالكى على ستة بالشرح المتقدم، والحنبلى على أربعة كما مر، فكان مليحاً جميلا حسناً لو تم ذلك.

شـــهر ربيع الأول

أهل يوم الاثنين:

فيه خلع على صدر الدين بن كريم الدين عبد الكريم بن العجمى واستقر فى مشيخة خانقاه شيخو.

وفى يوم الثلاثاء سلخه خلع على سعد الدين[1] إبراهيم بن بركة [البشيرى] واستقر فى نظر الخواص عوضاً عن أبيه بحكم وفاته بعد أن قرر عليه للذخيرة الشريفة ستون ألف دينار.

وفى هذا الشهر انحل سعر الغلال والسبب لذلك أن المحتسب ــ الذى هو الأمير إينال الششمانى ــ منع كل من وصل بغله إلى ساحل مصر وبولاق من

---

(١) مما وصفه به ابن حجر حين ترجم له فى إنباء الغمر، ترجمة رقم ١ وفيات سنة ٨٤١، أنـه «كان قليل الأذى، كثير البذل، طلق الوجه، نادرة فى طائفته» راجع أيضا الضوء اللامـع ج ١ ص ٣٣ س ٦ ــ ١٤، والسيوطى: حسن المحاضرة، ج ٢ ص ١٣٠.

بيعه وشدد فى ذلك، فامتنعوا وأخذوا فى بيع الغلال السلطانية : كل إردب من القمح بثلاثمائة وستين ، فتوفرت الغلال فى مدة بيعهم ، ثم أذن لهم فى بيعها وقد حصلت الكفاية لمد ولبي[(١)] الطواحين والأفران بغلال السلطان ،فانحط السعر بفضل الله ورحمته فله الحمد والمنة :

شـــهر ربيع الآخرة

أوله الأربعـــاء :

فى رابعه خلع على قاضى القضاة بدرالدين محمود العينى واستقر فى الحسبة عوضاً عن الأمير إينال الششمانى مضافاً لما معه من نظر الأحباس :

وفى تاسعه خلع على الأمير شهاب الدين أحمد الدوادار الشهير بابن[(٢)] الأقطع واستقر فى نيابة الثغر السكندرى عوضاً عن الأمير آقبغا التمرازى ورسم له بالحضـــور .

وفى ثالث عشره خلع على الصاحب تاج الدين بن الهيصم وأعيد إلى وظيفة نظر الديوان المفرد عوضاً عن الوزير كريم الدين بن كاتب المناخ .

وفى خامس عشريه خلع على الأمير علاء الدين آقبغا الجمالى الكاشف واستقر أستاداراً عوضاً عن الأمير زين الدين عبد القادر بن أبى الفرج[(٣)] لعجزه

(١) فى الأصل « لمدولبين » .

(٢) لم ترد كلمة « ابن » فى اسمه المذكور فى الضوء اللامع ٢ / ٧٨٢ ، وإنما سماه السخاوى بأحمد الدوادار نائب الإسكندرية وقال إنه يعرف بالأقطع ، أنظر أيضا فى كل ذلك إنباء الغمر ٣/٤٦٢ ترجمة رقم ٢ ، والنجوم الزاهرة ج ٦ ص ٨١٨ .

(٣) هو عبد القادر بن عبد الغنى بن عبد الرزاق بن أبى الفرج ، الأرمنى الأصل ، وقد عجز فى هذه السنة عن توفية الأستادارية التى كان قد تولاها سنة ٨٢٨ فعزل عنها بأقبغا الجمالى ووصفه السخاوى فى الضوء اللامع ٤ / ٧٢١ بأنه « كان أصلح من أبيه وجده مع مزيد معرفته بطارق الظلم والعسف أما ابن حجر فاكتفى فى إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٤٤٧ بأن ذكر اسمه ثم قال :
« ولى الأستادارية كأبيه ومات فى سابع عشري جمادى الآخرة » .

عن تكفية الحوامك السلطانية ، وعلى أن يقوم للخزائن الشريفة بمال ، وذلك بمساعدة المقر الزينى عبد الباسط ناظر الجيوش المنصورة ؛ وكان آقبغا[1] الجمالى المذكور شجاعاً شهماً ذا بأس على العربان وحرمة وافرة فى البر والبحر ، غير أنه كان خفيفاً فى الأمور وكان من أعز أصحاب والد كاتبه وجامعه ومؤلفـــه ، وكنتُ إذ ذاك صغيرا نحـــو الأربع[2] عشرة سنة ، واستقر بوالدى صيرفى المقام الشريف ، وحصل لنا منه خير كثير وبر جزيل ، وكان معتقداً فى الفقراء ، غير أنه كان عنده خفة حتّى إنه كان ينسب للجنون ، ورتب لى جامكية بالديوان المفرد ولم تستمر بعده .

* * *

وفى هذا الشهر انحل سعر الغلال حتّى أبيع القمح بمائة وخمسين الإردب ، والشعير بمائة وعشرة الإردب .

وفيه ظهر الطاعون فى الوجه البحرى سيا فى النحرارية ودمنهور ومات بهما خلق كثير بحيث أنه أحصى من مات من أهل المحلة فكانوا يزيدون على خمسة آلاف إنسان ، وكان قد تقدم وقوعه بغزة وصفد ودمشق فى شعبان من العام المـــاضى واستمر إلى هذا الشهر ، وعد هذا من النوادر فإنه ما عهد الطاعون مع وجود الشتاء وأما المعهود من وقوع الطاعون فى فصل الربيع ،

(١) يبالغ الصيرفى فيما يلى — وفى مواضع كثيرة من النزهة — فى الثناء على أقبغا الجمالى لصلته بأبيه وبره به ، على أن أبا المحاسن فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٦٥١ — ٦٥٢ يقول عنه إنه كان فى أصله من الأوباش من مماليك يشبغا الجمالى ، ثم «خدم بلا صيا عند الكشاف ، ولما كثر ماله طمع فى الأستدارية وراح يسعى لها حتى ولاه الأشرف إياها » ، ويعود فى موضع آخر من نفس المرجع ، ج ٦ ص ٨٣١ ، فيصفه بأن فعله «لايشبه أفعال المماليك فى حركاته ... وشجاعته كانت مشتركة بجنون وسرعة حركة ... وفى الجملة أنه كان من الأوغاد » ، ويقاربه فى الوصف ماقاله عنه ابن حجر فى إنباء الغمر ج ٣ ص ٥٢٢ من أنه « كان أهوج مقداما غشوما » .

(٢) فى الأصل « الأربعة عشرة سنة » .

ويعلل[١] الأطباء ذلك بسيلان الأخلاط فى الربيع وجمودها فى الشتاء ، ولكن الله يفعل ما يختار .

ووصلت الأخبار بأن برصا وبلاد الروم فشا فيها[٢] الطاعون وأنه زاد على ألف وخمسمائة إنسان ، وأما القاهرة ومصر فإن الناس لاهجون[٣] أنه يقع فى هذه السنة فناء عظيم حتى إن الصغار الأطفال فى المكاتب يتكلمون بذلك ويودعون بعضهم بعضاً ، قال الشيخ تقى الدين المقريزى : « ولقد سمعت الأطفال تتحدث بهذا فى الطرقات » فما أهل شهر ربيع الآخر هذا الذى ذكرنا فيه هذه الحوادث حتى كانت عدة من يرد اسمه الديوان بالقاهرة فى يوم الأربعاء سلخه ثمانية وأربعين إنساناً وجملة من أحصاه ديوان القاهرة كله أربعمائة وسبعة وسبعون إنساناً وبلغ ديوان المواريث بمصر دون ذلك هذا سوى (١٣٧ ب) من مات بالبيمارستان ومن جهز من ديوان الطرحاء وهم كثير .

شـــهر جمـــادى الأولى

أهل يوم الخميس :

فيه برز سعد الدين بن المرأة ناظر جدة إلى خارج القاهرة ، وقد توجه معه كثير من الناس يريدون العمرة والحج .

وفيه وصلت عدة من يرد الديوان من الأموات بالقاهرة مائة إنسان ، على أنهم لا يرفعون فى أوراقهم للوزير وغيره إلا بعض ما يرد لا كله .

---

(١) فى الأصل « ويعللوا » .

(٢) فى الأصل « فيهم » .

(٣) فى الأصل « لاهجين » .

وفيه نودى فى الناس بصيام ثلاثة أيام وأن يتوبوا إلى الله سبحانه وتعالى توبة نصوحاً ويقلعوا عن المظالم ثم يخرجوا فى يوم الأحد رابعه إلى الصحراء، هذا والحكام والظلمة على ما هم عليه من ظلمهم وقال الشاعر :

لا تنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت قبيح

وكما قال من قال :

إذا كان رب البيت بالدف مولعاً فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

وفى يوم الأحد رابعه توجه قاضى القضاة علم الدين صالح البلقينى فى جمع موفور إلى الصحراء خارج باب النصر وجلس إلى جانب تربة الملك الظاهر برقوق ، فوعظ الناس على عادته وعمل الميعاد ، وما أحسن ما قال من قال : « إن المواعظ لن تقبلا حتى يعيها من تلا » وكثر صياح الرجال والنساء والأطفال وتضرعوا وبكوا ثم رجعوا قبل الظهر ، قال العلامة المقريزى : « فتزايدت عدة الأموات عما كانت عليه » : قلت : قد أجمع الحذاق على أن ولاية العلمى صالح لا بد وأن يتبعها وباء أو غلاء أو فتنة كما ستقف عليه بعد ذلك مفصلا :

* * *

وفى ثامنه ورد كتاب اسكندر بن قرا يوسف مضمونه أن شاه رخ عاد إلى بلاده وأنه رجع إلى توريز وقصد بعد الشتاء محاربة قرايلك بآمد ، وورد أيضاً كتاب مراد عثمان صاحب برصا مضمونه أن له ثلاث سنين يهادن أعداء الله الفرنج .

وورد كتاب قرايلك يسأل الصدقات الشريفة فى العفو عن ولده هابيل وإطلاقه .

وفى حادى عشريه قبض على الأمير زين الدين عبد القادر بن أبى الفرج وألزامه[1] وتسلمهم الأمير آقبغا الجمالى ، ثم أفرج عنه فى سادس عشريه — والصحيح فى رابع عشريه — على أن يقوم للخزائن الشريفة بمال جزيل :

* * *

وفى سادس عشريه حضر تجار الكارم من الثغر السكندرى ومثلوا بين يدى المواقف الشريفة فألزموا أن لا يبيع أحد منهم شيئاً من أصناف البضائع التى تجلب من الهند والسند كالفلفل ونحوه على أحد من تجار الفرنج وهددوا على ذلك، والسر فى ذلك أن السلطان أقام طائفة تشترى له البضائع وتبيعها ، وإذا وصلت المراكب إلى جدة أخذ منها المكوس فلفلا وغير ذلك وحملت فى بحر القلزم من جدة إلى الطور ، ثم كذلك إلى أن تصل إلى إسكندرية ، هذا مع إلزام الفرنج بمشترى الحمل من الفلفل بمائة وثلاثين دينارا وقيمته بالقاهرة خمسون ديناراً ، وبلغ السلطان أن بعض التجار سأل الفرنج فى الفلفل بأربعة وستين ديناراً الحمل فأبوا ذلك ودفعوا له تسعة وخمسين ديناراً، فرسم السلطان أن يشترى ما عند التجار بسبعة وخمسين ليبيعه على الفرنج بمائة وثلاثين ، فالمحتاج باع ، والغنى خزن ما عنده ، إلى أن يقضى الله أمراً كان مفعولا :

وفيه طلب الأمير آقبغا الجمالى الأستادار الذين يبيعون السكر بمصر والقاهرة ليطرح عليهم منه ففروا وأغلقوا حوانيتهم وصار السكر لا يوجد ، والمرضى محتاجون إليه ولم يجدوا ما يعللونهم به[2] .

(١) أى أتباعه وحواشيه ومن يلوذ به .

(٢) فى الأصل «يعللوهم» ويقصد به « يطببونهم به » .

وفى هذا الشهر تزايد الموتان بالطاعون ووصل بالقاهرة خاصة ثلاثمائة إنسان سوى من لم يرد الديوان ، وضبطوا مصليات[1] الجنائز فبلغت عدة زائدة على ما يورده[2] كتاب المورايث، وبلغ عدة من مات بالنحرارية خاصة إلى هذا اليوم تسعة آلاف إنسان سوى من لم يعرف وهم كثير جداً ، وبلغ عدة الأموات بالإسكندرية فى كل يوم نحو المائة ، (١٣٨ أ) ، وشمل هذا الوباء البحيرة والغربية والشرقية والقليوبية والمنوفية .

وفى العشر الأخير من هذا الشهر وجد بالبحر الأعظم والبرك التى بالقاهرة ومصر كثير من التماسيح والسمك وقد طفت على وجه الماء ولها روائح قذرة منتنة ،وصاد بعض الصيادين بنية[3] كبيرة فإذا هى كأنما صبغت بدم من شدة احمرارها ، وأخبر المسافرون أنهم وجدوا فى طريق ما بين السويس والقاهرة عدداً كبيراً من الظباء والذئاب وأصناف ذلك أمواتاً ، ووصل الخبر أيضاً بوقوع الوباء ببلاد الفرنج :

وفى يوم الخميس سلخه ضبطت عدة الأموات التى صلى عليها فوصلت إلى ألفين ومائة ، ولم يرد منها الديوان سوى أربعمائة ونيف .

وفيه مات ببولاق سبعون[4] لم يورد منهم سوى إثنى عشر ،قال الشيخ تقى الدين المقريزى : « وفى هذا الشهر شنع الموتان حتى إن ثمانية عشر من

(١) فى الأصل « مصلاة » وقد عدلت الكلمة إلى الصحيح خصوصا وأن المؤلف سوف يستعملها بهذه الصورة فيما بعد ٩ ص ١٨٨ س ١١ ص ١٨٩ س ٤ .

(٢) فى الأصل « يوردوه » .

(٣) البنية نوع من السمك يوجد فى نهر النيل .

(٤) الأصل « سبعين » .

صيادى السمك كانوا فى موضع واحد فمات منهم فى يوم واحد أربعة عشر ومضى الأربعة ليجهزوهم إلى المقابر فمات منهم وهم مشاة ثلاثة ، فقام الواحد بشأن السبعة حتى وصل بهم إلى المقبرة فمات هو أيضاً. وركب أربعون رجلا البحر فى مركب واحد وساروا من القاهرة إلى الصعيد فماتوا بأجمعهم قبل وصولهم الميمون (١) ؛ وجاءت امرأة من مصر تريد القاهرة فماتت وهى راكبة على حمار مكارى فطرحت بالطريق وصارت ملقاة يومها كله حتى بدت منها الرائحة النتنة ، فدفنت ولم يعرف لها أصل (٢) ، وكان الإنسان بمجرد موته يتغير ريحه فى أسرع وقت مع شدة برد الزمان ، وأما أهل خانكاه سرياقوس فبلغت عدة الأموات عندهم فى كل يوم نحو المائتين ، وكذا بالمنوفية والقليوبية حتى كان يموت بالكفر الواحد ستمائة إنسان .

شـــهر جمادى الآخرة

استهل يوم الجمعة :

فيه تزايد عدد الأموات عما كانت فأحصى فى يوم الإثنين رابعه من أخرج من أبواب القاهرة فبلغت عدتهم ألفاً ومائتى ميت سوى من خرج من القاهرة من الحكورة والحسينية وبولاق والصليبية ومدينة مصر والقرافتين والصحراء وهم أكثر من ذلك ، ولم يورد بديوان المواريث بالقاهرة سوى

---

(١) الميمون من أقاليم الصعيد، راجع محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ق ٢ ج ٣ ص ١٢٧ .

(٢) تكاد عبارات الصيرفى عن الطاعون فى هذه الصفحة وما يليها تكون مأخوذة من كلام أبى المحاسن والمقريزى فى وصفه .

ثلاثمائة وتسعين ، ولذلك أسباب منها[1] أن ناساً صنعوا التوابيت للسبيل[2] ، فصار أكثر الناس يحملون موتاهم عليها ولا يوردون للديوان أسماءهم .

وفى هـــذه الأيام ارتفعت أسعار الثياب التى تكفن فيها الأموات وكذلك سعر كل ما يحتاج إليه المرضى كالسكر وبذر الرجلة والبطيخ والكمثرى ، على أن القليل من المرضى هو الذى يعالج بالأدوية ، بل بعضهم يموت موتاً وحياً سريعاً فى ساعته وأقل منها ، وعظم الوباء فى المماليك السلطانية — بالأطباق بالقلعة — الذين كثر أذاهم وفسادهم وعظم عتوهم وضررهم بحيث أنه كان يصبح منهم أربعمائة وخمسون مرضى فيموت فى اليوم زيادة على الخمسين مملوكاً . وكثر الموت أيضاً ببلاد فوه[3] ومدينة بلبيس[4] ، ووقع ببلاد الصعيد الأدنى لكن انقطع من البحيرة والنحريرية وكثر بمدينة المحلة .

وفى يوم الخميس سابعه أحصى من صلى عليه من الأموات فى المصليات المشهورة خاصة فكانوا ألفاً ومائتى ميت ، وصلى بغير هذه المصليات على ما شاء الله ولم يورد فى الديوان سوى ثلاثمائة وخمسين ، وفى ديوان مصر دون الثلاثين وصلى بها[5] على مائة ، وضبط فى يوم السبت تاسعه من صلى عليه بالقاهرة فكانوا ألفاً ومائتين وستين لم يرد الديوان سوى دون الأربعمائة ، وكان عدد من صلى عليه بمصلى باب النصر فى هذا اليوم أربعمائة وأربعة

(١) فى الأصل « وهو » وقد عدلت الكلمة إلى ما بالمتن ليستقيم الأسلوب .

(٢) « للسبيل » كلمة مصرية ذات معنى خاص معناه « للاحسان » .

(٣) كانت فوة من القرى المصرية القديمة فى دلتا مصر وتقع على شاطىء النيل قرب رشيد ، وقد سميت بهذا الإسم نسبة إلى « الفدة » وهى — كما عرفها ياقوت فى معجمه — العروق الحمراء التى تصبغ بها الثياب الحمر ، وقـــد ذكرها أميلينو فى جغرافيته باسم « بوى » POET ، أنظر القاموس الجغرافى ، ق ٢ ج ٢ ص ١١٣ — ١١٥ .

(٤) سبق التعريف ببلبيس فانظرها فى موضعها .

(٥) أى بمصر .

وخمسون ، ومات بعض أمراء الألوف فلم يجدوا له تابوتاً إلا من السبيل ، ومات بعض أولاد الوزراء فلم يقدر الأعوان — مع كثرتهم — على تابوت حتى أخذوا له من المـــارستان، (١٣٨ ب) ، وبلغ عدد من صلى عليه في يوم الاثنين حادى عشره من المصليات المشهورة بالقاهرة وظواهرها ألفين ومائتين وستة وأربعين ، وانطوى — عن الذى ضبط — الكثير ممن لم يصل عليه فيها ، وبلغت عدة من صلى عليه بمصلى باب النصر خاصة في يوم واحد زيادة على ثمانمائة ، ونظير ذلك في مصلى المؤمنى ، وصلى تحت القلعة على أربعين ميتاً دفعة واحدة وما تنقضى الصلاة عنهم إلا وأضعافهم منتظرون ، وبلغت عدة من خرج من أبواب القاهرة إثنى عشر ألف وثلاثمائة ميتاً .

ووقع في هذا الفناء غرائب منها أنه كان بالقرافة الكبرى والصغرى من التكرور السودان نحو الثلاثة آلاف بين رجال ونساء وصغار فأفناهم الطاعون حتى لم يبق منهم إلا نزر يسير فهربوا إلى الجبل وناموا ليلهم ولم يضطجعوا ولم يكتحلوا بمنام لعظم رزيتهم ومصابهم في أهلهم وأولادهم ونسائهم ، وأصبحوا يومهم من الغد مقيمين بالجبل ، فلما كان في الليلة الثانية مات منهم ثلاثون إنساناً فأصبحوا يأخذون في دفنهم ، فبينما هم كذلك مات منهم ثمانية وعشرون ولم يتأخر منهم سوى عشرة أنفار .

واتفق أن إقطاعاً لبعض أجناد الحلقة انتقل في أيام قليلة في تسعة نفر ، وكل منهم يموت .

ومن عظم هذا المصاب الذى حصل للمسلمين باشتغالهم بتجهيز الأموات وتعليل المرضى أن تعطلت أسواق البز وغيرها من البيع والشراء وتزايد

ازدحام الناس فى طلب الأكفان والتوابيت حتى حملت الأموات على الألواح والأبواب الخشب والأيدى وغير ذلك ، وعجز الناس عن دفن أمواتهم فصاروا يبيتون بها فى المقابر ، وأما الحفارون فلا ينامون الليل لكثرة الأموات الواصلة إليهم ، وأما الحفرة الواحدة فوصل فيها عدة من الأموات بحيث أن الكلاب أكلت كثيراً من أطراف الموتى ، وصار الناس ليلهم أجمع فى تجهيز الأموات وتحصيل العدة والحفار والحمالين ، وأما النعوش فى النهار فتراها فى الشوارع كأنها قطارات جمال لكثرتها متواصلة بعضها فى إثر بعض [1] .

* * *

وفى يوم الجمعة خامس عشره جمع السيد الشريف شهاب الدين كاتب السر بأمر السلطان أربعين شريفاً كل شريف اسمه محمد ، وأعطاهم من ماله خمسة آلاف درهم وأجلسهم بالجامع الأزهر ، فقرأوا ما تيسر من القرآن الكريم بعد صلاة الجمعة ، ثم قاموا هم والناس على أرجلهم ودعوا الله تعالى ، هذا والجامع قد غص بالناس واستمروا على الدعاء حتى دخل وقت

(١) أشار ابن حجر فى إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٤٣٧ — ٤٣٨ إلى شدة فتك الطاعون ببلاد مصر فذكر أنه اشتد بالوجه البحرى فمات — كما يقال — بالمحلة خمسة آلاف نفس وبالنحرارية تسعة آلاف وكان يموت بالإسكندرية كل يوم مائة وخمسون ، أما فى القاهرة فبلغ عدة من يموت فى جمادى الأولى ألف ومائتا نفس ، واشتد فتك الطاعون بالمماليك السلطانية فكان يموت فيهم كل يوم خمسون شخصا كما وقع الموت بالسودان فى القرافة فكان جملة من مات منهم ثلاثة آلاف ، ويصور ابن حجر شدة الطاعون بقوله « وعز وجود حمالى الموتى وغسلهم ومن يحفر القبور وعملوا حفائر كبارا كانوا يلقون فيها الأموات ، وسرق كثير من الأكفان ، ونبشت الكلاب كثيراً فأكلتهم من أطراف الأموات ووصل فى الكثرة حتى شاهدت (أى ابن حجر نفسه) النعوش من مصلى المؤمنى إلى باب القرافة كأنها الرخم البيض تحوم على القتلى ، وأما الشوارع فكانت فيها كالقطارات يتلو بعضها بعضا » .

العصر فصعد الأربعون شريفاً إلى سطح الجامع وأذنوا جميعاً وصلوا مع الناس صلاة العصر وانفضوا؛ وكان هذا مما أشار به بعض العجم، وذكروا أنه فعل هكذا ببلاد المشرق فى فناء حدث عندهم فارتفع عقيب ذلك، فلما أصبح الناس يوم السبت أخذ الوباء فى الانحطاط وكل يوم يتناقص حتى انقطع وكل ذلك ببركة النبى صلى الله عليه وسلم، وبركة اسمه وبركة ذريته، لكنه فشا ببلاد الصعيد وبنواحى العرب وكذا بمدينة حماه وحمص، ومن العجيب أنه وجد فى بعض بساتين القاهرة سبع ذئاب قد ماتوا بالطاعون، وكذا مات عند رجل بالطاعون أربع دجاجات وجد فى كل واحدة منهن كبة فى ناحية من بدنها، وكان لرجل نسناسة فأصابها الطاعون فى رأسها وصار يضع لها الماء والأكل فلا تأكل غير أنها تشرب قليلا وأقامت ثلاثة أيام وهلكت؛

* * *

وفى ليلة الجمعة التاسع والعشرين منه طلع بعد غروب الشمس بقليل كوكب فى هيئة الكرة بقدر جرم القمر ليلة البدر فيما بين الشرق والقبلة إلى جهة المغرب، وتناثر منه شرر عظيم من ورائه؛

شهر رجب

أوله الأحد :

استهل هذا الشهر والفناء قد تناقص فى القاهرة إلا أن الشمس لما نقلت إلى برج الحمل فى ثامن عشر شهر جمادى الآخرة ودخل فصل الربيع انتشر الموت فى أعيان الناس وكبارهم ومن له شهرة بعد أن كان فى الأطفال والخدم، وأما الأدوية التى يحتاج إليها المرضى فبلغت أضعاف ثمنها، ولذلك سبب وهو أن

الأمراض طالت مدتها بعدما كان الموت وحيا فلا يخلو دار من ميت أو مريض ، [١٣٩ أ] والذى وقع فى هذا الوباء لم يعهد مثله إلا فى النادر فإن غالب الدور خلت من جميع من كان فيها من الخدم والأولاد ، حتى إن الأموال المخلفة عن هذه الأموات أخذها من لا يستحق أخذها ، وأما المماليك السلطانية أيضاً فإنهم قلوا من الموت والمرض بحيث أنه ورد كتاب من طرابلس فلم يجد الشريف عماد الدين[1] أبو بكر بن على بن إبراهيم بن عدنان من يتناوله حتى يفتحه السلطان ، وكان الشريف هذا المذكور إذ ذاك يباشر بعد موت أخيه شهاب الدين وقد عين لكتابة السر ، واتفق أنه خرج من بين يدى السلطان فوجد مملوكاً خارج القصر فدخل به حتى أخذ كتاباً من رسول قدم به وفتحه وقرأه على السلطان :

(١) هو أخو الشريف أحمد وكان قد باشر نيابة كتابة السر بدمشق ثم حسبتها فى سنة ٨٢٦ وتولى تدريس الريحانية والعذراوية والمقدمية ، هذا وقد ذكرت النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٦٥٩ أنه «مات قبل أن يلبس خلعة كتابة السر» مما يخالف ماورد بالمتن ، وفى هذه الناحية يقول النعيمى فى الدارس فى تاريخ المدارس ، ج ١ ص ٤٩٢ «إنه لما توفى أخوه تعين لكتابة السر للطمع فى تركة أخيه ولم يبق إلا أن يخلع عليه فلم يمتنع» . أما الضوء اللامع ج ١١ ص ٥٠ ترجمة رقم ١٣٢ فقد ذكر أنه عين لكتابة السر بعد أخيه « وباشر بدون تولية فعوجل بالطاعون ومات فى ١٣ رجب ، وقد ترجم له ابن حجر فى وفيات ٨٣٣ ترجمتين فى الجزء الثالث من إنبائه ذكر فى الأولى منهما مولده وأنه « نشأ بزى الجند ثم بعد ذلك بزى المباشرين » ، ص ٤٤٣ ترجمة رقم ١٢ ، ثم عاد فى ترجمة أخرى فى نفس السنة « نفس المرجع والجزء ، ص ٤٤٣ حاشية رقم ٣ فقال أنه عين «عقب بعد أخيه لكتابة السر وباشر بغير تولية» .

أما فى فيما يتعلق بالمدارس التى تولى التدريس بها وهى الريحانية والعذراوية والمقدمية فانه درس أيضا بالجقمقية ، وفيما يتعلق بالريحانية راجع ماورد عنها فى النعيمى : الدارس فى تاريخ المدارس ، ج ١ ص ٥٢٢ ومابعدها ، وعن العذراوية نفس المرجع والجزء ، ص ٥٤٨ ومايليها ، وعن المقدمية الجوانية وعن العذراوية ، نفس المرجع والجزء ، ص ٥٩٤ ومابعدها ، وعن الجقمقية نفس المرجع والجزء ص ٤٨٩ وكلها من مدارس الحنفية بدمشق .

وفى يوم الإثنين تاسعه خلع على الطواشى خوش قدم[1] واستقر مقدم المماليك السلطانية بعد موت الأمير فخر الدين ياقوت ، وخشقدم هذا رومى الجنس أبيض اللون رباه الأمير يشبك[2] وأعتقه ، وكانت له شهرة فى أيام الملك المؤيد شيخ بالحرمة الوافرة على المماليك حتى ترقى واستقر نائب المقدم .

وفى سادس عشره حضر الأمير تغرى بردى المحمودى من السجن بدمياط فرسم له أن يتوجه من قليوب[3] إلى دمشق ويستقر أتابكاً بها فتوجه إليها .

وفى ثالث عشريه خلع على بدر الدين حسن بن القدسى واستقر فى مشيخة الشيخونية بعد موت صدر الدين أحمد بن العجمى .

* * *

وفى هذه الأيام انحل سعر الغلال حتى أبيع الشعير بتسعين درهماً للإردب، والقمح بمائتين بل بما دونها ، وكثر الخبر والإرجاف بحركة قرايلك على البلاد ، وأن شاه رخ بن تيمور شتا على قراباغ ، فلما بلغ السلطان ذلك شرع فى تجهيز عسكر للسفر .

(١) هو خوشقدم الرومى اليشبكى ، وكان فى الأصل مملوكا لتغرى بردى الأتابكى والد أبى المحاسن المؤرخ ، وقد قدمه للظاهر برقوق الذى أنعم به على مملوكه فارس ، حاجب الحجاب ، ثم تنقلت به الأحوال حتى استقر به الأشرف فى تقدمة المماليك هذه السنة ، لكن قبض عليه الظاهر وسجنه بالإسكندرية لاتهامه بالقيام مع العزيز فى تسهيل فراره من القصر ، ثم أطلقه ، وكانت وفاته سنة ٨٥٦ ، انظر التبر المسبوك ، ص ٣٩٩ .

(٢) أنظر الضوء اللامع ١٠/١٠٩٠ .

(٣) قليوب من القرى المصرية القديمة ، وكانت فى الأصل تابعة لإقليم الشرقية ، فلما عمل الروك الناصرى سنة ٧١٥ أنشىء لأول مرة إقليم القليوبية وجعلت قليوب قاعدة له ، انظر القاموس الجغرافى ، ق ٢ ج ١ ص ٥٧ — ٥٨ .

شـــهر شعبان

أوله الإثنين :

فى ثالثه رسم السلطان بمنع نواب القضاة من الحكم ورسم أن يقتصر الشافعى على أربعة من خيار نوابه ، والحنفى على ثلاثة ، والمالكى والحنبلى كل واحد منهما على اثنين ، فماأحسن هذا لو تم :

وفى يوم الإثنين ثامنه أدير محمل الحاج على العادة ولم نعهده أدير قط فى شعبان وإنما يدار دائماً فى نحو النصف من رجب ، غير أن الضرورة بموت المماليك الرماحة اقتضت تأخير ذلك ، حتى معلمو الرمح أخـذوا فى تعليم من بقى من المماليك ما عرفوا منه حتى ولو أنهم حاملون الرماح فيكفى ، وكان الجمع فيه[1] دون العادة »

وفى ثالث عشريه خلع على جمال الدين يوسف[2] بن (محمد بن) أحمد التزمنتى المعروف بابن المجبر أحد قضاة الشافعية واستقر فى مشيخة الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء وكان قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن المحمرة قد استنابه ، واستقر أيضاً بدرالدين محمد بن عيد المعروف بابن الأمانة[3] أحد خلفاء الحكم العزيز الشافعى فى تدريس الشافعية بمدرسة شيخو ، وكان ابن المحمرة قد استنابه عنه ، فاستقل كل منهما بالوظيفة عن مستنيبه بحكم إقامته

(١) أى فى المحمل .

(٢) أنظر الضوء اللامع ١٠/١٢٤٤ .

(٣) هو محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عثمان الأنصارى الأبيارى المعروف بابن الأمانة ، وهو لقب جدأبيه، ولد سنة ٧٦٦ بأبيار ثم قدم القاهرة صغيراً الاشتغال واهتم بالتحصيل وأفتى سنة ٧٨٤ ، ودرس بكثير من المدارس بالقاهرة ودمشق ، وقد وصفه ابن حجر العسقلانى « بالعلامة مفيد الجماعة » ، وكانت وفاته فى شعبان سنة ٨٣٩ ، راجع الضوء اللامع ٦/ ١٠٥١ .

فى قضاء دمشق ، وخلع على سيدنا ومولانا وشيخنا أمين الدين يحيى بن محمد الأقصرائى واستقر فى مشيخة الأشرفية المستجدة وتدريس الحنفية عوضاً عن الشيخ الإمام كمال الدين محمد بن الهمام لرغبته عنها تعففاً وزهداً .

* * *

وفى هذا الشهر انحطت الأسعار حتى أبيع القمح بمائة وخمسين درهماً للإردب فما دونها ، والشعير بتسعين فما دونها ، وبلغ الدينار الأشرفى إلى مائتين وثمانين درهماً ، والأفلورى إلى مائتين .

وفيه شاع وذاع سفر السلطان .

شهر رمضان

أهل يوم الأربعاء :

فلما كان التاسع منه قرر السلطان فى جامعه الذى أنشأه بجوار العنبرانيين والوراقين من القاهرة ثلاثة دروس : الشافعية وشيخهم الشيخ شمس الدين محمد بن على القاياتى وقرر معه عشرين طالباً ،

المالكية : الشيخ عبادة بن على بن صالح الزرزارى[1] ومولده سنة ثمان وسبعين وثمانمائة ومعه عشرة من الطلبة .

(١) ولد الزرزارى سنة ٧٧٧ بزرزرا من قرى مصر ورحل إلى اليمن صحبة البدر الدماميني ودرس للمالكية فى الشيخونية وفى البرقوقية والأشرفية برسباى وأفتى وانتفع به الطلبة ومات سنة ٨٤٦ ، راجع عنه ابن حجر : إنباء الغمر وفيات سنة ٨٤٦ ترجمة رقم ٥ ، والسخاوى الضوء اللامع ٤ / ٦٦ ، والبقاعى : عنوان الزمان فى تراجم الشيوخ والأقران ، ترجمة رقم ٢٤٩ ، والنجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ٢٧٩ .

الحنابلة : زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله المعروف بالزركشي[(١)] ومعه عشرة من الطلبة ، ومولده فى سابع رجب سنة ثمان وخمسين وسبعمائة . قال حافظ العصر وخادم السنة ابن حجر : « سمع على محمد بن إبراهيم البيانى صحيح مسلم[(٢)] » .

وفى يوم السبت ثامن عشره قدم كاتب سر حلب شهاب الدين أحمد بن صالح ابن السفاح[(٣)] بطلب من السلطان ليباشر كتابة الإنشاء بالقاهرة المحروسة ويستمر عوضه بحلب ولده زين الدين عمر وعلى أن يحمل للخزائن الشريفة عشرة

(١) كانت الزركشة صناعة أبيه ، أما هو فقد ولد سنة ٧٥٨ فى القاهرة ورحل إلى دمشق فى طلب العلم ودخل نابلس وإسكندرية ودمياط والصعيد ، وكان عالما قدره حق تقديره ابن حجر العسقلانى فقال حين ترجم له « نزل الناس بموته درجة » انظر إنباء الغمر ، ترجمة رقم ٧ وفيات سنة ٨٤٦ ، والبقاعى : عنوان الزمان ، ترجمة رقم ٢٧٢ .

(٢) فيما يتعلق بسماعه على محمد بن ابراهيم البيانى — فوق ما ذكره السخاوى من أن أباه أسمعه فى صغره الكثير لكن حدثت لهم كائنة فذهبت أثباته فى جملة كتبه ، لكن الشهاب الكلوتاتى ظفر بسماعه لصحيح مسلم سنة ٧٦٥ على الشمس محمد بن إبراهيم البيانى فأرشد الناس إليه ، انظر فى ذلك الضوء اللامع ٤/٢٥٧ . أما الشمس البيانى فقد ولد بحماة سنة ٦٨٦ وسمع من الكثيرين من جملة الشيوخ ، وكان يعرف بإمام الصخرة ، وكانت وفاته بالقاهرة سنة ٧٦٦ ، انظر عنه ابن حجر : الدرر الكامنة ٣/٣٣٠٧ .

(٣) كان مولد الشهاب أحمد بن صالح بن السفاح سنة ٧٧٢ بحلب وتمانى بها الكتابة والتوقيع واستقر به الأشرف برسباى فى رمضان سنة ٨٣٣ — كما بالمتن — فى كتابة السر » فباشر الوظيفة بدون دربة وسياسة لكونه لم يكن بالفاضل حتى ولا فى الإنشاء مع سوء حظ » ويتفق فى هذا الوصف أبو المحاسن فيما ذكره عنه بالنجوم الزاهرة ج ٦ ص ٦٦١ من أنه باشرها « بقلة حرمة مع جهل بصناعة الإنشاء ، وكان غير أهل لهذه الوظيفة » ، ويشير ابن حجر إلى السر فى توليه كتابة السر بحلب فى عهد برسباى فيقول إنه لما تسلطن الأشرف « استقر به كاتب السر بن الكويز فى كتابة السر ببلده حلب إرادة الراحة منه » انظر إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٤٨٢ ترجمة رقم ٢ .

أما ابنه عمر فكان مولده سنة ٧٩٥ بحلب وزار القاهرة وبيت المقدس « ولم يشتغل بالعلم إلا قليلا ، ولذا كان عاريا منه » على حد وصف السخاوى له فى الضوء اللامع ٦ / ٢٣٠ ، وكان يتزيى فى أول أمره بزى الجند فلما استقر فى المباشرات دور عمامته » ، وكانت وفاته سنة ٨٦٦ .

آلاف دينار وكانت كتابة السر قد صارت شاغرة (١٣٩ ب) ، بعد وفاة السيد شهاب الدين فباشرها أخوه عماد الدين أبو بكر أياماً يسيرة ومات فاستمر شرف الدين أبو بكر الأشقر يباشرها ، والسعى فيها من جماعة من الأعيان ولكن السلطان لم يلتفت إليهم بل اختار ابن السفاح وطلبه فحضر وأخلع عليه فى عشرينه .

* * *

وفى ثالث عشر منه قدم رجل من الشرق من عند شاه روخ بكتابه واسمه هاشم وصحبته هدية عدة قطع فيروزج، والكتاب المحضر صحبته بلا ختم ولا صدر، فيه، بسم الله الرحمن الرحيم ، بل ابتدىء فيه بقوله تعالى : « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » إلى آخر السورة ، وخاطب السلطان فيه بالأمير برسباى ، فحصل عند السلطان من ذلك أمر وأرعد وأبرق .

وفى التاسع والعشرين منه نودى على النيل وقد وصلت القاعدة ستة أذرع وثلاثة أصابع : ولله الحمد :

* * *

شهر شوال

أهل يوم الخميس وسائر الأطعمة من الفواكه واللحوم والأجبان والغلال رخية موجودة جداً .

وفى يوم الثلاثاء العشرين منه برز محمل الحاج وكسوة البيت الشريف إلى الريدانية فرحل الركب الأول فى الثانى والعشرين ، ورحل المحمل من بركة الحاج في الثالث والعشرين .

وفى يوم الخميس ثانى عشريه نودى على النيل بزيادة إصبع واحد تتمة خمسا وعشرين إصبعاً من الذراع التاسع ولم يناد عليه من الغــد وتوقفت الزيادة ، ثم نودى عليه من يوم الأحد .

وفى يوم السبت رابع عشريه قدم المماليك السلطانية من تجريدة الرها :

وفيه خلع على سليمان بن عذرا بن على بن نعير بن حيار بن مهنا واستقر أمير البلاد عوضاً عن مدلج[1] بن على بن نعير وعمره نحو خمس عشرة سنة :

شــهر ذى القعــدة

أهل يوم السبت :

فى ثانيه قدم رســول شاه رخ بن تيمور كوركان بكتاب لم يعلم ما ضمنــه :

وفى ثالثه خلع على الوزير عبد الكريم بن كاتب المناخ واستقر أستاداراً عوضاً عن الأمير آقبغا الجمالى مضافاً إلى الوزارة .

وفى سادس عشره قبض على آقبغا الجمالى وعوقب وضرب بالمقارع وسلم إلى ابن كاتب المناخ ونزل إليه راكباً على حمار ، وسبب عزله أنه كان خفيفاً وعادى المباشرين وصار لا يقبل رسالة أحد من أعيان الدولة وكان له حرمة وافرة، اتفق له فى مجلس حكمه وهو ساكن فى دار ابن أبى الفرج بين الصورين وهو أستادار ، وابن الهيصم تاج الدين ناظر الديوان

(١) كان مدلج قد ولى إمرة المدينة المنورة بعد أخيه عذرا ، وكان قتله فى هذه السنة — أى ٨٣٣ — فى وقعة بينه وبين ابن عمه قرقماس قاتل عذرا ، انظر الضوء اللامع ٣ /٦٠٢ ، وكذلك إنباء الغمر ج ٣ ص ٤٥١ ترجمة رقم ٤٤ .

المفرد ، أن دخل عليه بعض أمراء العربان من قبلى وكان توجه الدوادار قبل حضوره إليه فهدده على ذلك ثم طلب المشاعلى فقال : « عره » فعراه ، فقال : « وسطه » فوسط قطعتين فى أسرع من طرفة عين ، وهدد المباشرين مثل الوزير وناظر الخاص بأخذ وظائفهم، وأن يحمل إلى السلطان فى كل شهر مالا جزيلا من فائضها[1]. وقدر الله تعالى للسلطان أن رآى فى منامه آقبغا هذا المذكور راكباً فيلا عظيماً وهو داخل به إلى الدهيشة وقد هرب الحاضرون منه فحصل عند السلطان من هذا المنام شيء ، ووقف للسلطان بعض مماليكه فشكى له أن بلاده قد ظلم[2] فيها الكشاف والولاة والعربان ، وأنه يسأل الصدقات الشريفة أن يضاف إلى الديوان المفرد ويرتب له جامكية أسوة بالمماليك السلطانية ، فرسم السلطان للأمير آقبغا بذلك ، وأخبرنى من كان حاضراً أن السلطان ناداه بين العسكر : « أمير أستادار » فقال : نعم ، فقال : « خذ بلد هذا للديوان واصرف له جامكية عوضها » ، فكان من جوابه بين العسكر أن قال : « أعطنى[3] من خزانتك » فشق ذلك الجواب على السلطان ، فرسم للتاج الوالى بضربه بالمقارع فضرب وسلم لابن كاتب المناخ :

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشره الموافق خامس عشر[4] مسرى أوفى النيل ستة عشر ذراعاً فركب السلطان حتى خلق المقياس وفتح فم الخليج ولم يتفق له ذلك منذ تسلطن إلا هذا العام ؛

---

(١) أى من فائض هذه الوظائف بعد حلها وأخذها .

(٢) فى الأصل « ظلموا » .

(٣) ربما كان الأصح أن يقول « أعطه » .

(٤) تتفق هذه التواريخ من حيث اليوم والشهر مع الوارد فى جدول التوفيقات الإلهامية ص ٤١٧ .

وفى رابع عشريه خلع على آقبغا الجمالى واستقر كاشف جسور بالمحلة وغيرها .

وفى سادس عشريه نودى على النيل بزيادة ثلاثة أصابع لتتمة سبعة عشر ذراعاً وتسع أصابع :

وفيه نقص النيل لقطع الجسور من إهمالهم لها فتوقفت الزيادة .

وفى ليلة السبت خامس عشرينه ظهر للحاج وهم سائرون من جهة بحر الملح [كوكب](١) يرتفع ويعظم، ثم تفرق منه شرر كبار ثم تجمع، فلما أصبحوا هلك من المشاة والركاب والجمال والحمير شىء كثير من شدة الحر والعطش ، وهلك أيضاً فى بعض أودية ينبع من الغنم والإبل شىء كثير جداً من الحر والعطش :

شهر ذى الحجة

أهل بالثلاثاء :

فيه نودى على النيل برد النقص وزيادة ثلاثة أصابع لتتمة سبع عشرة ذراعاً ونصف .

وفى يوم الثلاثاء ثامنه نزل السلطان من قلعة الجبل إلى بيت المقر الناصرى ابن البارزى المطل على النيل وقدم بين يديه فى النيل غراباان فلعبا كما هى عادتهم لمحاربة الفرنج ثم ركب سريعاً (١٤٠ أ) وعاد إلى القلعة :

وفى عاشره توجه رأس الدولة وعظيمها المقر الزينى عبد الباسط ناظر جيوش المنصورة ومدبر الدولة فى أخصائه لزيارة البيت المقدس الشريف وتوجه والذى صحبته فإنه كان من جملة أصحابه والمخصوصين به :

---

(١) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل لكن أضفناها بعد مراجعة النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٢٦٦ .

وفى عشريه الموافق لثانى عشرين توت نودى على النيل بزيادة إصبع واحد لتتمة تسع عشرة ذراعاً وعشرة أصابع ولم يناد عليه فى الغد ونقص عشرة أصابع لتقطع الجسور وفسادها .

وفى سابع عشريه قدم المبشرون[1] من الحجاج وأخبروا بهلاك من هلك من الحر والعطش .

وفى تاسع عشريه قدم القاضى زين الدين عبد الباسط من القدس وكان لقدومه يوم مشهود وجمع محمود .

وفى سلخه نودى على البحر بزيادة النقص وزيادة إصبعين :

وفى هذا هذا الشهر توجه الأمير قصروه نائب حلب والأمراء المجردون من مصر بمن معهم لمحاربة قرقماس[2] بن نعير فالتقوا من جماعته جمعاً كبيراً تجاه قلعة جعبر وقد أكمن لهم قرقماس ، فأخذ العسكر فى نهب البيوت ، فخرج عليهم الكمين من العرب فقتلوا خلقاً من الأمراء والعسكر وفيهم أتابك حلب وسلبوهم ، فعادوا إلى حلب بالخيبة والوبال .

* * *

وكان هذا العام شديد المكاره عديد الشنائع من الوباء والحروب والفتن ، فبلغ عدة من مات فى هذا الوباء من أرض مصر وضواحيها وبحريها وقبليها ما يزيد على مائة[3] ألف إنسان والمجازف يقول هذه المائة ألف ألف

---

(١) فى الأصل « قدموا المباشرين » .

(٢) أنظر الضوء اللامع ٦/٧٢٦ .

(٣) هكذا فى الأصل وهذا بلا مراء مبالغة لا يمكن تحقيقها وإن أصر عليها المؤلف .

من القاهرة ومصر فقط سوى من مات فى الوجه القبلى والبحرى ، وهم مثلى ذلك :

وغرق ببحر القلزم مركب فيه تجار وحجاج يزيد عددهم على ثمانمائة إنسان لم ينج منهم سوى ثلاثة أنفس :

وفى ذى القعدة أيضاً هلك بطريق مكة فيما بين الأزلم وينبع من الحر والعطش ثلاثة آلاف نفس كما قدمناه ، والمجازف يقول خمسة آلاف :

وغرق أيضاً فى النيل فى مدة يسيرة إثنتا عشرة سفينة فيها من البضائع والغلال ما لا يقوم عليه لكثرة ماله :

وكثر الإرجاف بمقدم شاه رخ بن تيمور كوركان إلى الشام فأوقع الله عز وجل فى عسكره الغلاء والوباء حتى عاد إلى جهة بلاده، وأما قرا يوسف فعاد إلى ماردين ونهبها ونهب ملطية وما حولها إلى عينتاب وحرقها :

وكان أيضاً ببلاد الحبشة ما لا يمكن وصفه وذلك أن[1] بن ملكها داود ابن سيف بن أرعد، ويقال له الحطى ملك أمحرة وهو وهم نصارى يعقوبية مات فى سنة إثنتى عشرة وثمانى مائة فقام بعده الأمير إبنه تلرنسن بن داود ابن سيف أرعد وفخم أمره وعظمت شوكته، وسبب ذلك أن بعض مماليك الأمير بزلار نائب الشام ترقى بالخدم وعرف بألطنبغا مفرق وباشر ولاية قوص من بلاد الصعيد ففر منها إلى الحبشة، واتصل بالحطى هذا وعلم جنده وأتباعه معرفة علم الرمح ورمى النشاب وضرب السيف وغير ذلك من أدوات الحروب ، ثم لحق بالحطى أيضاً بعض المماليك الجراكسة وكان زردكاشا فصنع زردخاناه عظيمة هائلة شاملة لجميع آلات الحروب ملوكية،

---

(١) جاء بعد هذه الكلمة فى الأصل « أدزكا » .

وتوجه إليه أيضاً مع ذلك من أقباط مصر الكتاب النصارى شخص يقال له فخر الدولة، فهذب له مملكته ورتبها وقرر له الأموال وجباها ، وجند له الجند، وصار أمر المملكة إليه، وصار الملك فى ترفه وتنزهة ، قال العلامة تقى الدين المقريزى: «أخبرنى من شاهد هذا الملك وقد ركب فى موكب جسيم وفى يده صليب من ياقوت أحمر ووضع يده الأخرى على فخذه وشرهت نفسه فى أخذ الممالك الإسلامية لكثرة ما وصف له هؤلاء من محاسنها ، فأرسل التوريزى التاجر ليستدعى له الفرنج للقيام معه ، وأوقع بمن فى مملكته من المسلمين القتل والأسر والسبى الشيء الكثير للغاية حتى كان ممن أسر منصوراً ومحمداً ولدى سعد الله بن محمد بن أحمد بن على، واجتمع الجبرتى ملك المسلمين بالحبشة» فعاجله الله تعالى بغضبه ونقمته فهلك فى ذى القعدة وأقيم بعده ولده أندراس بن إسحق، فهلك لأربعة أشهر فأقيم بعده عمه حزنباى بن داود بن سيف أرعد فهلك فى شهر رمضان سنة أربع وثلاثين فأقاموا بعده ابن أخيه سلمون بن اسحق بن داود بن سيف أرعد فكان على أمحرة أربعة ملوك فى دون السنة .

* * *

وفى هذه السنة وثب جمال الدين بن الملك سعد الدين محمد بن أحمد بن على بن ولضمغ الجبرتى وذلك أن سعد الدين محمد لما قام بأمر المسلمين أكثر من محاربة النصارى واتسعت مملكته وحارب الحطى غير مرة حتى استشهد بعد سنة ستعشرة وثمانمائة فتفرق أصحابه وولى ماكه ولحق أولاده بزبيد فأكرمهم ملك اليمن ثم رجعوا إلى الحبشة بعد سنين فقام بالأمر خير الدين على بن سعد الدين مدة ثمانى سنين ومات فقام بالأمر بعده أخوه منصور بن سعد الدين فى بلاد الحبشة وحارب الحطى مراراً آخرها فى سنة ثمان وعشرين

وثمانمائة [١٤٠ ب] وقد سار إليه فى عدد كبير وأوقع فى النصارى وقعة شنيعة فظيعة ، قتل فيها وأسر وسبى عالم كثير ، ولم يقتل من المسلمين سوى دون العشرين رجلا ، إلا أنه وقع فى قبضة الحطى إسحق بن داود بن سيف أرعد : منصور بن سعد الدين وأخوه محمد وهرب المسلمون فقيدهما ورجع بهما إلى مملكته وكاد يطير فرحاً من ظفره بهما ، ولما قرب من مدينة ملكه أركب المنصور كهيئته فى مملكته وسار فى العسكر حتى دخل المدينة فأنزله وأخاه محمداً فى دار عظيمة تليق بهما ، وأجرى عليهما ما يحتاجان إليه ووكل بهما من يحفظهما من الحرس ، فقام بأمر المسلمين بعد منصور أخوه جمال الدين بن سعد الدين، فلما مات الحطى إسحق بن داود جمع سعد الدين المسلم وأغار على بلاده أمحرة وقتل وأسر وسبى عالماً كثيراً ، واستسلم منهم أمم عظيمة، وأقر كل من أسلم ببلاده وولى عليهم من قبله ، فاتسع نطاق ملكه وقويت عساكره وكثرت أموالهم وأرسل بالسبى إلى الآفاق فكثر الرقيق من العبيد والإماء ببلاد اليمن والهند وهرمز والحجاز ومصر والشام والروم :

وظهر من عقل جمال الدين وثباته وشجاعته وصرامته ومهابته وعدله ما عجب منه العاقلون بحيث أن بعض أولاده الصغار لعب مع بعض الصبيان فضرب منهم صبياً فكسر يده وكتموا ذلك عنه مدة ، ثم بلغه بعد ذلك الخبر فجمع أعيان مملكته ولامهم وهددهم على كتمان مثل هذا الأمر عنه، ثم طلب ولده الضارب فجىء به محمولا على الكتف لصغره حتى يقتص منه ، فنهض إليه الأعيان والأماثل يشفعون فيـــه فلم يقبل شفاعتهم ، فأحضروا أبا الصبى المضروب وأهله فأسقطوا حقهم وتضرعوا إليه جهدهم فى العفو عن ولده فلم يقبل، وأخذ ولده ومد يده على حجر وضرب على عضده بحديد فكسره ، والأكابر والأماثل والأعيان يبكون لبكاء الصغير وهو يقول :

لولده «تألم كما آلمت هذا الصغير»، ثم سار به الخدم والحشم وهو يصيح من الألم إلى أمه لترضه وكان يوماً مهولا ، فلم يجسر أحد بعد ذلك فى مملكته أن يظلم أحـــداً .

وله مثل هذا النمط الحسن الجميل عدة أخبار : هذا مع العفة والدين والنسك والاستبداد بجميع أمور مملكته ووفور الحرمة وقمع المفسدين وإزالة المنكرات والأمر بالمعروف ، فالله تعالى يؤيده ويعينه بعونه وعنايته .

وأما بلاد المغرب فإن ملك فاس المسمى أبا يزيد عبد الرحمن حفيد السلطان أبى سالم إبراهيم ثار عليه السعيد أبو عبد الله محمد المشهور بالحنبلى ابن أبى عامر عبد الله بن أبى ســـعد عثمان بن أبى العباس أحمد بن أبى سالم إبراهيم بن أبى الحسن فى أوائل سنة ثمان وعشرين ، وملك فاس وقتله وخرج إلى الشاوية فقتلوه وأقاموا ولده أبا عبد الله محمد، فقام الوزير صالح وبايع للناصرين على بن أبى سعيد عثمان ، فقدم أبو عمرو بن السعيد محمد بن عبد العزيز بن أبى الحسن من إفريقية وملك فاس ثم هرب فأعيد الناصر ابن على فعاجله أخوه أبو محمد عبد الحق بن أبى سعيد وملك فاس بعد قتال فى آخر شهر رجب سنة ثلاث وثلاثين ، والله تعالى أعلم، لا إله إلا هو علام الغيوب .

ومات فى هذه السنة من الأعيان

٦٧٥ — كريم الدين عبد الكريم بن سعد الدين بركة المشهور بابن كاتب جكم ناظر الخواص، [مات] فى ليلة الجمعة العشرين(١) من ربيع الأول، وكان أبوه كاتب ديوان جكم وترقى ولده هذا كريم الدين فى الخدم الديوانية

(١) أخطأت إنباء الغمر ، ج٣ ص ٤٤٧ إذ جعلت وفاته يوم ١٦ ربيع الأول ، انظر فى نفس الصفحة حاشية رقم ٣ .

فباشر استيفاء الدولة ثم نظرها ثم نظر الخاص ، وكان مشكور السيرة كثير الخير والصدقات ،وخلف أموالا جزيلة، وعقبه من الأولاد الشباب إبراهيم ويوسف رحمه الله :

٦٧٦ — وتوفى[1] شرف الدين أبو الطيب محمد بن تاج الدين عبد الوهاب ابن نصر الله فى ليلة الأربعاء سابع عشر ربيع الأول ، ومولده فى ليلة السبت خامس عشرى ذى القعدة سنة سبع وتسعين وسبع مائة ، ووقع فى الإنشاء وولى نظر أوقاف السادة الأشراف ونظر الكسوة ونظر دار الضرب وحصل له فيه حرمة وافرة ومالية لها جرم فى أسرع وقت ؛ قال الشيخ تقى الدين المقريزى : « وكان مشكورَ السيرة » :

٦٧٧ — وتوفى ولى الدين محمد بن الدمياطى فى ليـــلة الثلاثاء ثانى شهر ربيع الأول وعدى الثمانين ، وولى من الوظائف وكالة بيت المال ونظر الكسوة فى أيام الناصر ثم صار خاملا حتى مات ، وكان رحمه الله قليل الشر :

٦٧٨ — ومات الأمير كمشبغا الفيسى بالشام فى رابع عشر شهر ربيع الآخرة[2] وهو أحد أمراء الملك الناصر فرج ، وكان أمير آخور ثم انحط قدره فى أيام الملك المؤيد شيخ ورسم له بأن يتوجه إلى الشام، ولم يبلغناعنه شىء من المعروف ولا من الخير .

٦٧٩ —ومات الأمير أزبك بن عبد الله المحمدى الظاهرى الدوادار بالقدس الشريف فى يوم الثلاثاء سادس عشر ربيع الأول ، وهو من المماليك الظاهـــر برقوق وكان متجنبا عن الفواحش والمنكرات :

(١) وكانت وفاته بمرض السل ، انظر إنباء الغمر ج ٣ ص ٤٥٥ ترجمة رقم ٣٩ .

(٢) هكذا أيضاً فى الضوء اللامع ٦ / ٧٩٧ ، لكنه « ربيع الأول » فى إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٤٤٨ ترجمة رقم ٢٣٠ ، كذلك وصفه هذا المرجع الأخير بأنه « كان جريئا على سفك الدماء » .

٦٨٠– [١٤١ ا] ومات الأمير السلطان المظفر أحمد بن الملك المؤيد شيخ بثغر الإسكندرية فى ليلة الخميس آخر شهر جمادى الأولى هو وأخوه إبراهيم، ودفنا بجوار أبيهما بالقبة من الجامع المؤيدى، ولم يبق للمؤيد بعدهما ولد يذكر، وكانا قد دفنا بسكندرية ثم حملا إلى القاهرة فى يوم الإثنين نصف شعبان ودفنا عند أبيهما كما ذكرنا .

٦٨١– وتوفى الأمير بيبغا المظفرى فى ليلة الأربعاء سادس جمادى الآخرة وهو من أحد مماليك الظاهر برقوق، وترقى فى الخدم الشريفة فصار مقدم ألف فى الأيام الناصرية فرج ، وسجن ونكب مرارا واستقر أتابك العساكر بمصر، وكان تركى الجنس قوى النفس[(١)] سيء النية لم يشتهر عنه دين ولا دنيا ؛

٦٨٢ – ومات الأمير برديك السيفى يشبك بن أزدمر أحد مقدمى الألوف فى يوم الأحد عاشر جمادى الآخرة .

٦٨٣ – وتوفى الأمير ناصر الدين محمد بن السلطان الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق بثغر سكندرية فى يوم الإثنين حادى عشر جمادى الآخرة وله من العمر إحدى وعشرون سنة ، وأمه أم ولد مولدة اسمها عاقولة ؛

٦٨٤ – ومات السيد الشريف على بن مغامس بن رميثة بن أبى نمى بن محمد بن حسن بن على بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبدالكريم بن عيسى ابن حسن بن سليمان بن على بن عبدالله بن محمد بن موسى بن عبدالله بن موسى ابن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه أمير مكة وهو بالقاهرة بالطاعون فى يوم الأحد ثالث جمادى الآخرة، وكان بعد عزله عن إمرة مكة توجه إلى بلاد المغرب فأكرمه أبو فارس عبد العزيز صاحب تونس

---

(١) عبارة « قوى النفس » أخذها الصيرفى من ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٤٤٥ س ٣ .

وأدناه، ثم رجع وطالت بطالته وإقامته بالقاهرة. وكان جميل المحاضرة والمذاكرة، وعنده معرفة بفنون الآداب :

٦٨٥ — وتوفى صارم الدين إبراهيم بن الأمير الوزير ناصر الدين محمد بن الحسام الصفدى(١) فى ليلة الثلاثاء ثامن عشر جمادى الآخرة، وكان زيه زى الجند وله الخط المنسوب وعاشر أهل الأدب والفضائل فأحبهم وأحبوه واستفاد منهم الآداب واستفادوا منه المـــال ، وباشر الحسبة فى أيام الملك المؤيـــد شيخ :

٦٨٦ — وتوفى الشيخ الإمام العالم العلامة يحي بن الشيخ الإمام سيف الدين سيف(٢) بن محمدبن عيسى السيرامى الحنفى شيخ الظاهرية برقوق المستجدة بين القصرين ، وكان من أعيان الفقهاء الحنفية والفضلاء المعتبرين ، صاحب الدروس المنقحة، عرضت عليه محفوظاتى من الكتب وهى « العمدة » فى الحديث للقدورى فى الفقة على مذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة وألفية ابن معلى » فى النحو « والشاطبية فى القراءات » [سنة اثنتين وثلاثين] وثمانمائة وكنت إذ ذاك فى الثالثة عشرة من عمرى رحمه الله فأجازنى بذلك وكتب لى خطه به. رحمه الله تعالى .

٦٨٧ — وتوفى الخليفة أمير المؤمنين المستعين بالله أبو الفضل العباسى ابن المتوكل أبى عبد الله محمد بن المعتضد بالله أبى الفتح أبى بكر المستكفى بالله أبى الربيع سليمان بن الحاكم أبى العباس أحمد بن أبى على الحسن بن أبى بكر

---

(١) فى إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٤٤١ س ١٠ « الصقرى » ، راجع شذرات الذهب ، ج ٧ ص ٢٠١ .

(٢) فى الأصل « يوسف» والصحيح هوما أثبتناه بالمتن بعد مراجعة ترجمته فى إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٤٥٢ ، وإن ذكره أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٨١٢ والضوء اللامع ١٠/ ١٠٥٦ وقال بيوسف الأخير « وربما قيل يحيى بن سيف » .

العباسى بثغر الإسكندرية فى يوم الأربعاء العشرين من شهر جمادى الآخرة ولم يبلغ الأربعين ، وترك ولداً ذكرا اسمه يحيى ،وكان دينا فيه خير وإحسان ولين ، حشما وقورا مهابا إلا أن الأقدار لم تساعده والزمان لم يبلغه مقصوده .

٦٨٨ — ومات سيدى الأمير ناصرالدين محمد بن السلطان الملك الأشرف برسباى فى يوم الثلاثاء سادس عشرى جمادى الآخرة ، وقد ترشح للمملكة بعد أبيه ، ودفن على والدته بالأشرفية المستجدة بالقاهرة

٦٨٩ — ومات الأمير مرجان الطواشى الهندى الخازندار فى سادس عشرى جمادى الآخرة، وأصله عتيق ابن مسلم التاجر، وكان يحسن لأولاد أستاذه، واتصل فى دولة المؤيد شيخ وبلغ مبلغا عظيما ثم انحط بعد موته :

٦٩٠ — وفيه مات الأمير زين الدين عبد القادر الأستادار بن الأمير فخر الدين عبد الغنى بن الأمير الوزير الأستادار عبد الرزاق بن أبى الفرج فى يوم الأربعاء السادس والعشرين من جمادى الآخرة كما قدمناه ودفن على أبيه بمدرسته ، وكان قليل الشر ساكنا لينا خفيف الظلم محبا لأهل العلم والصلاح والخير ، وكان رحمه الله شكلا حسنا متواضعا بشوش الوجه كثير البشر :

٦٩١ — وتوفى السلطان الملك الصالح محمد بن المرحوم الملك الظاهر ططر يوم الإثنين ثامن عشرى جمادى الآخرة وانقرض بموته عقب ططر ونسله، وكان الملك الأشرف برسباى قد ربى هذا الملك الصالح كولده وصارا يدركان جميعا ويجلسان جميعا ، وكذا فى أكلهما وشربهما :

٦٩٢ — ومات السيد الشريف شهاب الدين أحمد بن علاء الدين على ابن برهان الدين إبراهيم بن عدنان بن محمد بن جعفر بن عدنان الحسينى كاتب السر فى ليلة الخميس ثالث عشرى جمادى الآخرة ، ومولده فى سابع

شوال سنة أربع وسبعين وسبعمائة[1] بدمشق ونشأ بها ، وولى قضاء القضاة الشافعية ونظر الجيش، ثم طلب إلى الدار المصرية فولى كتابة السر بها وكان [١٤١ ب] باشرها على أجمل صورة وأكمل سريرة، فحمدت سيرته وسريرته ، رحمه الله[2] :

٦٩٣ — ومات تقى الدين يحيى بن الإمام العلامة شمس الدين محمد الكرمانى الشافعى فى يوم الخميس ثامن عشرى جمادى الآخرة، وكان له فضل فى علة علوم . قدم من مدينة بغداد عام ثمانمائة واشتهر بشرح أبيه على البخارى، وصحب الأمير شيخ المحمودى وسافر معه إلى طرابلس لما ولى كفالتها وتقلب معه فى البلاد والفتن ثائرة ، فلما قدم إلى القاهرة صحبه معه ، ولما تسلطن رسم له بنظر المارستان . وكان أصم .

٦٩٤ — وتوفى السيد الشريف سرداح[3] بن مقبل بن نخبار بن مقبل بن محمد ابن راجح بن إدريس بن حسن بن أبى عزيز بن قتادة بن إدريس بن مطاعن ابن عبد الكريم بن عيسى بن حسن بن سليمان بن على بن عبد الله بن محمد ابن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى آخر جمادى الآخرة ، وتولى أبوه مقبل بن نخبار إمرة ينبع مدة ثم ثار عليه بن أخيه عقيل بن وبير بن نخبار وحاربه بأهل الدولة فى سنة خمس وعشرين وثمانمائة ، ثم قبض عليه وحمل إلى سجن الإسكندرية فمات بها

(١) انظر عنه ابن طولون : قضاة دمشق ص ١٥١ — ١٥٢ ، والنجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٨١٤ ، وابن حجر : إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٤٤١ — ٤٤٢ ، أما عن عزله عن نظر الجيش بدمشق بالقاضى جمال الدين الصفى الكركى فراجع عنه النعيمى : الدارس فى تاريخ المدارس ، ج ١ ص ٦٢٧ .

(٢) راجع إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٤٤٢ .

(٣) وقد يكتب بالصاد وهو الأصح ، ولكن الأشهر بالسين كما هو بالمتن .

وكحلوا أخاه سرداح حتى تفقأت حدقتاه وسالتا وورم دماغه وانتن، وتوجه بعد ذهاب بصره إلى المدينة الشريفة ولاذ بقبر المصطفى صلى الله عليه وسلم وشكى حاله واستشفع به بنية خالصة فأصبح وعيناه أحسن مما كانتا ، وليس ذلك بعجب من معجزاته صلى الله عليه وسلم وسبب ذلك أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم فى منامه ففتح عينيه بيده المقدسة المشرفة المكرمة فانتبه وهو يبصر، وشاع هذا واشتهر فى المدينة، ثم حضر إلى القاهرة فبلغ السلطان حضوره فشق عليه وغضب وحنق، وطلب اللذين توليا كحل عينيه وضربهما فأقاما عند السلطان بينة أخبروه بمشاهدة الميل وقد أحمى فى النار ثم كحل به حتى سالت حدقتاه وهم ينظرون، وكذلك أخبر أهل المدينة برؤياهم له ذاهب البصر وأنه أصبح بعد ذلك يبصر، وقص عليهم رؤياه فترك وحاله حتى مات بالطاعون.

٦٩٥ — ومات الطبيب الحاذق الفاضل جمال الدين يوسف بن البرهان إبراهيم بن عبد الله بن داود بن أبى الفضل بن أبى المنجب بن أبى الفتيان الداودى الإسرائيلى فى أول شهر رجب وقد أناف على السبعين :

٦٩٦ — ومات الأمير الطواشى فخر الدين ياقوت [الأرغنشاوى] مقدم المماليك [السلطانية] الحبشى الجنس فى يوم الإثنين ثانى شهر رجب وله شهرة جميلة وهمة وافرة وحرمة زائدة .

٦٩٧ — ومات الأمير سيف الدين يشبك أخو السلطان فى رابع رجب وكان أحد أعيان الأمراء المقدمين الألوف :

٦٩٨ — وماتت خوند هاجر ابنة الأمير منكلى بغا الشمسى فى رابع رجب وأمها خوند فاطمة بنت الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون

وكان الملك الظاهر برقوق تزوجها بكرا وحظيت عنده حتى مات ، وهى آخر نسائه موتا ، ولم تترك عقبا ولا نسلا .

٦٩٩ — ومات الشيخ نصر الله[1] بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل العجمى فى ليلة الجمعة سادس رجب ، وكان قدومه إلى القاهرة بعد الثمانمائة على قدم التجرد فصحب أعيان الأمراء حتى أثرى ماله ، وكان جميل القد والصورة جليل القدر ، عين لكتابة السر مرارا وكان له الحظ الوافر والحظ الباهر المنسوب ، وكان له معرفة تامة بفنون علوم منها التصوف على طريقة ابن العربى والأصول والنحو والمنطق والمعانى والبيان وغير ذلك ، تربيت مع ولد له صغير يسمى محيى الدين محمدا بالمكتب وقرأنا القرآن جميعا وكان يحبنى ويدعولى ويكرمنى ، رحمه الله .

٧٠٠ — ومات فخر الدين ماجد ويدعى عبد الله بن السديد أبى الفاضل ابن سناء الملك المعروف بابن المزوق فى ليلة الخميس ثانى عشر[2] رجب ، وولى نظر الإنشاء ونظر الجيش فى الأيام الناصرية فرج ، ثم ولى نظر الإصطبل بعد ذلك وتعطل مدة إلى أن مات .

٧٠١ — وتوفى السيد الشريف عماد الدين أبو بكر بن على بن إبراهيم ابن عدنان الحسينى فى يوم الجمعة والصحيح ليلتها ثالث عشر[3] رجب ولم يكمل

(١) ورد اسمه فى إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٤٥١ ترجمة رقم ٤٧ هكذا : « نصر الله بن عبد الرحمن ابن أحمد بن إسماعيل العجمى » .

(٢) فى الأصل « ثانى عشرين رجب » وهو خطأ يصوبه التاريخ الوارد فى إنباء الغمر ج ٣ ص ٤٤٨ ترجمة رقم ٣١ وجدول السنين فى التوفيقات الإلهامية ص ٤١٧ .

(٣) فى الأصل « ثالث عشرى رجب » ، لكن راجع الحاشية السابقة ، وانظر عنه ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٤٤٣ ، والنجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٨١٤ ، والنعيمى : الدارس فى تاريخ المدارس ، ج ١ ص ٤٩٢ .

الأربعين ، وكان حضر عند أخيه شهاب الدين أحمد فحصل الوباء ، وتوفى أخوه فاستمر بعده يباشر وظيفة كتابة السر وتعين لهـا فعاجلته المنية وغدر[1] به ريب المنون رحمه الله :

٧٠٢ — ومات الشيخ زين أبو بكر بن عمر بن عرفات القمنى[2] فى ليلة الجمعة ثالث عشر رجب وقد بلغ نحو الثمانين سنة، وكان رحمه الله تعالى من أعيان الفقهاء الشافعية وفضلائهم مع العفة والديانة والنسك ، رحمه الله :

٧٠٣ — ومات الأمير هابيل بن الأمير عثمان بن طرعلى المعروف بقرايلك التركمانى فى يوم الجمعة ثالث عشر رجب وهو مسجون بالقاعة فى البرج :

٧٠٤ — وتوفى صدر الدين أحمد بن على بن جمال الدين محمود بن محمد ابن عبدالله القيصرى المعروف بابن العجمى فى يوم السبت رابع عشر رجب ، وكان قد ولى حسبة القاهرة مرارا ، وولى نظر الجيش بدمشق ، وكان من أفاضل الحنفية وله معرفة تامة :

٧٠٥ — وتوفى القاضى جلال الدين محمد بن بدر الدين محمد بن محمد ابن محمد بن مزهر فى ليلة الإثنين سادس عشر[3] رجب عن نحو عشرين سنة ، وولى كتابة السر [١٤٢ ا] بعد أبيه رحمهما الله، قال الشيخ تقى الدين المقريزى : « وكان حظه من الوظيفة الإسم » .

---

(١) فى الأصل « وغادره » .

(٢) نسبة إلى قمن العروس إحدى قرى صعيد مصر بمركز الواسطى ، راجع محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ق ٢ ، ج ٣ ص ١٣٢ ، هذا وقد أورد ابن حجر ترجمة مطولة عن الشيخ زين الدين أبى بكر فى إنبائه ، ج ٣ ص ٤٤٣ - ٤٤٤ .

(٣) فى الأصل « سادس عشرى رجب »

٧٠٦ — ومات زين الدين محمد بن شمس الدين محمد بن محمد بن أحمد ابن عبد الملك الدميرى فى يوم الأربعاء ثالث شعبان وولى حسبة القاهرة ونظر المـــارستان ؛

٧٠٧ — ومات شمس الدين محمد بن المعلمة السكندرى، سابع شعبان، وتولى حسبة القاهرة وكان من فقهاء المـــالكية وله معرفة بالعربية ؛

٧٠٨ — ومات الأمير مدلج بن على بن نعير بن حيار بن مهنا أمير آل فضل[1] مقتولا فى ثانى شوال[2] بظاهر حلب ، والله تعالى أعلم ؛

(١) فى الأصل « الفضل » .

(٢) الوارد فى إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٤٥١ ترجمة رقم ٤٤ « ذى القعدة » .

سنة أربع وثلاثين وثمانمائة

أهـل شهر الله المحرم يوم الأربعاء والأسعار رخيصة[1] والغـلال رخية موجودة، كل إردبين وزيادة بدينار ، والشعير والفول كل أربعة أرادب بأشرفى ؛

وفى يوم الخميس عاشره وثانى بابه انتهت زيادة النيل إلى تسعة عشر ذراعا وعشرين إصبعا ونقص من الغد ؛

وفى ثامن عشره قدم الأمراء المجـردون وهم الأمير قرقماس حاجب الحجاب وأركماس الدوادار وبقية الأمراء ؛

وفى ثالث عشريه قدم ركب الحاج الأول وقدم المحمل فى الغد ببقية الحجاج فى رابع عشريه وقـد هلك كثير منهم ومن جمالهم وحميرهم عطشا فيما بين الوجه وينبع وهم متوجهون إلى مكة ؛

وفى سابع عشريه برز الأمراء المجردون إلى ظاهر القاهرة وهم: الأمير الكبير جارقطلو والأمير إينال الجكمى والأمير تمراز الدقماقى والأمير آقبغا التمرازى والأمير مراد خجا فى عدة من أمراء الطبلخاناة، ومن المماليك

---

(١) الوارد فى ابن حجر، إنباء الغمر، ج٣ ص ٤٥٥ أن هذه السنة استهلت وقد غلا سعر الذهب.

السلطانية خمسمائة مملوك ؛ وسبب هذه التجريدة أن قرايلك نزل فى أول هذا الشهر على معاملة ملطية فنهبها وحرقها وخربها فخرج إليه الأمير سودون من عبد الرحمن بالعساكر الشامية وأردف العسكر المذكور ؛

شهر صفر

أهل بيوم الجمعة :

رسم بعود الأمراء المجردين فرجعوا من خانقاه سرياقوس واستعيدت منهم النفقات التى وصلت إليهم ولزم من ذلك رد الأمتعة والأزواد على أهلها، واحتاجوا لاستعادة ما أنفقوه على غلمانهم وقد تصرف الغلمان فيها : البعض فى الاحتياج والبعض لأزواجهم ، فداخل الناس من ذلك ضرر كبير.

وفى هذا الشهر انحط سعر الفول إلى خمسين درهما للإردب، والشعير إلى ستين، والفول إلى مائة وثلاثين درهما الإردب ؛ هذا والذهب بمائتين وثمانين درهما الأشرفى :

* * *

وفى يوم الإثنين حادى عشره ركب السلطان من قلعة الجبل فى موكب جسيم حفل بأبهة زائدة ملوكية ولبس قماش الخدمة كهيئة ماكان يلبس الملك الظاهر برقوق وهو قباء صوف أخضر بمقلب أحمـــر وكلفتاه وسيف، ومشى العساكر بين يديه وصاحت الجاويشية أمامه ، وحـــول يديه الطبردارية والأوزان تزعق وهو سائر حتى دخل من باب زويلة وشق القاهرة وطلع

من باب الشعرية قاصداً الصيد، وبات ليلة الثلاثاء فى البرية وعاد يوم الثلاثاء آخر النهار ، ومدة سلطنته لم يركب للصيد سوى هذه الركبة .

* * *

وكان الدرهم الفضة الأشرفى المتعامل به بعشرين درهما فلوسا ، وزنتها رطل وأوقية وثلث أوقية لكنها قد ضم إليها — أعنى الفضة — أنواع من البندقية ضرب الفرنج ، والقرمانية ضرب ابن قرمان أصحاب الروم ، واللنكية ضرب بلاد العجم ، ، والقبرسية ضرب قبرس والمؤيدية شيخ ، والدراهم الزغــل وهى عمل الزغلية ، وكثر الغش لكثرة مافيها ، فنودى فى يوم الأحد رابع عشريه أن لايتعامل بشئ من الدراهم المذكورة سوى الأشرفية[1] ، وأن الباقى بطالة من المعاملة يشترى لأدر الضرب وتضرب بختم الأشرف ، وكان قــد نودى عليها قبل هذا بمدة وعمل الناس كذلك ثم رجعت لمــا كانت عليه وذلك فى مباعات الأطعمة ، فلما نودى بالمنع منها عاد الأمر كما كان ، وخسر الناس شيئا كثيراً واستفاد آخرون فى مشتراها لعلمهم أن الدولة لاتثبت على حال وأن أقوالها لا تستمر ولا تمضى .

وفى خامس عشريه ركب السلطان أيضا للصيد ورمى الجوارح على ماتقدم ذكره ، وعاد من الغد وتكرر الركوب منه لذلك مراراً .

---

(١) فيما يتعلق بغش العملة وأوامر السلطان بشأنها فقد ذكر ابن حجر — وهو ممن عاصر بنفسه هذه الأحداث — فى الأنباء ، ج ٣ ص ٤٥٥ أن الأشرف برسباى «حجر على الباعة الا يتبايعوا إلا بالدراهم الأشرفية التى جعل كل درهم فيها بعشرين من الفلوس».

وفى هذا الشهر توقف التجار والناس فى قبض الذهب من كثرة الإشاعة بأن ينادى عليه بأقل مما يتعاملون به ، فلما كان يوم السبت سلخه نودى على الأشرفى بمائتين وخمس وثلاثين ، والأفلورى بمائتين وثلاثين ، وهدد من زاد على ذلك بأن يسبك فى كفه ، فعاد الضرر فى الخسارة على كثير من الناس لانحطاط سعر الدينار خمسين درهما ؛

شهر ربيع الأول

أهل بيوم السبت ؛

فى رابعه رسم المقام الشريف بجمع الصيارف والتجار وأشهد عليهم أن لايتعاملوا بالدراهم القرمانية ولا الدراهم اللنكية ولا الدراهم القبرسية وأنها تباع بسوق الصاغة كل [١٤٢ ب] درهم بستة عشر من الفلوس ليدخلوا بها إلى أدر الضرب، وتعمل الأشرفية والمؤيدية والبندقية فإنها خالصة من الغش ونودى بذلك، واستقر الأشرفى بمائتين وثمانين، والإفلورى بمائتين وسبعين، وعدمت الإفلورية لكثرة ما يعمل بأدر الضرب الإشرفية .

وفى تاسعه ركب السلطان للصيد وبات خارج البلد وعاد من الغد ؛

شهر ربيع الآخر

أهل بيوم الأحد ، والعسكر والسلطان فى اهتمام السفر لمحاربة ابن قرايلك والأسعار رخية جداً ؛

وفى سادسه برز الأمير شاهين الطويل[1] ليسير إلى طريق الحجاز ومعه كثير من المشاة والحجارين والأزواد والأمتعة لإصلاح المياه التى فيما بين القاهرة ومكة وحفر آبار فى المواضع العطشة : فساروا فى نحو المائة بعير ؛

(١) لم أجد لشاهين الطويل ترجمة فيما بين يدى من المصادر .

وفى سابعه نودى على الفضة حسب ما تقدم ذكره مفصلا ، فتزايد الضرر لكثرة النقص وعدم الثبات على الأمر واستخفاف الرعية براعيها وعدم الاهتمام بما يرسم به ؛

شهر جمادى الأولى

أهل بيوم الأربعاء :

فيه خرج سعد الدين بن المرأة قاصداً مكة فإنه ناظر جدة وسار صحبته ركب كثير نحو الألف وخمسمائة نفر قاصدين الحج إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر النبى عليه السلام ثم رفعوا من بركة الحاج فى ثانى عشره فلما وصلوا إلى الوجه وجدوا عدة موتى ما بين الرجال والنساء ممن هلك فى عطشة الحاج فدفن منهم نحو الألف وترك ماشاء الله ، قال الشيخ تقى الدن المقريزى رحمه الله تعالى : « وكنت فيهم بأهلى ووجدت ذلك » ؛

وفى رابع عشريه خلع على سيدنا وشيخنا ومولانا شيخ الإسلام، وحافظ عصره فى الأنام ، قاضى القضاة وخادم السنة والأثر، الشهير نسبه ، العريق ابن حجر ، وأعيد إلى قاضى القضاة بديار مصر عوضا عن قاضى القضاة علم الدين صالح البلقينى ؛

شهر جمادى الآخرة

استهل بيوم الأربعاء :

فى تاسع عشره تعرض للركب المتوجه لمكة صحبة سعد الدين بن المرأة عرب زبيد فأناخوا فى غير وقت النزول ، وكادت الحروب أن تثور حتى دفعوا لهم مائة دينار من مال القاضى سعد الدين بن المرأة ، ولم يكلف أحداً

من الركاب بوزن الدرهم الواحد ، ولما نزلوا رابغ وأهلوا بالعمرة وهم فيما بين الحرميات غار عليهم وقت الضحى وهم سائرون زهير[1] بن سليمان بن زيان ابن منصور بن جماز بن شيحة الحسينى فى نحو المائة فارس، وعدد كثيرون من المشاة، فتقاتل الفريقان صدرا من النهار، والجمال بأثقالها، فقتل من الحجاج رجلان[2] ، وقتل من العرب نحو العشرة وجرح كثير ، ثم وقع الصلح معه على ألف ومائة دينار ، فكف الناس عن القتال بعدما تعين الظفر لزهير ، وبات المسلمون الحجاج بأنكد ليلة من شدة الخوف ، والمال يجبى من كل واحد بحسب حاله ، فمن الناس من جبى منه مائة ، ومنهم من أخذ منه دينار وأعطوهم له من الغد وسار حتى قد موا مكة فى يوم الثلاثاء ثامن عشريه ، وكانت مدة مسيرتهم من القاهرة إلى مكة — شرفها الله — ستة وأربعين يوما :

وفى هذا الشهر استقرجانى بك الناصرى نائب الثغر السكندرى بعد موت الأمير شهاب الدين أحمد الدوادار الشهير بابن الأقطع ، وأصله من مماليك يلبغا الناصرى ثم عمل فى الأيام المؤيدية رأس نوبة المقام الناصرى إبراهيم بن السلطان وصار من جملة الأمراء ، واستقر فى كشف الجسور بالغربية :

* * *

وفيه أنذر المنجمون بكسوف الشمس فنودى بالقاهرة أن يصوم الناس ويفعلوا الخير فلم يظهر الكسوف ووقع الإنكار على من أنذر به، ثم قدم الخبر

---

(١) وصفه السخاوى فى الضوء اللامع ٣ / ٨٩٤ بأنه كان فاتكا خارجا عن الطاعة لقطع الطريق على الحجيج والمسافرين » ، انظر فيما بعد ترجمة رقم ٧٤٥ من هذا الكتاب .

(٢) فى الأصل « رجلين » .

بحدوث كسوف الشمس بجزيرة الأندلس حتى استولى على جرم الشمس كله إلا مقدار الثمن وذلك بعد نصف النهار من ثامن عشريه .

شهر رجب

أهل بيوم الإثنين :

في حادي عشره كانت زلزلة عظيمة شديدة بعد صلاة الظهر بجزيرة الأندلس وبمرج غرناطة وسقطت منها أبنية كثيرة على سكانها فهلكوا، وخسف بثلاثة بلاد كبار في مرج غرناطة ، وهي بلد همدان وبلد أوطوره وبلد داريا فابتلعت الأرض هذه البلاد بناسها ودوابها وبقرها وغنمها وجميع مافيها حتى بقي من يجوز عليهم يقول : «كانت هنا بلاد ». وانخسف في كثير من البلاد عدة مواضع ، وسقط نصف قلعة غرناطة وتهدم كثير من الجامع الأعظم وسقط أعلا منارته ؛ ورأى جماعة من الثقات حائط الجامع يرتفع مقدار عشرة أذرع ثم يرجع ، وفعل هذا مرتين ، وخاف رجل عند حدوث الزلزلة على نفسه وولده وزوجته فأخذهم وخرج من باب الدار ، فالتصق جانبا الباب وانفرج الحائط فخرج من ذلك الموضوع الذي انفرج هو وابنه وزوجته ثم بعد ذلك عاد الحائط كما كان وتراجع جانبا الباب إلى حالهما قبل الزلزلة ، وأقامت الأرض بعد ذلك نحو خمسة وأربعين يوما تهتز حتى خرج الناس في الصحراء وتركوا الدور وسكنوا الصحراء خوفا من المدينة أن يسقط بناؤها عليهم، وكان هذا كله قبل وصول السلطان [١٤٣ ا] الذي خلع أبا عبد الله محمد الأنسر من تونس إلى الأندلس وحصر قلعة إغرناطة سبعة أشهر وقتل الأجناد والرجال حتى ذهبت العدد والأموال، فبلغ ذلك ملك قشتالة فجمع عساكره في البحر وهم فرنج حتى إلى قرطبة يريد أخذ غرناطة من أيدي المسلمين لعمله بما فني من عددها وعددها وأموالها فاشتد البلاء بأهل غرناطة لقلة مالهم وفناء

عسكرهم فى الفتنة ومصابهم الأعظم بالزلزلة حتى أنه عد من هلك فوجد زيادة على ستة آلاف نفس، ونزل الفرنج عليهم فى يوم الجمعة عاشر رمضان من هذة ووقع القتال بين الفريقين من الغد، فقتل من المسلمين نحو الخمسة عشر ألفا، وحصرهم الأعداء الملاعين حتى أدخلوهم إلى المدينة وعسكروا بإزائها على نحو بريد منها المائة وثمانين ألفا، وقد ظنوا أنهم ظفروا بالمسلمين فخيب الله ظنونهم، هذا مع أن المسلمين باتوا ليلة الأحد فى تضرع وبكاء فنصرهم الله وفتح عليهم وأوضح لهم سبلهم ، وسبب ذلك أن الشيخ الصالح القدوة أبا زكريا يحيى بن عمر بن يحيى بن عمر بن عثمان بن عبد الحق شيخ المجاهدين برز من مدينة أغرناطة فى ألفين من الجند وعشرين ألفا من المطوعة وصار نصف الليل على جبل الفجار حتى أبعد عن جهته الفرنج وعسكرهم إلى جهة بلادهم، وأقام إشارة فى أعالى الجبال يظهرها للسلطان بأغرناطة ، فلما نظر السلطان وعسكره تلك العلامات والإشارات من الغد برز يوم الأحد بجميع من تأخر عنده لقتال أعداء الله وتلقوهم بقلوب صادقة وهمم صادرة وعزم صادق وحزم وافر ، فبادر الفرنج لقتالهم فولى السلطان بعسكره يظهر الفرار والفرنج فى إثرهم حتى قاربوا المدينة ، فعند ذلك رفع المسلمون الأعلام المحمدية ، فلما نظر الشيخ أبو زكريا ذلك قصدهم بمن معه من المسلمين وألقى فى معسكر الفرنج النار ووضع السيف فيهم فقتل وأسر وسبى ، فلم يرع الأعداء إلا وقد سمعوا الصريخ ورءوا النار مرتفعة فى معسكرهم فولوا عن المسلمين ، فركب السلطان أقفيتهم وصار هو والعسكر يقتلون منهم ويأسرون ، فبلغت عدة قتلى الفرنج ستة وثلاثين ألفاً ولحق من تأخر منهم بالفرار إلى بلادهم هذا مع أنهم قاربوا أو حققوا أخذ إغرناطة ، وأما أسرى الفرنج فعدتهم إثنا عشر ألفا :

وسبب هذه الحادثة على ما ساقها الشيخ تقى الدين أحمد المقريزى رحمه الله فى تاريخه السلوك أنه وقع بين ملك القطلان وبين ملك قشتالة صاحب إشبيلية وقرطبة ، فجمع القشتيلى وسار لحرب القطلان حتى تلاقى الجمعان فمشى الأكابر بين الملكين فى الصلح ، فاعتذر القشتيلى أنه أنفق فى حركته مالا كثيراً ، فأشير عليه بأخذ ما أنفقه من المسلمين بأن يغزوهم فإنهم قد ضعفوا ، وما زالوا به حتى تقرر الصلح ، ونزل على إغرناطة وكان ما كان :

شــــهر شوال

أوله الثلاثاء :

فى يوم الأربعاء تاسعه[1] الموافق لسادس عشرى بؤونه أخذ قاع البحر فجاءت القاعدة ست أذرع وثلاثة أصابع ، ونودى على النيل من الغـد بزيادة ثلاث أصابع واستمرت الزيادة :

وفى حادى عشرة برز محمل الحاج إلى الريدانية على العادة صحبة الأمير قرا سنقر ، وحج القاضى زين الدين عبد الباسط عظيم الدولة وناظر الجيوش المنصورة ومدبرها ومشيرها ، وحجت خوند جلبان، ولأجل ذلك أنفق القاضى عبد الباسط وسارت بحشم وأبهة وجلالة مقدار ، فإنها أم ولد السلطان وناهيك بمن فى خدمتها مثل القاضى عبد الباسط ، وأعجب ما يحكى أن هذه المذكورة وجوهرا[2] الخازندار سئل عبد الباسط بهما فأبى ، وهو أن

---

(١) يتفق التاريخان العربى والقبطى لهذا الشهر مع مثيليهما فى التوفيقات الإلهامية ص ٤١٧ ، وهذا اليوم يطابقه ٢٠ يونيو سنة ١٤٣١ م .

(٢) ويعرف أيضا بجوهر القنقبائى ، راجع عنه الضوء اللامع ٣ / ٣٢٧ .

هذه الجارية اشتريت له فما أحبها ، و[كذلك] الطواشي بعد ابن الكويز سأل في خدمته فرده فصار هو في خدمتها وصار الطواشي شريكه في الدولة :

شـــهر ذي القعـــدة

أوله الخميس[(١)] :

في يوم الإثنين ثاني عشره الموافق له تاسع عشرين أبيب كان وفاء النيل ستة عشر ذراعاً فرسم السلطان للأمير قرقماس حاجب الحجاب بتخليق المقياس وفتح الخليج فركب في أسرع وقت وفعل ذلك وأخلع عليه :

وفيه زاد النيل إثنى عشر إصبعاً من الذراع السابع عشر ، واتفق في هذه السنة لوفاء النيل نادرتان من الغرائب ، الأول : — وفاء النيل قبل دخول مسرى وقد وقع ذلك قبل هذا لكن نادر ، والثانية : زيادة هذا المقدار في يوم الوفاء :

وفي هذه السنة استجد القاضي زين الدين عبد الباسط في طريق الحجاز عند عيون القصب بئراً وحصل للمسلمين بها غاية النفع فإن الحاج عادته إذا وصل إلى هذا المنهل وحفر يخرج [١٤٣ ب] منه ماء رديء منتن ، فأغاث الله العباد بهذه البئر وأخرج منها المـــاء العذب ، وكان قبل ذلك بشهرين قد خرج الأمير شاهين الطويل وحفر بئرين بموضع يقال لهما راغم وقبقاب بإشارة السلطان لما بلغه ما وقع للمسلمين من العطش وإهلاكهم في العام المـــاضي ، فحصل للحجاج نفع كثير بحفرهما :

---

(١) الوارد في التوفيقات الإلهامية ص ٤١٧ أن أوله الأربعاء ويوافقه ١٧ أبيب القبطي و ١٤ يوليو ١٤٣١ م .

شــــهر ذي الحجــــة

أهل بيوم السبت :

في ثاني عشريه خلع على التاج ابن الخطير واسمه عبد الوهاب[(١)] واستقر ناظر الديوان المفرد عوضاً عن الصاحب تاج الدين عبد الرزاق بن الهيصم بعد موته ، قال الشيخ تقي الدين المقريزي : « وابن الخطير هذا من نصارى القبط له بيتوتة مشهورة ، وكان اسمه جرجس ويلقب بالشيخ التاج، وترقى في الخدمة السلطانية ، وباشر ديوان السلطان برسباى وهو أمير في الأيام المؤيدية شيخ فألزمه بالإسلام فأسلم وتسمى تاج الدين عبد الوهاب، وخدم بديوان الخواص وبديوان المفرد ، فلما تسلطن الملك الأشرف برسباى رفع قدره وولاه نظر الإصطبل عوضاً عن القاضي بدرالدين محمد بن مزهر لـــا ولى كتابة السر وأضاف إليه عدة رتب منها : أستادار المقام الناصرى ابن السلطان ، فشكرت سيرته من عفته وأمانته ورفقه بالفلاحين ولين جانبه وحسن سياسته مع كثرة بره وإحسانه بحيث لا يوجد في أبناء جنسه من يدانيه ، فكيف يساويه ، وإن أراد الله عمارة البلاد جعل تدبيرها إليه » .

وفي يوم السبت سلخه قدم مبشرو الحاج وأخبروا بموت الأمير فارس المجرد بمكة على طائفة المماليك وهو أحد الأمراء العشرات ، والله تعالى يكفينا ويهدينا إلى دار السلام .

---

(١) هو عبد الوهاب بن نصر الله بن توما الأسلمي ، ويعرف بالشيخ الخطير وإن كان هذا لقب أبيه ، وقد لعب دورا كبيراً في السياسة الداخلية في عهد هذا السلطان ، انظر عنه بالتفصيل النجوم الزاهرة ٦/ ٧٢٧ ، ٧٤٦ ، الضوء اللامع ٥ / ٤٠٨، وحسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ٢ / ١٣٠ .

ومات فى هذه السنة من الأعيان

٧٠٩ – مجد الدين إسماعيل[1] بن أبى الحسن بن على بن عبد الله البرماوى الشافعى فى يوم الأحد خامس عشر شهر ربيع الآخرة ، ومولده فى حدود الخمسين وسبع مائة ، وكان ماهراً فى الفقه والنحو وغير ذلك من الفنون ونفع الطلبة بدرسه ، وتصدى للاشتغال سنين كثيرة ، وخطب بالجامع العمروى بمصر ، وكان خيراً ديناً ، رحمه الله :

٧١٠ – ومات الأمير شهاب الدين أحمد الشهير بابن[2] الأقطع نائب إسكندرية فى يوم الأحد تاسع عشر جمادى الآخرة ، وكان والده من أوجاقية الإصطبلات السلطانى ، وترقى أحمد هذا فى خدمة الملك الأشرف حتى عمل دواداره ثم رقاه بسرعة حتى صار من جملة الأمراء ثم ولاه نيابة الإسكندرية.

٧١١ – وتوفى الصاحب تاج الدين عبد الرزاق [بن إبراهيم[3]] بن الهيصم فى يوم الخميس عشرين ذى الحجة وولى الوزارة والأستادارية ونظر الديوان المفرد وغير ذلك ، ونكب مراراً فى الأيام المؤيدية وغيرها وكان من أكبر الأحباب وأعز الأصحاب لوالدى ، اتفق أن الوالد رحمه الله حكى لى أنه

---

(١) حين ترجم له السخاوى سماه بإسماعيل بن أبى الحسن بن على بن عيسى ، وقال إن هذا هو مارآه بخطه وأردف ذلك بقوله « وقيل بدله عبد الله » كما ذكر أن مولده كان سنة ٧٤٩ مستمدا ذلك من خط صاحب الترجمة نفسه ، انظر الضوء اللامع ٢ / ٩١٦ ، أما شذرات الذهب ٧ / ٢٠٨ فقد تابعت ابن الصيرفى فى سنة مولده فقالت « فى حدود الخمسين » ، وورد مثل هذا فى ترجمته بقلم أبى المحاسن فى المنهل الصافى ، انظر أيضا السيوطى : حسن المحاضرة ١ / ٢٠٢ .

(٢) ورد فى الضوء اللامع ٢/ ٧٨ « الأقطع » فقط كما أنه ذكر أن أباه كان طرقيا يفرش الهسطلات بالرملة وغيرها » .

(٣) الاضافة من الضوء اللامع ٤ / ٤٨٥ ، وترجمته فى المنهل الصافى ، وانظر أيضا السيوطى : حسن المحاضرة ٢ / ١٣٠ . وإنباء الغمر ، ٣ / ٤٦١ ترجمة رقم ١ .

سافر مع السلطان ططر إلى البـلاد الشامية وكان فى خدمة هـذا الصاحب عبد الرزاق ، فنزلوا فى دار بالشام وشحنوها بالأقمشة والصينى والمـأكل وغير ذلك ، فلما أرادوا السفر رسم بالبيت وما فيه للوالد ، فمن جملة ما وجد فى البيت من الثياب والصوف والسنجاب ما يساوى المـائتى دينار ، وهذه والله أخلاق عظيمة ومكارم جسيمة ، فرحمة الله عليه :

٧١٢ – وتوفى برهان الدين إبراهيم بن على بن إسماعيل بن الظُّريف (١) أمين الحكم فى يوم السبت خامس شوال عن نحو ستين سنة :

٧١٣ – وتوفى سراج الدين عمر بن منصور البهادرى فى يوم السبت ثانى عشر شوال وكان بارعاً فى الفقه والعربية وباشر نيابة القضاء الحنفية وانفرد (٢) بالتقدم فى علم الطب فلم يكن له بعده نظير ؛

(١) الضبط من الضوء اللامع ج ١ ص ٨٢ ؛ أما فيما يتعلق بوفاته فقد ذكر نفس المرجع والجزء والصفحة التاريخ أعلاه ثم قال « وأرخه بعضهم بالطاعون فى رجب سنة ٨٣٣ » ، هذا وقد أدرجه ابن حجر : نفس المرجع ، فيمن مات فى شوال سنة ٨٣٤ .

(٢) يستفاد من ترجمتـه الواردة فى الضوء اللامع ٦ / ٤٣٢ أنه « انفرد فيه » أى فى الطب كما بالمتن ، ثم نقل عن واحد ممن ترجموا له ولعله البقاعى قوله « انتهت إليه الرياسة فى الطب وتقدم فيه على أقرانه حفظا واستحضارا ، ومع ذلك فغيره ممن لا نسبة له به فيه أمهر دربة لقلة مباشرته وعدم تكسبه وإنما يطلب للأكابر والأعيان فى الأمراض الخطيرة » ، وإلى مثل هذا أشار ابن حجر فى إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٤٦٣ ترجمة رقم ١٠ حيث قال إنه « صار يشار إليه فى فضلاء الحنفية وفى الأطباء ، الا أنه لم يكن محمود العلاج أيضا » ، انظر أيضا النجوم الزاهرة ، ٦ / ٨٢٠ حيث قـال إنه « لم يخلفه مثله فى التقدم فى علم الطب .

سنة خمس وثلاثين وثمانمائة

أهل المحرم بيوم الأحد :

فى عاشره[1] الموافق لعشرين توت انتهت زيادة النيل إلى عشرين ذراعا واثنى عشر إصبعاً ثم نقص خمس عشرة إصبعاً وزاد ونقص إلى حادى عشرينيه وهو أول بابه ، ولم يناد عليه لاستمرار النقص :

وفى ثانى عشره وصل الأمير طراباى [الظاهرى برقوق[2]] نائب طرابلس فتلقاه السلطان بالإكرام والاحترام ، وعظم مقامه وأجله وسار إلى مملكته بعد خمسة أيام .

وفى ثالث عشريه قدم القاضى زين الدين عبد الباسط عظيم الدولة وصحبته خوند جلبان وبقية الركب الأول ، ومن الغد حضر الأمير قرا سنقر [المسمى الظاهرى برقوق[3]] أمير الحاج وصحبته المحمل وقد شق على الناس فى السير مع ماداخلهم من العطش فى توجههم .

شهر صفر

أوله الثلاثاء :

فى خامسه انتشر بآفاق السماء جراد كبير وكفى الله شره .

---

(١) انظر فى صحة هذه التواريخ كلها التوفيقات الإلهامية ، ص ٤١٨ .

(٢) الإضافة من ابن حجر : إنباء الغمر ج ٣ ص ٥٥٨ ، والسخاوى : الضوء اللامع ٤/١٩ ويلاحظ أن ابن حجر جعل وفاته سنة ٨٣٨ على حين عدة السخاوى فيمن مات فى السنة التى قبلها .

(٣) الإضافة من الضوء اللامع ٦ / ٢٢١ حيث قال عنه إنه كان قد أنشأ « مدرسة صغيرة بالقرب من ميدان الخيل ببركة الناصرى وعمل لأرباب الوظائف فيها وقفا » .

وفى نصف هذا الشهر خلع على الأمير آقبغا الجمالى وأعيد إلى كشف الوجه القبلى عوضاً عن مرادخجا وقد شكى المسلمون من ظلمه وجوره وسوء سريرته .

ووردت الأخبار بأن الخراب شمل البلاد من توريز إلى بغداد حتى لم يبق بها قطر ولا وطن ولا محلة ولا دسكرة ، وسبب ذلك الجراد الساقط عليهم من السماء الذى انتهك زرعهم حتى لم ير فيه ورقة خضراء ، هذا مع شدة الوباء ، وانتهاك الأكراد ما بقى ، ففشا فيهم الغلاء حتى أبيع المن من لحم الضأن — وهو رطلان بالمصرى بدينار — وكانت قيمته قبل ذلك درهمين ، وأبيع لحم الكلاب كل من بستة دراهم ، وانتشر الوباء ببغداد والجزيرة وديار بكر وكذلك بأصبهان .

شـــهر ربيــع الآخرة

أهل بيوم الجمعة :

فى سابع عشره نزل عدة من المماليك الأجلاب إلى بيت الصاحب كريم الدين [بن كاتب المناخ] الوزير والأستادار[1] وقصدهم الفتك به ، وكان علم بذلك فى الليل وحول حوائجه وتعلقه واستعد لهم فلم يظفروا به ولا بداره ورجعوا وقد أفسدوا فيما[2] حول داره ، وسبب ذلك تأخر الجامكية يوماً واحداً فسأل الإعفاء من الأستادارية فأعفى ، وطلب الصاحب بدر الدين

(١) كان ابن كاتب المناخ يتولى فى هذه الآونة بالذات الوزارة والأستادارية ، انظر النجوم الزاهرة ٦ / ٦٧١ .

(٢) وذلك في بيوت جيرانه كما نص أبو المحاسن ، نفس المرجع والجزء والصفحة .

حسن بن نصر الله فى يوم السبت ثالث عشريه وخلع عليه وأعيد[1] إلى وظيفة الأستادارية ، هذا بعد انقطاعه فى داره سنين وهو منسى ومع سداد اللحم والجامكية والعليق ، لكن ألهم الله الوزير ابن كاتب المناخ الإعفاء حتى ذكر السلطان ابن نصر الله، فأرسل إليه القاضى زين الدين عبد الباسط والوزير كريم الدين وسعد الدين إبراهيم ناظر الخاص فى يوم الأربعاء يسلمون عليه من قبل السلطان ويعلمونه أن السلطان رسم له بالأستادارية فاعتذر لهم من قلة ما فى اليد وتغير الأحوال به ، فلم يقبلوا منه ذلك بل صاروا يشيرون عليه بالقبول وعدم الرد ويحذرونه من مخالفة السلطان ، فأمهلهم للاستخارة وتركوه وانصرفوا، فاستشار أصحابه ومن يثق بهم فأجابوه بأن يقبل، فحضروا إليه من الغد فأجاب سؤالهم ووافقهم على رأيهم وانقاد لهم .

وفى سابع عشريه برز المرسوم الشريف بإشهار النداء أن لا يسافر أحد مع القاضى سعد الدين بن المرأة إلى مكة ، وسبب ذلك ما حصل عليهم فى العام الماضى من جور العربان وعدم الأمن .

شـــهر جمادى الأولى

أهل بيوم السبت :

فى ثامنه أخلع على سعد الدين إبراهيم بن المرأة خلعة السفر إلى جدة .

(١) كانت هذه هى ولايته الثانية للأستادرية ، انظر ما جاء عنه بالتفصيل فى النجوم فى الزاهرة، ج ٦ ، ج ٧ فى فهرس الأعلام هناك، وترجمته عنده فى المنهل الصافى تحت اسم «الحسن بن محمد» وابن حجر : انباء الغمر ، وفيات سنة ٨٤٦ ، وابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ج ١ ص ٢٥١ ، ج ٢ ص ١٨ ، وكذلك Sauvaire : Description de Damas (in) Journ. Asiat., 1895. t, II, pp. 229, 277.

وفى ليلة الجمعة رابع عشره خسف جرم جميع القمر مدة ثلاث ساعات من أول الليل .

وفى سادس عشره ابتدئ بالقصر المنسوب لبيسرى بين القصرين ، وكان قبل هذا قد أخذ رخامه ووضع فى المدرسة الأشرفية المستجدة .

وفى خامس عشريه ركب السلطان من القلعة ودخل القاهرة من باب زويلة وتوجه إلى بيت عظيم الدولة الذى هو القاضى عبد الباسط ، فجلس فيه ساعة ، ثم توجه منه إلى بيت سعد الدين إبراهيم ناظر الخاص فجلس فيه قليلا وركب متوجهاً إلى القلعة ، وقد كثر فى هذا الشهر بل فى هذه السنة ركوبه ودخوله إلى القاهرة وإلى الصيد والتفرج ، ولم يعهد هذا منـــه منذ تسلطن .

ولما كان فى سادس عشريه حمل المقر الزينى عبد الباسط عظيم الدولة والقاضى سعد الدين ناظر الخواص تقادم جليلة إلى السلطان وفى غضون هذه الأيام حضر بيرم صاحب هيت (١) فاراً من أصبهان بن قرا يوسف وقد قتل السلطان حسيناً بن علاء الدولة وملك الحلة ، فخرج بيرم من هيت فى ستمائة من أصحابه فيهم ثلاثمائة فارس فلقيهم عرب تلك البلاد يعنى عرب غزية (٢) فأخذوا من كان معه وكانوا جماً غفيراً ما بين تجار وغيرهم ونجا

---

(١) هيت من مدن العراق ذات سور وقلعة حصينة وتقع على الجانب الغربى من نهر الفرات ، هذا وقد علق بشير فرنسيس وكوركيس عواد عليها فى ترجمتهما لبلدان الخلافة الشرقية ، ص ٩٠ حاشية رقم ١ أنه تكثر بقربها عيون القار ، وأن اسمها « هيث » اسم بابلى حيث كان البابليون يسمونها Id أو It ومعناها مدينة القار .

(٢) الوارد فى نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ، ص ٣٨٧ ، أن بنى غزية بطن من هوازن من العدنانية .

هو بنفسه فى قليل ممن كانوا معه حتى قدم على السلطان فأكرمه وأدناه وأمر له بمكان ينزل فيه وأجرى له راتباً يليق به ثم لما طالت إقامته رسم له بإقطاع بناحية الفيوم معتبر .

شـــهر جمادى الآخرة

أهل بيوم الإثنين :

فى الثانى منه عزل الصاحب بدر الدين بن نصر الله من الأستادارية فكانت مدة ولايته فيها شهراً وتسعة أيام أو ثمانية ورسم للأمير آقبغا الجمالى بها ثم خلع عليه من الغد ولزم ابن نصر الله بيته ، والسبب فى ذلك أن الأمير آقبغا لمـــا بلغه عزل ابن كاتب المناخ من الأستادارية سأل فى الحضور فأجيب وحضر ، فسعى فى الأستادارية بمبلغ عشرة آلاف دينار ، وإن صح سفر السلطان إلى البلاد الشامية يحمل معه نفقة شهرين وهى مبلغ أربعين ألف دينار ، فأجيب إلى سؤاله ، واستمر كشف الوجه القبلى مضافا إليه[1] ثم كشف الوجه البحرى .

وفى عاشره برز سعد الدين بن المرأة يريد السفر إلى جدة ثم رحل فى ثامن عشره ولم يمكن أحداً من السفر صحبته سوى ألزامه وخواصه .

وفى سابع عشره خلع على القاضى بدر الدين محمود العينتابى وأعيد إلى قضاء القضاة الحنفية عوضاً عن زين الدين عبد الرحمن التفهنى وقد طال به الألم فباشر — أعنى العينتابى — القضاء والحسبة ونظر الأحباس جميعاً .

(١) أى أضيف كشف الوجه القبلى إلى آقبغا الجمالى .

شـــهر رجب

أهل بيوم الثلاثاء :

فيه أخلع على الأمير صلاح الدين محمد — الأستادار — كان — ابن الوزير الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله واستقر محتسب القاهرة عوضاً عن قاضى القضاة بدر الدين العينى (١) وكان صلاح الدين من حين عزل وصودر هو وولده وهما ملازمان لدورهما ، وأضيف له مع الحسبة الحجبة .

وفى ثالثه أدير محمل الحجاج إلا أنه عجل بدواره فى أول الشهر لأجل حركة سفر السلطان إلى الشام [١٤٤ ب] لأن غالب الأمراء والعســكر تجهزوا لذلك .

وفى العشرين منه قدم الأمير سودون من عبد الرحمن نائب الشام بطلب وصحبته القاضى كمالى الدين بن البارزى الذى هو كاتب سر الشام وباتا فى تربة الظاهر برقوق خارج القاهرة فى الصحراء ،وأصبح من الغد وطلع إلى القلعة هو والمقر الكمالى وقبلا الأرض. فلما انقضت الخدمة توجه النائب إلى منزله ولم يخلع عليه فتحقق أنه معزول ، ومن الغد أخلع عليه واستقر أميراً كبيراً عوضاً عن الأمير جار قطلو الذى استقر فى نيابة دمشق وخلع عليه وبطلت حركة السفر .

---

(١) كان العينى نفسه هو الذى عزف عن الاستمرار فى تولى وظيفة حسبة القاهرة ، انظر فى ذلك النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٦٧٣ .

شـــهر شعبان المكرم

أهل بيوم الأربعاء :

فيه خلع على الأمير جار قطلو نائب الشام بخلعة السفر وبرز إلى مخيمه ظاهر القاهرة ، وخلع أيضاً على القاضي كمال الدين بن البارزي خلعـــة السفر ، ثم خلع عليه من الغد وهو يوم الجمعة ثالثه واستقر قاضي القضاة الشافعية بدمشق عوضاً عن القاضي شهاب الدين أحمد بن المحمرة مضافاً لما بيده من كتابة السر[1] ولم تجتمع هاتان الوظيفتان لأحد إلا له ولوالده المرحوم ناصر الدين محمد بن البارزي فإنه جمع بين قضاء حماة وكتابة السـر بها .

شـــهر رمضان المعظم

أهل بيوم الخميس :

في يوم الثلاثاء ثالث عشره خلع على الأمير آقبغا الجمالي بوظيفة الأستادارية على عادته وسبب ذلك أنه كان سافر إلى بلاد الصعيد وحصل من الأموال والتقادم والضيافة ما لا يحصل لأمثاله من الأستادارية ، وسببه الحرمة الوافرة عليهم ، فإنهم لما[2] يسمعوا اسمه يكادوا يموتوا ، هذا وهو

(١) الوارد في ابن طولون : قضاة دمشق ، ص ١٦٢ - نقـلا عن ابن قاضي شهبة - أنه كان متوليا حينذاك قضاء الشافعيــة والخطابة ومشيخة الشيوخ وكتابة السر ، وعلق الأسدي على ذلك بقوله : « واستنكر الناس ذلك لما بين القضاء وكتابة السر من المنافاة ، ولكن لما صارت المناصب بالمال آل أمرها إلى ما آل » ، أما فيما يتعلق بابن البـــارزي فراجع شذرات الذهب ، ج ٧ ص ٢٩٠ ، والنجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٦٧٥ ، س ٩ - ١٠ .

(٢) أبقينا هذه العبارة على ما هي عليه لتصويرها أسلوب الصيرفي الذي يصل في بعض الأحيان إلى العامية أو القرب منها .

كاشف فكيف حالهم وقد انضم إلى الكشف الأستادارية ؟ ، فلما قدم من الوجه القبلى أشيع عزله ، وتكلم فيــه القاضى تاج الدين عبد الوهاب ابن الخطير ناظرديوان المفرد على ما أخذوه من أموال النواحى فى وجهه بحضور المقام الشريف حتى تسابا بين يديه ، وآخرذا رسم السلطان بمحاسبته فحقق فى جهته خمسة عشر ألف دينار ، فخلع عليه على عادته وتقوية ليده بشرط أن يحمل ما حوسب عليه ؛

* * *

ورسم فى هذه الأيام بالحوطة على فلفل التجار بالقاهرة ومصر والإسكندرية ليشترى للسلطان من حساب الخمسين دينار الحمل، وكان قد أبيع عليهم فى أول هذه السنة بتسعين ديناراً الحمل ، وبرزت المراسيم الشريفة أن الفلفل بالخصوص لا يشتريه أحد إلا السلطان ، وأن تجار الهند وجدة لا يتعرضون كذلك ألبته ، وأن لا يباع للفرنج إلا من السلطان ، فحصل للتجار المسلمين والفرنج من ذلك بلاء عظيم وهم شديد .

* * *

وفى سادس عشريه خلع على دولات خجا واستقر فى ولاية القاهرة عوضاً عن التاج الشوبكى وأخيه عمر وهكذا وصفه الشيخ تقى الدين المقريزى فى تاريخه ؛

« ودولات خجا هذا من أحد المماليك السلطانية الظاهرية برقوق ، وولى كشف الوجه القبلى وتعدى الحدود واقترح للمسلمين أذى، منه أنه كان

ينفخ بالكير فى دبر الرجل حتى تنبذر عيناه[1] ويعلقه[2] بدماغه وغير ذلك من أنواع العقوبات ، ثم ولى[3] كشف الوجه البحرى ، وكان التاج قد عظم أمره ورأس على الولاية فإنه جليس السلطان ومعه عدة وظائف وأقام فيها أخاه عمر فصارت الحرامية يعلمونه بجميع ما يسرقونه فيأخذه أو يدع لهم منه شيئاً يسيراً فأمن السراق فى أيامه وصار كل من ضاع له شىء لا يعود ، وضاق الأمر بالناس ، فلماولى دولات خجا رسم بالإفراج عن جميع أرباب الجـرائم من السجن وحلف لهم أنه متى ظفر بأحد منهم بعـد ذلك أتلفه إما بالتوسيط أو الشنق أو العذاب فخافوه خوفاً شديداً ، وكان يركب طول ليله يطوف البلد وما حولها ، وصار كل من رفع له من السراق وسطه ، فذعر الناس منه .

وفيه خلع على عمر أخى التاج واستقر من جملة الحجاب حتى لايفارق الظلم ويصل إلى بعض بلوغ أغراضه وتحصيل مقاصده ، وأكثر دولات خجا من الركوب والطواف فى الليل والنهار بالفرسان والرجال ، ونادى السوقة وأهل الطرقات بكنس الشوارع وتنظيفها ورشها بالمـاء ، وعاقبهم على ذلك فامتثلوا أمره ، ومنع النساء من الخروج إلى المقابر وأحرم[4] المرد

(١) فى الأصل « عينيه » .

(٢) فى النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٦٧٥ س ١٩ « يتفلق دماغه » .

(٣) الوارد فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٦٧٥ « أنه كان أحد أصاغر مماليك برقوق ومن شرارهم ، وكان وضيعا كثير الشر يمشى على قدميه بالأسواق فى بعض الأحيان ... وتنوع فى عذاب أهل الفساد وقطاع الطريق أنواعا كثيرة منها أنه كان يعلق الرجل منكسا ولا يزال يرمى عليه بالنشاب إلى أن يموت » .

(٤) يقصد المؤلف بذلك أن دولات خجا حرم على النساء الخروج .

والنساء أيضاً بالخروج من بعد المغرب وشق ذلك عليهم حتى قال بعض من من قال « راحت دولة عمر وجت دولة خجا » ، وأحرموا علقاً أو قحبة تخرج من العشـــاء .

وفي هذا الشهر جرت العين إلى مكة بعد أن ملئت الفساقى والبرك خارج باب المعلى وجارت على سوق الليل إلى الصفا وانتهت إلى باب سيدنا إبراهيم عليه الســـلام وانحدرت من هناك فحصل بها النفع والخير لشدة احتياج الناس إليها [١٤٥أ] وتولى ذلك عمر بن شمس الدين محمد بن المزلق وأنفق عليها من ماله شيئاً كثيراً .

شـــهر شـــوال

استهل بيوم السبت :

في ثالثه قدم النجاب من دمشق بجواب الأمير جار قطلو نائبها يعتذر عن قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن الكشك [1] وكان قد كتب بحضوره ليستقر في كتابة السر عوضاً عن شهاب الدين أحمد بن السفاح بعد موته ويحمل معـــه عشرة آلاف دينار ، فامتنع من ذلك واحتج بضعف نظره والآلام تطرقه ، فاستدعى عند ذلك السلطان الوزير الصاحب كريم الدين ابن كاتب المناخ ورسم له بكتابة السر ، وكان الساعي له في هذا الأمر القاضي ولي الدين بن قاسم والتاج الشوبكي فإنهما جليسا الملك ، والوزير كثير الإحسان إليهما ، فلما أصبح يوم الثلاثاء رابعه خلع عليه خلعة كتابة السر مضافاً لما بيده من الوزارة ، ولم يجتمع لأحد مثل ذلك في الدولة التركية ،

(١) راجع ابن طولون ؛ قضاة دمشق ؛ ص ٢١٢ – ٢١٦ .

وكان له موكب جليل حافل جداً اجتمع فيه أعيان المملكة بأسرها مع عدم عرفانه لصناعة الإنشاء وقلة دربته بقراءة الأجوبة والقصص ، قال العلامة تقي الدين المقريزي : « غير أن الكفاءة غير معتبرة فى زمننا حتى لوتولى كتابة السر بعض السوقة ممن نعرفه لما أنكر عليه » ، وقد ولى كتابة السر بحماه سوقى نعرفه على مـال فأقام يباشر الوظيفة وهو لا يحسن القراءة ولاالكتابة،وكان إذا ورد عليه كتاب وهو بحضور النائب لا يقرأه مع شدة الاحتياج إليه ليعلم ما فيه حتى يمضى إلى داره ويقرأه رجل أعده لذلك، ثم يعود إلى النائب بعد ذلك فيعلمه بمضمون الكتاب .

* * *

ومن الحوادث الغريبة أن خصمين تداعيا عند شخص من كبار القضاة فقضى على المدعى عليه فقال له [ما] معناه إنه حكم بغير الحق ، فأمر بإخراجهما حتى ينظر فى مسألتهما ، ثم طالع بعض كتب المذهب فوجد الأمر مثل ما ادعاه الرجل من خطأ القاضى فردهما ، وقال : « وجدنا فى الكتاب الفلانى كما قلت » ، ولم يتأثر بما ظهر للعوام من جهله : ولهذه الحادثة نظائر كثيرة لو عددناها ما بلغنا بمعشار عشرها، وإلى الله أشـكو بثى وحزنى .

* * *

وفى يوم الخميس ثالث عشريه بدأ السلطان بالجلوس فى الإيوان بدار العـدل من القلعة ،وكان قد نزل ، وكان هذا الإيوان قد هجر من بعد الظاهر برقوق الجلوس فيه يوم الإثنين والخميس إلا نادراً والنادر لا حكم له ، سيما فى أيام الملك المؤيد شـيخ فتهدم ونسيت عوائده ورسومه

فاقتضى رأى السلطان أن يجدد ما انهدم منه ويزيل شعثه ويجدد رسومه ، ثم جلس فيه وعزم على ملازمته فى يومى الخدمة ، ثم رجع عن ذلك :

وفيه قدم ركب الحجاج المغاربة ، وقدم ركب الحاج التكرور أيضاً وفيهم بعض ملوكهم فحصل عليهم غاية السوء من التشديد عليهم فى أخذ المكوس بما هو صحبتهم من الخيل والرقيق والثياب ،وكلفوا مع ذلك حمل مال إلى السلطان ، ففشا الظلم فيهم وانتشر :

وفى العشرين منه خرج محمل الحاج إلى بركة الحجاج .

وفى حادى عشريه أخذ قاع النيل فبلغ ست أذرع وعشرين إصبعاً :

وفى هذه الأيام رسم بشراء الغلال للسلطان كونها رخيصة وربما توقفت زيادة النيل فغلت الغلال فتكون الفائدة للسلطان ، وبرزت المراسيم الشريفة إلى أعمال مصر بشراء غلال الناس ، وألزم السماسرة بساحل مصر وبولاق أن لا يبيعوا الغلة إلا للسلطان، فانفتحت خواطر العوام والخواص لمشترى الغلال فنهضت بعد أن كان لها أشهر كاسدة ، وزاد سعر الإردب عن قيمته ثلاثين درهماً وأكثر .

وفى ثانى عشريه ابتدىء بالنداء على النيل فنودى بزيادة أربع أصابع .

شهر ذى القعـــدة

أوله الإثنين :

فيه طلب القضاة الأربعة وجميع نوابهم فى الحكم بالقاهرة ومصر إلى القلعة ليعرض نوابهم على السلطان ، وقد كثر القال والقيل فيهم ، فلما دخل القضاة الأربعة إلى مجلس السلطان أراد النواب الدخول معهم فعوقوا ، وكان

مجلساً مضمونه بروز الأمر الشريف على أن يقتصر القاضى الشافعى على خمسة عشر نائباً ، والحنفي على عشرة نواب ، والمالكى على سبعة ، والحنبلى على خمسة ، وقد رسم مثل هذا المرسوم كثيراً ولا عمل به ، فياليته لو دام :

وفى سابعه خلع على التاج الشوبكي وأعيد إلى شرطة القاهرة عوضاً عن دولات خجا وبدلوا البول بالخرا .

وفى ثامن عشريه قدم الخبر بموت جنيوس صاحب قبرس :

وفيه خلع على القاضى عزالدين عبد العزيز بن على بن العز البغدادى [1] واستقر فى قضاء الحنابلة بالشام عوضاً عن النظام عمر [بن إبراهيم بن محمد] ابن مفلح ولبس الخلعة من بيت الوزير كريم الدين كاتب السر ولم يعرف أحد [2] من قضاة القضاة خلع عليهم فى بيت الوزير ، غير أن هذا الوزير أقام لكتابة السر حرمة وافرة ، وجدد لها ما كان دثر ، كل ذلك باستبداد هذا مع انحطاط جانب القضاة [١٤٥ ب] والفقهــاء، وعدم حرمتهم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

شــهر ذى الحجــة

استهل بيوم الثلاثاء :

فيه نودى بوفاء النيل ستة عشر ذراعاً وثلاث أصابع ، ووافق ذلك خامس [3] مسرى وهذا نادر الوقوع ، ورسم السلطان للأمير جقمق أمير آخور بتخليق المقياس وفتح الخليج على العادة .

---

(١) كانت وفاته سنة ٨٤٦ هـ ، انظر عنه ابن حجر : إنباء الغمر ، تحت وفيات هذه السنة ، وابن طولون : قضاة دمشق ، ص ٢٩٤ .

(٢) فى الأصل « أحداً » .

(٣) يتفق التاريخ القبطى مع اليوم فيما هو وارد بالتوفيقات الإلهامية ، ج ص ٤١٨ ، ولكن المرجع الأخير جعل أول الشهر العربى الأربعاء لا الثلاثاء .

وفى خامس عشرينه سارت سرية عددها ستون مملوكاً صحبة بعض الأمراء العشرات إلى قبرس وصحبتهم خلعة لجوان بن جينوس فى استقراره فى مملكة قبرس عوضاً عن أبيه نيابة عن السلطان ، وأن يؤخذ منه أربعة وعشرون ألف دينار تأخرت على أبيه مما كان قرره وخمسة آلاف دينار فى كل سنة نظير ما التزم به أبوه .

وفى سادس عشريه قدم مبشرو الحاج .

وفى هذا الشهر كثر تقطع الجسور بالنواحى حتى غرق منها عدة بلاد، وغرق فيها من الغلال ما قيمته آلاف الدنانير وشرقت عدة بلاد، وكل ذلك من فساد عمل الجسور وأخذ الأموال من الأمراء والمماليك والنواحى عوضاً عن رجال العمل وأبقارها .

وفيه فرقت عدة بلاد من بلاد الديوان المفرد على جماعة من مباشرى الديوان وغيرهم ليعمروها ، فإنها خربت من ظلم ولاية الأستادار حتى إن القاضى زين الدين عبد الباسط عظيم الدولة والوزير كريم الدين وسعد الدين إبراهيم ناظر الخاص والتاج بن الخطير أخذ كل منهم بلداً من البلاد ، وسلم إلى آخرين غير هؤلاء عدة من البلاد :

• • •

وفيه نودى أن يعلق على كل حانوت من حوانيت السوقة قنديل يضىء طول الليل فامتثل ذلك واستمر .

وفيه كثرت زيادة النيل فانسلخ ذو الحجة بيوم الأربعاء رابع أيام النسىء والماء على ثمانية عشر ذراعاً وعشرين إصبعاً، وهذه السنة تحول الخراج فيها من أجل أنه لم يقع فيها نوروز ، فحولت سنة ست إلى سبع وثلاثين وثمانمائة .

ومات فى هذه السنة من الأعيان

٧١٤ — السلطان حسين بن علاء[(١)] الدولة بن القان غياث الدين أحمد بن أويس ، وكان قد أقيم بعد أحمد بن أويس فى السلطنة ببغداد شاه ولد ابن شاه زاده بن أويس ثم قتل بعد ستة أشهر بتدبير زوجته تندوابنة السلطان حسين بن أويس وقامت بالتدبير ، ثم خرجت من بغداد بعد ستة أشهر فراراً من أصبهان شاه بن قرا يوسف ، ونزل ششتر فى عدة من العساكر وملك شاه محمد بغداد فأقيم ابن تندو فى السلطنة محمود بن شاه ولد، فدبرت عليه وقتلته بعد خمس سنين وانفردت بمملكته ششتر وملكت البصرة بعد حرب شديدة ثم ماتت بعد انفرادها بثلاث سنين ، وأقيم ابنها أويس بن شاه ولد، وقتله أصبهان بن قرا يوسف حتى نزل عليه إصبهان وحصره بالحلة مدة سبعة أشهر حتى أخذه وقتله فى ثالث صفر من هذه السنة ، فانقرضت بمهلكه دولة الأتراك بنى أويس من العراق وصار عراقا العرب والعجم بيد إسكندر شاه محمد وأصبهان أولاد قرا يوسف وقد خرب [العراق] على أيديهم .

٧١٥ — وتوفى شرف الدين عيسى بن محمد بن عيسى الأقفهسى الشافعى أحد نواب الحكم فى ليلة الجمعة سادس عشرى جمادى الآخرة ، ومولده فى سنة خمسين[(٢)] وسبع مائة وبرع فى الفقه ، وناب فى الحكم عن

---

(١) أورده الضوء اللامع ٣ / ٦١١ باسم « علاء الدين » ، ولكنه وارد كما هو فى المتن فى كل من إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٤٨٤ ترجمة رقم ٥ وشذرات الذهب ، ج ٧ / ٢١٣ .

(٢) اختلفت المراجع فى سنة مولده ، فهو عند ابن حجر فى نسخته المطبوعة ، ج ٣ ص ٤٨٧ « سنة خمس وخمسين وسبعمائة » ، وهو فى النسخة الظاهرية التى كتبها ابن حجر بخطه والمحفوظة فى المكتبة الظاهرية بدمشق ورد أنه ولد سنة « خمس وسبعين وسبعمائة » ، على أننا علقنا فى نشرنا لنسخة أنباء الغمر =

العماد أحمد الكركى ومن بعده من سنة اثنتين وتسعين وسبع مائة ، وكان كثير الاستحضار للفروع مشكور السيرة ، رحمة الله .

٧١٦ ــ ومات شهاب الدين أحمد بن صلاح الدين صالح بن أحمد بن عمر المعروف بابن السفاح الحلبي فى ليلة الأربعاء رابع عشر شهر رمضان عن ثلاث وستين سنة ، وباشر هو وولده كتابة السر بحلب، ولهم بها رئاسة ووجاهة وتمكن وأموال ، ثم باشر كتابة السر بمصر فلم ينجب ولم يسعد ، وكان عنده خفة وطيش وهرج وعجلة (١) .

= بما يفيد أن السنة الصحيحة هى ٧٥٥ هـ ، وذلك بناء على ماورد فى نهاية ترجمته بنفس المرجع من أنه مات وقدجاوز الثمانين مما لايحتمل معه أن يكون مولده سنة ٧٧٥ ، ولا عبرة بما ورد فى السخاوى : الضوء اللامع ٦/٥٠٣ من أنه ولد سنة ٧٠٥ فلعل ذلك سهو قلم أو من الناسخ ، راجع أيضا شذرات الذهب ٧ / ٢١٤ – ٢١٥ ، هذا وقد اعتبره أبو المحاسن ممن ولد سنة ٧٥٠ كما ذكر ذلك فى ترجمته بالمنهل الصافى تحت اسم « عيسى بن محمد » ؛ انظر كذلك النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٨٢٠ .

(١) أشار أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة، ج ٦ ص ٨٢١ إلى أنه لما ولى كتابة السر بمصر «ابتلعه المنصب » وأنه كان يكلم نفسه فى حال ركوبه، ويشير السخاوى فى الضوء اللامع ،ج ١ ص ٣١٤ إلى أن ابن الكويز استقر به فى كتابة السر ببلده « إرادة الراحة منه» وقد اقتبسها السخاوى من شيخه ابن حجر حين ترجم له، انظر إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٤٨٢ س ١٤ — ١٥ ، ويلاحظ أن ما أورده ابن الصيرفى من نعوت لصاحب الترجمة مقتبس من الضوء اللامع ، أما بن خطيب الناصرية فيمتدحه ويقول عنه«وفيه حشمة ومروءة وعصبية وقيام فى حاجة من يقصده مع دين وميل لأهل العلم والخير والإحسان إليهم »وهى العبارة التى نقلها ابن حجر ونسبها لابن خطيب الناصرية ثم جاء من بعده تلميذه السخاوى فنقلها عنه ، ومع ذلك فإن ابن حجر : نفس المرجع والجزء ، ص ٤٨٣ ، س ٣ — ٤ ، يقول عن صاحب الترجمة « كان قليل الشر غير مهاب ، ضعيف التصرف ، قليل العلم جدا ، وكان السلطان يمقته فى طول ولايته مع استمرار خدمته له ببدنه وأمواله » ، انظر عنه أيضا البقاعى : عنوان الزمان فى تراجم الشيوخ والأقران ، ومختصره عنوان العنوان ، وبيشوف : تحفة الأنباء فى تاريخ حلب الشهباء ، ص ١٤٨ ، هذا وقد جعل المقريزى وفاته يوم ١٩ رمضان .

٧١٧ – ومات الصاحب علم الدين يحيى أبوكم[1] الأسلمى فى ليلة الخميس ثانى عشرى رمضان وقد أناف على السبعين ، وباشر عدة وظائف منها نظر الأسواق حتى تنقل إلى الوزارة فى الأيام الناصرية فرج ، وكان يظهر الانتفاء[2] من دين النصرانية ، وحج وجاور بمكة وأكثر من زيارة الصالحين ، والله أعلم بظاهر الحال وباطنه .

٧١٨ – ومات قاضى القضاة زين الدين عبد الرحمن التفهنى الحنفى بعد مرض طويل – حتى عافه عياله وأهله – فى ليلة الأحد ثامن شوال وقد أناف على السبعين ، ومولده سنة أربع وسبعين[3] وسبع مائة ، وكان بارعاً فى الفقه ماهراً فى الأصول ، ذا ملكة فى العربية ، وولى قضاء القضاة :

---

(١) هناك اثنان من هذه الأسرة يدعى كل منهما يحيى ، أحدهما صاحب الترجمة المذكورة أعلاه أما الآخر فيعرف يحيى بن أبي كم ويجب التفرقة بينهما ، انظر عنهما الضوء اللامع ١٠ / ٩٧٧ ، ١٠ / ١٠٢٢ .

(٢) يكاد يجمع من ترجموا له على صدق إسلامه فيقول عنه أبو المحاسن « إنه انسلخ من أبناء جلسه انسلاخا كليا بحيث إنه كان لا يجتمع بنصرانى إلا عن ضرورة عظيمة » ، انظر النجوم الزاهرة ، ج ٦ص ٨٢٣ س٩– ١٠ ويقول ابن حجر فى إنباء الغمر ، ج ٣ص٤٨٩ « كان إسلامه حسنا» وكلاهما من هذين الأخير عاصر المترجم وعرفه شخصيا ، ومن ثم قال السخاوى عنه فى الضوء اللامع ١٠ / ٢٣٠ إنه « كان مظهرا التنصل من دين النصرانية مع إكثاره من زيارة الصالحين ، على أن ابن الصيرفى وقف على الحياد فقال – كما بالمتن – « والله أعلم بظاهر الحال وباطنه » .

(٣) اختلف من ترجموا له فى سنة مولده فهى عند أبى المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٨٢٢ والسخاوى : الضوء اللامع ٤ / ٢٨٥ « سنة أربع وستين » ولكنها عند بن حجر : إنباء الغمر ج ٣ ص ٤٨٦ رقم ٨ ، وابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ج ٧ ص ٤/ ٢ « سنة بضع وستين » ، هذا وقد ذكر ابن حجر : نفس المرجع والجزء والصفحة قال : « سألت أخاه شمس الدين – أحد من ينوب بدمياط فى الحكم عن النائب بها – عن مولده فذكر أنه ولد سنة ٤٣ ، وأنه أسن من القاضى زين الدين بعشرين سنة ولست أرتاب فى مجازفته فى كل ذلك » وقد علق البقاعى على نسخة الهند من إنباء الغمر ، بأن نفى المجازفة بناء على أن قاضى القضاة شمس الدين البساطى شهد بمعرفته سنة ثمانين بالغاً . –

٧١٩ — وهلك جينوس بن جاك بن بيدو بن أنطون بن جينوس ملك قبرس، وكان قد ملك بعد أبيه فى حدود سنة ثمانمائة وقدم إلى القاهرة مأسوراً ثم أعيد إلى مملكته كما قدمنا ذلك فى موضعه، وصار نائباً عن السلطان يحمل إليه الجزية فى كل سنة: ولله الحمد وإليه:

—

=هذا وقد عاد أبو المحاسن فى المنهل الصافى، فجعل ولادته سنة ٧٦٠ هـ، انظر أيضا عنه السيوطى: حسن المحاضرة، ج ١ ص ٢١٨، ج ٢ ص ١١١، وابن إياس: بدائع الزهور، ج ٣ ص ٩، ٢٣، هذا، وقد ورد فى الشذرات ج ٧ ص ٢١٤ وفى الضوء اللامع ٤/٢٨٥ أن موته كان ليلة السبت «التاسع من شوال» و الأصل «السابع» إذ تبين من مراجعة جدول السنين لسنة ٨٣٥ فى التوفيقات الإلهامية أن شوال من هذه السنة كان أوله الأحد، وأن كان ابن الصيرفى قد ذكر من قبل أن أوله السبت، ومما يقال فى أمر موته أنه كان من جراء سم دسته له أم ولده، وذلك أنه لما توفيت زوجته ظنت أم ولده أنها «تنفرد به»، فتزوج امرأة أخرى وأخرج أم ولده فحصلت لها غيرة».

سنة ست وثلاثين وثمانمائة

أهلت هذه السنة والخليفة المعتضد بالله أبو الفتح داود بن المتوكل على الله ، والسلطان الملك الأشرف برسباى والأمير الكبير سودون من عبد الرحمن وأمير سلاح إينال الجكمى وأمير مجلس آقبغا التمرازى ورأس نوبة الأمير تمراز القرمشى وأمير آخور جقمق ، والدوادار الكبير الأمير أركماس الظاهرى : والوزير كاتب السر كريم الدين عبد الكريم بن كاتب المناخ ، وناظر الجيش عظيم الدولة ومدبرها [١٤٦ ا] القاضى زين الدين عبدالباسط ، وناظر الخاص سعد الدين إبراهيم بن كاتب جكم .

وقاضى القضاة الشافعى شيخنا شيخ الإسلام حافظ عصره فى الأنام شهاب الله والدين أبو الفضل أحمد بن على بن حجر خادم السنة والأثر ، وقاضى القضاة الحنفية وناظر الأحباس شيخنا العلامة أبو البقاء محمود العينتابى ، وقاضى القضاة المالكى شمس الدين محمد السنباطى ، وقاضى القضاة الحنبلى محب الدين أحمد بن نصر الله البغدادى الحنبلى والمحتسب الأمير صلاح الدين بن نصر الله، وصاحب الشرطة التاج الشوبكى .

ونائب دمشق جارقطلو ، ونائب حلب قصروه ، ونائب طرابلس طراباى ، ونائب حماه جلبان (١) ، ونائب صفد مقبل (٢) ، ونائب غزة إينسال العلائى الأجرود .

وسلطان مكة — نائباً عن السلطنة — السيد الشريف بركات بن حسن ابن عجلان، ومتولى المدينة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام مانع ابن على بن عطية ، ومتولى ينبع الشريف عقيل بن وبير بن نخبار ، وملك الشرق شاه رخ بن تيمور كوركان، وسلطان بغداد شاه محمد بن قرايوسف، وملك الروم مراد بن محمد كرشجى، وملك المغرب أبو فارس عبد العزيز ابن أبى العباس الحفصى ، وملك اليمن الظاهر يحيى بن الأشرف إسماعيل ابن العباس بن رسول .

ومصر فى غاية الأمن والرخاء ، وسعر القمح من مائة وثلاثين درهماً إلى ما دون ذلك ، والفول والشعير من ثمانين الإردب إلى ما دون ذلك ، والأشرفى الذهب بمائتين وستين درهماً من الفلوس التى زنة كل رطل منها

(١) هو جلبان المؤيدى ويعرف بالأمير آخور ، وكانت وفاته سنة ٨٥٩ ، راجع ترجمته موسعة فى الضوء اللامع ٣ / ٣٠٢ ، وقد ترجم له أبو المحاسن فى المنهل الصافى ولم يذكر سنة مولده ولا سنة وفاته ، هذا وقد ورد ذكره فى عديد من المصادر ذكر بعضا منها السخاوى : الضوء اللامع ٣/٣٠٢ حيث ترجم له ترجمة موسعة ، والتبر المسبوك : ص، ٢٠٠ ، وابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٢، ص ٤٦ — ٤٨ ، وابن الشحنة : الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب ، ص ١٣٦ ، وصالح بن يحيى : تاريخ بيروت ، ص ٢٦٠ ، وابن الجيعان : التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية ، ص ٢٩ .
Van Berchem :Materiaux pour un corpus inscriptionum arabicarum Egypte, t. I, p, 224; Lettmann: Sémitic Inscriptions, p. 212.

(٢) لعله مقبل الزين الحسامى الرومى الذى ترجم له الضوء اللامع ١٠ / ٦٩٦ ولكنه ذكر أن الأشرف برسباى نقله لنيابة صفد فى سنة ٨٢٧ ودام بها حتى مات فى يوم الجمعة ١٩ ربيع الأول وذلك سنة ٨٣٩ كما جاء فى ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٥٢٣ ، انظر أيضا النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٨٢٨ .

بثمانية عشر ، والدرهم الفضة الأشرفى بعشرين درهماً من الفلوس، والمتسببون(١) والأسواق والبضائع فى غاية الكساد .

شــــهر المحـــرم

أهل بيوم الخميس :

فى يوم الجمعة ثانيه كان النوروز المشهور عند القبط بأرض مصر ، وهو أول توت .

[وكان] وفاء النيل على ثمانية عشر ذراعاً وثلاثة وعشرين إصبعاً ، ووقع من الموافقات الغريبة أن الخميس أول السنة ووافق أنه أول يوم تشرين وهو رأس السنة عند اليهود ، ويوم الجمعة هو أول سنة النصارى القبط فتوالت أوائل سنين الملل الثلاث فى يومين متواليين، واتفق مع ذلك أن طائفة من اليهود الربانيين يعملون رأس سنتهم وشهورهم بالحساب ، وطائفة القرائين يعملون رأس سنتهم وشهورهم برؤية الأهلة كما هو عند الإسلام ، ويقع بين طائفتى اليهود فى رؤس السنين والشهور خلاف كثير ، فوافق فى هذه السنة مطابقة حساب الربانيين [والقرائين] للرؤية فعمل الطائفتان جميعاً رأس سنتهم يوم الخميس ، وهذا من النوادر التى لا تقع إلا فى الغالب من السنين.(٢)

يوم الأحد ثامن عشره الموافق سابع عشر توت وهو يوم عيد الصليب عند قبط مصر ، ونودى فيه على النيل بزيادة إصبع لتتمة عشرين ذراعاً ينقص إصبعاً واحداً ولله الحمد ، وزيادة النيل أيضاً فى هذا العـــام مما يندر وقوعه :

---

(١) فى الأصل « والمتسببين » .

(٢) يكاد هذا الخبر يكون منقولا بالنص عن النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٦٧٩ س ١٠ — ٢٠ .

وفى ثالث عشريه وصل الركب الأول من الحاج وقدم من الغد المحمل ببقية الحاج .

وفى سادس عشريه عزل السلطان الأمير آقبغا الجمالى عن الأستادارية بعد ضربه ونزوله راكباً على حمار إلى بيت التاج الوالى لتخليص المال منه، وقرر الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن كاتب المناخ فى الأستادارية وأخلع عليه من الغد الذى هو يوم الثلاثاء سابع عشرينه وخرجت عنه وظيفة كتابة السر واستقل بالوزارة والأستادارية ، ورسم لشرف الدين الأشقر بمباشرة كتابة السر حتى يستقر أحد، بعد أن عين جماعة وسعت جماعة، ووقع الاتفاق على تولية قاضى القضاة وكاتب السر بدمشق القاضى كمال الدين محمد البارزى الشافعى .

وفى ثامن عشريه الموافق لسابع عشرين توت نودى بزيادة إصبع لتتمة عشرين ذراعاً وخمس أصابع .

* * *

وفى هذا الشهر أخذ الفرنج من ميناء طرابلس الشام مركباً ، وكان ذلك فى يوم السبت عاشره ، وفيها من المسلمين عدد كثير ومن البضائع ما له قيمة جليلة وبينما هم كذلك رأوا مركباً قدمت من دمياط فأخذوها أيضاً بما فيها من المسلمين والبضائع وساروا ، فلما ورد الخبر بذلك للمواقف الشريفة رسم أن يكتب بالحوطة على أموال الفرنج والقطلان إلا البنادقة، فوقعت الحوطة على أموالهم التى بالشام والإسكندرية ،

وفيه أقلع الطاغية صاحب برشلونة عن جزيرة جربة فى عاشره ، ومضى إلى جزيرة صقلية بمن معه من جماعة القطلان وأهل صقلية .

شـــهر صفـــر

أهل بيوم السبت :

فى ثانيه توجه القاصد إلى الشام باستدعاء القاضى كمال الدين بن البارزى ليستقر فى كتابة السر وعين عوضاً عنه فى قضاء القضاة بدمشق بهاء الدين محمد بن [عمر بن] حجى، وفى كتابة السر بها أيضاً قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن الكشك الحنفى، واستقر فى نظر الجيش بدمشق — عوضاً عن[1] بهاء الدين بن حجى — جمال الدين يوسف الكركى، وتحصل من المذكورين مال جزيل للسلطان :

* * *

وفى سابعه قدمت الرسل المتوجهون إلى قبرس وأخبروا أنهم ركبوا البحر من دمياط فى شيئتين فوافق وصولهم الملاحة يوم السبت عاشر المحرم وتوجه أعيانهم فى البر يريدون مدينة الأفقهسية دار مملكة قبرس ، فطلع للقائهم وزير الملك جوان بن جينوس بن جاشل ومعه وجوه أهل المملكة واستمروا فى خدمتهم حتى أنزلوهم خارج المدينة فباتوا بها ، ثم أصبحوا من الغد الذى هو الإثنين ثانى عشره فدخلوا المدينة على الملك جوان وهو فى قصره فقام على أقدامه ومشى إليهم فسلموا عليه سلاماً يليق به وأوصلوه كتاب السلطان وهو قائم على قدميه ، وبلغوه الرسالة فأذعن بالسمع والطاعة وقال : « أنا مملوك السلطان ونائب عنه وكنت جهزت قاصداً إلى تجهيز التقدمة للسلطان »، فأخبروه أن السلطان رسم بتحليفه ، فأجاب إلى ذلك، واستدعى القسيس فحلفه على الوفاء والطاعة للسلطان والقيام بما يجب عليه

(١) فى الأصل « من » ، لكن راجع صحة ما أثبتناه فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٦٨٠ س ١٥ — ١٦ ، والمقصود من بذلك أن الجمال يوسف استقر بدلا من ابن حجى .

من الجزية والتقدمة وكف الأذى عن المسلمين ، كل ذلك وهو قائم على على قدميه ، فلما انتهى من ذلك أفيض عليه التشريف السلطانى المجهز له وخرجت الرسل من قصره فركبوا وداروا المدينة وبين أيديهم مناد ينادى باستمرار الملك جوان فى نيابة السلطنة بقبرس، وأن للناس الأمان والاطمئنان وأمروا بطاعة السلطان وطاعته ، ثم بعد ذلك أنزلوا الرسل فى دار قد أعدت لهم وأجرى لهم ما يليق بهم من المآكل والمشارب وحملوا إليهم من الثياب الصوف سبعمائة ثوب : القيمة عنها عشرة آلاف دينار مما تأخرت على والده ، وظهر معه خصم أربعة آلاف دينار ووعد بحمل عشرة آلاف دينار بعد سنة ، وأرسلوا أربعين ثوباً من الصوف الخاص برسم الهدية للسلطان ، وأرسل لجماعة الرسل ما يليق بهم [كل] على قدر مقامه .

وأقاموا عشرة أيام وركبوا البحر ستة أيام حتى أرسوا على دمياط وتوجهوا منها إلى القاهرة وقدموا ما وصل معهم إلى السلطان فقبله، وقرىء الكتاب فإذا مضمونه السمع والطاعة وأنه نائب السلطان فيما تحت يده ونحو هذا الكلام .

* * *

وفى ثامنه خلع على حسن باك بن سالم الدوكاوى أحد أمراء التركمان وابن أخت قرايلك واستقر فى نيابة البحيرة عوضاً عن أمير على وأنعم عليه بزردخاناه منها مائة قوس ومائة تركاش ومائة قرقل وثلاثون فرساً .

* * *

وفى السادس والعشرين منه ضربت عنق رجل ارتد عن دين الإسلام، وخبره أن أصله كان نصرانيا فوجده رجل مع زوجته فاحتمى عن القتل بإظهار الإسلام على لسانه فأطلق لحال سبيله واستمر شهراً ، ثم جاء يوم

الجمعة إلى بعض القضاة وذكر له أنه كان نصرانياً وأسلم ثم أنه رغب فى العود إلى النصرانية ومقصوده تطهيره بالسيف ، وتكلم بكلام قبيح من القدح فى دين الإسلام وتعظيمه لدين النصرانية وصرح بما يعتقدهمن إلاهية المسيح ، فتلطف به القاضى فى المقال ، فألح عليه فى السؤال وصار كلما لين له الخطاب أفحش فى الجواب ، فعند ذلك أمر القاضى بسجنه ، ثم عرض عليه الإسلام مراراً فى عدة أوقات وهو فى جهله وغيه وضلاله، ومجت الأسماع وملت الأبصار من فحش خطابه ، فضربت عنقه ، ثم أحرقت جثته .

وفى سابع عشريه كتب باستقرار تاج الدين عبد الوهاب[١] بن افتكين أحد موقعي الدست بدمشق فى كتابة السر بها لامتناع قاضى القضاة شهاب الدين بن الكشك من ولايتها، وكتب باستقرار محيي الدين يحيى بن حسن بن عبد الواسع الحيحانى المغربى[٢] فى قضاء المالكية بدمشق عوضاً عن شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد الأموى[٣] بعد موته .

شـــهر ربيع الأول

أوله الإثنين :

(١) راجع عنه إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٥٠٦ — ٥٠٧ ، والضوء اللامع ٥ / ٣٦٩ ، وانظر فيما بعد ترجمة رقم ٧٢٩ .

(٢) فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٦٨٢ س ١٧ « الحجابى » ، وذكر الناشر مستر بوبر أن هذا الإسم ورد فى نسخة أخرى من مخطوطات النجوم الزاهرة التى رجع إليها برسم « الحجابى » ، كما أورده بن طولون فى قضاة دمشق ، ص ٢٠٥ س ٩ ، ص ٢٥٦ س ، باسم « اليحيحانى » ولكنه عاد فى ص ٢٥٦ س ٤ ، ٥ فرسمه باسم « اليحيحاوى » وقال السخاوى فى الضوء اللامع ١٠ / ٩٦٣ « الحيحانى بمهملتين : نسبة لحيحانة .بليدةبالمغرب » وكان موته سنة ٨٤٢ .

(٣) راجع عنه قضاة دمشق ، ص ٢٥٤ — ٢٥٥ .

فيه حضر رسول ملك القطلان بكتابه ، وقد نزل على جزيرة صقلية في الثاني والعشرين من رمضان ومعه ما ينيف على مائتي قطعة بحرية ومضمون كتابه الإنكار بما يعتمده أهل الدولة في حق التجار من حوز البضائع عن التجار ومنعهم من التكسب، وأن بلاد الفرنج لا يتعرض سلطانهم للرعية ولا للتجار بمنع ولا حوز بضاعة عنهم فرد على الرسول رداً قبيحاً :

وفي رابعه فتحت القيسارية المستجدة بخط باب الزهومة[1] وسكن بها الكتبيون وكان سوق الكتب مقابلا للصاغة قد هدم وما حوله في سنة ثلاث وثلاثين وبني قيسارية وفي أعلاها ربع وبدائرها حوانيت تجاه الصاغة التي فيها الصيارف ، وسكن في حوانيت الكتبيين تجار الأقفاص الذين كانوا ساكنين تحت شبابيك القبة المنصورية .

وصارت هذه القيسارية تضاهي الصاغة، وسكن عوض الذين انتقلوا من تحت قبة المنصورية قوم من الحريزانيين ونحو ذلك ، وذلك في مباشرة الأتابكي جارقطلو والقاضي نور الدين علي بن مفلح ثم القاضي زين الدين عبد الباسط عظيم الدولة ومدبرها .

وفي ثامن عشره سرح السلطان إلى ناحية إطفيح برسم الصيد والقنص وبات خارج المدينة ، وقدم من الغد آخر النهار وسرح قبل هذا إلى جهة شبين وإلى بركة الحاج [١٤٧ أ] أربع سرحات متواليات المدة .

---

(١) هو أحد أبواب القصر الخليفتي الكبير الشرقي بالقاهرة ، وقد أطلق عليه هذا الإسم لأن « دخول اللحوم وحوائج الطعام إنما تدخل منه » ومعنى الزهومة : الزفر ، انظر المقريزي : الخطط ج ٢ ص ١٧٧ .

وفى تاسع عشره قدم القاضى كمال الدين محمد بن البارزى من دمشق وتمثل لدى المواقف الشريفة وكان الأعيان والرؤساء والفضلاء قد طلعوا للقائه ثم نزل فى داره التى بالخراطين، وطلع من الغد الذى هو يوم السبت العشرين منه فأخلع عليه واستقر فى كتابة السر بالقاهرة المحروسة ففرح بولايته الأغنياء والفقراء لكرمه وجاهه وفضله وأصالته وحسن سيرته وسريرته وكفايته للمنصب وسكونه ووقاره وحيائه ، فالله تعالى يسبغ عليه واسع رحمته .

شهر جمادى الأول

إستهل يوم الخميس :

فيه حضر الأمير مقبل الزينى نائب صفد ووافق ركوب السلطان إلى خارج المدينة ، فركب فى الخدمة صحبة الأمراء إلى القلعة وأنزل فى دار أعدت له .

وفى خامسه خلع على داود واستقر فى كشف الوجه القبلى عوضاً عن طوغان العثمانى بعد أن قرر عليه إثنا عشر ألف دينار يحملها من البلاد والعباد .

وفى ثامنه خلع على الأمير أسنبغا الطيارى أحد الأمراء العشرينات واستقر فى وظيفة سعد الدين بن المرة نظر جدة ، وأن يكون ابن المرة فى خدمته .

وفى حادى عشره نودى فى الناس أن يسافروا للحجاز صحبة الطيارى بعد أن منعوا فى السنة الماضية ، كون ابن المرة فقيه وهذا تركى ، فحصل للمسلمين بذلك غاية السرور وتجهزوا للسفر .

وفى هذا اليوم توجه الأمير مقبل [الحسامى] الزينى نائب صفد إلى محل كفالته بعد أن أخلع عليه على العادة ، وقرر للخزائن الشريفة ما لا وغيره من الهدايا بنحو إثنى عشر ألف دينار .

* * *

وفى ثالث عشره خسف جميع جرم القمر فى الساعة الحادية عشرة ، وأقام فى الخسوف ثلاث ساعات ونصف ساعة .

وفى سابع عشريه سافر الوزير والأستادار الذى هو كريم الدين بن كاتب المناخ إلى الوجه البحرى لإحضار ما قرر عليه من الجمال والخيل والغنم والمال بسبب سفر السلطان إلى البلاد الشامية .

وفى التاسع والعشرين منه ورد كتاب شاه رخ بن تيمور كوركان ملك المشرق على يد أحد التجار القادمين إلى القاهرة ومضمونه أنه يقصد كسوة البيت الشريف، ولم يذكر فى كتابه لفظ « السلطان » ألبتة ، وإنما يذكر « الأمير برسباى » ؛ وقد تقدم مكاتبته بمثل هذا المعنى مراراً ولم يظهر لذلك نبأ .

شهر جمادى الآخرة

أوله يوم الجمعة :

فى الخامس منه أنفق السلطان على المماليك المتوجهين إلى مكة صحبة الأمير أسنبغا الطيارى وعدتهم خمسون مملوكاً ثلاثين ديناراً كل واحد :

وفى ثامن عشره خرج الطيارى بمن معه من المماليك والحجاج :

وفيه أخلع على سعد الدين بن المرة ليكون رفيقاً للطيارى .

وفيه برز المرسوم الشريف بصرف النفقة على العسكر المتوجهين إلى البلاد الشامية فى الركاب الشريف فابتدوا بصرها .

وفى حادى عشريه أنفق فى الأمراء نفقة السفر[1] فحمل إلى الأمير سودون [من عبد الرحمن] من زاده فضة عن ثلاثة آلاف دينار وبقية الأمراء الألوف — وهم عشرة — ألف دينار كل واحد ، وإلى كل من أمراء الطبلخانات خمسمائة دينار ، وكل ذلك فضة .

وفى ثالث عشريه سار الطيارى من بركة الحاج فى ركب يزيد على ألف ومائة جمل .

وفى سلخه[2] ابتدى بنفقة المماليك السلطانية وعددهم ألفان وسبعمائة مملوك لكل نفر منهم صرة ألف درهم فضة مصارفة عن مائة أشرفى ، سعر كل أشرفى مائتان وعشرون درهماً فلوساً ، مع أن الدينار إذ ذاك بمائتين وثمانين درهماً ، وكذا نفقات الأمراء التى حملت إليهم فضة سعر كل أشرفى مائتان وعشرون والدرهم باثنين وعشرين .

وفى هذا الشهر حل بأهل الوجه البحرى وبلاده وواديه من الظلم والجور والعسف مالا يمكن من نزول الأستادار والوزير عليهم :

شهر رجب

أهل بيوم الأحد :

(١) كان هذا السفر لقتال قرا يلك .

(٢) الملاحظ هنا أنه حدث لأول مرة أن يدأ الصرف من النفقة على الأمراء ثم من بعدهم على المماليك السلطانية وكان المألوف عكس ذلك ، وقد لاحظ هذا أبو المحاسن فقال فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٦٨٦ ، س ٥ — ٧ « إن قاعدة الملوك أن تنفق أولا على المماليك السلطانية ثم تنفق على الأمراء » ، ويرجع أبو المحاسن ذلك إلى ما كان عليه برسباى من بخل وشح وعدم محبة للسفر وإذا خرج إليه فإنما يخرج إليه « مخافة العار والقالة فى حقه » .

وفى ثالثه قدم الأستادار الوزير وصحبته خيول وجمال وأموال أخذها من الوجه البحرى ولم ينتطح فيها عنزان

[١٤٧ ب] وفى يوم الخميس ثانى عشره أدير محمل الحاج ولم يديروه كعادته المتقدمة من التجمل والركوب فى خدمته بل توجه به إلى تحت القلعة وأعيد ولم يتوجه إلى مصر ، وهذا شيء لم يتفق(١) فى المملكة الإسلامية .

وفى رابع عشره برزت خيام الجاليش خارج القاهرة عند الريدانية .

وفى سادس عشره خرج أمراء الجاليش وهم الأمير الكبير سودن من زاده عبد الرحمن وأمير سلاح إينال الجكمى والأمير قرقماس [الشعبانى] حاجب الحجاب والأمير قانباى الحمزاوى والأمير سودون ميق وعدتهم خمسة أنفار(٢) وباتوا بالمخيم الشريف ، وبرز المرسوم الشريف للأمراء البطالين بالتوجه إلى القدس فتوجه الأمير ألطنبغا المرقبى — حاجب الحجاب كان فى الأيام المؤيدية شيخ — والأمير أيتمش الخضرى — الأستادار كان — إلى القدس ، بعد أن كان لكل واحد من المذكورين عدة سنين ملازما لداره ، ورسم لأولاد الملوك الذين هم الأسياد ذرية الناصر محمد بن قلاون بعدم السكنى بقلعة الجبل وطلوعها والإقامة بها فأخرجوا فى أسرع وقت ، وحصل لهم بذلك الذل الشنيع بعد العز الرفيع وصاروا يدوّرون(٣) فى ظواهر المدينة وأزقتها على مكان يسكنونه حتى

(١) كان السبب فى عدم التجمل ولعب الرماحة هو اشتغال الرماحة بالتأهب للسفر صحبة السلطان إلى آمد .

(٢) لعله يريد أن يقول إنهم مقدمو ألوف .

(٣) الأرجح أن يكون ضبط هذه الكلمة على هذه الصورة ، وهى تعبير مصرى مألوف بمعنى « يبحث عن مسكن » .

بكت عليهم الرؤساء والفقراء وتفرقوا شذر مذر ، والجزاء من جنس العمل لأن أباهم الملك الناصر محمد بن قلاون فعل بأولاد الملوك من بنى أيوب كذلك ، وفعل الله بهم ذلك لأن أباهم الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب فعل كذلك بأولاد الخلفاء الفاطميين ، وكما تدين تدان .

وفى سابع عشريه أخلع على دولات خجا وأعيد إلى ولاية القاهرة عوضا عن التاج لسفره فى الخدمة الشريفة جليساً نديما مهمنداراً وأستادار صحبة ، وخلع على أحمد بن محمد بن على ويعرف بابن الشحنة شاهد القيمة واستقر فى حسبة مصر عوضا عن شمس الدين محمد بن أحمد بن العطار .

وفيه قدمت مطالعة متملك تونس وعامة بلاد المغرب أبى فارس عبد العزيز ومضمونها ما وقع من ملك الفرنج القطلان على جزيرة جربة .

وفى يوم الخميس تاسع عشره الموافق له أول فصل الربيع وانتقال الشمس إلى برج الحمل ركب السلطان وهو فى حشمه وخدمه ومماليكه وأطلابه وموكبه الجسيم جليل إلى الغاية واجتمع الخلائق والولدان والنساء والرجال لرؤيته حتى نزل بالمخيم وفى خدمته الأمير جقمق أمير آخور والأمير أركماس الظاهرى أمير دوادار والأمير تمراز القرمشى رأس نوبة والأمير جانم بن أخى السلطان والأمير يشبك المشد والأمير جانى الحمزاوى وهؤلاء من المقدمين وعدتهم ستة نفر ، ومن الأمراء الطبلخانات الأمير تمـــر باى الدوادار الثانى والأمير قرا خجا الشعبانى والأمير قرا سنقر من عبد الرحمن ، وقرر فى باب السلسلة من القلعة الأمير تغرى برمش أحد المقدمين الألوف ، والأمير خشقدم الزمام أحد الطبلخانات فى خدمة المقام الجمالى يوسف ولد المقام الشريف ، والأمير تانى بك نائب القلعة فى عدة من المماليك ، واستقر خارج القلعة الأمير آقبغا التمرازى

أمير مجلس وهو فى عمل الحسور، لكن رسم بحضوره بعد الفراغ منها ، وقرر الأمير إينال الشعبانى أحد الطبلخانات أن يكون أمير الحاج فى الموسم، ورسم بإقامة الأمير بردبك الإسماعيلى الذى هو صاحب ميسرة وأحد الطبلخاناة وإقامة الصاحب كريم الدين الأستادار الشهير بابن كاتب المناخ بالقاهرة .

وفى يوم الجمعة عشرينـــه سار السلطان من الريدانية وصحبته من تقدم ذكرهم من الأمراء والأعيان من المباشرين ومعه الخليفة والقضاة الأربعة وسافر فى الصحبة ناظر الدولة أمين الدين إبراهيم بن الهيصم وندم السلطان ولى الدين محمد بن قاسم :

شهر شعبان

أهل بيوم الإثنين .

وافق وصول السلطان إلى غزة ودخلها فى غاية الصحة والسلامة ومن معه، ووصل النجاب مخبرا بذلك، وأشهر النداء فى القاهرة بالأمان والاطمئنان والعدل وعدم الجور والظلم وأن لا يرمى على أحد من السوقة شىء من الأشياء لا جليلا ولا حقيرا .

وفى خامس عشره ــ الذى هو الإثنين ــ دخل السلطان إلى دمشق وأقام بها إلى عشريه وسار عنها قاصدا إلى حلب، ووصل نجاب فى سادس عشريه فدقت البشائر بالقلعة ونودى فى القاهرة بذلك .

شهر رمضان

أهل بيوم الثلاثاء .

فى خامسه وصل السلطان إلى حلب فنزل بظاهرها فى المخيمات[1] إلى حادى عشريه، ورحل عنها قاصدا مدينة آمد: وفى الحادى والعشرين قدم الخبر بذلك

---

(١) كانت هذه المخيمات فى منطقة رأس العبيد بحلب .

إلى قلعة الجبل فدقت بها البشائر، ونودى فى القاهرة وظوارها بذلك ، ونزل السلطان فى البيرة فى سادس عشريه :

شهر شوال

أهل بيوم الخميس :

فى تاسعه وصل نجاب وأخبر برحيل السلطان من ألبيرة بعد أن عدى الفرات [١٤٨ أ] فى سادس عشرى رمضان ، وفى يوم الإثنين تاسع عشره خرج المحمل وصحبه أمير حاج الأمير إينال الششمانى إلى الريدانية ثم انتقل إلى بركة الحاج ، ثم فى ثالث عشريه سار من البركة والحاج كلهم ركب واحد لقلتهم ولم يعهد قلة الحاج فى سنة من السنين مثل هذه .

وفى هـــذا الشهر وقع الحريق بنواحى القاهرة وبها أيضا، فاشتعلت نار بناحية شيبين القصر (١) وكان إذ ذاك وقت الدراس فاحترقت غلال كثيرة ، ومن العجب أن فأرة اجترت فتيلة سراج فى خن مركب مشحونة بالبضائع مرسية على ساحل مدينـــة مصر لتسير إلى بلاد الصعيد ، فأحرقت النار جميع ما فيها من البضائع ثم مشت إلى المركب فأحرقتها حتى صارت فحما بأجمعها وهى فى المـــاء ، ووقع الحريق فى دور متعددة بالقاهرة ومصر .

وفى يوم الأربعاء ثامن عشريه كسف من جرم الشمس نحو الثلثين فى برج السرطان لحد العصر (٢) بزيادة على الساعة ، وما غربت حتى بدأ الكسوف ينجلى ووافق وقت الكسوف أن اعتمت الآفاق وظهر بعض الكواكب :

---

(١) شبين القصر هو الاسم الذى ذكره ابن مماتى فى قوانين الدواوين لشبين القناطر الحالية ، أما شيبين القصر فهو اسمها القديم، وأما نسبتها إلى القناطر فتسمية من العامة بها لأنها « اشتهرت بالقناطر التى أنشأها عندها على بحر أبى المنجا الملك الناصر محمد بن قلاودن سنة ٧٣٥ » ، انظر عنها بالتفصيل محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ق ٢ ج ١ ص ٣٥ — ٣٦ .

(٢) هذا تعبير دارج بمعنى « إلى وقت العصر » .

شهر ذى القعدة

أهل بيوم السبت .

فيه أخذ قاع النيل فجاء ستة أذرع وثلاثة أصابع ونودى فى الغد بزيادة النيل .

وفى يوم الجمعة رابع عشره خسف أكثر جرم القمر وظهر من الأفق الشرقى منخسفا وانجلى الخسوف وقت العشاء وهذا من النوادر ، ووقع الخسوف القمري بعد كسوف الشمس بخمسة عشر يوما .

وفى خامس عشره وصل ساع على قدميه وصحبته كتاب السلطان الواصل إليه من آمد يتضمن أنه نزل عليها ، وقد خرج عنها عثمان بن طر على بن قرايلك بعد أن أشحنها بالمقاتلة والعسكر ليحاصروها .

وفى سابع عشره قدم نجاب بكتاب السلطان من آمد تاريخه العشر من شوال بمضمونه أن قرا يلك عزم على تعدية الفرات يريد حلب فأدركته العساكر السلطانية وقد نزل بعض جنده الفرات فقاتلوهم قتالا شديداً وقتلوا منهم وغرق منهم جماعة ، وأسر جماعة فضربت أعناقهم .

وفى رابع عشريه دقت البشائر بالقلعة ونودى فى القاهرة وظواهرها أن اسكندر بن قرا يوسف قدم بعساكره لنجدة السلطان ، ثم تبين كذب الراوى لهذا الخبر .

وفى هذا الشهر زادت أسعار الغلة فأبيع الإردب القمح بمائة وثلاثين درهما ، والإردب الفول والشعير من ثمانين إلى اثنين وتسعين بعد ما كان بستين ، وسبب هذا أن طائفة من الناس عند ابتداء الزيادة يشرعون فى مشترى الغلال وحوزها

عنادهم فينكشف ساحل البحر من ذلك ، ثم يعقب ذلك توقف الزيادة فيغلو السعر ، فإذا زاد النيل بعد ذلك إلى القدر المحتاج إليه انحل السعر وهذه تسمى الكذابة .

وفى ثامن عشريه عزل الأمير تغرى برمش نائب الغيبة دولات خجا عن ولاية القاهرة بسبب ما بلغه عنه من الظلم وقطع المصانعة واستقر بدواداره أعنى محمد — دوادار دولات خجا — زوج بنت يشباى فإنه كان سيوسا وله دربة فى الأمور ومعرفة بأحوال الناس، قال الشيخ تقى الدين المقريزى عنه لما ولى عوض دولات خجا « إنه مجهول لا يعرف ، ونكرة لا يتعرف » ومع هذا فالناس مع نائب الغيبة فى أمان واطمئنان وعدل ورخاء وهو حسن السيرة جميل السريرة متثبت فى الأمور ، شهم شجاع باسل كريم ، قسريب من الناس لا تعرف له فاحشة » .

شهر ذى الحجة

أهل بيوم الأحد .

فى سادسه وصل الأمير كمشبغا الأحمدى أحد الطبلخانات إلى القاهرة وعلى يده كتاب السلطان من الرها تاريخه ثامن عشر ذى القعدة ومضمونه أن السلطان رحل عن آمد بعد أن حاصرها خمسة وثلاثين يوما حتى طلب قرايلك الصلح فصولح، ورحل السلطان عنها بعساكره فى ثالث عشر ذى القعدة ودقت البشائر بالقلعة ونودى فى القاهرة وظواهرها بذلك ، ووصل الخبر بقدوم السلطان إلى حلب فى خامس عشر ذى القعدة وقدم دمشق فى تاسع عشره.

* * *

وفى الثامن والعشرين منه نودى على النيل بزيادة إصبع واحد لتتمة خمس عشرة ذراعا وثمانى عشرة إصبعا ، وأصبح الحلق يوم الأحد تاسع عشريه — الذى هو ثالث عشرى مسرى — وقد نقص البحر ستة أصابع فهرع الناس إلى شراء الغلال ، وقد وصل الإردب القمح إلى مائة وخمسين درهما .

* * *

وفيه خرج الأمير الأستادار الوزير إلى لقاء السلطان الملك الأشرف .

وفى ثامن عشريه خرج السلطان من دمشق قاصدا القاهرة وكان من أمره أنه خرج من حلب فى حادى عشرى رمضان فوصل إلى ألبيرة فى خامس عشريه وقد رسم للأثقال [١٤٨ ب] ومماليكهم وقضاة القضاة وأمثالهم بالإقامة فى حلب ، فعدى من الفرات بالمقابلة فى يومين ، ووصل الرها فى سلخه ، وأصبح من الغد سائرا حتى دخل آمد فى ثامن شوال ، وفى خدمته من الأمراء والمماليك السلطانية ونواب البلاد الشامية ومن معهم ومن انضم إليهم من التركمان والعرب والعشير مالا يعلم ذلك إلا الله ، فأقام على آمد وقد فر قرايلك منها إلى أرقنين وترك ولده بآمد عوضا عنه ؛ فحمى الوطيس وهاجت الحرب وترامى الفريقان بالسهام ، ثم فى يوم السبت عاشره من بكرة النهار زحف السلطان بمن معه من العساكر إلى وقت الضحى وعاد فلم يقع زحف بعد ذلك ، وقتل فى هذا الزحف من قلعة آمد جماعة معتبرون منهم مراد باك بن قرايلك بسهم وقتل حمزة الخازندار نائب آمد وجماعة ، وخرج من أهل آمد ومن العسكر نفر كبير وتقاتلوا فقبض جماعة السلطان على جماعة فقتلوا بعضهم وتركوا بعضهم فى الحديد ، ونزل محمود ابن قرايلك من القلعة فى عسكر جم وصعد على جبل سام يشرف على العسكر

واستمر يترصد الغلمان الذين يخرجون لأخذ القمح وغيره فيقتلهم، ومنع الميرة أن تصل إلى العسكر .

وفي يوم الإثنين قدم صاحب أكل واسمه دولات شاه فأكرمه السلطان وأخلع عليه وأنزله في العسكر، ثم قدم الملك الأشرف أحمد بن سليمان بن غازى بن محمد ابن أبي بكر بن عبد الله صاحب حصن كيفا باستدعاء حتى قرب من مخيم العسكر فوثب عليه جماعة من أصحاب قرايلك فقتلوه وقتلوا قاصد السلطان المتوجه إليه فلما بلغ السلطان ذلك حنــق وغضب واشتد ذلك عليــه وأرسل في إحضار قاتليهما — جماعة من التركمان والعربان فحضروا وصحبتهم عشرون رجلا من جماعة بن قرايلك ؛ ثم أرسلهم ثانيا فحضروا بثلاثين رجلا فأمر بتوسيطهم تجاه قلعة آمد، ثم أرسلهم ثالثا فحضروا بأحد وعشرين رجلا، منهم : قرا محمد أحد أمراء قرا يلك ، ومنهم صاحب ماردين ، فوسط قرا محمد ومعــه عشرون رجلا فوقع من الأمر العجيب أن رجلا منهم أفلت من وثاقه وصار يعدو والعسكر ينظر إليه ، ولا رماه أحد بسهم بل ولا قام إليه حتى وصل إلى قلعة آمد ونجا .

وفي أثناء هذا الأمر سار الأمير جار قطلو نائب الشام وصحبته عدة من النواب والأمراء والعربان والتركمان لمقاتلة قرايلك فالتقوا بجماعة من جهته ، فكانت بينهم وقعة قتل فيها جماعة من العرب التركمان وتأخر جار قطلو عن لقاء قرايلك فعند ذلك أرسل قرايلك قرا أحمد ابن عمه وكاتب سره إلى نواب الشام يترامى عليهم ويسأل في الصلح ، فمــا زالوا بالسلطان حتى قبل ذلك وأرسل إليــه شرف الدين أبابكر الأشقر نائب كاتم السر حتى عقد الصلح معه وحلفه على الطاعة ، وجهز إليه كاملية حرير وسمور وقباء حرير بوجهين وعليه طراز عرض ذراع ونصف وقماش سكندرى

نحو أربعة وثلاثين قطعة وسيف بسقط ذهب وفرس بقماش ذهب وأخلع على قصاده ، فلما كان بعد هذا قدم قاصد إسكندر بن قرايلك صاحب توريز وعراق العجم يخبر بقدومه إلى الخدمه السلطانية ، وأنه يحارب عدو السلطان فأجيب بالشكر والثناء ، وأخبر بأنه وقع الصلح مع قرايلك بعد سؤاله لعسكرنا فى ذلك مراراً، وأن الذى وقع عليه الصلح معه أن لا يتعرض لشئ من أطراف مملـكة الرحبة إلى دوركى وأن يسهل طريق الحجاج والتجار ونحـوهم من المسافرين ، وأن لا يتعرض لحصن كيفا ولا لرعيتها ولا لحكامها ولا للدولات شاه حاكم أكل ولا لقلاعه ، وأن يضرب السكة ويقيم الخطبة للسلطان بديار بكر وأن يمتثل مايرد إليه من المراسيم الشريفة .

ثم قدم الملك شرف الدين يحي بن الملك الأشرف صاحب حصن كيفا وقد استقر فى سلطنة الحصن أخوه الملك الصالح صلاح الدين خليل بن الملك الأشرف بتقدمة أخيه فخلع عليه ، وجهز للصالح خلعة وسيف ، ثم رحل السلطان ومن معـه عن آمد بعـد إقامته عليها خمسة وثلاثين يوما فى ثالث عشر ذى القعدة ، هذا بعـد أن غلت الأسعار حتى بلغ الإردب الشعير نحو دينارين فإنه كان يشترى بمائتين وسبعين درهما مؤيدية ، كل درهم منها بسبعة دراهم وتصرف من الفلوس التى هى نقد القاهرة ، وصرف كل دينار بثلاثين مؤيديا فضة ، وبلغ القدح الملح خمسة عشر درهما فضة ، وبلغ الرطل من السيرج والزيت ثلاثين درهما فضة ، هذا مع ما نهب من ضواحى آمد من الغلال التى لا يحصرها إلا الله تعالى وقال الشيخ تقى الدين المقريزى إنها تزيد على مائتى ألف إردب بمقتضى المحاسبة سوى ما انتهبه العسكر ، وخرب من الضياع ما لا يحصر وأخذ أخشابها فأحرقت ، وقطعت أشجارها فأتلفت ، ونهب ما فيها وفعـل بأهلها ما لا يمكن ذكره ؛ فلما وصل السلطان إلى آمد [١٤٩ ا] رسم للأمير إينال

الأجرود نائب غزة بالإقامة فى الرها وأمده بخمسة آلاف دينار وشعير وبقسماط وأرز وزيت وصابون وغير ذلك مما يحتاج إليه وسلاح كثير ، واستقر عوضه فى نيابة غزة الأمير جانى بك الحمزاوى ، ثم رحل فقدم حلب فى خامس عشرينه وتوجه منها قاصدا الشام فى خامس ذى الحجة ودخـل دمشق فى سابع عشره .

وعدت هذه السفرة من أشنع ما يكون لزيادة ضررها وعدم نفعها ، ولمـا أتلفه السلطان من المال بسببها حتى إن المال النقد الذى أنفق فيها من الخزائن الشريفة مبلغه خمسمائة ألف دينار ، وتلف له من الخيل والسلاح والجمال وغير ذلك مايكون نظير المـال المذكور ، وتلف للأمراء والعساكر بمصر والشام من المـال ما يبلغ قيمته مئات قناطير من الذهب ؛ هكذا ذكر عمدة المؤرخين المقريزى .

وتلف لأهل آمد من المال والغلال مالا يعلمه إلا الله وقتلوا منهم خلقا كثيرا ، هذا كله ولم يظفر السلطان فيها بنائل ولا بلغ بعض مقصوده والله تعالى يفعل ما يريد ويختار ، لا إله إلا هـو الواحد القهار ، وبالجملة فسرايا السلطان محفوفة بالظفر والنصر إلا تجرده بنفسه فإنه غير مشكور ، وهكذا كان حاله فى النيابة وغيرها .

* * *

وفيها احتال أصبهان بن قرا يوسف على أخذ بغداد من أخيه محمد شاه وجهز إليها أربعين رجلا محلوقى اللحى شبها بالقلندرية ودخلوا بغداد شيئا بعـد شئ وكان قد واعدهم على وقت معلوم عندهم فوافاهم فيـه وركبوا السور من الليل فوافاهم أصحاب إصبهان فرفعوا منهم جماعة وقتلوا المتوكلين بالأبواب ودخل بمن معه ، ففر شاه محمد بحشاشته فى المـاء واستولى إصبهان على بغداد

ومسك أعيانها وسلبهم جميع أموالهم وخربها بحيث لم يبق فيها من الأسواق سوى حانوتين فقط ، ولحق شاه محمد بأرض الموصل ، والله أعلم .

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

٧٢٠ – الشهاب أحمد بن غلام بن أحمد بن محمد بن الكوم ريشى فى سادس عشرين صفر وقد أناف على الخمسين ، وكان مشهورا بحل التقويم ويتكلم فى النجوم ، ولم ير بعده فى هذه الفن نظيره .

٧٢١ – وتوفى قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد الأموى المالكى بدمشق فى يوم الثلاثاء حادى عشر صفر وكان قد ولى قضاء القضاة المالكية بالديار المصرية فى أيام الملك المؤيد شيخ ، قال الشيخ تقى الدين المقريزى « ولم يشهر بعلم ولا دين » .

٧٢٢ – ومات نور الدين على بن جلال الدين محمد الطنبدى أحد أعيان التجار بالكارم المشهور بالمال الجزيل فى ليلة الجمعة رابع عشرى[1] صفر عن سبعين سنة وخلف أموالا[2] ، رحمه الله تعالى .

٧٢٣ – ومات الأمير علاء الدين منكلى بغا الصلاحى[3] أحد الحجاب فى ليلة الخميس حادى عشر ربيع الأول بعد مرضه سنينا ، وكان من جملة المماليك

(١) « رابع عشر » فى كل من إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٥٠٧ ، ترجمة رقم ١٤ ، والضوء اللامع ٦ / ٧٩ .
(٢) رغم كثرة الأموال التى خلفها إلا أنه ترك بعده آثارا هامة منها القاعة المطلة على البحر وتعرف بالطنبدية وتربة بالصحراء قرب الروضة وقيسارية مع ربع فى بولاق .
(٣) ويعرف أيضا بالعجمى .

الظاهرية برقوق وأحد داواداريته ، وولى الحسبة(١) فى أيام الملك المؤيد شيخ ثم عزل عنها وصار من جملة الحجاب ، وكان عنده بعض طرف من الفقه ، لكنه كان يكتب الخط الجيد المنسوب وأرسله السلطان الملك الناصر فرج رسولا إلى تيمورلنك .

٧٧٤ — وتوفيت والدة(٢) المنصور عبد العزيز بن الملك الظاهر برقوق فى آخر يوم من أيام شهر جمادى الآخرة وخلفت أموالا لا تحصر وكانت تركية الجنس، وهى أحد من بقى من أمهات أولاد برقوق ، وكان لها شهرة حسنة ودين متين ؛

٧٧٥ — وتوفى الأمير تغرى(٣) بردى المحمودي أتابك العساكر بدمشق مقتولا فى آمد فى شهر شوال ؛

٧٧٦ — ومات الأمير سودون بن عبد الله الظاهرى ميق أحد المقدمين الألوف مقتولا فى حرب آمد(٤) أيضا .

---

(١) كان فى أثناء توليه الحسبة قد شدد على النساء بصورة صورها بعض المؤرخين والشعراء بالقسوة ، حتى قال فى ذلك أحدهم :

لا تمسكى طرفى منكلى خلـقى
علقتو ميتين قبل ما يخـنقى

(٢) لم يرد اسمها الصريح فى ترجمتها المذكورة بالضوء اللامع ج ١٢ ص ١٤٨ ترجمة رقم ٩١٥ .

(٣) كانت وفاته قتلا فى حرب قرايلوك ، يؤيد هذا الإشارة إلى هذه الحرب فى الترجمة التالية ، هذا وقد ذكر السخاوى فى الضوء اللامع ٣ /١٣٩ أنه مات فى ذى القعدة من هذه السنة ، انظر أيضا النجوم الزاهرة ، طبعة بوبر ، ج ١ ص ٤٦ ، Melange de la Faculté deBeyrouth t.I, p. 360 - 363 .

(٤) وبها أيضا كان دفنه ، وقد وصفه البعض بأنه كان « متوسط السيرة » ، انظر النجوم الزاهرة ، ٦ / ٨٢٥ ، والمنهل الصافى ، ترجمته باسم سيف الدين سودون الظاهرى ، والضوء اللامع ٣ / ١٠٧٥ .

٧٢٧ — وتوفى الأمير جانى بك الحمزاوى وكان ولى نيابة غزة عوضا عن إينــال الأجرود وتوجه إليها فوافته المنيــة فى طريقه (١) ، كان لا للسيف ولا للضيف ، فأراح واستراح .

٧٢٨ — ومات الأمير تنبك بن عبد الله بن سيدى بك الناصرى المصارع (٢) أحد العشرات قتيلا بآمد .

٧٢٩ — وتوفى القــاضى تاج الدين عبد الوهاب بن افتكين كاتب السر بدمشق فى شهر ذى القعدة وولى عوضه نجم الدين (٣) يحيى بن المدنى ناظر الجيش بحلب .

٧٣٠ — وتوفى الملك الأشرف أحمـــد بن العادل سليمان بن المجاهد غازى ابن الكامل محمد بن العــادل أبى بكر بن الأوحد عبدالله بن المعظم توران شاه بن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن شادى صاحب حصن كيفا ، وقد حضر صحبة قاصد السلطان الملك الأشرف برسباى يستدعيه إلى آمـــد فى فى ذى القعدة (٤) ، وقد أقيم فى سلطنة الحصن بعد أبيه فى سنة سبع وعشرين ،

(١) يستفاد من قراءة النص أعلاه أن منية جانى بك الحمزاوى وافته وهو فى طريقه إلى غزة ، على حين أن السخاوى كان صريحا فيما أشار إليه فى الضوء اللامع ٣/٢٢٤ من أن موته كان قبل وصوله إلى آمد ، وذكر ابن حجر فى ترجمته إياه رقم ٨ بانباء الغمر ، ج ٣ ص ٥٠٥ أنه قبل وصوله إليها فى ذى الحجة ، وانظر أيضا النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٨٢٦ .

(٢) ويعرف أيضا بالساقى كما ذكر ذلك أبو المحاسن فى كل من النجــوم الزاهرة ج ٦ والمنهل الصافى ، وهو عند ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ٣ ، ص ٥٠٣ ، ترجمة رقم ٦ يعرف بالبهلوان .

(٣) الذى فى الضوء اللامــع ، ١٠ / ١٠١٦ أنه مات ســنة ٨٥٢ وكان له اهتمام بالتاريخ ويقال إنه خرج نفسه معجما .

(٤) يستفاد مما ذكره السخاوى فى الضوء اللامع ، ج ١ ص ٣٠٨ أنه مات قتيلا على يد جماعة من التركمان فى شوال وليس فى ذى الحجة كما هو بالمتن ، ولقد ترجمت له شذرات الذهب ج ٧ ص ٢١٨ لكنها أهملت النص على الشهر ، وفعل هذا من قبله ابن حجر فى إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٥٠٢ — ٥٠٣ ترجمة رقم ٢ .

من الفضلاء الأذكياء الأدباء، وله ديوان شعر ، وكان كريما محبا لأهــل العلم وولى بعده ولده الملك الكامل صلاح الدين خليل (١) .

* * *

وانقضت هذه السنة على أمور وأحوال وحوادث جمة فالله تعالى يقدر بخير وسلامة بجاه محمد وآله .

---

(١) كانت وفاته سنة ٨٥٦ مقتولا بيــد ولده ، وكان شاعرا ، نقل عنه السخاوى بعض شعره فى التبر المسبوك ، كما امتدحه الكمال بن البارزى فى قوله :

أبحر الشعر إن غــدت منك فى قبضة اليــد
غــير بــدع فإنهــا للخليــل بن أحمــد

أنظر شذرات الذهب ، ج ٧ ص ٢٩٠ .

سنة سبع وثلاثين وثمانمائة

استهلت هذه السنة وخليفة الوقت المعتضد بالله أبو الفتح داود ، وسلطان الإسلام بمصر والشام والحجاز وقبرس الملك الأشرف أبو النصر برسباى ، والأمير الكبير سودون من عبد الرحمن ، وأمير سلاح إينال الجكمى ، وأمير مجلس آقبغا التمرازى ، ورأس نوبة الأمير تمراز القرمشى ، وأمير آخور : جقمق ، والوزير الأستادار عبد الكريم بن كاتب المناخ ، وكاتب السر كمال الدين محمد البارزى ، وناظر الجيوش المنصورة القاضى زين الدين عبد الباسط الذى هو عظيم الدولة ومدبرها ، وناظر الخواص سعد الدين إبراهيم بن كاتب جـــكم .

وقضاة القضاة على حالهم .

ونواب البلاد الشامية والممالك الإسلامية وملوك الأطراف على عادتهم كما تقدم فى السنة الخالية .

وقد أبطأ وفاء النيل عن عادته والخلق فى هلع من ذلك ، وقد تكالبوا على شراء الغلال وبلغ سعر الأشرفى الذهب بمائتين وخمسة وثمانين درهما الدينار .

شـــهر الله الحرام

أهل بيوم الثلاثاء :

فيه نودى عل النيل بزيادة مانقص وزيادة ثلاث أصابع ، فعظم سرور النـــاس بذلك وأصبحوا يوم الأربعاء ثانيـــه — وسادس عشرى مسرى —

فنودي بوفاء النيل ستة عشر ذراعا وزيادة إصبعين من سبع عشرة ذراعا ، فحصل للمسلمين بذلك غاية الأمنية وحصل بذلك الرخاء للرعية وخلق المقياس وفتح الخليج على العادة .

وفى ثالثه قدم مبشرو الحاج .

وفى ثانى عشره وصل الخبر بحضور السلطان من الشام بمن معه فى أوله فنودى بالزينة فى المدينة فزينت الناس الحوانيت : ووافق اليوم هذا أول توت وهو النوروز بمصر وماء النيل على سبعة عشر ذراعا وثمانى أصابع :

وفيه قدمت أثقال العسكر .

وفى رابع عشرينه قدم الأمير أيتمش[1] الخضرى من القدس وتتابع حضور الأثقال بأمتعة العساكر وأحمالهم وتأهبت الأعيان للملاقاة .

وفيه طلع المقام الجمالى يوسف بن السلطان لملاقاة والده .

وفيه حصل مطر زايد عن الحد فلم يعهد فى الصيف مطر مثله ولاقريبه فأرجف أهل المعرفة بنقصان النيل فإن العادة إذا أمطرت السماء فى أيام الزيادة هبط النيل وكان كذلك ، ونقص فى يوم الجمعة ثامن عشره وقد بلغت زيادته سبع عشرة وثمانى عشرة أصبعا فنقص فى هذا اليوم بسبب المطر ستة وعشرين إصبعا ، فشرق من هذا الأمر غالب أراضى مصر لفساد جسورها وإهمال حفر الترع .

---

(١) هو أيتمش الخضرى الظاهرى برقوق نسبة إلى أنه كان من جملة مماليكه ، فلما جاء الناصر فرج أصبح من جملة الدوادارية ، فلما ولى المؤيد شيخ السلطنة جعله أمير عشرة وانتهى به المطاف أخيراً زمن برسباى لأن يستقر فى الأستادارية الكبرى ولكنه لم يوفق فيها ، كما كان الأشرف يكرهه وزاده كراهية فيه أنه أصيب فى جسمه ببياض صار يستره بالحمرة فأخرجه عن الأستادارية ونفاه إلى القدس وتكرر هذا النفى مرة أخرى زمن جقمق وكانت وفاته سنة ٨٤٦ ، وأجمع ابن حجر والعينى على أنه كان ينطوى على شر ، انظر عنه أيضا النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٨٦ ، والضوء اللامع ٢ / ١٠٦٠ .

وفى يوم الأحد عشرينه قدم السلطان من سفره وصحبته العساكر ودخل من باب النصر ، والقاهرة مزينة له ، فنزل بمدرسـته التى أنشأها بجوار العنبرانيين (١) وصلى ركعتين ثم ركب وطلع من باب زويلة حتى وصل إلى القلعة و قد فرشت له الشقق ، وخلع على أرباب الدولة ، وكان يوما عظيما إلى الغاية.

وفيه خلع على الأمير التاج الشوبكى وأعيد إلى ولاية القاهرة على عادته مع مابيده من شد الدواوين وغيره .

وفى ثانى عشريه قدم السبق من الحاج، ونزل المحمل بركة الحاج فى غده، وأخبروا بموت خلائق كثيرة بطريق المدينة من شدة الحر .

شـــهر صفر

أهـــل بيوم الخميس .

وهلعُ الناس وجزعهم متزايد فإن النيل تراجع بعضه حتى صار على سبع عشرة ذراعا، ثم نقص بعد ذلك تسع أصابع فطمعت الناس فى مشترى الغلة، وخزنها أربابها فوصل القمح إلى مائة وثمانين الإردب ، والشعير بمائة وأربعين الإردب ، وفقد الخبز من الأسواق عدة أيام وليالى .

وفيه ألزم السلطان الأستادار الوزير كريم الدين بن كاتب المناخ أن يحمل ما توفر عنده من العليق بالديوان المفرد فى مدة غيبة السلطان ، وجملته خمسون ألف أردب وكذا ما توفر من عليق للإسطبل الذى هو على الوزارة وجملته عشرون ألف إردب، ورسم بتسليم النواحى منه .

وفى ثانى عشرينه عزل داود التركمانى من الكشف بالوجه القبـــلى وسلم إلى الأمير آقبغا الجمالى الأستاداركان؛ وكان قد أنعم عليه بإمرة طبلخاناة عوضا

عن تنبك المصارع بحكم وفاته بآمد[1] ، فإن آقبغا ابيض وجهه فى خدمة السلطان بآمد وصار هو الذى يأخذ العشران والتراكمين ويتوجه بهم حتى يأخذوا الغلال وينهبوا البلاد ويقتلوا الأعداء ويأسروهم :

وفى هذا الشهر طلع فى جهة المغرب بالعشاء كوكب الدولية وطوله نحو الرمحين ورأسه فى قدر نجم فضى ثم رق حتى بقى ذنبه مما يلى المشرق :

وفيه أيضا توالت بروق ورعود وأمطار غزيرة متوالية بناحية الوجه البحرى وفى نواحى غزة والقدس الشريف .

وفيه وصل الخبر بأن الفرنج أخذوا من طرابلس الغرب تسع مراكب مشحونة بالبضائع والتجار والرجال قيمتها آلاف الدنانير ، وتصرفوا فيها كيفما شاءوا .

شهر ربيع الأول

أهل بيوم الجمعة .

فى ليلة الجمعة ثامنه عمل السلطان المولد النبوى على العادة .

وفى هذه الأيام انحل سعر الغلال لقلة من يطلبها وجاء هذا الأمر على خلاف مافى خاطرهم ، فإن الناس كان فى ظنهم ضد هذا الأمر :

وفيها طلب السلطان بعض المباشرين فاختفى (١٥٠ ا) فرسم بهدم داره فهدمت فى أسرع وقت حتى سوى بها الأرض .

وفيها أمر السلطان بإحراق معصرة لبعض المماليك فأحرقت حتى عفى أثرها وذهب رسمها .

(١) راجع ما سبق ص ٢٦٩ ترجمة رقم ٧٢٨ وحاشية رقم ٢ .

وفى ثانى عشره ركب السلطان فى موكب عظيم وخفر جسيم بالملوكى وطلع من قلعة الجبل حتى دخل من باب زويلة وخرج من باب القنطرة (١) يريد الصيد والرماية ليصطاد الجوارح والكراكى ثم عاد فى آخر رابع عشره .

وفى خامس عشره رسم السلطان بنصب المدفع الذى أعد لحصار قلعة آمد وهو عبارة عن مكحلة نحاس زنتها مائة وعشرون قنطارا مصريا ، وكان نصب هذا المدفع فيما بين القرافة وباب الدرفيل ، فرمى إلى جهة الجبل بعدة أحجار مازنته خمس مائة وسبعون رطلا ، هذا والسلطان جالس بأعلا سور القلعة يشاهد ذلك ، واجتمع الجم الكبير من الناس واستمر الرمى بذلك عدة أيـام.

وفى ثانى عشريه (٢) برز المرسوم الشريف بإخراج الأمير الكبير الذى هـو سودون من عبد الرحمن إلى القدس بطالا ، فاستشفع وسعى أن يعفى من القدس وأن يستمر بداره بطالا ويلزم داره ، فرسم له بذلك وأنعم على الأستادار الذى هو الوزير بإقطاع الأمير الكبير زيادة فى الديوان المفرد ولم يقرر أحد عوضه فى الإمرة الكبري .

وفى هـذا الشهر وصل الخبر من أهل دمياط أن الرياح العاصفة ثارت بها فأتلفت لهم نخيلا كثيرة ، وتلف من قصب السكر المزروع شىء كثير ، وهدمت عدة دور ، وهرب غالب النـاس إلى ظاهر البلد لعظم ماحل بهم من البـلاد وسقطت صاعقة عظيمة فأحرقت شيئا كثيرا ، ثم أعقب ذلك مطر مغرق ، ولم يكن فى القاهرة — بحمد الله — شىء من ذلك .

(١) انظر المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٣٢٨ — ٣٢٩ .
وهو واقع فيما بين حارة بهاء الدين قراقوش وسويقة أمير الجيوش ، وكان قديما يعرف بحارة المرتاحية وحارة الفرحية والرماحين . أنظر أيضا نفس المرجع والجزء ، ص ٢١٠ س ١٥ — ٨ .

(٢) الوارد فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٧١٣ أن ذلك كان يوم الثلاثاء الثانى عشر من ربيع الأول .

وفى سادس عشرينه خلع على شمس الدين محمد بن شهاب الدين أحمد ابن الكشك[١] واستقر فى قضاء الحنفية بدمشق عوضا عن أبيه بحكم وفاته بمال وعد به ، واتفق أن ابن الكشك هذا أول مرة كان له نقيب يدعى « دخان » فهجاه المارديني بأبيات :

لما رأيت الكشك فى دسته وقد ألم به الدخان

أنشدت معلنا :

لقد كنت قبل اليوم للكشك كارها فكيف إذا ماصار كشكا مدخنا

وأما الأبيات المشهورة :

الكشك ريح غليظ محرك للسواكن

جدره در وبر نعم الجدور ولكن :

وفيه خلع على عبد العظيم بن صدقة[٢] الأسلمى القبطى وأعيد إلى نظر ديوان المفرد عوضا عن تاج الدين الخطير وكان بطالا من قبل سفر السلطان إلى الشام.

شهر ربيع الآخرة

أهل بيوم السبت :

فيه خلع على دولات خجا المعزول عن ولاية القاهرة واستقر فى ولاية المنوفية والقليوبية :

وفى ثالثه سرح السلطان إلى الصيد وعاد فى خامسه :

---

(١) راجع ابن طولون : قضاة دمشق ، ص ٢١٤ — ٢١٦ ، ٢١٨ ، والضوء اللامع ٧ / ٢٢٩ .

(٢) انظر عنه الضوء اللامع ٤ / ٦٢٠ .

وفى عاشره خلع على الأمير إينال الششمانى واستقر نائبا بصفد عوضا عن مقبل بعد وفاته، واستقر خليل[1] بن شاهين الخياط — الذى تزوج بأخت[2] خوند جلبان — فى نظر الإسكندرية عوضا عن فخر الدين بن الصغير، وهذا المذكور — الذى هو خليل — أبوه — من مماليك الأمير شيخ الصفوى وسكن القدس حتى ولد له به خليل هذا ونشأ، ثم قدم إلى القاهرة من قريب واستقر حاجب الإسكندرية ثم عزله فسعى فى النظر بمال حتى وليه مع الحجوبية.

وفى حادى عشره خلع على الأمير آقبغا الجمالى واستقر كاشف الوجه البحرى، عوضا عن صفد باك بن سقل سيز التركمانى، وأضيف إليه [كشف] الجسور أيضا.

وفى ثالث عشره ركب السلطان من القلعة وصحبته ناظر الجيش وكاتب السر والتاج الشوبكى بعد الخدمة، وتوجه إلى المارستان[3] المنصورى للكشف عن أحواله وأن يستبد هو بالنظر، ورسم أنه لن يولى نظره أحدا بعد الأمير سودون من عبد الرحمن، وأقام صفى الدين جوهر الطواشى متكلما فى ما يحدث من الأمور، فاستمر على ذلك.

(١) راجع عنه النجوم الزاهرة، ج ٦ ص ٧٤٢، ٧٤٦، ٧٥٣، والسيوطى: حسن المحاضرة، ج ٢ ص ١٣٠.

(٢) يعنى بذلك أنها أخت خوند جلبان أم العزيز يوسف، أما هى فتسمى بأصيل، كما ذكر ذلك السخاوى فى الضوء اللامع، ج ٣ ترجمة رقم ٧٤٨ ص ١٩٥ س ٢٦، ولكنه لم يترجم لها بل ذكر (نفس المرجع، ج ١٢ ص ٧ ترجمة رقم ٣٥) تحت كلمة «أصيل» واحدة أخرى قال إنها ابنة المجد سالم بن عبد الوهاب الأحمدية.

(٣) كان توجه السلطان إلى البيمارستان المنصورى بسبب أنه هو نفسه أصبح ناظرا على هذا البيمارستان وذلك منذ أن أمر بأن يلزم سودون من عبد الرحمن داره، يضاف إلى هذا أن برسباى ضرب رنكه على باب البيمارستان، وقد استنكر أبو المحاسن ذلك فقال: «وهذا شيء لم تعهد بمثله . . . وكانت العادة جرت من مدة سنين أن كل من يلى الإمرة الكبرى سيكون هو الناظر على البيمارستان»، انظر النجوم الزاهرة، ج ٦ ص ٧١٣.

شـــهر جمادى الآخرة

أهـــل يوم الإثنين .

فى سادسه خلع على نظام الدين بن مفلح وأعيد إلى قضاء الحنابلة بدمشق عوضا عن عز الدين عبد العزيز البغدادى .

وفى ثامن عشرينه استقر حسين الكردى فى كشف الوجه البحرى عوضا عن آقبغا الجمالى بعد قتله بالبحيرة فى حرب وقع بينه وبين عربها ، وقتل معه جمـــاعة من مماليكه ومن العربان ، وكنت إذ ذاك مسافرا مع الأمير آقبغا المذكور صحبة والدى رحمه الله فإنه كان من أجلاء أصحابه وله عنده منزلة عظيمة : وخلع على الوزير الأستادار عبد الكريم جبة بفرو سمور لتوجهه إلى البحيرة ومعه حسين الكردى لعمل مصالحها واسترجاع ما نهبه أهلها من متاع المرحوم آقبغا الجمالى ، وكتب إليهم بالعفـــو عنهم وأن آقبغا تعدى عليهم فى تحريق بيوتهم [١٥٠ ب] وأخذو أموالهم ونحو ذلك مما تحصل به الطمأنينة لهم عسى أن يؤخذوا من غير فتنة ولا حرب .

* * *

وفى ليلة الجمعة سادس عشرينه أمطرت السماء بمكة مطراً غزيراً فسالت منه الأودية وخيف منه على مكة — حماها الله — وأهلها ، حتى إن المـــاء صار فى المسجد الحـــرام مرتفعا أربعة أذرع ، فلما أصبح الناس يوم الجمعة ورأوا المسجد أزالوا عتبـــة باب إبراهيم حتى خرج المـــاء من أسفله وبقى الطين فى سائر أرض المسجد قدر نصف ذراع فى ارتفاعه ، فانتدب لإزالة ذلك عدة من التجار ، وهدم فى الليلة المذكورة دور كثيرة يقول المكثر زيادة عن ألف دار ، ومات تحت الهدم إثنا عشر إنسانا ، وغرق من المطر ثمانيـــة

أنفس، ودلف سقف الكعبة حتى ابتلت الكسوة التى بداخلها وامتلأت القناديل، وحدث عقيب هذا السيل بمكة وأوديتها وباء طرق من المدينة الشريفة .

شـــهر جمادى الآخرة

أهـــل بيوم الثلاثاء .

رسم بعد القزارين[١] المقيمين بالثغر السكندرى فوصل عدتهم ثمـــان مائة نول [وكان] أحصى عدتهم الأمير محمود الأستادار فى [سنة] بضع وتسعين وسبعمائة فوصلوا أربعة عشر ألف نول ونيف ، ففشا الظلم فيهم من الحكام وكثرة الجور وشؤم السيرة فتشتتوا فى البلاد شذر مذر .

وفى ثالثه توجه كريم الدين الوزير إلى البحيرة .

وفى ثانى عشريه برز المرسوم الشريف باستقرار جلال الدين أبى السعادات محمد بن أبى البركات بن أبى السعود بن ظهيرة فى قضاء الشافعية بمكة على عادته عوضا عن كمال الدين محمد بن الشيبى بحكم وفاته .

وفى سابع عشره وثب مماليك الطباق على المباشرين ورجموهم كما هى عادتهم ، وسبب هذا تأخير الجامكية عنهم .

وفى يوم السبت سادس عشرينه شاع الخبر بأن السلطان لزم الوساد بسبب ألم حصل عنده فى باطنه ، ولم يمكنوا أحدا من المباشرين من الدخول إليه ، وأرسل بصدقة ففرقت فى الفقراء والمستحقين وهـــو محجوب عن الناس إلا من نديميـــه بدرالدين محمد بن قاسم والتاج الشوبكى ليس إلا . ثم فى يوم

(١) أى الحاكة ، انظر النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٧١٤ .

الثلاثاء تاسع عشرينه دخل[1] الأمراء لعيادة السلطان فوجدوه فى ألم شديد فأسرعوا فى الخروج ، وفى تلك الليلة عوفى من مرضه .

شــهر رجب

أهــل بيوم [الخميس] .

فيه عملت الخدمة السلطانية بالبيسرية[2] وقد عوفى السلطان من ألمه وبؤسه وشهد صلاة الجمعة من الغد على عادته ، وخلع على الأطباء فى يوم السبت ثالثــه .

وفى يوم الخميس ثامنــه ركب السلطان من القلعة ودخل من باب زويلة وتوجه إلى خليج الزعفران وعاد إلى القلعة .

وفى ثانى عشره أدير محمل الحاج على العادة .

وفى خامس عشره نودى فى القــاهرة بسفر الحجاج إلى مكة المشرفة صحبة الأمير أرنبغا الناصرى ، وقد كتب معــه عدة من المماليك السلطانية واهتم[3] الناس فى التهيؤ للسفر .

وفى سابع عشرينه وصل الأمير يربغا التنمى الحاجب وصحبته سيف الأمير جارقطلو نائب الشام ، وأخبر بوفاته بعد تمرضه شهرا ونصف شهر .

---

(١) فى الأصل « دخلوا » .

(٢) تقع هذه الدار بخط بين القصرين بالقاهرة ، وقد بلغت من السعة حدا كبيرا يقرب من فدانين ، وكان « رخامها من أبهج رخام عمل فى القاهرة وأحسنه صنعة » ، وكانت بيد ورثة الأمير بيسرى شمس الدين الصالحى النجمى أحد مماليك الصالح نجم الدين أيوب المتوفى سنة ٦٩٨ ، ولما كانت سنة ٧٣٣ طمع فيها الأمير قوصون فملكها ؛ انظر ذلك بالتفصيل عن الدار وصاحبها المقريزى الخطط ، ج ٢ ، ص ٤١١ — ٤١٣ .

(٣) فى الأصل « واستهتم » .

وفى تاسع عشره قدم الوزير الأستادار البحيرة وقد طيب خواطر العربان وأخذ بعض ما أخذوه من متاع المرحوم آقبغا الجمالى ، فإنه على ما بلغنى أنه كان كاتب العرب أن يقتلوه لما ظهر له من تفحل أمره ونهضته وسداده وشجاعته وبسالته وتقدمه عند السلطان فى سفرة آمد وخدمته له حتى أعطاه طبلخاناة عوضا عن تنبك المصارع ، وكان قد عين لوظيفة الأستادارية والوزر عوضا عن كريم الدين المذكور وتسلمه فسبقه هو .

وسبب قتله من العربان أنه لما وصل إلى دمنهور وكنت إذ ذاك إماماً له ، ووالدى أعز أصحابه ومقام والده دخل قلوب العربان الطائعين والعاصين منه رعب كبير وصار يمسك المؤذى فيتلفه ، واجتمع عنده من المشاة نحو المائة ، ومن المماليك المشترى نحو الخمسين ومن الخدامة نحو المائة ، وسار فى أقليم البحيرة فمهده أحسن تمهيد واستخرج أموالا منه لها سنين لم ينهض أحد باستخراجها ، وسار من دمنهور إلى تروجا وإلى مريوط ، وكبس على العاصين ونهب أموالهم ، وأراد الرجوع من مريوط إلى دمنهور (قلعة حكمه ولها سور يحفظها) ، فجاء إليه العربان الطائعون عند رحيله وقالوا له : إن فى طرف الوادى من الأغنام نحو العشرة الألف رأس صحبة العصاة وعدتهم نحو الخمسين راجلا ، ومرسوم الأمير يجهز صحبتنا عشرين ثلاثين مملوكا لنظفر بهم ونعود فى أسرع وقت قبل الظهر ، فعند ذلك قدر ما كان وبادر هو بالمسير إليهم فى عدد يسير من مماليكه وأرسل غالب مشاته وعساكره وسلاحه إلى دمنهور وتوجهت أنا معه فساروا به فى البساط سيرا حثيثا وكلما ساروا به يقولون « وصلنا » ، إلى أن قرب الظهر ونزلوا إذ وافاهم من كانوا وأعدوهم من العربان العاصين وهم على ظهور الجمال والخيول ومعهم رايات بيض وطبول تضرب على الجمال ، وانتشر عددهم حتى لعله يزيد على الألفين ، وهو لم يروعه كثرة عددهم

وعددهم [١٥١ ا] لمـــا قدره الله من الأزل ، فلما شاهدت ذلك بالعيان رجعت مسرعا من حيث جئت وما وصلت إلى تروجا واستمر مقامى بها شيئا يسيراً جدا إلا والعربان جالت وصالت فى البلاد والعباد ، فبادرت بالفرار إلى دمنهور ، وما مضى العصر حتى حضر غالب من كان معه إلينا وأخبروا بقتل الأمير آقبغا وذكروا أنه صار يقاتل حتى نفد مامعه من النشاب ثم بالسيف وهو على ظهر فرسه حتى عرقبوا فرسه ، وآخرذا قتلوه وقطعوا مذاكيره وعلقوه فى بئر وصار النساء والرجال منهم يحضرون إليه ويلطمون وجهه مدة حتى واراه من واراه فى قبره رحمه الله .

ولقـــد كان من الشجعان الأبطال ، وأما الكرم فـــلا رأينا ولا سمعنا بمثله فى عصرنا ، مدحه شخص بقصيدة وعرض له فيها أنه يريد الحج فرسم له بجمل وذهب وكسوة ، وأمثال هذا .

* * *

وفى تاسع عشرينه كتبت المراسيم الشريفة أن ينتقل الأمير قصروه نائب حلب إلى نيابة الشام عوضا عن جارقطلو بحكم وفاته، ورسم أن يتوجه بالتقليد والتشريف الأمير خجا سودون أحد روس النوب من أمراء الطبلخاناة ، وخلع على الأمير قرقماس الشعبانى حاجب الحجاب فى نيابة حلب عوضا عن الأمير قصروه بحكم انتقاله إلى دمشق وأن يكون مسفره الأمير شاد بك أحد رءوس النوب من أمراء الطبلخانات ، وخلع على الأمير يشبك المشد الظاهرى ططر واستقر حاجب الحجاب عوضا عن الأمير قرقماس الشعبانى بحكم استقراره نائب حلب ، وأنعم بإقطاع قرقماس على الأمير آقبغا التمرازى أمير مجلس ، وبإقطاع آقبغا المذكور على الأمير يشبك، وخلع على الأمير إينال الحكمى أمير

سلاح واستقر أميرا كبيرا أتابك العساكر عوضا عن سودون من عبد الرحمن وكانت هذه الوظيفة شاغرة مدة ، وخلع على الأمير جقمق أمير آخور واستقر أمير سلاح عوضا عن إينال الجكمى بحكم انتقاله إلى الإمرة الكبرى ، واستقر أمير آخور كبيرا الأمير تغرى برمش أحد المقدمين الألوف الذى كان نائب الغيبة ، ورسم بإخراج سودون من عبد الرحمن من القاهرة إلى دمياط ، ورسم للأمير يربغا التنمى لسفر الأمير قصروه بنيابة الشام .

شهر شعبان

أهل بيوم الجمعة .

فيه نودى بالقاهرة ومصر أن لا يتعامل الناس بالدراهم القرمانية ونحوها مما يجلب من البلاد وأن تكون المعاملة بدراهم السلطان لا غير ، وأن يكون الأشرفى والفلوس على حالهما ، وطلبوا الصيارف وضربوا ضربا مبرحا فإنهم نهوا عن ذلك مرارا ولم يسمعوا ولم يطيعوا .

وفى سابعه خلع على الأمير الكبير إينال الجكمى واستقر فى نظر البيمارستان المنصورى واستقر على عادة من تقدمه .

وفى تاسعه خرج المماليك المتوجهون صحبة الأمير أرنبغا وتبعهم وانضم إليهم عدد كبير من الرجال والنساء يريدون الحج .

وفى هذا الشهر — والذى قبله — رسم السلطان أن يؤخذ من كل قرية من قرى البلاد الشرقية والغربية والمنوفية والبحيرة فرس أو قيمتها خمسة آلاف درهم إن لم توجد، بل ومن بعض النواحى عشرة آلاف درهم، ويحتاج أهل الناحية بعد هذا إلى شيء آخر لمن يتولى أخذ ذلك منهم وضبط ديوان الجيش قرى أرض مصر كلها قبليها وبحريها فكانت ألفين ومائة وسبعين قرية ، وكان

المسبحى قد ضبطها فوصلت إلى عشرة آلاف قرية ، فانظر مابينهما من التفاوت ، والعدل يعمر والظلم يخرب .

وفى رابع عشره خلع على الأمير قرقماس نائب حلب وتوجه إلى كفالته فى أبهة جميلة بالنسبة إلى هذا الوقت وشبه خلعته التى أخلع عليه بها ططرى صوف بفروسمور ومن فوقه قباء نخ بفرو قاقم .

وفى تاسع عشره ختن السلطان ولده المقام يوسف ، ووالدته أم ولد جاركسية أسمها جلبان ، وبلغت عظمة فى الجمال والمال والحرمة الوافرة والسيادة ، وامتحن السلطان بحبها الحب الزائد ، وختن مع ولد السلطان أربعون صغيرا بعد ما كسوا وبادر المباشرون بتقاديمهم من الذهب والقماش والحلوى وعمل لهم مهمان : مهم للرجال ومهم للنساء شاع أمره وذكره :

وفى يوم السبت ثالث عشريه هرب الوزير عبد الكريم بن كاتب المناخ ، وأخلع على القاضى أمين الدين إبراهيم بن تاج الدين عبد الغنى ناظر الدولة واستقر فى الوزارة عوضا عنه .

وفى يوم الأربعاء سابع عشرينه ظهر الوزير كريم الدين وطلع القلعة فخلع عليه قباء كان لابسه السلطان ونزل إلى داره على أنه أستادار ، ثم خلع عليه من الغد : وكان موكبا جليلا جسيما إلى الغاية والنهاية ، وكان السلطان — لما فقد الوزير كريم الدين — رسم لعظيم الدولة القاضى زين الدين عبد الباسط ناظر الجيش باستقرار [١٥١ ب] دواداره جانى بك أستاداراً عوضا عنه فلم يوافق على ذلك خوفا مما يحصل ، ودفع ذلك عنه بكل طريق وبادر إلى تحصيل ابن كاتب المناخ حتى طلع به وأخلع عليه ، وعين القاضى سعد الدين إبراهيم بن كاتب جكم ناظر الخاص أستاداراً إذ ذاك فسعى فى الإعفاء حتى ظهر عبد الكريم .

وفى هذا الشهر وصل الخبر بأن الوباء اشتد بمكة وأوديتها حتى بلغ عدة من يموت بمكة خمسين ما بين رجل وامرأة وصغير .

شهر رمضان

أهل بيوم السبت .

فى ثانيه وصل قاصد متولى دمياط وأخبر أن الفرنج القطلان أخذوا من ساحل بيروت خمس مراكب فيها بضائع كثيرة جـدا ورجال ، وجهز ملك القطلان كتابا إلى متولى دمياط ليوصله للسلطان مضمونه الحطّ على السلطان ومخاشنته فى الخطاب بسبب أن الفرنج شكوا من جور السلطان ومنعهم من مشترى الفلفل من التجار وإلزامهم بمشترى الفلفل من السلطان ، فإن فى ذلك ضررا كبيرا عليهم بل وعلى التجار المسلمين أيضا ، فلما قرئ هذا الكتاب على السلطان احتد حدة مفرطة ومزق الكتاب كل ممزق .

* * *

وفى هذه الأيام قطع السلطان عدة مرتبات لأرباب البيوتات والضعفاء والفقراء والمستحقين من الجامكية بديوان المفرد، ومن اللحم بديوان الوزارة ومن القمح للجراية على منفلوط ، ومن المرتب على الإصطبل ، فحصل بذلك غاية الضيق على الناس واغتموا لذلك ، وجرت العادة فى مثل هذا الشهر أن يوسعوا على الفقراء والمحتاجين لاسيما على أهل البيوتات فاقتضى الحال قطع أرزاقهم حتى يقوم أمر الدواوين .

* * *

وفى هذه الأيام عينت تجريدة من المماليك السلطانية ثم جهزت لهم السفن من ثغر دمياط ليركبوها فى البحر الأجاج ويجولوا فيه عساهم يظفرون بالفرنج الذين فعلوا بساحل بيروت ما فعلوا أو يظفرون بغيرهم لعلهم يرتدعون وينكف أذاهم عن المسلمين.

وفى ثانى عشرينه وصل الأمير قرقماس الشعبانى إلى حلب وما استقر قراره بها حتى حضر إليه قاصد من الرها يعلمة بأن ابن قرا يلك حضر لمحاوبة الأمير إينال الأجرود الذى هو نائبها فكان بينهما وقعة ، وآخرها هرب ابن قرا يلك فبادر الأمير قرقماس [نائب حلب] للتوجه إلى الرها .

وفى هذا الشهر تناقص الوباء بمكة — شرفها الله تعالى وعظمها .

شهر شوال

أوله الأثنين .

حصل فى رؤية الهلال مالا يمكن شرحه بل ولا اتفق أصلا، وذاك أن أصحاب التقاويم وقع اتفاقهم فى حسابهم أن هلال شهر رمضان فى ليلة السبت لا يمكن رؤيته لأنه يكون مع جرم الشمس ، فلما كان عند الغروب تراءى الناس من كل مكان واجتمع القضاة والأعيان لرؤيته بالمدرسة المنصورية بالبيمارستان وتراءى السلطان بنفسه وجمع مماليكه لذلك حتى النساء فى الأسطح من مصر والقاهرة وعندهم مئون ألوف لا يحصى عددهم إلا الذى خلقهم فلم يروه ولا سمعوا بمن رآه وانفلوا على ذلك فلما أقبل الليل يظللهم جاءهم — أعنى القضاة — رجل من الشهود الذين يتكسبون فى الدكاكين ويأخذون على الشهادة جعلا ، وأخبر برؤية الهلال فدفع إلى بيت قاضى القضاة الشافعى وشهد عنده بذلك فأمر بحمله إلى السلطان وهو ثابت على شهادته باق على رؤيته مصمم على صحة شهادته ، فانتصب بعض نواب الحنبلى وأثبت الشهر بشهادة هذا الشاهد أول رمضان ، ونادى النقباء الذين فى الحسبة بأسواق مصر وحاراتها بصوم الناس من الغد فإنه من رمضان ، وأصبح الناس صائمين وألسنتهم لاهجة بالوقيعة فى القضاة والشهود واستمروا على ذلك ، ثم بعد هذا بأيام حضرت الكتب من البلاد والنواحى أنهم تراءوا الهلال ليلة السبت فلم يروه ،وأن ابتداءهم الصوم

من يوم الأحد ، فلما انتهى الصوم إلى ليلة الإثنين التي زعم الشاهد على زعمه أنها أول ليلة من شهر شوال تراءى الناس الهلال على العادة من كل مكان من القلعة والمدارس وما بينهما وما حولهما فلم يروه ، فحضر بعض نواب القضاة و[أخبر] أنه رآه وأنه ثبت عنده بشهادة من رأوه أيضا أن هلال شوال غدا يوم الإثنين ، وفي الواقع فهذه من الحوادث الفوادح ، قال شيخنا الشيخ تقي الدين المقريزي في هذا الموضوع : « كانت حادثة لم ندرك قبلها مثلها وهي أن الهلال بعد إكمال ثلاثين يوما لم يره أحد من الخلائق الذين لا يحصى عددهم إلا الله مع اهتمامهم وتهيئهم على رؤيته وقد خلت السماء من المطر والغيم ، وقد جرت العادة بأن يتساوى الناس في رؤيته أن يروه ، وأوجب ذلك تزايد الناس في الوقيعة في القضاة بل وفي سائر الفقهاء حتى لقد أنشد بعضهم لمحمود الوراق رحمه الله تعالى :

كنا نفر من الولاة الجا ثرين إلى القضاه
والآن [نحن] نفر من جور القضاة إلى الولاه »

* * *

وفي ثانيه توجه المماليك السلطانية المجردون في بحر الملح من دمياط إلى الجهاد وعدتهم ثلاثمائة مملوك : مائتان من المماليك السلطانية [١٥٢ ا] ومائة من مماليك الأمراء وعليهم ثلاثة أمراء من العشرات ، وأنفق السلطان في كل مملوك منهم ألفا وخمس مائة درهم عوضا عن خمسة أشرفية :

وفيه برز الأمير قرقماس إلى الرها .

* * *

وفي ثامن عشره وصل الخبر يتضمن وقعة إينال العلائي الأجرود ، وسببها أن بعض أمراء حلب صادف بين بساتين الرها جماعة من التراكمين وكان خرج

ليسير فقاتلهم وهزمهم ، وبلغ الخبر بذلك إلى الأمير إينال فجهز من مدينة الرها نجدة له ، فخرجت عليه من ثلاثة مواضع ثلاثة كمائن ، ووقع بينهم قتال وحرب قتل فيه من الفريقين جماعة ، ولحق إينال بالمدينة وقوى عزم السلطان على السفر ، وبرزت المراسيم الشريفة إلى البلاد الشامية بتجهيز الإقامات والعلافات ونحوها .

وفى عشريه خرج محمل الحاج صحبة الأمير قرا سنقر من بركة الحاج وصحبته الكسوة للكعبة الشريفة ، وصحبتهم من المغاربة والتكرور والإسكندريين حجاج لا يحصى عددهم إلا الذى فطرهم .

وفى ثانى عشرينه دخل أمير الحاج من البركة .

وفى ثالث عشريه رسم بأن يكتب إلى النواب بالبلاد الشامية بالخروج لنجدة الأمير إينال بالرها ، ثم رسم بمنع ذلك وأن يكتب لهم إذا صح عندهم نزول قرا يلك على الرها — [أن] يسيروا لقتاله .

* * *

وفيه رسم باستقرار خليل بن شاهين [الشيخى] ناظر الإسكندرية وحاجبها فى استقراره نائبا بها مضافا لما بيده مما تقدم ذكره ، فياليت شعرى إذا كان النائب هو الحاجب فماذا يصنع ؟ فإن الحاجب معد للوقوف بين يدى النائب ، وهذا أمر لم يعهد قبل هذا .

وسبب استقراره فيها أنه سأل المواقف الشريفة بثلاثة آلاف دينار حاضرة عاجلة وثلاثة آلاف أخرى آجلة بعد أشهر ، فأجيب إلى سؤاله ، وأنشد فى ذلك قول من قال وأجاد فى المقال :

هى الأيام قد ساء كلها حتى ليس فيها عجائب

وقدم قاصد من بغداد كان جُهز لكشف الأخبار وأخبر أن إصبهان بن قرا يوسف فعل أفعالا شنيعة فظيعة ، منها أنه لما أخذ بغداد من أخيه شاه محمد بن قرا يوسف أساء السيرة بالرعية وأخرجهم بعد أخذ أموالهم وسبي حريمهم وذراريهم ولم يترك لهم جليلا ولا حقيرا ولا ماله قيمة ولا ما يُنتفع به ، وتشتتوا في بلاد الله الواسعة بأزواجهم وأولادهم وذراريهم ، ولم يتأخر ببغداد سوى ألف رجل من جند أصبهان ولم يتأخر من أفرانها سوى ثلاثة برسم خبز الخبز فقط ، ولم يبق سوق ولا حانوت ولا سكان ، وكذا فعل بالموصل وأخربها حتى صارت يبابا وسلبهم أموالهم وأسرهم وأخرجهم منها فتمزقوا في البلدان والأقطار واستولى عليها العربان : وصارت الموصل منازل للعرب بعدما كانت فيه من الغاية والترف والعلو ، وأخذ أموال [أهل] المشهد[1] وأزال نعمهم وسلبهم جميع ما يملكونه وأخرجهم وعيالهم فشتتهم في البلاد من مكانهم الذى كانوا فيه إلى أن وصل منهم جماعة إلى الشام بل إلى مصر .

وقدم جنيد أحد أمراء الآخورية وكان قد توجه إلى أبي فارس عبد العزيز ملك المغرب وعلى يده كتاب السلطان بمنع التجار من حمل الثياب المغربية المنسوجة حواشيها بالحرير ، وأن يلزمهم بقود الخيول ، فوجده متوجها من بجاية إلى فاس فأكرمه ورسم بذلك فنودى به في أعماله ، وأرسل جوابا وجهز هدية وهي ثلاثون فرسا منها خمسة مسرجة ونحو مائتين بعيرا ، وحضر صحبة جنيد المذكور ركب فيه نحو الألف رجل يريدون الحج :

(١) تقع مدينة المشهد أو مشهد الإمام شرقي نيسابور ، ويوجد بها قبر الإمام الفيلسوف الغزالي كذلك قبر الفردوسي الشاعر الفارسي ومشهد الإمام الرضا وضريح هرون الرشيد .

وفى يوم الاثنين تاسع عشرينه كسفت الشمس فى آخر الساعة الرابعة وتغير لونها تغيرا يسيرا ولم يفطن لها أكثر الناس فإنهم لم يجتمعوا لها ولا صلوا ، ثم انجلى الكسوف فى أسرع ما يكون ، وشاع أمر الكسوف واشتهر وبلغ السلطان ، وداخل بعض الناس من ذلك إرجاف وطلب السلطان طائفة ممن يعتنون بهذا الفن فأنكر عليهم وهددهم .

وفى هذه الأيام قطعت مرتبات للناس من الديوان المفرد وغيره :

وفيها ارتفع سعر الغلة بعد أن كان بمائة وخمسين الأردب إلى مائة وسبعين ، ولهذا سبب وهو أن أوان الدراس تتحسن الغلال فيها .

وأما الحجاز والشام فالرخاء موجود فيهما :

وفيها ورد الخبر من دمياط أن المماليك والأمراء الذين توجهوا فى بحر الملح ظفروا بمركب فى البحر على بيروت وغراب للبنادقة ضمنه بضائع ونقد وظفروا أيضا بمركب آخر على طرابلس للجنوية فأحرقوها وفيهـا بضاعة كثيرة ، وغرق منها بضع وعشرون رجلا ، وقتـل من المسلمين سبعة ولم يشكروا على هذا الفعل لأن البنادقة والجنوية مسالمون للمسلمين .

شهر ذى القعدة

أهل بيوم الأربعاء :

فيه قصد الأمير[1] جقمق أمير سلاح الحج إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام ، فرسم له بذلك ، وتوجه صحبته جماعة من المغاربة وغيرهم .

وفى ثالث عشريه ابتدأت زيادة النيل [١٥٢ ب] وقد أخذ قاع البحر فوصلت القاعدة خمس أذرع وإثنين وعشرين إصبعا وزاد النيل بثلاثة أصابع .

شهر ذى الحجة

أهل بيوم الخميس .

والأسعار فى الغلال قد ارتفعت فوصل القمح إلى مائتين الإردب، وكذلك الفول والشعير إلى مائة وسبعين ، وهرع الناس فتكالبوا على شرائه ، هذا مع استمرار زيادة النيل وعدم التوقف ، لكن السوقة اعتادوا فى كل سنة مثل هذا الفعل الشنيع .

وفى يوم الأحد ثامن عشره نودى بزيادة ماء النيل إثنى عشرة إصبعا لتتمة ثلاثة عشر ذراعا واثنتين وعشرين إصبعا، ووافق هذا اليوم (١) أول يوم من مسرى وهذا القدر كاف من الزيادة بل كثير ويعد هذا من النيل الكبير .

وفى يوم السبت رابع عشرينه وسابع مسرى نودى بزيادة عشرة أصابع لتتمة ستة عشر ذراعا، وفيه زاد البحر عشرة أصابع وقلما يقع ذلك ، ووقع فى هذا الخبر نادرتان : إحداهما زيادة عشرة أصابع فى يوم الوفاء، وقليل وقوع ذلك، والثانية: وفاء النيل فى هذا العام مرتين إحداهما فى ثانى المحرم كما تقدم والأخرى فى هذا اليوم الذى هو رابع عشرين ذى الحجة ولا رأيت بل ولا سمعت بوقوع مثل هذا . ونادرة ثالثة أدركناها وهى الوفاء فى سابع مسرى .

---

(١) الوارد فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٤١٩ أن الجمعة كان أول ذى الحجة من هذه السنة ويوافقه ١٥ أبيب من شهور القبط من سنة ١١٥٠ وعلى ذلك يكون يوم ١٨ ذى الحجة يعادل حسب التوفيقات الإثنين ٢ مسرى ، لكن حسب تحديد الصيرفى هنا ، ص ٢٩١ س ١٢ يكون الأحد أول مسرى كما هو بالمتن .

وركب المقام الجمالى ولد المقـــام الشريف فى موكب جسيم من الأمراء والمماليك السلطانية والخاصكية وأعيان القوم من المباشرين حتى خلق العمود وفتح فم الخليج على العادة وكان من الأيام المشهودة .

وفى غده نودى على النيل بزيادة ثمانى أصابع ثم نودى من الغد بزيادة خمس أصابع لتتمة سبع عشرة ذراعا وثلاث أصابع ، وهذه الزيادة بعد الوفاء جميلة جليلة نادرة الوقوع ، فالله تعالى يحسن الخاتمة .

وفى سادس عشرينه قدم مبشرو الحاج وأخبروا بسلامتهم .

وفى هذه السنة أخذ الفرنج ثمانى عشرة مركبا من سواحل الشـــام فيها مالايوصف من البضائع وقتلوا عدة ممن كان بها من المسلمين وأسروا باقيهم .

وفيها وقعت عجيبة من العجائب بل غريبة من الغرائب وهو أن رجلا من أرض البلقاء طلق امرأته وهى حامل فنكحها رجل غيره وهى حامل، ثم فارقها فنكحها رجل ثالث فولدت عنده ضفدعا فى قدر الطفل فبادروا إلى دفنه وهو حى خوفا من العار ، والله يكفينا النار والعار ، إنه هو الواحد القهار .

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان ممن له ذكر

٧٣١ ــ أحمد[1] بن محمود بن إسمعيل بن محمــد بن أبى العــز قاضى القضاة شهاب الدين بن قاضى القضاة محيي الدين المشهور بابن الكشك

(١) ترجمت له شذرات الذهب مرتين إحداهما ج ٧ ص ٢١٧ فيمن مات سنة ٨٣٦ وجعلت وفاته ليلة الخميس سابع ربيع الأول كما بالمتن أعلاه ، ثم ترجمت له مرة ثانية ، نفس المرجع ج ٧ ص ٢١٩ ولكنها جعلت وفاته فى صفر ٨٣٧ ، وقد أشار السخاوى فى الضوء اللامع ٢ / ٦١٩ إلى كلا التاريخين ونسب إلى ابن حجر أنه هو الذى جعل موته فى صفر ٨٣٧ ولكنه رجح « ربيع الأول » أنظر إنباء الغمر ج ٣ ص ٥٢٠ – ٥٢١ .

الحنفى بدمشق فى ليلة الخميس سابع شهر ربيع الأول ، وقد ولى قضاء الحنفية بالشام مرارا بل وجمع بينها وبين نظر الجيش وكثر ماله وأثرى حتى صار عين أكابر دمشق، وعين لكتابة السر بالقاهرة المحروسة فامتنع من ذلك، وكان فى العلم جامدا وفى أمر الدنيا رائجا .

٧٣٢ – وتوفى الأمير مقبل بن عبد الله [الزين الرومى] الحسامى الدوادار نائب صفد فى يوم الجمعة تاسع عشرين[1] ربيـــع الأول وكان من الشجعان المشهورين وهو من المماليك المؤيدية شيخ .

٧٣٣ – وتوفى الأمير آقبغا الجمالى مقتولا بالبحيرة فى حادى عشرين شهر ربيع الآخرة، وكان شجاعا شهما ذا مروءة واتصال بعظيم الدولة ، وضاع ماله شذر مذر ، وخلف ولدا من جارية يدعى « رقم » .

٧٣٤ – ومات قاضى مكة جمال الدين محمد[2] بن على بن أبى بكر الشيبى الشافعى بها فى ليلة الجمعة ثامن عشرين ربيع الأول عن نحو سبعين سنة ، وكان عنده تواضع وسكون موصوفا بالخير وحسن السيرة ولين الجانب رحمه الله تعـــالى .

---

(١) هذا التاريخ واليوم واردان كذلك فى ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٣٣ ، أما الضوء ١ / ٦٩٦ فجعل وفاته « الجمعة ١٩ ربيع الأول » وهـــو خطأ يصححه ماورد فى جدول السنين بالتوفيقات الإلهامية من أن أول ربيع الأول كان الجمعة وعلى ذلك يكون الجمعة ٢٩ منه وليس ١٩ ، أما العينى فجعل وفاته فى أوائل ربيع الثانى ، انظر أيضا فيما بعد ، ص ٢٩٣ س ١٢ .

(٢) أوردة الضوء اللامع ج ٨ ص ١٧٤ س ١٧ باسم « محمد بن على بن أبى بكر الشيبى » أى كما هو وارد بالمتن، وعقب على ذلك بقوله : « يأتى فيمن جده محمد بن أبى بكر بن محمد »، ثم أورد فى نفس الجزء، ص ١٧٦ س ٢ عبارة : « محمد بن على بن أبى بكر الشيبى : فى ابن على بن محمد بن أبى بكر » ، كما أشار إليه مرة ثالثة فى نفس المرجع ، ج ١١ ص ٢١٠ تحت كلمة « الشيبى » فقال : « جماعة كثيرون منسوبون لبنى شيب سدنة البيت منهم الجمالى محمد بن على بن محمد بن أبى بكر بن محمد لكنه لم يخصه بترجمته ، انظر إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٥٣٠ ترجمة رقم ٢١ .

٧٣٥ — ومات الشيخ أبو الحسن على بن حسين بن عروه بن زكنون[(١)] الحنبلى الزاهد الورع فى ثانى عشر جمادى الآخرة خارج دمشق وقد أناف على الستين ، وكان عالما دينا فاضلا محدثا له رواية ودراية وفضيلة ، وشرح[(٢)] مسند الإمام أحمد مع انقطاعه[(٣)] عن الناس وزهده وورعه ، رحمه الله :

٧٣٦ — ومات الأمير جار قطلو[(٤)] [الأشرفى] كافل المملكة الشامية بها فى ليلة الإثنين تاسع عشر شهر رجب وهو أحد المماليك الظاهرية برقوق ، وكانت أخلاقه خبيثة وشحيحا فى الترك واستراح المسلمون منه .

٧٣٧ — وتوفى الشريف رميثة بن محمد بن عجلان قتيلا[(٥)] خارج مكة فى خامس شهر رجب ، وقد ولى الإمرة بمكة قبل ذلك ثم عزل عنها ، ولم يكن مشكور السيرة .

---

(١) الضبط من الضوء اللامع ، ٥ / ٧٢١ ، وذكر أنه كان فى ابتداء أمره « جمالا » على حين أن الشذرات ، ج ٧ س ٢٢٢ س ٢٢ جعلته « حمالا » وقالت إن ذلك نقلا عن ابن حجر ، أنظر إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٥٢٧ ترجمة رقم ١٣ .

(٢) كانت طريقته فى الشرح أنه إذا جاء الحديث الإفك مثلا يأخذ نسخة من شرحه للقاضى عياض فيضعها بتمامها ، وإذا مرت به مسألة فيها تصنيف مفرد لابن القيم أو شيخه ابن تيمية أو غيرهما وضعه بتمام وضمه ذاك البـــاب من المغنى لابن قدامة ونحوه » ولذا جاء شرحه فى مائة وعشرين مجلدا وكان ترتيبه المسند على أبواب البخارى وسماه : « الكواكب الدرارى فى ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخارى » راجع الضوء اللامع ٥ / ٧٢١ .

(٣) كان انقطاعه فى مسجد القدم بآخر أرض القبيبات ظاهر دمشق ، انظر إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٥٢٧ ، وعن المسجد نفسه انظر النعيمى : الدارس فى تاريخ المدارس ، ج ٢ ص ٣٦٢ .

(٤) وكثيرا ما يرد باسم « جار قطلى » ، وهكذا سماه السخاوى : الضوء اللامع ٣ / ١٩٨ ، ثم قال « هو على ألسن العامة بالشين المعجمة بدل الجيم » أما فيما يتعلق بشراسة خلقه فراجع القصة التى أوردها ابن حجر عن رفيق له بشأنه فى إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٥٢٤ .

(٥) كان السبب فى قتله أنه خرج فى طائفة من العسكر للوقيعة ببنى إبراهيم على بعـــد ثمانية أيام من مكة فقتل فى هذه المعركة ، ذكر هذا ابن حجر فى الإنباء ، ج ٣ ص ٥٢٤ ونقله عنه السخاوى فى الضوء اللامع ٣ / ٨٦٨ ..

٧٣٨ — ومات تقى الدين أبو بكر بن على بن حجـــة — بكسر الحاء [١] — كذا ضبطه العلامة تقى الدين المقريزى — الحموى الأديب الشاعر الباهر الماهر بحماة فى خامس وعشرين شعبان [٢] ، مولده عام سبعة وستين وسبع مائة ، وكان قدومه إلى القاهرة فى الأيام المؤيدية شيخ واتصل به وصار من جملة أعيان الدولة ورأس بها ونظم ونثر ، وكان بينه وبين الشيخ شمس الدين النواجى من الأمور ما هو مذكور وما سنذكره ، وهو أن بن حجة كان رئيسا وكان النواجى [١٥٣ ا] إذ ذاك فقيرا ، وكان إذا نظم النواجى قصيدة اطلع عليها ابن حجة فيحفظها ويتوجه فيزيدها شيئا ويدعيها لنفسه ويكون النواجى بينقحها [٣] أياما وشهورا فيبلغه أن ابن حجة نظم قصيدة للسلطان مطلعها كذا وكذا فيحصل عنده من الغم مالا يوصف ، ثم يأتى فى بعض الأماكن فيتقدم عليه فى القول والكلام والجلوس ويقول له : « تأخر ، أبو بكر مقدم » فشق عليه ذلك فكتب شيئا من نظمه بصورة فتيا للشيخ بدر الدين البشتكى وهو : —

ناشدتك الله ياشيخ القريض ومن ... شاعت مناقبه فى العجم والعرب
محمد وأبو بكر إذا اجتمعا ... من المقدم فى علم وفى أدب؟

---

(١) انظر فى هذا الضبط أيضا الضوء اللامع ج ١٢ ترجمة رقم ١٤٤ ص ٥٣ .

(٢) بعد أن ذكر السخاوى : الضوء اللامع ، نفس الصفحة والترجمة هذا التاريخ منسوبا إلى ابن خطيب الناصرية قال « وقيل فى رجب » ، وقد ورد التاريخ أعلاه فى كل من إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٥٢٣ ، وشذرات الذهب ، ج ٧ ص ٢٢٠ . كذلك أختلف فى سنة مولده فهى عند السخاوى فى الضوء اللامع سنة ٧٦٧ وفى الشذرات ، شرحه ، سنة ٧٧٧ ، وهى عند أبى المحاسن فى المنهل الصافى ٧٦٧ ، انظر أيضا عنه . Brockelmann: G. A. L., vol. II, p. 15

وكذلك بن اياس : بدائع الزهور ، ج ١ ص ٣٥٥ ، والسيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ص ٢٦٢ .

(٣) هذا أسلوب مصرى دارج ؛ لايزال مستعملا حتى اليوم ، ويعنى به أنه ظل ينقحها أياما وشهورا .

فأجابه البدر البشتكى :

محمد خير خلق الله ثم أبو بكر خليفته فى العلم والأدب

صديق أهل التقى لاذ الذى شهدت عليه لحيته بالزور والكذب

وكان صنيعا يصنع بالحناء لحيته على عادة الحمويين ، فخدمت التورية مع البدر البشتكى .

وصنف النواجى فيه كتابا سماه « الحجة فى سرقات ابن حجة » وهجاه بأمر عظيم الدولة هجوا بالغا مزقه فيه وسطر فى الكتب ، وتبعه ابن العطار وغيره من الشعراء .

ثم رجع من مصر إلى حماة ، وكان فيه تكبر وزهو ، وبالجملة فكان ينظم النظم الحسن ، وصنف شرحا على بديعيته فى غاية ما يكون :

٧٣٩ — وتوفى سلطان المغرب أبوفارس عبد العزيز بن أبى العباس أحمد ابن محمد بن أبى بكر بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن عمر بن ود ابن الهنتاتى الحفصى عن ست وسبعين سنة ، منها مدة ما ملكه إحدى وأربعون سنة وأربعة أشهر وأيام . [ومات] فى رابع عشرين ذى الحجة : بعد ماخطب له بتلمسان وفاس : وترجمه العلامة المقريزى فقال : « كان خير ملوك زمانه : صيانة وديانة وجودا وأفضالا وعزما وحزما وحسن سياسة وجميل طريقة » ، وقام من بعده حفيده المنتصر بالله أبو عبد الله محمد[1] بن الأمير أبى عبد الله محمد ابن السلطان أبى فارس » .

---

(١) انظر الضوء اللامع ١٠ / ٢٨٠ .

٧٤٠ — ومات ملك بغداد شاه محمد بن قرا يوسف بن قرا محمد فى ذى الحجة مقتولا على حصن[1] ببلاد شاه رخ بن تيمور لنك وأقيم بدله أمير زاه على بن أخى قرا يوسف وكان من شرار الملوك منهمكا فى الفسق والجور والعتو والظلم وإبطال الشريعة ، ونشأ بمدينة أربد وربى بها ، وصحب النصارى فلقنوه عقائد سوء فلما ولاه أبوه بغداد بعد قتل أحمد بن أويس أظهر سيرة حسنة وتعفف عن القاذورات المخزية مدة سنين ، وكان الغالب على دولته نصرانى يعرف بعبد المسيح فأظهر بعد ذلك تعظيم المسيح وفضله على من عداه وصرح باعتقاد النصرانية ، وأخرج عساكره من بغداد واستمر فى طائفة فكثر فى أعماله قطع الطريق حتى جلا الناس عن بغداد وانقطع ركب الحاج منها إلى أن غلبه أخوه أصبهان وأخرجه من بغداد فقتل وأراح الله البلاد والعباد منه ، والله يلحق به من بقى من إخوته فإنهم من شر عصابة تسلطت على المسلمين بذنوبهم .

٧٤١ — ومات سلطان بنجالة من بلاد الهند : جلال الدين أبو المظفر محمد ابن فندو ويعرف بكاس ، كان أبوه كافرا فثار عليه شهاب الدين مملوك حمزة ابن غياث الدين أعظم شاه بن اسكندر بن شمس الدين ، وملك منه بنجالة وأعمالها وأسره فثار عليه ابنه وقد أسلم وتسمى محمدا ، وكنى بأبى المظفر ولقب جلال الدين وجدد مآثر جليلة منها عمارة ما هدمه أبوه من المساجد وإقامة شعائر الإسلام وكان يرسل إلى مكة بمال وهدية للسلطان وصات فى سنة اثنتين

---

(١) كان اسم هذا الحصن « شبنكان » ، انظر فى ذلك السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٨ ص ٢٩٢ س ٦ .

وثلاثين على يد سهل ومرغوب وعلى يدهما كتابه يسأل أن يفوض له الخليفة سلطنة الهند فجهز له التقليد عن الخليفة مع تشريف ، فأرسل عند وصول ذلك هدية سنية فى سنة أربع وثلاثين وثمان مائة ومات فى شهر ربيع الآخرة من هذه السنة، وأقيم بعده ابنه المظفر أحمد شاه[1] وعمره أربع عشرة سنة :

* * *

(١) راجع عنه الضوء اللامع ٢ / ٤٧١ .

سنة ثمان وثلاثين وثمانى مائة

أهل أول هذه السنة بيوم السبت .

فى ثالثه قدم الأمراء والمماليك السلطانية ومماليك الأمراء الذين كانوا توجهوا فى المراكب على ظهر البحر المالح ولم ينالوا طائلا غير ما قدمناه من إحراق مركب الفرنج الطالعتين الجنويتين وأخذ مركب للبنادقة الطالعتين أيضا .

وفى رابعه(1) وصل رسول الأمير عثمان ابن قرا يلك وصحبة كتابه دفعة أكاديش تقدمة للسلطان ودراهم مسكوكة باسم السلطان .

وفى حادى عشره قبض على الأمير برد بك الإسماعيلى أحد أمراء الطبلخانات وحاجب ثانى ورسم بنفيه إلى دمياط وأنعم بإقطاعه على الأمير تغرى بردى البكلمشى المشهور بالمؤذى أحد رؤس النوب ورسم للأمير جانى بك السيفى يلبغا الناصرى المعروف بالثور الذى عزل من نيابة إسكندرية أن يكون حاجبا ثانيا عوضا عن برد بك الإسماعيلى .

وفى خامسه قدم الأمير جقمق أمير سلاح من الحج بمن معه على الرواحل .

وفيه ابتدأ سودون المحمدى بهدم سقف الكعبة فإنه تخلخل وجهه بسبب عمارة الحرمين .

---

(1) الوارد فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٧٢١ أنه وصل يوم الإثنين ثالثه ، أما الأكاديش فكانت تسعة .

(2) انظر الضوء اللامع ٣ – ٢٢١ .

وفى ثانى عشرينه الموافق لآخر[1] أيام النسىء خلع على دولات خجا وأعيد إلى ولاية القاهرة عوضا [١٥٣ ب] عن التاج الشويكى فإنه صار نديما للحضرة الشريفة وارتفـع قدره عن الولاية وصار الحديث فيها لأخيه وليس لـه فيها إلا الاسـم .

وفى ثالث عشرينه قدم الركب الأول من الحجاج ووافق قدومه نوروز القبط ونودى فيه بزيادة إصبعين لتتمة تسعةعشر ذراعا وأربع عشرة إصبعا ، وهذه الزيادة فى مثل يوم النوروز نادرة جدا .

وفى رابع عشرينه قدم المحمل ببقية الحاج وقد هلك جماعة من المشاة ومات من الجمال شىء كثير .

وفى يوم الخميس سابع عشرينه عملت الخدمة بالإيوان الملقب بدار العدل من قلعة الجبل بعد ما مضى عليه مدة طويلة وهو مهجور ، وأحضر رسول شاه رخ بن تيمور لنك ملك المشرق وهو من أكابر أشراف شيراز واسمه ولقبه السيد تاج الدين على فأخرج ما معـه من الكتاب وقدم الهدية ، ومضمون الكتاب أنه جهز هدية ، وأنه يريد كسوة بيت الله الحرام وسأل أن يرسل [السلطان] إليه قاصدا يتسلم الكسوة ويعلقها فى داخل البيت ، والهدية ثمانون ثوبا من الحرير الأطلس وألف قطعة فيروزج قيمتها هى والثياب — إذ كانت فى الغاية — ثلاثة آلاف دينار ولم يؤمر الرسول بتقبيل الأرض حماية لشرفه . ووجد تاريخ كتابة المحضر على يده فى ذى الحجة سنة ست وثلاثين وثمانى مائة ،

---

(١) انظر التوفيقات الإلهامية ، ص ٤١٩ .

وسبب تأخيره أنه توجه من هراة[(١)] إلى هرمز ومن هرمز إلى مكة ثم قدم صحبة ركب الحاج فأنزلوه بدار الضيافة وأجروا عليه ما يليق به من الراتب .

* * *

وفي ثامن عشرينه وصل إلى القدس الشريف ما يزيد على مائة من الرجال وأكثر من الفرنج الحرجان لزيارة قمامة على عادتهم فاتهموا أن فيهم عدة من أولاد ملوك الكتلان فرسم بإحضارهم للكشف عن ذلك فسجنوا وهم في أرذل الأحوال وفي غاية الذلة والهوان ، وأفرج عنهم بعد أيام ، ومات منهم عدة ، لا رحمهم الله .

شهر صفر

أوله الإثنين .

في سادسه رسم باستقرار تاج الدين عمر بن موسى بن حسن الحمصي قاضي طرابلس في قضاة القضاة الشافعية بدمشق عوضا عن بهاء الدين محمد بن نجم الدين عمر بن حجي بعد أن وعد بأربعة آلاف دينار ، وقرر عوضه في قضاء طرابلس صدر الدين محمد بن شهاب الدين أحمد بن محمد النويري بمبلغ ألف وثلاثمائة دينار ، وأعيد القاضي شمس الدين محمد بن شهاب الدين أحمد ابن الكشك .

---

(١) هراة قسم من أقسام خراسان الأربعة ، ولقد وصفها الجغرافيون العرب كابن حوقل والمقدسي بأنها ذات حصن وسور ، وللسور أربعة أبواب هي باب سراى المؤدى إلى بلخ وباب دباب المؤدى إلى نيسابور وباب فيروز المؤدى إلى سجستان وباب خشك المؤدى إلى جبال النور ، كذلك وصفها ياقوت الحموي بكثرة السكان والبساتين وغزارة المياه ، ولقد لقيت هراة من التخريب على يد المغول في أوائل القرن السابع للهجرة الشيء الكثير .

وفى سادسه عقد بحضور المقام الشريف مجلس وحضر فيه قضاة القضاة الأربعة، وسببه أن شاه رخ بن تيمورلنك نذر أن يكسو الكعبة وجال بينهم الكلام فى ذلك، فأجاب شيخنا بدر الدين محمود العينتابى قاضى القضاة الحنفية بأن نذره لا ينعقد، وانفض المجلس وانحل العقد على ذلك.

وفيـــه خلع على نوكار الخاصكى واستقر شادّ جده وخلع معه على عبد الرزاق بن الملكى واستقر عوضا عن ســـعد الدين بن المرة ، وساروا — بعد أيام — إلى مكة شرفها الله وحماها — فى البحر .

* * *

وفى تاسعه الموافق[1] السابع عشر توت وهو يوم عيد الصليب عند قبط مصر نودى بزيادة أصبع تتمة عشرين ذراعا وعشرة أصابع .

وفى ثالث عشره كتب إلى مكة شرفها الله تعالى بأن يكون الأمير سودون المحمدى المجرد هناك متحدثا فى نظر الحرم الشريف وكتب أيضا بأن لا يؤخذ من التجار الهنود الواردين إلى جدة سوى العشر فقط ، وأن يؤخذ من التجار المصريين والشاميين إذا وردوا ببضائع اليمن عشران ، وأن من قدم من التجار اليمنيين إلى جدة ببضاعة تؤخذ بأجمعها من غير ثمن ؛ وسبب هذ أن تجار الهند فى هذه السنين صاروا عندما يدخلون من باب المندب يحودون عن بندر عدن حتى يرسوا بساحل جدة كما تقـــدم ، فخربت عدن من التجار ، وتضعضع حال ملك اليمن لقلة متحصله ، وصارت جدة هى بندر التجار ويتحصل للسلطان بمصر من عشور التجار أموال لا تحصر ، وصار نظر جدة وظيفة سلطانية فإن التجار الهنود يؤخذ منهم العشر من بضائعهم ولكن يؤخذ مع العشر رسوم الشاد

(١) ويوافق هذان التاريخان العربى والقبطى يوم ١٤ سبتمبر ١٤٣٤ .

والناظر وشهود القبّان والصيرفى ونحو ذلك من أعوان الظلمة ، وصار فى كل سنة يحمل من عند سلطان مصر مرجان ونحاس وغير ذلك من الأصناف إلى بلاد الهند فتطرح على التجار ويتشبه به فى ذلك غير واحد من أعيان الدولة فيحصل للتجار بذلك الضرر الشديد ، فرجع غالب التجار فى السنة الماضية إلى عدن لما بلغهم من هذه الأفعال القبيحة ، فغضب السلطان عليهم لما فاته من أخذ عشورهم وجعل عقوبتهم أن من اشترى بضاعة من عدن وحضر بها إلى جدة إن كان من الشاميين والمصريين يؤخذ منه العشر عشرين ، وإن كان من أهل اليمن تؤخذ بضاعته بأسرها ، فمن لطف الله تعالى بالعباد والبلاد لم يعمل شىء من هذا الحادث الفظيع ، فإن المراسيم لما وصلت قرئت تجاه الحجر الأسود ، فراجع الشريف بركات ابن عجلان السلطان فى ذلك وسأل صدقاته مرارا فأعفى التجار من ذلك وأبطل مارسم به .

* * *

ومن الحوادث أن شخصا من التجار الأعاجم المجاورين بمكة يسمى [١٥٤أ] داود[1] الكيلانى بذل للسلطان مالا فى وظيفة نظر الحرم الشريف بمكة ، والعادة التى أدركناها وسمعناها أن نظر الحرم وولايته معذوقة بقضاء القضاة الشافعية بمكة المشرفة ، فعزل السلطان أبا السعادات جلال الدين محمد بن ظهيرة قاضى مكة وولى التاجر المذكور ، فلما قدم توقيعه إلى مكة وقرئ تجاه الحجر الأسود وحضر ذلك السيد الشريف نائب مكة أنكر ذلك وراجع السلطان وكاتبه بأن هذه قلة فى الدين ، وأن أهل الحرم لا يرضون بولاية داود ، والآن الخطاب

(١) هو داود بن على الكيلانى المتوفى سنة ٨٤٢ ، وقد أشار الضوء ٣ / ٨٠٠ إلى أن الأشرف برسباى استقر به فى سنة ٨٣٧ ناظر المسجد الحرام عوضا عن أبى السعادات فأنكر ذلك أهل مكة ولم يمكنه السيد بركات من التحدث .

للسلطان ولأرباب الدولة وعرفهم أنه أقام سودون المحمدى الذى جهزه السلطان لعمارة الحرم متحدثا فى النظر حتى « يرد علينا من المراسيم الشريفة مايعتمد »، فكتب السلطان لسودون المحمدى بالتحدث فى نظر الحرم فباشرها مباشرة حسنة .

وفى يوم الخميس خامس عشره وثب المماليك المقيمون بقلعة الجبل وأرادوا الفتك بالمباشرين ؛ فهربوا منهم واستخفوا فى دور غير دورهم ، وسبب ذلك تأخيرهم عن قبض جوامكهم ، فتبعهم الأجلاب وهجموا دورهم فابتدءوا بدار عظيم الدولة وصاحب حلها وعقدها القاضى زين الدين عبد الباسط وأخذوا منها قماشا ونقدا ومتاعا لا يحصى ولا يحصر لكثرته ، ثم توجهوا إلى بيت أمين الدين بن الهيصم الوزير فلم يجدوا فيه شيئا سوى بعض أقمشة عتيقة ، وتوجهو إلى بيت الصاحب كريم الدين الأستادار فلم يجدوا فيه سوى الرخام والبلاط فأتلفوا ماقدروا عليه منه وكان يوما قبيحا فظيعا عجيبا ، وعاد آخر النهار المباشرون إلى دورهم فوجدوها خرابا ، ومن العجيب أن شخصا من أولاد الناس المشبهين بالأتراك كان مع الأجلاب وأول مقدمتهم وصار يدلهم على بيوت الناس المباشرين ، وأول ما قدم لهم إلى بيت القاضى عبد الباسط وصار يعرفهم بمواضع فيها الأمتعة فحصل وأحضر إلى بين يديه آخر النهار ، وفى زعم من مسكه أن القاضى يوقع به من العقوبة والأذى أمرا عظيما فكان سؤاله له : « ما فعلنا بك حتى استوجبنا منك هذا » ؟ فقال : « لى جاركم عشرين سنة ما أحسنتم إلى » فعند ذلك رسم له بثوب صوف وبدنين سنجاب وثوب بعلبكى وخمسة دنانير ، وعفى عنه .

هذا وقد شاع الخبر بأن المماليك ليس لهم غرض إلا إيقاع الفتك بعظيم الدولة القاضى عبد الباسط ، وبلغ السلطان ذلك فحصل عنده من التشويش

مالا يعبر عنه، فإنه إذا وقع فى عبد الباسط فعل فهو كالذى يقع فى حق السلطان، واستمر القاضى عبد الباسط فى داره إلى يوم السبت ، [ثم] ركب إلى القلعة بعد أن برز له المرسوم الشريف فى أمسه بتوجهه إلى الثغر السكندرى ، فسعى فى إصلاح أمره حتى بطل ذلك المرسوم وطلب وطلع كما قدمنا هو وبقية المباشرين، وتقرر الحال أن القاضى زين الدين عبد الباسط يقوم من ماله للوزير بألفى دينار تقوية له ، وأن السلطان يساعد الأستادار بعليق المماليك شهرا ، فبطل الشر واطمأن المباشرون بذلك وأمنوا .

* * *

ونودى على النيل فى هذا اليوم بزيادة إصبع لتتمة عشرين ذراعا وإحدى عشرة أصبعا، وكان قد نقص بعد عيد الصليب عندما فتحت جسور عديدة لرى النواحى، فرد النقص وزاد إصبعا، وقد عم النيل أقطار الأرض سهلها ووعرها، قبليها وبحريها، شرقيها وغربيها ، ولله الحمد والمنة على ذلك ، إنه ولى الممالك :

وفى يوم الخميس ثامن عشرة نودى بزيادة إصبع لتتمة عشرين ذراعا ونصف :

وفى يوم الجمعة تاسع عشره عين شمس الدين بن سعد الدين بن قطارة فى نظر الدولة وألزم بتكفية يومه ، وبرزت المراسيم الشريفة بطلب الأمير أرغون شاه — الوزير كان — من دمشق وكان هو أستادارا بها ليستقر فى وظيفة الوزارة عوضا عن الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم بعد أن رسم السلطان بهـا للصاحب كريم الدين بن كاتب المناخ وتلطف معه فى ذلك فلم يقبلها فأنكر السلطان ذلك على المذكور ورسم لصاحب الشرطة بعقوبته فكفـله القاضى سعد الدين إبراهيم ناظر الخاص الشهير بابن بركة وابن كاتب جكم :

وفى هذا اليوم بدأ النقص فى زيادة النيل وهو سابع عشرى توت .

وفى يوم السبت حادى عشرينه خلع على كريم الدين عبد الكريم ابن[١٥٤ ب] كاتب المناخ الأستادار على عادته ، وخلع على الوزير أمين الدين إبراهيم بن الهيصم واستقر فى نظر الدولة كما كان والتزم بتكفية الدولة إلى حين قدوم الأمير أرغون شاه من الشام واختفى فى ليلة الاثنين .

وفى يوم الاثنين ثانى عشرينه قبض على الأمير كريم الدين الأستادار :. وخلع على جانى بك دوادار القاضى زين الدين عبد الباسط عظيم الدولة أستاداراً عوضا عنه ، وألزم سعد الدين إبراهيم [بن كاتب جكم] ناظر الخاص بوظيفة الوزارة فلم يوافق على ذلك .

وفيه توجه الشريف على رسول شاه رخ بن تيمورلنك وصحبته الأمير أقطوه الموسوى المهمندار وعلى يده كتاب مضمونه أن العادة جرت أن لا تكسى الكعبة إلا من سلطان مصر ، والعادة قد اعتبرت فى الشرع فى مواضع ، وجهزت إليه هدية .

وفى خامس عشرينه غضب السلطان على سعد الدين إبراهيم بن كاتب جكم وبطحه وضربه ضرباً مؤلماً ثم بعد ذلك قرر عليه مالا ونزل إلى داره، وسبب ذلك امتناعه من قبول الوزارة الشريفة :.

وفى هذا الشهر غلا سعر اللحم وارتفع وجوده من الأسواق فلزم من ذلك غلو سائر البضائع كالجبن والبيض والسمن ونحو ذلك .

وفيه رسم السلطان بطرح الغلال على المعاصر والدواليب بسعر مائة وخمسين [درهماً] الإردب ، ورسم أن لا يحمى أحد فلم يمتثل هذا المرسوم ، وصار من لا جاه له يرمون عليه ويكلفونه ، ومن له جاه لا يتعرضون إليه .

وفى يوم الخميس خامس عشرينه طلب من الصاحب كريم الدين بن كاتب المناخ المال فتعلل فضرب بالمقارع — وقد صار عريا من ثيابه — مايزيد على مائة سوط ، ثم بعد ذلك ضرب على أكتافه ضربا فظيعا بالعصى ثم عصر بالمعاصير فى كعبى رجليه ، هذا وهو فى الترسيم من حين قبض عليه بالقلعة ؛ ثم إنه فى يوم الجمعة رسم له أن ينزل إلى بيت الأمير التاج الوالى ليقوم بما قرر عليه فإنه حوسب فظهر فى جهته خمسة وخمسون ألف دينار ذهبا صولح عنها بعشرين ألف دينار ، فنزل من القلعة راكبا على بغل والأعوان حوله مرسمون عليه ، وشرع فى بيع موجوده ووزن المال .

شهر ربيع الأول :

أوله الثلاثاء :

فيه طلب السلطان الجمالى يوسف أخا السعدى إبراهيم بن كاتب جكم وأخلع عليه واستقر فى وظيفة الوزارة عوضا عن الصاحب أمين الدولة ابن الهيصم ، فإن المذكور من حين تغيب عنها وسعد الدين ناظر الخاص يباشرها ويسدها من غير لبس تشريف ، وغرم فيها من ماله جما كثيراً لعجز جهاتها وخراب بلادها ، وخلع على سعد الدين إبراهيم ناظر الخاص جبة واستقر على عادته ، وخلع أيضا على ابن قطارة واستقر فى نظر الدولة :

وفى ليلة الجمعة رابعه عمل المولد النبوى على العادة بقلعة الجبل ، وحضر السلطان والأمراء والأكابر والأصاغر وقضاة القضاة وأعيان الدولة :

وضبط الوزير أمور الدولة وأتقن أحوالها وقطع عدة مرتبات من لحم ودراهم ، ولم يفرج لأحد من الناس عن شىء من الأشياء وصار له حرمة وافرة :

وفى يوم الثلاثاء ثانى عشرينه أفرج عن الصاحب كريم الدين بن كاتب المناخ من بيت التاج الوالى وتوجه إلى منزله بعد أن وزن قريبا من العشرين ألف دينار ، وضمنه المباشرون فيما بقى عليه .

* * *

وفى هذا الشهر وصل الخبر بانتهاء عمارة سقف الكعبة شرفها الله تعالى [وأشرف] عليه سودون المحمدى وشرع فى هدم المنارة التى على الباب اليمين من المسجد الحرام فهدمت وبنيت أعلى مما كانت .

شهر ربيع الآخر :

أوله الخميس .

فى ثالثة قبل الظهر حدثت زلزلة بالقاهرة تزلزلت بها الدور والأماكن ولو أقامت قليلا لأخربت ما زلزلت .

وفى رابعه قدم الأمير أرغون شاه المطلوب للاستقرار فى الوزارة من الشام وخرجت تقدمته .

وفى يوم الأربعاء سابعه ركب السلطان من القلعة بكرة النهار ودخل من باب زويلة متوجها إلى الصيد والقنص ورجع آخر النهار ، وتكرر ركوب السلطان مرتين أخريين ويعود .

وفى هذا الشهر كثر الحيا — أعنى المطر — ببلاد الشام وغزة فانتفعوا به نفعا عظيما .

وفيه ارتفعت الأسعار من المطعومات كالخبز والجبن واللحم والعسل ونحو ذلك حتى بلغ قيمة الشىء مثليه مع وجود الغلال والرخاء فيها ، خلا الأرز فإنه عزيز وغالى .

وفيه احترق مركب بساحل الطور فيه بضائع بمال جزيل :

شهر جمادى الأول .

أوله الجمعة .

[١٥٥ ا] فى الثانى منه توجه السلطان إلى الصيد وشق المدينة وعاد آخر نهار الثلاثاء خامسه وهذه أربع ركبات للصيد :

وفى سابعه توجه الأمير غرس الدين خليل بن شاهين نائب الإسكندرية وناظرها وحاجبها إليها بعد ما قرر عليه خمسة آلاف دينار من الذهب وحملها للخزائن الشريفة سوى ما قدمه من الحرير والقماش وغير ذلك بألف أخرى ، وكان قدومه إلى القاهرة من الشهر الذى قبل هذا .

وفى هذه الأيام شاع الخبر بأن السلطان تحرك لسفر البلاد الشامية .

وفى خامس عشره خلع على دولات خجا الوالى واستقر فى ولاية منفلوط وقبض المغل ، واستمرت الولاية بالقاهرة شاغرة إلى يوم الأحد سابع عشره ، وخلع على علاء الدين بن الطبلاوى واستقر والى القاهرة على عادته قبل هذا ، وقرر عليه أن يحمل للخزائن الشريفة شيئا يسيرا من الذهب بعد أن كان بضع عشر سنين معزولا عنها مخمولا (١) يتعثر فى أذيال الهم .

وفى هذه الأيام حمل إلى مكة شرفها الله تعالى من الرخام ما ذرعه ستون ذراعا لمرمة الحجر وشادروان البيت ، وحمل من الجبس الطيب خمسون حملا بسبب بياض أروقة الحمام ، ومن الحديد عشرة قناطير ، ومن الخشب أربعون قطعة :

---

(١) يقصد « خاملا » .

وفى سلخه برز المرسوم الشريف لمن يذكر فيه من الأمراء وهم : الأمير تمـــراز رأس نوبة النوب وصحبته مائتـــا مملوك ، وخجا سودون رأس نوبة من أمراء الطبلخانات ، وأمير آخر من العشرات بالتوجه إلى الوجه القبلى ، وسبب ذلك أن الأمير تغرى برمش أمير آخور رسم له بسرحة الوجه القبلى لأخذ تقادم العربان وغيرهم والضيافات على العادة ، فتلقاه على بن غريب على ناحية دهروط وهو يومئذ أمير هوارة البحرية ليقدم تقدمته على العادة ، وكذلك حضر ملك الأمراء بالوجه القبلى لخدمته وهو محمد الصغير ، ووصل إليه طائفة من محارب وطائفة من فزارة لأجل التقادم ، فاقتضى الحال أن يتوجه على بن غريب والكاشف معهما لأخذ التقادم منهم فما كان إلا أن توغلوا معهم فى الجبال حتى غدروا بهم وهاجوا عليهم ، فاقتتل معهم ملك الأمراء وعاد مهزوما ، وقد تجرح من مماليكه وأعوانه جماعة ، وقتل جماعة من أصحابه ، ثم إن السلطان لمـــا بلغه ذلك رسم للأمراء بالتوجه إليهم ، وعزل محمد الصغير عن الوجـــه القبلى باللفظ وعين لكشفه الصاحب كريم الدين بن كاتب المناخ .

وفى هـــذا الشهر وصل الخـــبر بقبض الأمير قرقماس الشعبانى نائب حلب على فياض بن الأمير ناصر الدين محمـــد بن ذلغادر بمرعش ، وأقام عوضـــه فيها حمزة باك بن على بن ذلغادر ، هذا وأبوه ناصر الدين محمد بن ذلغادر على أبلستين وقيصرية[1] الروم وهما بيده وسبب ذلك أن حمزة باك بن الأمير

---

(١) قيصرية الروم أو قيسارية هى المعروفة عند الغربيين باسم Caes-area وتقع فى آسيا الصغرى وكانت من أكبر مدن السلاجقة ، وبها مقام وضريح ومسجد أبى محمد البطال ، وكان حولها سور من حجر بناه السلطان علاء الدين السلجوقى ، انظر لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٧٤ ، ١٧٨ . وكذلك المصادر العربية هناك أما أبلستين ، أو الأبلستين فقد سبق التعريف بها ، نقلا أيضا عن المراجع العربية التى أشارت إليها .

على باك بن ذلغادر كان فى نيابة مرعش فوثب عليه فياض المذكور وولى نيابة مرعش بغير مرسوم شريف .

شهر جمادى الآخرة :

أوله السبت .

فيه خلع على الأمير الوزير الصاحب كريم الدين بن كاتب المناخ واستقر فى كشف الوجه القبلى، ورسم لمحمد الصغير المعزول عن الكشف أن يكون فى خدمته دوادارا، وما كذب المثل «بعد أن كان زوجها بقى طباخا فى عرسها». ورسم لأمير على — الذى كان كاشف الوجه البحرى والقبلى — أن يكون رأس نوبته: وكان له موكب جليل جسيم إلى الغاية واستقام عوجه واستقام(١) حاله وهرع الناس إلى بابه، فإن دخوله فى هذه الوظيفة مقدمة لما بعدها من الوظائف، وأرسل إليه الأمراء والخاصكية التقادم من الخيول والقماش شيئا كثيرا فإن له على العسكر إنعامات كثيرة .

وفى سادسه خلع على الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم واستقر فى نظر الديوان المفرد رفيقا لعبد العظيم(٢) بن صدقة .

ووصلت الأخبار بأن الأمير عثمان بن قرايلك صاحب آمد وماردين نزل على ظاهر الرها وأخذ يحشد — كما هى عادته — فى جمع الرجال ، وأن ولده نهب معاملة دوركى ومعاملة ملطية .

وفى يوم الأحد سادس عشره قبض السلطان على سعد الدين إبراهيم ناظر الخاص وأخيه جمال الدين يوسف ونزل الحوطة [١٥٥ ب] على دورهما جماعة من جهة السلطان منهم بشير البحلاق الطواشى ، ثم عمل القاضى عبد الباسط

(١) فى الأصل « وانقام » .

(٢) ويعرف بعبد العظيم بن صدقة القبطى الأسلمى، انظر عنه المنهل الصافى تحت اسم «عبد العظيم»، والضوء اللامع ٤ / ٦٢٠ .

عظيم الدولة مصلحتهما مع السلطان بمال يقومان به ، واستقر السعدى على عادته فى الخاص ، وأعفى أخوه جمال الدين من الوزارة وأفرج عنهما من الغد والمبلغ الذى يقومان به ثلاثون ألف دينار، فشرعا فى بيع موجودهما وإيراد المال المذكور .

وفيه طلب تاج الدين عبد الوهاب بن الشمس نصر الله الخطير بن الوجيه توما كذا رأيت بخط الشيخ تقى الدين المقريزى رحمه الله ، وألزم بولاية الوازرة فخلع عليه من الغد كرها فى يوم الثلاثاء ثامن عشره .

وفيه قـــدم سيف الأمير أركماس الجلبانى أحد مقدمى الألوف بدمشق وأخبر بوفاته .

وفيه خلع على التاج الشوبكى واستقر مهمندارا عوضا عن الأمير أقطوه الذى توجه فى الرسالة إلى شاه رخ بن تيمورلنك .

وفى يوم الأربعاء تاسع عشره خرج مثال لتمراز المؤيدى بإقطاع أركماس الجلبانى ورسم بإقطاع تمراز الذى هو طبلخاناه للأمير سنقر (١) الغزى نائب حمص واستقر عوضه طغرق أحد أمراء دمشق .

وفى العشرين منه خلع على شمس الدين أبى الحسن بن الوزير تاج الدين ابن الخطير واستقر فى نظر الإصطبل عوضا عن والده ، وخلع على أخيه أستادار لابن السلطان عوضا عن أبيه .

---

(١) هو سنقر الناصرى فرج الغزى ، وقد ولى نيابة حمص سنة ٨٣٦ وكان موته فى حدود سنة ٨٤٥ ، كما جاء فى الضوء اللامع ٣ / ١٠٤١ ، أما طغرق فالأرجح أنه هو الذى ترجم له السخاوى فى الضوء اللامع ٤ / ٢٣ ووصفه بأنه من أولاد ذلغادر التركمانى وقال إنه قتل سنة ٨٣٨ .

وفى يوم الأحد الثالث عشرينه توجه الأمير الكبير إينال الجكمى والأمير جقمق أمير سلاح والأمير يشبك حاجب الحجاب والأمير قانباى الحمزاوى فى عدة من الأمراء العشرات إلى الغرب بالوجه البحرى ، وسبب ذلك أن لبيدا عرب برقة حضر منهم جماعة بهدية وسألوا أن ينزلوا البحيرة فلم يجابوا إلى ما سألوه وخلع عليهم ، فعارضهم أهل البحيرة فى طريقهم وأخذوا منهم خلعهم ، وكان للسلطان غرض تام فى تجهيز تجريدة إلى البحيرة وكثيراً ما يلهج بذلك فبلغهم ذلك فأخذوا حذرهم ، ووافق هذا أن هذا الشتاء غزير المطر بأرض مصر والشام ، فاندفعت طائفة من لبيد إلى البحيرة لمحل بلادهم وصالحوا أهل البحيرة وساروا إلى محارب وغيرها من الوجه القبلى لرعى أراضى البور بعد أن تقدم مرسوم الكاشف بأن يمكنوا من الرعى حتى يأخذ منهم مالا عليه[1] فعارضوا بذلك لأنه حادث لم يعهد وأظهروا الخلاف ، إليهم فخرجت إليهم هذه التجريدة :

وفى هذا الشهر برز المرسوم الشريف بالكشف عن شروط واقفى المدارس والخوانك وأن لا يعمل إلا بها ، وإذا[2] كان فيها خلاف ذلك بطل ، وعين لذلك سيدنا ومولانا قاضى القضاة شهاب الملة والدين أحمد بن على بن حجر فكان ابتداؤه بمدرسة[3] صرغتمش التى بخط الصليبة فقرىء عليه كتاب وقفها ، هذا وقد حضر معه رفقته الثلاثة قضاة ، فأحسن بل أجمل فى رد الجواب

(١) أى على الرعى .

(٢) فى الأصل « حتى كان فيهما خلاف ذلك البطل » .

(٣) يرجع إنشاء هذه المدرسة إلى الامير سيف الدين صرغتمش الناصرى واستغرق بناؤها سنتين من رمضان ٧٥٦ حتى جمادى الأولى سنة ٧٥٧ ، وتقع هذه المدرسة بجوار جامع ابن طولون وقد افتتحت هذه المدرسة بحفل حضره علية القوم يومذاك « ومد سماط جليل ، وملئت البركة التى بها سكرا قد أذيب بالماء » ، وقد جعلها منشؤها وقفا على الفقهاء الحنفية ، انظر عنها وعن مؤسسها الخطط : ج ٣ ، ص ٣٨٣ — ٣٨٩ .

فلم يرض السلطان منه بذلك ، وكان قصده عزل جماعة من أرباب وظائفها ، ثم روجع بعد ذلك مراراً حتى أقرهم على حالهم ، وبطل الكشف ففرح الناس بذلك لأنهم كانوا فى ضنك وضيق ومتوقعين التغيير ، فحماهم الله تعالى .

وفيه زاد قلق الناس لعدم البرد فى فصل الشتاء وقلة الغيث وإرسال الرياح الحارة فى غالب الأوقات جزعا على الزرع ، وإلى الله عاقبة الأمور .

شهر رجب

أوله الإثنين .

[فى] ثامنه أدير المحمل بمصر والقاهرة على العادة وكانت العادة أن يدور بعد النصف لكنه قد فعل به فى هذه الدولة مثل هذا غير مرة .

وفى ثامن عشره خلع الأمير تمرباى الدوادار الثانى واستقر أمير حاج المحمل ، وخلع على الأمير محمد بن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله المحاسب واستقر أمير الركب الأول .

وفى حادى عشرينه ورد الخبر بأن عربان محارب(١) لما بلغهم نزول الأمير إينال الحكمى على الفيوم توجهوا إلى جهة الواحات ثم قوى عزمهم فرجعوا إلى الأشمونين ، فركب الأمير كريم الدين بن كاتب المناخ والأمير تغرى برمش أمير آخور والأمير تمراز رأس نوبة النوب وحاربوهم فهزموهم وظفروا منهم بستمائة جمل غير مانهبوه منهم ، وكان هذا فى يوم الثلاثاء سادس عشرينه .

---

(١) الوارد فى نهاية الأرب للقلقشندى ، ص ٤١٥ أنهم بطن من سليم وديارهم مجاورة للعقبة الكبيرة والصغيرة .

وفى حادى عشرينه وصل الأمير فياض بن الأمير ناصر الدين باك بن محمد ابن ذلغادر محتفظا به فأودع البرج بالقلعة .

وفى هذا الشهر جهز الملك شهاب الدين أحمد بن سعد الدين سلطان المسلمين بالحبشة أخاه [١٥٦ ا] خير الدين لجهاد أمحرة الكفرة ففتح الله على يديه عدة بلاد من بلاد الحطى ملك الحبشة ، وحرق بلادا أخرى ، وقتل من أمرائه اثنين ، وغنم أموالا عظيمة ، وأكثر من القتل فى أمحرة النصارى ، وهدم لهم ست كنائس ، هذا مع فشاء (١) الوباء العظيم ببلاد الحبشة حتى مات فيه من المسلمين ومن النصارى مالا يحصى ، حتى إن القائل بالغ وقال لم يبق ببلاد الحبشة أحد ، وهلك من جملتهم الحطى ملك النصارى الكافر وأقاموا عوضه صبيا صغيرا (٢) :

شهر شعبان

أهل بيوم الأربعاء :

فى سادسه قدم الأمراء والمماليك السلطانية الذين توجهوا لتجريدة العربان بالوجه القبلى .

وفى سادس عشره أخلع على الأمير قانباى الحمزاوى أحد أمراء الألوف واستقر فى نيابة حماة عوضا عن الأمير جلبان بحكم انتقال جلبان إلى نيابة طرابلس عوضا عن الأمير طرباى بعد وفاته ، وأنعم بإقطاع قانباى الحمزاوى على الأمير سودون خجا أحد الطبلخانات ، وتوفرت إمرة خجا سودون ورسم بها للوزير الذى هو الصاحب تاج الدين بن الخطير تقوية له :

---

(١) فى الأصل « افشاء » .

(٢) فى الأصل « صبى صغير » .

وفى يوم الجمعة سابع عشره نودى فى القاهرة ومصر للناس بعدم المعاملة بالفلوس العتق وأن لا يتعاملوا إلا بالفلوس التى ضربها السلطان، وأن القديمة تباع لأدر الضرب كل رطل بثمانية عشرة درهما، وماأحسن هذا لو دام :

شهر رمضان

أوله الخميس :

فى خامسه خلع على محمد الصغير وأعيد إلى كشف الوجه القبلى عوضا عن الصاحب كريم الدين بن كاتب المناخ :

وفيه توجه الأمير قانباى الحمزاوى إلى محل كفالته بنيابة حماة بعد أن استدان نحوا من خمسة آلاف دينار بفوائد جمة لعدم ذات يده، وهذا من غرائب مايحكى عن أمراء مصر :

وفى خامس عشره قدم الصاحب كريم الدين بن كاتب المناخ من الوجه القبلى وأقام بداره :

وفى[1] هذه الأيام الموافقة من شهور القبط برمودة حصل بمصر والقاهرة مطر كثير تهدم منه بعض بيوت وذلقت أخر، وسال من الجبل المقطم سيل عظيم وأقام منه الماء فى الصحراء عدة أيام، وهذا أيضا فى هذه الأيام مما يتعجب لوقوعه بهذه البلاد :

وفى هذا الشهر خرج الأمير قرقماس الشعبانى نائب حلب منها بعسكر وقصد العمق فنزل به وجمع عربان الطاعة . وسبب ذلك أن الأمير صارم

(١) يستفاد مما ورد فى جدول السنين بالتوفيقات الإلهامية، ص ٤١٩ أن أول رمضان سنة ٨٣٨ كان يوافقه الخامس من برمودة والحادى والثلاثين من مارس ١٤٣٥، أى أن الوقت كان إذ ذاك فصل الربيع .

صارم الدين إبراهيم بن قرمان أراد أخذ مدينة قيصرية من الأمير ناصر الدين محمد بن ذلغادر وقد تغلب عليها وانتزعها من بنى قرمان وولى عليها ابنه سليمان، فالتجأ ابن قرمان فى هذه الأيام على السلطان بأن يملكه قيصرية ووعد بمال وهو عشرة آلاف دينار فى كل سنة وثلاثين رأسا من الخيول الخاص وثلاثين جملا من البخاتى ، سوى ما وعد به أرباب الدولة من الخدمة ، فكتب إلى نائب حلب بأن يتوجه إلى العمق ويجمع العساكر لأخذ قيصرية ، وجهز بسبب ذلك خشكلدى مقدم البريدية فخرج فى ثانى عشر رمضان هذا ونزل العمق وكتب إلى ابن قرمان أن يسير بمن معه إلى قيصرية .

وفى هذا الشهر أيضا جاء الخبر بأن أصبهان بن قرايوسف حاكم بغداد سار لأخذ الموصل فأرسل ديبال الحاكم بها إلى الأمير عثمان بن قرايلك صاحب آمد بمفاتيحها وأكد عليه فى المسير إليها، فأرسل بابنه محمود بن قرايلك وصحبته بكلمش أحد أمرائه فى مائتى[1] فارس ، فلما وصلوا إلى ديبال جعلهم فى الموصل كالمسجونين مدة ، فجهز محمود إلى أبيه قرايلك يعلمه بحاله فأرسل إليه مددا بأخيه محمد بيك بن قرايلك وصحبته ألف فارس، فوصل إلى الموصل وأقام بها مدة ولم يتمكن من رؤية أخيه محمود ، فقدم قرايلك بنفسه من مشتاه برأس عين ونزل على نصيبين فبلغه توجه إسكندر بن قرا يوسف إليه وقد هرب من شاه رخ بن تيمورلنك ملك المشرق، وكان الأمير ناصر الدين محمد بن ذلغادر لما بلغه خروج نائب حلب بالعساكر لأخذ قيصرية جهز زوجته الحاجة خديجة خاتون بتقدمة للسلطان ومعها مفاتيح قيصرية . وأن يكون زوجها المذكور نائب السلطنة بها ويسأل فى الإفراج عن ولده فياض المسجون

(١) فى الأصل « مائتين » .

بالبرج فى قلعة الجبل وكتب معها كتبا بذلك ووعد بأموال فقدمت إلى حلب فى سابع عشرينه .

شهر شوال

أهل بيوم السبت .

فى رابعه قدم كتاب الخان [١٥٦ ب] شاه رخ ملك المشرق يتضمن أنه قاصد زيارة القدس الشريف بعد أن أنكر أخذ المكوس من التجار بجدة وأرعد وأبرق بسبب ذلك :

وفى رابع عشره خلع على علاء الدين بن البلوانى[1] أحد أجناد الحلقة واستقر فى نيابة دمياط عوضا عن الأمير سودون المغربى أحد المماليك الظاهرية برقوق.

وفى خامس عشره خلع على التاج الشوبكى وأعيد إلى ولاية القاهرة عوضا عن [على] بن الطبلاوى بحكم عزله ، وأقام أخوه عمر متحدثا فيها عنه.

وفى ثامن عشره خرج محمل الحاج صحبة الأمير تمرباى الدوادار إلى بركة الحاج ، ورحل ثامن عشرينه الركب الأول صحبة صلاح الدين نصر الله وفيهم خوند فاطمة بنت الملك الظاهر ططر زوجة المقام الشريف السلطانى ، وقد أذن لوالد صلاح الدين بالتحدث فى الحسبة بالقاهرة عوضا عن ولده حتى يقدم من الحجاز ، ووصل الأمير تمرباى الدوادار من البركة ببقية الحاج فى يوم الأحد ثالث عشريه .

وفى هذا الشهر زاد ماء النيل نحو أربع أذرع قبل إبان الزيادة وأتلف كثيراً من الأودية[2] واستمرت الزيادة إلى ثالث بؤونة ، وهذا مما يندر وقوعه ، وغرق للناس بسببه مال كثير :

---

(١) كلمة غير مقروءة فى الأصل ، على أنه لم يرد له ذكر فى حوادث شوال فى النجوم الزاهرة ، ولا فى ترجمة سودون المغربى الواردة فى الضوء اللامع ٣ / ١٠٧٤ .

(٢) كلمة غير مقروءة فى الأصل .

وفى هذا الشهر قدمت خديجة خاتون زوجة الأمير ناصر الدين محمد بن ذلغادر إلى القاهرة فأنزلت وقرر لها مايليق بها وقدمت هديتها فقبلت ، وأفرج لها عن ولدها فياض وخلع عليه واستقر نائب مرعش ، وكان الأمير صارم الدين إبراهيم بن قرمان لما بلغه توجه خديجة خاتون إلى بين يدى المواقف الشريفة أرسل يسأل أن تكون قيصرية له وقدم قاصده إلى حلب فى الثامن والعشرين منه ووعد بالمال المذكور ، وكان الأمير قرقماس رحل فى الرابع والعشرين من مرج دابق قاصداً عينتاب بعد إقامته بالعمق خمسة وثلاثين يوما بلياليها .

وفى هذا الشهر ظهر[1] الأمير جانى بك الصوفى بعد هروبه من سجن الإسكندرية ولا يعرف له أثر بل ولا خبر ، حتى وصل فى يوم الثلاثاء حادى عشرى شوال إلى حلب تركمانى يقال له محمد ، وقد قبض عليه الأمير قرقماس نائب حلب بالعمق فوجد معه كتاب جانى بك المذكور فى سابعه وسير الكتاب إلى السلطان .

شهر ذى القعدة

أهل بيوم الإثنين .

فيه نزل الأمير قرقماس نائب حلب بمن معه على عينتاب وقد جمع العسكر على كينزك فوصل إليه الخبر بأن حمزة بن ذلغادر خالف الطاعة وخرج عنها وتوجه إلى [ابن عمه][2] عمر بن سليمان بن ناصر الدين محمد بن ذلغادر بعد ما أرسل إليه وحلفه وأعلمه أن دوادار جانى بك الصوفى ومحمد بن كيدغدى ابن رمضان التركمانى حضرا إلى الأمير ناصر الدين محمد بن ذلغادر على

(١) كان ظهوره فى مدينة توقات ، انظر فيما ص ٣٢٣ س ٣ ومابعده .

(٢) فى الأصل « وتوجه الى عمر بن سليمان » وقد أضيف ما بين الحاصرتين تصويبا من النجوم الزاهرة ، ج ص ٦ ٧٣٢ .

إبلستين وحلفاه أنه إذا قدم عليه جانى بك الصوفى لا يؤذيه ولا يسلط عليه من يؤذيه ولا يسلمه ولا يخذله ؛ وأخبره أنه كان عند سعيد باك وسار من عنده قاصدا إلى سليمان بن ذلغادر فبادر ابن ذلغادر إلى تلقيه فى جماعة من أمرائه، وكان السلطان قد جهز خديجة خاتون وقضى شغلها وأفرج عن ولدها وقبل هديتها، فتوجهت وصحبتها ولدها فياض فى مستهل هذا الشهر . هذا وقد حشد الأمير صارم الدين بن قرمان جموعا ونزل على قيصرية فأطاعه[1] أهلها وسلموها إليه، فهرب سليمان بن ناصر الدين محمد بن ذاغادر، وبلغه ظهور جانى باك الصوفى وأنه اجتمع بالأمير سلماش بن كباك ومحمد بن قطبلك وهذان من أكابر أمراء التركمان ونزلوا على ملطية، فحضر على أبيه بأبلستين مع عدم بلوغه خبر الإفراج عن ولده فياض وأنها حضرت به صحبتها ، وأراد أن يبقى له عند السلطان وجها ويتخذ عنده يدا ليفرج عن ولده وينعم له بقيصرية ، فجهز أحد أولاده : سليمان بعد عوده منهزما من قيصرية بكتابه إلى السلطان : وقدم الخبر بأن إسكندر بن قرا يوسف مشى على قرايلك وأغار على مدينة أرزن الروم وأخذها ثم عاد إلى آمد فأقام بها ليلة وخرج منها إلى أرقنين خوفا من إسكندر هذا ؛ وقد ورد كتاب جانى بك الصوفى على الأمير بلبان نائب درندة فقبض على القاصد وحبسه وجهز كتابه إلى السلطان .

وفى سابع عشرينه عاد الأمير قرقماس إلى حلب بعد غيبته عنها بالعمق ومرج دابق وعينتاب خمسة وسبعين يوما وقد فاته أخذ قيصرية لاستيلاء إبراهيم بن قرمان عليها ، وما كان قصد قرقماس إلا أخذها واستنابة أحد أمراء السلطان بها ، فوافق ظهور جانى بك الصوفى والتجاؤه لابن ذاغادر ووصول خديجة خاتون وولدها فياض إليه فبلغ قصده ومناه وترك طاعة السلطان ومداراته ، وحصل

(١) فى الأصل « فأطاعوه » .

عند أهل الدولة الأعيان بل و الأصاغر من ظهور جانى بك مالا يسعه الوصف ولا دائرة النطاق.

* * *

وفى سادسه نقل الأمير قنصوه النوروزى من نيابة طرسوس إلى الحجوبية الكبرى بحلب عوضا عن طوغان السيفى تغرى بردى ، وانتقل طوغان [السيفى] إلى إمرة بدمشق ، واستقر يوسف بن قللر فى نيابة طرسوس.

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشرينه[1] وهو [١٥٧ ا] سابع عشرين بؤونه كان ابتداء النداء على زيادة النيل فزاد إصبعين ، واعتبر قاع البحر فجاءت القاعدة أحد عشر ذراعا وعشرة أصابع ، وهذا مما يتعجب وقوعه ولم ندرك مثل هذه القاعدة فى الزيادة ولم يزد النيل شيئا ونقص ستة عشر ذراعا ، ولم يناد على النيل إلى سلخه.

شهر ذى الحجة

أهل بيوم الأربعاء :

فى سادسه نودى بزيادة إصبع من النقص واستمرت الزيادة فى كل يوم.

وفى تاسعه رسم لزين الدين عمر بن شهاب الدين أحمد بن صلاح الدين صالح بن السفاح كاتب السر بحلب بنظر الجيش بها مضافا لما بيا ه عوضا عن جمال الدين يوسف بن أبى صبيعة بمال وعدبه للذخيرة الشريفة.

وفى سابع عشره ثار العربان بطريق غزة على مبشرى الحاج وأخذوا جميع ما معهم وقتلوا منهم مملوكا وأطلقوهم عراة حفاة ، واستمروا بادية عوراتهم

(١) الوارد فى التوفيقات الإلهامية ؛ ص ٤١٩ أن أول ذى القعدة سنة ٨٣٨ كان الأحد ويطابقه الرابع من بؤونة ، وعلى ذلك يكون ٢٣ ذى القعدة يوافق ٢٧ بؤونة كما بالمتن وإن اختلف فى تحديد بداية الشهر العربى.

عطاشا جياعا إلى أن وصلوا إلى أرباب الأدراك من جهينة[١] بناحية السماوة فأحسنوا قراهم وآووهم وذبحوا لهم الذبيحة من الغنم وكسوهم من ثيابهم وحملوهم إلى القاهرة ، وقد حصل عند الناس وهج واحتراق بسبب غيبة الكتب الواصلة من الحجاج عن ميعادهم .

وحج فى هذه السنة الملك الناصر حسن بن بدر الدين متملك ديوه . التى يسميها العامة ديبة وهى جزائر فى البحر بجوار سيلان .

ووصل الخبر بوقوع وباء عظيم ببلاد كرمان ، وكان ابتداء الوباء من مدينة هراة من بلاد خراسان فى شهر ربيع الأول ، ومات عالم كبير حتى بالغ المكثر فقال ثمانمائة ألف إنسان .

وخرج شاه رخ فى شهر ربيع الأول هذا وقد اجتمع معه عساكر عظيمة يريد بها محاربة اسكندر بن قرا يوسف وقد أخذ معه أهبة أربع سنين ، وسبب ذلك أن اسكندر نزل على شماخى[٢] من مملكة شروان وقاتل مالكها خليل بن ابراهيم[٣] شيخ الدربند مدة ، فلما كان فى بعض الأيام خرج إسكندر من مخيمه قاصدا الصيد منفردا فى قليل من عسكره فوثب خليل وهجم على عسكر اسكندر وقتل

(١) جهينة حى من أحياء العرب يرجعون فى أصولهم الأولى إلى قحطان ، وقد أشار القلقشندى فى كتابة نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ، ص ٢٢٢ ، إلى أنهم أكثر عرب الصعيد بالديار المصرية وذلك نقلا عن الحمدانى الذى قال «وكانت مساكنهم فى بلاد قريش يعنى الأشمونين — فأخرجتهم قريش بمساعدة عسكر الفاطميين » .

(٢) شماخى قصبة إقليم شروان ، وقيل إنه يوجد بقربها ما تعرف بصخرة موسى التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم فى قوله تعالى فى سورة الكهف « قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فانى نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره » .

(٣) هو خليل بن إبراهيم صاحب شماخى وقد ظل فى الحكم حوالى أربعين سنة وامتدحه من ترجموا له وأثنوا على سيرته ، وبلغ من حش الثناء عليه أن مراد العثمانى أوصاه بابنه محمد كما أوصى محمدا بألا يعصى أمراً لخليل بن إبراهيم هذا ، انظر السخاوى : الضوء اللامع ٣ / ٧٢٧ .

منهم وأسر ، [وكان] من جملة الأسرى ولدا اسكندر وزوجته وبنته ، وأرسل بالولد إلى شاه رخ فتلقاه بالإكرام والاحترام ، وصار يركب معه ويسايره ، ثم حمله إلى سمرقند ونصب خليل زوجة إسكندر وبنته في الخرابات لفعل المحرم بهما . فلما عاد إسكندر وبلغه ما وقع ألح وارتج في الحرب والقتال حتى ظفر بشماخي وهدمها وجعلها بلاقع ونهب ما فيهـا من الأموال ، وأفحش في القتال والأسرى والسبي ، وهرب خليل وأرسل يستنجد بشاه رخ ويرتمي عليه وعلى الخاتون زوجته ، فما زالت الخاتون بشاه رخ حتى برز لقتاله ، ومن العجيب أن إسكندر ظفر بابنة خليل وامرأته فأوقفهما في الزنا كما فعل خليل بحريمه ، وكما تدين تدان وبئس هذا الفعل الشنيع ، وأمر خمسين رجلا في كل يوم أن يزنوا بهما نكاية في خليل .

* * *

وفي هذه الأيام وقعت وقعة بين الفرنج والمسلمين بناحية المغرب .

وفيها قوى عرب إفريقية وحصروا مدينة تونس وذلك أن السلطان أباعبد الله محمد بن الأمير أبي عبد الله محمد بن السلطان أبي فارس عبدالعزيز لما أقيم في سلطنة أفريقية بعد موت جده عبد العزيز ابن أبي العباس أحمد في سفره بنواحي تلمسان قدم إلى مدينة تونس دار ملكه في يوم عاشوراء وأقام بها أياما ثم خرج إلى عمرة فنزل بالدار التي بناها جده أبو فارس وطبق على العرب ومنعهم من الدخول إلى بلاد إفريقية ، وكان عليلا فاشتد مرضه وفر من عنده الأمير زكريا ابن محمد بن السلطان أبي فارس ونزل عند العرب المخالفين على المنتصر ، فسار عند ذلك المنتصر من عمرة راجعا إلى تونس وحصرها عدة أيام ، فخرج عثمان أخو المنتصر من قسنطينة وقدم تونس ففرح به المنتصر : هذا والفقيه أبو القاسم

البرز لى خطيب البلد ومفتيها يجول فى الناس بالمدينة ويحرض الناس على قتال العرب ويخرجهم فيقاتلون العرب ويرجعون مدة أيام إلى أن حمل العرب عليهم حملة منكرة فروهم وقتل من الفريقين عدد كبير ، كل ذلك والمنتصر ملقى على فراشه لايستطيع النهضة إلى الحروب من شدة الآلام والأسقام والله تعالى يهدينا إلى دار السلام .

[١٥٧ ب] ذكر من توفى هذه فى السنة ممن له ذكر

٧٤٢ — الأمير سيف الدين طرا باى نائب طرابلس ، أحد المماليك الظاهرية برقوق وممن اشتهر بالشجاعة ونبغ بعد أستاذه وخرج عن طاعة الملك الناصر فرج مع من خرج ، وانتقل به الدهر إلى محن وإحن ، ثم صار من أكابر الأمراء بالديار المصرية ، ثم تقلبت به الأحوال فى الأيام الأشرفية هذه فسجن بثغر الإسكندرية مدة سنين ، ثم أطلق منها وولى نيابة طرابلس ، وكان دينا عفيفا عن القاذورات ، ومات فجأة فى يوم السبت رابع شهر رجب من غير وعك ولا مقدم علة بل صلى صلاة الجمعة وهو صحيح فى غاية الصحة واستمر إلى صلاة الصبح فمات فى مصلاه رحمه الله .

٧٤٣ — وهلك الحطى ملك الحبشة .

٧٤٤ — وهلك ملك كوبرجه (١) من بلاد الهند وهو السلطان شهاب الدين أحمد أبو المغازى بن أحمد بن حسن بن حسن شاه بن بهمن [شاه بن ظفر شاه]

(١) هكذا فى الأصل ولكنها « كلبرجة » فى الضوء اللامع ج ١ ص ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٩ ، أما « بهمن » فقد وردت بالنون فى نفس المرجع ؛ ج ١ ص ٢٠٩ س ١٠ ؛ ص ٢١٠ س ٨ ، ولكنها وردت برسم « بهمز » فى نفس المرجع ، ج ١ ص ٢١٩ س ٢ ، هذا ويلاحظ أن إنباء الغمر ج ٣ ص ٥٥٥ ، س ١٤ سماها « كلبركة » ، كما أن شذرات الذهب ، ج ٧ ص ٢٢٩ — ٢٣٠ جعلت وفاته سنة ٨٣٩ حيث جاء فيها « ومات له (أى لشاه رخ) فى هذه السنة أعنى سنة ٨٣٩ ثلاثة أولاد كانوا ملوك الشرق » .

في شهر رجب بعد إقامته في المملكة أربع عشره سنة وقام[(١)] من بعده ابنه ظفر شاه واسمه أحمد ، وكان من خير ملوك زمانه .

٧٤٥ — وتوفى الشريف زهير بن سليمان بن زيان[(٢)] بن منصور بن جماز بن شيحه الحسيني قتيلا في محاربة أمير المدينة النبوية المسمى مانع[(٣)] بن على بن عطية ابن منصور بن جماز بن شيحة في شهر رجب ، وقتل معه عدة من أولاد حسين منهم ولده عزيز بن هيازع بن هبة بن جماز بن منصور بن جماز . وكان زهير هذا غشوما فاتكا يسير في بلاد نجد وبلاد العراق وأراضي الحجاز ، وكان جمعه من الرجال نحو ثلاثمائة رجل من الفرسان ومعهم خيولهم وعدة أيضا من الرماة بالسهام ويتعرض للمسافرين ويأخذ القفول .

٧٤٦ — وتوفى الأمير زاه[(٤)] ابراهيم بن الخان شاه رخ بن تيمور كوركان متولى شيراز في شهر رمضان المعظم قدره ، وكان قد جهز جيشا إلى البصرة في شعبان فملكوها له ، ثم وقع بينهم وبين أهل البصرة خلاف فاقتتلوا ليلة عيد الفطر فهزم أهل البصرة أصحاب إبراهيم وقتلوا منهم عدة . فورد عليهم خبر موته ففرحوا به فرحا شديداً « وكان من أجل الملوك » كذا نعته الشيخ تقى الدين المقريزي . وله فضيلة ويكتب الخط الذى لا أحسن منه في خطوط أهل زماننا .

---

(١) في الأصل « وأقام من بعد أبيه » وهذا خطأ في التاريخ والنسب .

(٢) وردت في الأصل بغير تنقيط ولكنها وردت بالباء الموحدة في الضوء اللامع ٣ / ٨٩٤ .

(٣) راجع ترجمته في الضوء ٦ / ٨١٩ .

(٤) أورده العزاوى : العراق بين احتلالين ج ٣ ص ٩٣ فيمن مات سنة ٨٣٨ ، انظر أيضا انباء الغمر ، ج ٣ ص ٥٥٤ وإن ورد هناك باسم « أمير زاده » . وهو خطأ .

٧٤٧ – وتوفى[1] صاحب مملكة كرمان بابى سنقر بن شاه رخ بن تيمورلنك في العشر الأول من ذى الحجة وكان ولى عهد أبيه وعنده جرأة وشجاعة وإقدام ، فعظم مصابه على أبيه ، والله تعالى أعلم .

* * *

(١) جاء اسمه فى الأصل هكذا « توفى صاحب مملكة فرما مملكة كرمان » ولم ترد عبارة « مملكة فرما » فى كل من النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٨٣٦ ، والضوء اللامع ٣ / ١ ؛ هذا وقد ترجم له ابن حجر فى إنباء الغمر مرتين الأولى فى سنة ٨٣٨ (ج ٣ ص ٥٥٧) والأخرى فى سنة ٨٣٩ ، انظر نفس المرجع والجزء والصفحة ، حاشية رقم ٢ . ويلاحظ أن السخاوى جعل وفاته سنة ٨٣٩ وإن قال « وإن قيل فى التى قبلها » ، كذلك جعلتها شذرات الذهب ، ج ٧ ص ٢٢٩ فى سنة ٨٣٩ وإن جعلت موته فى رمضان وليس فى ذى الحجة .

سنة تسع[1] وثلاثين وثمان مائة

شهر الله المحرم

أهل[2] بيوم الخميس :

فى خامسه الموافق ثامن مسرى كان وفاء النيل ست عشرة ذراعا وأربع أصابع فرسم للمقام الجمالى يوسف ولد المقام الشريف بالركوب لتخليق المقياس وفتح فم الخليج على العادة :

وورد الخبر بأن شاه رخ لما سار من مدينة مملكته التى هى هراة فى ثانى عشر ربيع الأول من العام الماضى نزل على مدينة قزوين[3] فى شهر رجب منها ، ورسم لأمير الأمراء فيروز شاه أن يتوجه إلى بغداد وأشهر النداء فى معاملة قزوين وتبريز وسائر ممالك العراقين بعمارة ما خرب وزراعة ما تعطل من

---

(١) فى الأصل « تسعة » .

(٢) الوارد فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٤٢٠ أنه استهل بيوم الأربعاء ثالث مسرى ١١٥١ ، ومن ثم يكون خامس المحرم هو السابع من مسرى القبطى الموافق ٢٠ يوليو ١٤٣٦ م ، اما غاية الفيضان فى هذه السنة فكانت ١٩ ذراعا وستة قراريط .

(٣) قزوين المدينة تقع على بعد مائة ميل من الشمال الغربى لطهران ، وعلى مقربة منها بيوت النار ، ولقد اتخذها المسلمون فى عهد بنى أمية مركزا لعسكرهم وملأوها بالمقاتلة ، وذلك إدراكا منهم لأنها الخط الأول فى مواجهة العدو ، كما اتخذها العباسيون مركزا للهجوم على أهل الطالقان والديلم ، وقد أطال القزوينى فى وصفه إياها وذكر أن مكانها كان مدينة فارسية من إنشاء الملك سابور وكانت تسمى « شاد شابور » ، وكانت قزوين مشهورة بالجوارب والقسى والنعناع ، انظر ذلك بالتفصيل فى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٢٥٣ — ٢٥٤ ، ٢٦٢ .

الأراضى وغراسة البساتين ، وأن من زرع أرضا لايوخذ منــه خراج مدة[1] خمس سنين ، ومن عجز عن العمارة يدفع إليــه ما يقوى به على ذلك ، وأن إصبهان بن قرا يوسف حاكم بغداد كتب بدخوله فى طاعة شاه رخ ، فكف عن تجهيز العسكر إليه وسار حتى نزل تبريز فى عدد وعدد لايحصى عددهم إلا الذى خلقهم لقتال إسكندر بن قرا يوسف .

* * *

وأما خبر جانى بك الصوفى فإنه بكماخ[2] عند ابن قرا يلك وقد أمده بخيول وجمال وأموال وأرسل شاه رخ ابنه أحمد جوكى[3] إلى جهة ديار بكر فى عسكر عظيم فى ذى الحجة من السنة الحالية فنزل على قرا باغ وأرسل إلى بلاده يطلب الميرة فحملت إليه من كل فج ، وتأهب لعمارة تبريز فى المحرم هذا ، ونادى فى مملكة أذربيجان بالعدل ، وأمر جميع عساكره أن لا يأخذوا لأحد حبة قمح فما فوقها[4] إلا بحقها ومن خالف ذلك قتل .

شهر صفر

أوله [يوم الجمعة[5]] .

---

(١) فى الأصل « منذ » .

(٢) تقع على الفرات الغربى ، وهو اسم يطلق على المدينة والقلعة ، ويسميها البيزنطيون كمخا Kamcha ، أما العرب فيسمونها كماخ أوكمخ ، انظر بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٥١ .

(٣) فى الأصل « جوك » وهو خطأ من الناسخ .

(٤) فى الأصل « فاوقها » .

(٥) فراغ فى الأصل بقدر كلمتين ، وقد أضيف مابين الحاصرتين بعد مراجعة جدول السنين لسنة ٨٣٩ فى التوفيقات الإلهامية .

فيه كانت واقعة بين إسكندر بن قرا يوسف وعثمان بن قرا يلك قريبا من أرزن الروم[1] وسببها أن شاه رخ أرسل يستدعى قرايلك لقتال اسكندر وقد هرب منه فجمع عثمان قرا يلك ولقى اسكندر فاقتتلا ، فخرج كمين لاسكندر على عثمان فهرب وقصد أرزن الروم والفرسان فى طلبه ، فلما خاف أن يؤخذ باليد رمى بنفسه فى خندق المدينة فغرق ثم أخرجه[2] أولاده ودفنوه بمسجد هناك ، فوصل إسكندر وسأل عن عثمان فدل على قبره . فأخرجه بعد ثلاثة أيام من دفنه وقطع رأسه وحملها إلى السلطان بمصر ومعه خمس رءوس منها رءوس بعض أولاده .

وكان شاه رخ أرسل أحمد جوكى والأمير بابا حاجى على عسكر فى إثر إسكندر نجدة لقرايلك فوجدوه قد انهزم وقتل ، والتقوا بمقدمة إسكندر على ميافارقين[3] فوقع بينهم قتال وقتل [كثيرون] من كل منهم ، ثم انهزم اسكندر إلى جهة بلاد الروم وكتب بخبره إلى السلطان فملك أحمد جوكى بن شاه رخ أرزن الروم ونزلها [١٥٨ أ] وطلب من أهلها أموالا عظيمة وتزوج بابنة عثمان

(١) أرزن الروم أو أرضروم والإسم الأول هو الذى سماها به العرب ، ويسميها الأرمن كارن Karin والبيزنطيون ثيودوسيوبوليس = Theodosiopolis وتعتبر من أكبر المدن فى بلادها قاقلا ، وكانت أرزروم حافلة بالكنائس والبيع ، وتكثر فى دورها البساتين ، وقد وصفها ابن بطوطة حين زارها سنة ٧٣٣ هـ (= ١٣٣٣ م) بأنها « مدينة كبيرة الساحة من بلاد ملك العراق ، خرب أكثرها » ، نقل ذلك لسترانج فى بلدان الخلافة الشرقية ، ص١٤٩ — ١٥٠ .

(٢) فى الأصل « أخرجوه » .

(٣) ميافارقين من المدن القديمة ، قيل إن تاريخها يرجع إلى أيام الملك تيودوسيوس ، ويختلف اسمها باختلاف الأمم والشعوب فهى فى الأرامية ميفركت Maypharkath وهى عند الأرمن Moufargin ، وسماها الإغريق مرتيروبولس Martyropolis أى مدينة الشهداء ، وقد حرف ذلك ياقوت الحموى فقال إن اسمها عند البيزنطيين مدورصالا يعنى بذلك مدينة الشهداء ، ويجمع من زارها من الرحالة والجغرافيين المسلمين على أنها مسورة وأن سورها من الحجر الأبيض الذى بنيت منه المدينة كلها ، كما أن لها ثمانية أبواب ، انظر لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ص١٤٣ — ١٤٤ .

قرايلك وأخذ منها[1] ألف حمل دقيـق وشعير ونحو ذلك وعاد إلى أبيه شاه رخ وقد نزل يشتّى عليها كما هى عادة أبيه[2] :

وأما إسكندر بن قرايوسف فأنه نزل أقشهر فقام متوليها بضيافته وخدمته وراسل فى السر فأعلم أحمد جوكى به فلم يشعر إلا وقد طرقه العسكر بغتة فهرب فى جماعة ، ونهب جوكى جميع ما كان معه ورجع ، ومضى إسكندر يريد القدوم على ملك الروم مراد بن محمد كرشجى بن عثمان جق حتى نزل توقات[3] فكتب حاكمها أركيج إلى مراد يعلمه بقدوم إسكندر . فجهز له عشرة آلاف دينار وعدة من الخيل والمماليك والجوارى والثياب ، هذا وقد جال اسكندر ومن معه فى معاملة توقات ونهبوا وخربوا فجرت بينه وبين اركيج بسبب ذلك مقاولات آلت إلى أن كتب إلى مراد يعلمه بما حل ببلاده من النهب والتحريق والتعذيب ، فشق ذلك عليه ، وأرسل من رد الهدية وجهز عسكرا وكتب إلى ابن قرمان وغيره بإخراج إسكندر وقتاله ، فهرب منهم :

وفى هذا الشهر أرسل شاه رخ إلى مراد بن عثمان ملك الروم وإلى صارم الدين إبراهيم بن قرمان وإلى قرايلك وأولاده وإلى ناصر الدين محمد بن ذلغادر بخلع فخلعت عليهم[4] :

---

(١) أى من أرزن الروم .

(٢) فى الأصل « أبوه » .

(٣) توقات — وقد يقال لها أيضا دوقاط — من مدن آسيا الصغرى الإسلاميـة وكانت من أهم الأماكن أيضا عند السلاجقة فقد قامت فيها حكومة لهم كما كانت أماسية القريبة منها جغرافيا تنافسها هذه المكانة أيضا .

(٤) أضاف أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٧٢٤ الى ذلك أن السلطان لمـا بلغه ذلك شق عليه « من كون ابن عثمان لبس خلعته » .

شهر ربيع الأول

أهل بيوم الأحد :

الموافق لسابع عشرى[(1)] توت ابتدأ بنقص ماء النيل وذلك قبل انقضاء أيام الزيادة ثم رد النقص فى ثالثه ، واستمرت الزيادة إلى يوم الخميس خامسه وهو أول بابه ، وقد بلغت الزيادة إلى عشرين ذراعا وعشرين إصبعا وثبتت أياما ثم انقضت بخير ولله الحمد .

وفى يوم الإثنين ثانيه خلع على شرف الدين أبى بكر نائب كاتب السر واستقر كاتب السر بحلب عوضا عن عمر بن أحمد بن السفاح كرها بعد امتناع شديد ولولا [أنه] هدد بالقتل ماوليها ، وسبب ذلك أن ابن السفاح كاتب مرارا يحط على الأمير قرقماس نائب حلب ويذكر عنه أنه يريد الخروج عن الطاعة ويخامر على السلطنة ، وآخر ما ورد : كتابه بذلك فى نصف صفر ، فجهز نجاب بإحضار الأمير قرقماس وقد حصل القلق خوفا من امتناعه من الحضور ، فلم يكن بأسرع من مجىء نجاب نائب حلب فى خامس عشرينه يستأذن فى القدوم وقد بلغه شىء مما رمى به من المغامرة ، فغضب السلطان على ابن السفاح ورسم بعزله واستقرار شرف الدين المذكور عوضا عنه ، لأنه لوكان قرقماس مخامرا لما استأذنه فى الحضور وحصل بذلك سرور وكتب بحضوره ، وكان هو عندما ورد عليه المثال الأول خرج على الفور من حلب وقدم القاهرة فى سادس ربيع الأول هذا .

وفيه ورد الخبر بقتل قرايلك كما تقدم .

---

(1) فى الأصل « سابع عشر توت » لكن بمراجعة التوفيقات الإلهامية ، ص ٤٢٠ يتضح أن أول المحرم كان السبت وهو ٢٦ توت ١١٥٢ ، ٢٤ سبتمبر ١٤٣٥ م .

وفى ثامنه خلع على الأمير جقمق [العلائى] أمير سلاح واستقر أميرا كبيرا عوضا عن إينال الجكمى أتابك العساكر ، واستقر الأمير إينال المذكور فى نيابة حلب عوضا عن قرقماس أمير سلاح عوضا عن جقمق :

وفيه قدم الأمير طوغان حاجب غزة وقد عين لاستقراره فى نظر القدس والخليل فانتدب الأمير تغرى برمش فى الاعتناء بمقولتهما ، فأعيد طوغان إلى حجوبية غزة على عادته :

وفى عاشره خلع على معين الدين عبد اللطيف بن شرف الدين أبى بكر المشهور بابن الأشقر كاتب السر بحلب واستقر فى وظائف والده :

وفى ثالث عشرينه[1] الموافق لثامن بابه ابتدأ نقص النيل وقد انتهت الزيادة فيه إلى ما قدمناه :

وفيه خرج الأمير إينال الجكمى إلى محل كفالته بحلب وصحبته القاضى شرف الدين :

وفى سابع عشره خلع على الأمير أتابك العساكر جقمق بنظر البيمارستان المنصورى على العادة :

وفى رابع عشرينه خلع على الأمير ركن الدين عمر واستقر فى ولاية القاهرة بعد وفاة أخيه التاج :

---

(١) اذا صح أن التاريخ العربى لاخطأ فيه فالواجب أن يكون التاريخ القبطى الذى يوافقه هو ١٨ بابه ، ذلك لأن أول ربيع الأول كان يعادله ٢٦ توت سنة ١١٥٢ ، لكن يبدو أن الصحيح أن يقال « وفى ثالث عشره » أى ١٣ ربيع الأول ، وهذا هو الأرجح إذ أن تسلسل الأحداث كما يرويها ابن العيرفى يبين أن كلمة «عشرينه» وضعت سهوا بدلا من « عشرة » ، انظر س ١٣ ، ١٥ .

وفى هذا الشهر وردت الأخبار من بلاد الروم بأن الوباء كثر وشاع ببلاد برصا من مملكة الروم واستمر بها نحوا من أربعة أشهر هى وأعمالها .

* * *

وفى هذا الشهر مسك جانى بك الصوفى وخبره أنه ظهر [1] فى مدينة توقات فى أوائل شوال من السنة الماضية فقام متوليها أركج باشا بالقيام به ومساعدته وكاتب عدة من الأمراء منهم ناصر الدين محمد بن ذلغادر نائب أبلستين وأسلماس ابن كبك ومحمد بن قطبكى وعثمان قرايلك ونحوهم من أمراء التركمان ، وانضم إليهم جماعة من توقات ، فوصل إليه الأمراء قرمش الأعور وابن أسلماس وابن قطبكى ومضوا إلى الأمير محمد بن عثمان قرا يلك صاحب قلعة جمركشك [2] فقواهم وشنوا منها الغارات على قلعة دوركى وضايقوا أهلها ونهبوا ضواحيها ، ووافق ورود كتاب شاه رخ ملك المشرق على قرايلك يأمره بالمسير بأولاده وعساكره لقتال إسكندر بن قرا يوسف سريعا عاجلا فكتب إلى محمد بالقدوم إليه لذلك ، فنزل جانى بك الصوفى ومن معه على دوركى ورجع إلى أبيه فسار جانى بك إلى أسلماس وابن قطبكى [١٥٨ ب] حتى نزلوا على ملطية وحاصرها فكادهم سليمان [3] بن ناصر الدين محمد بن ذلغادر وكاتب جانبك الصوفى بأنه معه وكتب إليه أن يقدم عليه ، وأرسل بكتابه قرمش الأعور فأكرمه وسار معه فى مائة وخمسين فارسا فتلقاه جانى بك واعتنقه ثم عادا وحصروا ملطية ، فأظهر سليمان من النصح ما أوجب ركون [4] جانى بك إليه ، فأخذ فى الحملة على

(١) راجع ما سبق ، ص ٣١٩ ، س ٩ وما بعده .

(٢) يرجح الأستاذ بوبر ناشر كتاب النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة فى الجزء السادس منه ، قسم ٢ ، ص ٧٣٧ ، حاشية رقم ٣ أن هذه القلعة هى الواردة فى مورأى باسم آخر ، وأنها عند سيكس تسمى Chemish gegek

(٣) انظر عنه الضوء اللامع ٣ / ١٠١٧ .

(٤) فى الأصل « ركوب » ولكن واقع الأحداث يقتضى أن تكون الكلمة بالنون لا بالباء .

جانى بلك وخرج هو وإياه فى عدة من أصحابه ليستريحا ويتنزها به، بعد أن أعد للحصار قرمش وبقية العسكر وأبناؤهم ما يصنعونه و[بينما](١) هما فى غاية ما يكون من الاتحاد والألفة والصحبة نزل سليمان وجانى بك فوثب عليه أصحاب سليمان فقيدوه، وسار به سليمان على إكديش ليلته ومن الغد حتى وافى به أبلستين، وكاتب بذلك المقام الشريف السلطانى، وكان القبض عليه فى سابع شهر ربيع الأول هذا.

شهر ربيع الآخر

أوله الإثنين.

فيه وصل جمال الدين يوسف بن الصفى الكركى ناظر الجيش بدمشق بطلبه وهو عليل بعلة ضربات المفاصل وصحبته تقدمة جليلة، فقدمت وقبلت ورسم له بالإضافة حتى يبرأ.

وفيه وصل كتاب إلى عند السلطان مضمونه « من شاه رخ إلى جانبك الصوفى » بالتحريض له على أخذ البلاد الشامية، وأنه سيرسل إليه ولده أحمد جوكى وبابا حاجى نجدة له. فرسم السلطان بكتابة مراسيم إلى نواب البلاد الشامية بأن يكونوا على أهبة لطارق يطرق حلب أو نائبها؛ « وإذا طلبكم(٢) لنجدته فتبادروا إليه ».

وفى ثالثه ورد الخبر بالقبض على جانى بك الصوفى كما ذكرناه قبل.

وفى يوم السبت سادسه خلع على ولى الدين أبى اليمن محمد بن تقى الدين قاسم المشهور باسم والده واسم جده عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن

---

(١) إضافة اقتضاها المعنى ليستقيم.
(٢) يقصد بذلك أنه إذا طلبكم نائب حلب فبادروا لنجدته.

عبدالقادر الشيشينى[1] ثم المحلى، نزهة السلطان ونديمه واستقر فى نظر الحرم الشريف كله عوضا عن سودون المحمدى المتوجه لعمارة الحرم الشريف وفى المشيخة على الخدام الذين هم بالخدمة بالمسجد النبوى على ساكنه أفضل الصلاة والسلام عوضا عن بشير الطواشى التنمى .

والذى هو معهود من قديم السنين والأحقاب أن مشيخة الحرم معدة للخدام الطواشية وقد قال شيخنا البدر العينى والشيخ تقى الدين المقريزى : « لم نعهد مشيخة المسجد النبوى يليها دائما منذ عهد السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب إلا الخدام الطواشية » ؛ قلت : فولاية ابن قاسم هذه حادثة من الحوادث طرقت أهل الحرمين الشريفين ؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله .

* * *

وفى حادى عشره وصل سيف الأمير قصروه نائب الشام وأخبر بموته على ابن أمير على بن إينال باى أحد الحجاب بالشام .

وفى ثامن عشره حضر محمد بن قصروه وهو ادار قصروه قراجا وفرض عليهما مال يقومان به للسلطان من تركة قصروه وجملته من النقد مائة ألف دينار ، ورجعا إلى دمشق .

وفى ثالث عشره أشهر النداء بعرض أجناد الحلقة ليتأهبوا للسفر إلى البلاد الشامية وروجع السلطان فيهم مرارا فلم يعف أحداً منهم .

وفيه رسم باستدعاء قضاة القضاة ومشايخ الإسلام إلى قلعة الجبل وجلسوا إلى جانب السلطان وسئلوا فى أخذ أموال الأوقاف والأغنياء والناس للنفقة على

---

(١) ولدا بن قاسم هذا بالمحلة فى سنة ٧٨٣ وناب فى القضاء ببعض أعمالها ، راجع قصة ارتفاع مكانته عند السلطان الأشرف برسباى فى الضوء اللامع ، ٨ / ٧٧٧ .

العساكر المتوجهين لمحاربة شاه رخ ، فكثر المقال وانفضوا على المحال . هذا وقد داخل الناس من ذلك خوف وانزعاج ، وقلق واضطراب :

وفى يوم الاثنين خامس عشره ابتدئ بعرض أجناد الحلقة فاجتمع بالحوش السلطانى بقلعة الجبل من المشايخ والأطفال والعميان والزمناء والفقراء ومن لا يملك قوت يومه ، فإن المذكورين فقراء وضعيفو الحال ، فلما رآهم السلطان فى هذه الحالة الشنيعة الفظيعة كان من جوابه لهم « أنا ما آخذ منكم مالا مثل ما صنع الملك المؤيد شيخ فيكم ، ولكن اخرجوا جميعا : من له قدرة على فرس يركب أو بغل أو حمار » ورسم للأمير أركماس الظاهرى الدوادار بالعرض بين يديه فنزلوا إلى داره وكان يوما فظيعا :

* *

وفيه ورد كتاب الأمير أصبهان بن قرا يوسف حاكم بغداد على يد رسوله حسين بك يتضمن أنه كثير الشكر والثناء والمحبة، وأنه وأخوه إسكندر محاربان شاه رخ ، وتاريخ الكتاب قبل وصول أحمد جوكى وبابا حاجى بعساكر شاه رخ وقبل موت قرا يلك :

وفى سابع عشره وصل رسل إسكندر بن قرا يوسف صحبة الأمير شاهين الأيدكارى برأس الأمير عثمان بن قرايلك وخمسة رؤس منهم اثنان أولاده وثلاثة من أعيان أمرائه، ووافق وصولهم غيبة السلطان لصيد الكراكى، وقدم من الغد فى يوم الخميس ثامن عشره فطيف بالرءوس على رءوس الأشهاد وهم فى أعلى أسنة الرماح ، هذا بعد أن زينت القاهرة ومصر سرورا بقتل قرايلك ، وعلقت الرءوس الستة على باب زويلة ثلاثة أيام ثم دفنت . وقال بعض المشايخ أخبرنى بعض المنجمين أن جماعة من أخصاء قرا يلك ومن له معرفة [١٥٩ أ]

بأحواله أنه كان فى ظنه أنه يملك مصر ، وأن منجما أخبره أنه يدخل مصر فدخل ولكن برأسه وهى على رمح .

وفى عشرينه خلع على الأمير تغرى برمش أمير آخور واستقر نائب حاب عن الأمير إينال الجكمى بعد أن كتب لإينال بانتقاله إلى نيابة الشام عن قصروه بحكم وفاته ، وجهز له التقليد والتشريف .

وفيه حضر قصاد إسكندر بن قرا يوسف وتمثلوا لدى المواقف الشريفة بكتاب فقرىء على السلطان يتضمن الثناء والشكر والمحبة والنصح ؛ فحمل إليه مال بنحو عشرة آلاف دينار وأخبر بأن السلطان سيطأ تلك الأرض .

وفيه عرض السلطان الخيول والدواب بالإصطبلات الشريفة بنفسه .

وفى حادى عشرينه سار الأمير تغرى برمش لمحل كفالته بحلب الشهباء .

* * *

وأما أخبار القاهرة فإن أسعار المطعومات ارتفعت جدا حتى بلغ الإردب من القمح إلى ثلاثمائة وستين ، والبطة الدقيق بمائة وعشرة ، والخبز نصف رطل بدرهم ، والإردب من الفول أو الشعير بمائتى درهم بل وأكثر ، واللحم الضأن بعظمه بثمانية الرطل ، ولحم البقر بخمسة دراهم ونصف الرطل ، والزيت بأربعة عشر الرطل وهو زيت الزيتون ، والسيرج بإثنى عشر درهما الرطل .

وأما تجار الكارم فلا ينهض أحد منهم ببيع ولا يشترى من الفلفل ، وأن هذا الصنف صار مخصوصا بالسلطان لا يبيعه ولا يشتريه إلا هو بالخصوص .

* * *

وفى رابع عشرينه توجه السلطان للرماية على العادة فوقف له العوام واستغاثوا من عدم وجود الخبز فى حوانيت الخبازين مع كثره القمح فلم يعبأ بهم بل ولا التفت إليهم .

وفى تاسع عشره توجه شاد بك أحد رؤس النوب وعلى يده مال وخيل وقماش وغير ذلك إلى الأمير ناصر الدين محمد بن ذلغادر نائب أباستين وإلى ولده الأمير سليمان ، فكتب لهما بأن يسلما جانى باك الصوفى إلى شادى باك ليحمله إلى قلعة حلب .

وفى هذا الشهر رسم بطلب تجار الشام فإن السلطان بلغه أنهم نقلوا فلفلا إلى دمشق من جدة ، فتغيظ بسبب ذلك بعد أن تقدم مرسومه بسنين أن من اشترى بهارا بجدة يحمله إلى القاهرة سواء كان المشترى كائنا ما كان : شامى، مصرى ، عراقى ، هندى ، رومى .

وختم على حواصل التجار الذين فعلوا هذا، فقام السعدى ناظر الخاص بعمل مصلحتهم فأفرج لهم عن حواصلهم بعد أن قرر عليهم مالا قاموا به للذخيرة الشريفة .

شهر جمادى الأولى

أهل بيوم الثلاثاء .

فيه وصلت الجزية من متولى قبرس على العادة .

وفى ثالثه خلع على الصاحب عبد الكريم بن كاتب المناخ واستقر فى نظر جدة ، وخلع على الأمير يلخجا — أحد رءوس النوب من أمراء الطبلخاناة — واستقر شاد جدة ، وأشهر النداء بمصر والقاهرة بالسفر إلى مكة للسير فى صحبتهما ، ففرح الناس بذلك فرحاً عظيما واستعدوا له .

وفى خامسه خلع على الجمال بن الصفى واستقر فى كتابة السر بدمشق عوضا عن يحيى بن المدنى [1]، واستقر قاضى القضاة بهاء الدين محمد بن حجى فى نظر الجيش بدمشق عوضا عن الجمال المذكور :

وفيه برز المرسوم الشريف أن يستقر السيد الشريف بدر الدين محمد بن على ابن أحمد الجعفرى فى قضاء القضاة الحنفية بحلب عوضا عن الشريف ركن الدين عبد الرحمن بن على بن محمد المعروف بالدخان، وكان قضاء الحنفية شاغرا بدمشق من حين توفى الدخان فى سابع عشر المحرم مدة أربعة أشهر إلا خمسة أيام، مع أن ولايته بغير مال .

وفى خامس عشره خلع على جوهر اللالا [2] الطواشى الخاص أخو جوهر الخازندار واستقر زمام الأدر الشريفة عوضا عن الأمير خشقدم [3] [الظاهرى برقوق الحصنى] الطواشى بعد وفاته ، وكانت شاغرة من حين وفاته .

وفى تاسع عشرينه استعفى الوزير تاج الدين الخطير من الوزارة فإنه دخل عليه منها أحوال رذيلة، منها أنه كان مدعيا بكفايتها [4] فلم ينهض بسدادها [5] وداسه المعاملون والطباخون وصاروا يدخلون عليه إلى صدر بيته الذى أنشأه المرحوم ابن فضل الله وفى أرجلهم النعال والطراباث فيحملها فى حجره ويرميهم خارج الدار مرارا .

---

(١) ترجم له السخاوى فى الضوء اللامع ١٠ / ١٠١٦ فقال إنه يحيى بن محمد بن الحسين الشافعى ابن المدنى ، وذكر أنه سمع على عائشة بنت عبد الهادى وأنه كان يستحضر نبذة من التاريخ .

(٢) انظر السخاوى ، الضوء اللامع ، ٣ / ٣٢٨ .

(٣) انظر السخاوى ، الضوء اللامع ، ٣ / ٦٨٠ .

(٤) فى الأصل « بكفايته » .

(٥) وردت هذه العبارة فى الأصل بخط الصيرفى هكذا « وداسوه المعاملين والطباخين وصاروا يدخلوا عليه إلى صدر بيته » .

ومنها أن المماليك السلطانية رجموه بسبب اللحم والخبز مراراً ، وتداين وعجز وارتمى على أرباب الدولة فأعفى ، وعين الصاحب عبد الكريم [١٥٩ ب] ابن كاتب المناخ لوظيفة الوزارة على عادته وأن يدفع إليه مالا وأغناماً يتقوى بهما لسداد هذه الوظيفة الصعبة .

وفى هذه الأيام رسم لنائب إسكندرية ومتولى دمياط أن لا يدعوا[1] الفرنج الفرنج المقيمين بل يخرجونهم على أسوأ حال إلى السواحل ، فامتثل المرسوم :

شهر جمادى الآخرة

أهل بيوم الأربعاء :

فى ثالثه رسم بعرض المسجونين بسائر الحبوس ليطلقوا إلى حال سبيلهم من شكواهم الجوع والحبس ، ثم توقفت لأجل ما يترتب على هذه المصالحة من المفاسد لأرباب الديون فى تضييع حقوق ، ثم رسم لأصحاب الديون أن يموّنوا المسجونين حتى يزول هذا الغلاء ، هذا إذا كان الدين كثيراً ، أما إذا كان يسيراً ألزم رب الدين بتقسيطه على المدين ، وإن لم يرض بذلك أخرج المسجون ، فاتفق أن شخصا ادعى عند بعض نواب الحنفى على شخص بمال ، وآل الأمر إلى حبسه ، فكتب القاضى على ورقة اعتقال المديون ما صورته : « يعتقل بشرط أن يفرض له رب الدين ما يكفيه من المؤونة » :

ثم فى ثالث عشره رسم السلطان بعرض جميع المسجونين وأطلقهم إلى حال سبيلهم ، ودخل فى هذا الإفراج أرباب الجرائم من قطاع الطريق والمفسدين والسراق ، وبرز المرسوم الشريف للقضاة والولاة أنهم إذا وقع عندهم أحد من أرباب الجرائم كالسراق والمفسدين وقطاع الطريق فليبادروا إلى قتلهم

(١) هكذا فى الأصل وقد أبقيناه على ماهو .

ولا يتلتفتوا إلى قطع أيديهم ولا تعزيرهم، فخلت الحبوس من المسجونين مدة طويلة وقفلت بالمفاتيح ، ثم بعد ذلك سجن بها من استحق السجن .

* * *

وفى هذه الأيام اشتد الشتاء بمصر والقاهرة والضواحى حتى جمد الماء على البرك وصار يقطع كما تقطع الحجارة من مقطعات النيل ونحوها، وصار الناس يبتاعون ذلك بالأسواق مدة أيام، ولا عهدنا مثل هذه الحادثة بل ولا سمعنا بها فى بلادنا اللهم إلا فى بلاد الروم ونحوها ، فإنه أخبرنى — من أثق بنقله — أنه مشى الخيل قدر يوم على البحر وهو جليد ثم توجه إلى قصده وعاد فوجد البحر جاريا ، فاحتاج إلى مركب حتى يستطيع الذهاب لقصده .

وفى ثامنه كان انتهاء عرض أجناد الحلقة .

وفى حادى عشره قدم الأمير غرس الدين خليل بن شاهين نائب الإسكندرية معه هدية فقبلت ، ثم أخلع عليه فى يوم الاثنين ثانى عشره ، وخرج من عند السلطان إلى داره فتكلم فى حقه أنه أخذ من تجار الفرنج مالا وأفرج لهم عن فلفل ابتاعوه من المسلمين، وكذا فعل مع تجار المسلمين، فغضب السلطان من ذلك وحنق عليه ورسم لأحد المماليك أن يدركه ويقلعه الخلعة ويعيدها إلى القاضى ناظر الخاص، فإن السلطان برز مرسومه مرارا بمنع التجار من بيع الفلفل. وأن الفرنج لا تشترى ولا تبتاع إلا من ديوان السلطان .

وفى تاسع عشره خلع على شخص أسود من بلد المغرب أصلا يقال له « سرور » وهو من الفضولية الذين يتكلمون فيما لا يعنيهم بل ولا يغنيهم وإنما يتعسهم ويشقيهم ، وذلك أنه سعى فى قضاء الاسكندرية والنظر مضافا إليها والتزم بتكفية جند الثغر المحروس وكذلك أرباب المرتبين ، وأنه يقوم بالكسوة

السلطانية. وبعد هذا يقوم للسلطان فى كل يوم بمائة دينار وثلاثين ديناراً، وكتب عليه بذلك وثيقة وتقرير ، وأخلع عليه ، فلم تطل مدته سوى ثلاثة أيام ، وركب إلى القلعة فى يوم الثلاثاء حادى عشر منه وسأل الإعفاء من وظيفة النظر وأن يستمر فى القضاء ، فضرب ضرباً مبرحاً ورسم بإخراجه من القاهرة منفيا فأخرج فى الترسيم.

وفى يوم السبت ثامن عشره برز الصاحب كريم الدين وصحبته الأمير يانخجا ومن معهم من الحجاج والمعتمرين إلى ظاهر القاهرة ، ثم ساروا فى تاسع عشره إلى مكة.

وفى ثالث عشرينه رسم لأقباى اليشبكى -الدوادار الثالث- بنيابة الإسكندرية وأخلع عليه عوضا عن خليل بن شاهين ، ورسم أن يجهز صحبته الأمير أقباى خلعة للكمال عبد الله بن الدماميني باستقراره فى قضاء القضاة باسكندرية على عادته ، وخلع على شرف الدين :::::. (١) ::::: بن الفضل واستقر فى نظر الإسكندرية عوضا عن خليل المعزول عنها :

وفى ثامن عشريه قدم الأمير أقطوه الذى توجه فى رسالة شاه رخ -ملك المشرق- ووصل صحبته شيخ صفا رسول شاه رخ ، وقدم من الغد بين يدى المواقف الشريفة فرسم بإنزاله وأن يجرى عليه ما يليق به :

وفيه قدم الخبر بأن محمد بن ذلغادر أخرج عن جانى بك الصوفى وقد صار فى عدد من الفرسان وكثر جمعه ، هذا بعد أن أخذ من شادى بك ماجهز له من الذهب والقماش وغير ذلك ، فزاد الجزع بسبب هذا.

---

(١) فراغ فى الأصل بقدر كلمتين.

وفى هذا الشهر وردت رسل أصبهان بن قرا يوسف سلطان بغداد إلى القان معين الدين شاه رخ وهو (١٦٠ آ) على قراباغ يسأله فى الرضا عليه ويعلمه بأنه من جملة خدمة ونوابه ، واحتجب القان عن الرسل ثلاثين يوماً لا يصلون إليه ثم أوقفهم بين يديه وأجابه « إنه إن عمر ما أخربه من بلاده فلا كلام ، وإن لم يعمرها فإلا وإلا ، وقد أمهلتك عاما » ؛ هذا بعد أن جهز ابن إصبهان إليه هدية سنية فلم يعبأ بها ولم يرسل له فى نظيرها ماله قيمة سوى خلعة وتقليد بأنه من جملة نوابه ، وأخلع على رسله فتوجهوا .

شهر رجب

أهل بيوم الجمعــة :

فى ثانيه رسم بحضور شيخ صفا رسول إلى أنشاه رخ ومن معه ، وفتح كتابه فإذا مضمونه « إنى قد جهزت إليكم خلعة بنيابة مصر فاضربوا السكة باسمى واخطبوا على المنابر كذلك » وضمن الخلعة تاج ليلبسه السلطان ، وتكلم فى كتابه بعبارة فاحشة لاتليق ولم يسع سامعها صبراً ، فأمر بضرب القاصد فضرب بحضوره ضربا مبرحا وكنت إذ ذاك حاضراً كذلك بالإسطبل والسلطان جالس فى المقعد وحوله الأمراء الأكابر ، والخدمة منتظمة مع العساكر السلطانية ، ثم رسم بعد ضربه له أن يلقى فى بركة ماء هى بالإسطبل السلطانى ففعلوا به ذلك[(١)]، وهذا فى غاية شدة البرد ، ثم رسم بنفيهم فسافروا فى البحر إلى مكة فأقاموا حتى حجوا وتوجهوا إلى بلادهم .

---

(١) علق أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٧٤٤ على ذلك بقوله : « لا أعرف للملك الأشرف فعلة فعلها فى أيام سلطنته أحسن ولا أعظم ولا أجل من إقدامه على هذا الأمر من ضرب قاصد شاه رخ وتمزيق خلعته فانه خالف فى ذلك جميع أمرائه وأرباب دولته ، لأن الجميع أشاروا عليه بالمحاسنة فى رد الجواب الا هو فان الله عز وجل وفقه الى ما فعل ولله الحمد ، ومن يومئذ عظم أمر الملك الأشرف وتلاشى أمر شاه رخ فى جميع بلاد الشام » .
على أنه ذكر أيضا أن الأشرف بعد أن أوقع بصفا ما أوقع طلب اليه أن يرحل إلى شاه رخ وأن يذكر له ماحصل به على يديه «من الإخراق والبهدلة » ، وكان أبو المحاسن فى مجلس برسباى يومئذ .

وفى رابعه كتب إلى مراد بن عثمان متملك بلاد الروم بأن يتأهب لحرب شاه رخ ويعلمه بماوقع منه ويفهمه « أن الأمر إذا كان لنا فيعود إليه » ، وكما قال من قال : :

من حلقت لحيـــة جار لـــه فليصبب المـــاء على لحيته

وفى سابعه خلع على شيخ الشيوخ محب الدين محمد بن شرف الدين عثمان الأشقر قاضى العساكر سليمان بن رسول بن أمير يوسف بن خليل بن نوح الكورانى التركمانى الحنفى واستقر فى كتابة السر عوضا عن القاضى كمال الدين محمد بن ناصر الدين محمد بن البارزى الجهنى ، وخلع على شهاب الدين ولد محب الدين واستقر شيخ الشيوخ عوضا عنه ، وخلع على الأمير غرس الدين خليل بن شاهين المعزول من نيابة الإسكندرية واستقر فى نظر أدر الضرب بالقاهره المحروسة عوضا عن ابن قاسم — نزهة السلطان — بحكم توجهه إلى الحجاز ، هذا بعد أن قرر ابن قاسم أخاه فى الوظيفة فلم يتم ما قرره ، واستقر خليل المذكور أمير حاج .

وفى حادى عشره قدم الأمير شاد بك الذى توجه لأخذ جانى بك الصوفى من ناصر الدين محمد بن ذلغادر وأخبر أنه لم يمكن من جانى بك وأن المـــال أخذه منه ، فشق ذلك على السلطان حتى كاد أن يتفرز وصمم على السفر بنفسه وطلب الأمراء وجمعهم وحلفهم على طاعته ، هذا بعد تعيين سبعة من أمراء المقدمين وألف من المماليك السلطانية وألف من أجناد الحلقة المنصورة ، واستعد واللسفر .

وفى يوم الأربعاء ثالث عشره أرسل الشريف زين الدين أبو زهير بركات ابن حسن بن عجلان متولى مكة وأميرها جمعا لقتال عرب بشر من بطون حرب إحدى قبائل مذحج ، ومواطنهم بجوار سعفان أقاموا بها من نحو سنة عشر

وثمان مائة وأخرجهم بنو الأمراء من أعمال المدينة النبوية لكثرة أذاهم وأخذهم أموال المسافرين إلى مكة بالميرة وعمل على هذا البعث أخاه الشريف على بن حسن بن عجلان ومعه جماعة من الأعيان منهم الشريف ميليب بن على بن مبارك ابن رميثة وغيره كالوزير شكر[1] — فى عدة من الرجال والفرسان، ومعهم الأمير أرنبغا أمير الخمسين المقيمين بمكة من المماليك السلطانية، وصحبه منهم عشرون مملوكا، فقدموا عسفان رابع عشره — الذى هو يوم الخميس — وقطعوا الثنية التى هى اليوم تسمى بمدرج على حتى وافوا القوم حتى وصلوا إلى القوم وقد تقدم من أعلمهم بمجيئهم فأخلوا الأماكن وتخلف منهم بعض إبل صحبة خمسة أنفس، فكان أول ما ابتدءوه أن قتلوا الرجال الخمسة، ومن جملة ماقتلوا امرأة حاملا كانت مع الرجال، واستاقوا الإبل حتى قطعوا نصف الثنية المذكورة، فركب المقدم عليهم من أعلا الجيلان وصاروا يقذفونهم بالحجارة ويطعنونهم بالحراب، فما ساع أرنبغا الا الفرار فى عدة من المماليك بعد أن قتل منهم ثمانية، وأما من أهل مكة وغيرهم فنحوا من أربعين رجلا؛ وأما الجراحات فكثيرة جدا، ونهب القوم من أمتعتهم وأسلحتهم وسلبهم ماقيمته خمسة آلاف دينار وأكثر:

فلما أصبح يوم الجمعة — عند طلوع الشمس أو بعده بزيادة كبيرة — دخل أرنبغا ومن معه من المماليك وهم يخبرون بقتل جميع من خرج من العسكر، فعند ذلك صاحت الصيحات فى نواحى مكة وكانت من أشنع الحوادث التى لم يسمع

(١) عرف به السخاوى فى الضوء اللامع ٣ / ١١٧٤ بأنه القائد الحسنى عتيق السيد حسن بن عجلان وزير مكة لبركات، وكانت وفاته سنة ٨٤٩.

بمثلها ، ثم أقبل المنهزمون إلى مكة [١٦٠ ب] يقدمون ملكة شيئا فشيئا فى عدة من الأيام ، ووصل الشريف ميليب فى يوم السبت ميتا ، وتوفى بعده بأيام شريف آخر من أقاربه بسبب جراحات أصابت وجهه .

* * *

وفى هذا الشهر حل بتجار القاهرة والشام من البلاء أمر كبير ، وهو أن السلطان طرح عليهم ألف حمل فلفل بمائة ألف دينار حسابا عن كل واحد بمائة دينار ، وأصل مشتراه للسلطان منهم خمسون ألف دينار ، والله تعالى يفعل مايشاء ويختـــار .

وفى خامس عشرينه آدير محمل الحاج بعد أن برز المرسوم السلطانى أن القضاة الأربعة يتوجهون[1] أمامه إلى مدرسة شيخو ويرجعون من الصايبة خارج القاهرة ، ويستمر الفقراء معه إلى تحت قلعة الجبل ثم منها إلى جامع الحاكمى ؛ هذا مع إبطال الرماحة من الركوب ، وحصل بذلك خير كثير .

شهر شعبان

أهل بيوم الأحد .

فى هذا اليوم قدم ركب العمار إلى مكة المشرفة حماها الله تعالى ومعهم ولى الدين بن قاسم — نزهة السلطان — والصاحب كريم الدين بن كاتب المناخ والأمير يلخجا وصحبته عدة من المماليك السلطانية الذين صحبة أرنبغا ، وعدة ركبهم ستمائة جمل :

(١) فى الأصل « يتوجهوا .... يرجعوا » .

وفى ثالثه أنفق السلطان فى الأمراء المتوجهين إلى الشام سبعة عشر ألف دينار هم ومن معهم .

وفى يوم الخميس خامسه حضر الأمير بركات إلى مكة لأجل قراءه توقيع ابن قاسم ، فقرىء تجاه الحجر الأسود .

وفى سابع عشر منه توجه الأمراء المجردون بمن معهم إلى الشام مع أنهم كانوا برزوا خارج القاهرة من خامس عشر منه ، وهم : الأمير جقمق العلائى الأتابكى والأمير أركماس الظاهرى الدويدار الكبير والأمير يشبك حاجب الحجاب والأمير قانى بك — نائب القلعة كان — والأمير قراقجا والأمير تغرى بردى البكلمشى المؤذى والأمير خجا سودون :

* * *

وبلغنا أن عدن من بلاد اليمن وقع بها وباء شديد واستمر بها أربعة أشهر آخرها[1] هذا الشهر — أعنى شعبان — ؛ هذا بعد شيوعه فى بلاد الحبشة بأسرها وامتد إلى بربره وبلاد الزنج ، وأن عدة من مات بعدن خلق كثير .

ووصل كتاب من علية بعض التجار يذكر فيه أن الوباء بعدن استمر أربعة أشهر ، وحصر عدة من يعرف فبلغوا سبعة آلاف وثمانى مائة ؛ وورد كتاب آخر مضمونه أن الموت أفنى من أهل عدن ثلاثة أرباع الناس ولم يتأخر سوى الربع من الخلق ؛ وفى كتاب آخر أنه خلا من دور عدن ثلاثمائة دار مات جميع من كان بها ، وأن الوباء ارتفع منها آخر شعبان وانتقل إلى صعدة .

(١) فى الأصل « آخرهم » .

وفى سابع عشرينه قدم كتاب اسكندر بن قرا يوسف يستأذن فى الحضور فأكرم القاصد ووعد بكل جميل .

شهر رمضان

أهل بيوم الثلاثاء .

وقد تسلم الشريف إميان بن مانع بن على بن عطية بن منصور بن جماز بن شيحة الحسينى إمرة المدينة النبوية عوضا عن أبيه بعد قتله ، ووصل تشريف بولايته وتوقيع باستقراره .

وفى سابعه خلع على الأمير غرس الدين خليل بن شاهين — نائب إسكندرية كان — واستقر فى الوزارة عوضا عن التاج بن الخطير ، وسبب عزله أن المماليك المقيمين بالأطباق رجموه حتى كاد أن يهلك فسأل فى الإعفاء فأعفى ، ورسم بإحضار كريم الدين من جدة لولاية الوزارة ، فلما طال غيابه تهيأت لغرس الدين هذا .

وفيه جهز الحاجب بغزة المسمى طوغان خلعة باستقراره فى نيابة القدس ونظر الخليل وكشف الرملة ونابلس عوضا عن حسن التركمانى بحكم استقراره حاجبا بدمشق عوضا عن قانصوه ، وأنعم على قانصوه بتقدمة ألف بدمشق عوضا عن جانى بك المؤيدى بحكم وفاته .

وفى رابع عشرينه حضر الأمير أسلماس بن كبك التركمانى وقد فارق جان بك الصوفى فتلقى بالإقبال والإكرام ، وأنعم عليه بما يليق به .

وفى هذا الشهر شنع الوباء بمدينة تعز فى بلاد اليمن وأعمالها .

شهـــر شوال

أهل بيوم الخميس .

فيه خلع على الأمير أسلماس وأكرم ورسم بتجهيزه إلى بلاده .

وفى ثامنه أفصل الأمير غرس الدين خليل الوزير من الوزارة، والتزم[1] الصاحب أمين الدين إبراهيم ناظر الدولة بسداد الوزارة بعد مراجعة عظيم الدولة عبد الباسط فيما يحتاج إليه، وإذا احتاج إلى شيء فيقترض من مال عظيم الدولة ويعيده ، فاقتضى الحال أن مشي حال الدولة هذا بعد أن توجه نجاب من الأبواب الشريفة فى تاسعه بطلب الصاحب كريم الدين بن كاتب المناخ ليستقر فى الوزارة على عادته ولكن بعد إنهاء ما توجه إليه من أمر جدة .

وفى سابع عشرينه استقر الأمير شادى باك [الحكمى] الذى توجه للقبض على جانى بك الصوفى من عند ابن ذلغادر نائب الرها عوضا عن الأمير إينال[2] الأجرود بحكم طلبه .

وفيه عزل الأمير إينال الششمانى من نيابة صفد ورسم له أن يقيم بالقدس بطالا وأن يستقر عوضه فى صفد الأمير تمراز المؤيدى .

وفى هذا الشهر رحل ألقان شاه رخ (١٦١ أ) عن مملكة أذربيجان بعد ما زوج نساء إسكندر بن قرا يوسف لجهان شاه [بن قرا يوسف] الذى استنابه على تبريز .

شهر ذى القعدة

أهل بيوم الجمعة .

---

(١) ذكر أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٧٤٦ ، أنه التزم بسد أمور الدولة بمراجعة عبد الباسط فى جميع أحوالها .

(٢) فى النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٧٤٧ ، س ٣ « إينال العلاء الناصرى » .

فى ثانى عشره رسم بقضاء القضاة الحنفية لشمس الدين محمد بن على ابن عمر الصفدى[1] عوضا عن بدر الدين الجعفرى ، وذلك لأجل مال وعدبه .

وفى رابع عشره برز المرسوم الشريف بمنع ضرب أوانى الفضة وأن جميع الفضة تحمل إلى دار الضرب لعمل دراهم ليأخذ صاحب الدار مكسها .

وفى تاسع عشرينه رسم بالقبض على الطواشى المحضر من بنجالة من متملك الهند وصحبه من الرسل ، وسبب هذا أن المقام الشريف أرسل فى سنة خمس وثلاثين هدية سنية إلى السلطان جمال الدين أبى المظفر محمدبن فندو على يد بعض الطواشية المجهزين من القاهرة المحروسة فوصل بها إلى بنجالة وقدم له الهدية فتقبلها ورسم بتجهيز هدية — قيمتها فى بلادهم إثنا عشر ألف تنكا حمراء — ، ووافق موته فى أثناء هذا وأقاموا ولده بعده — أبا المظفر أحمد — فأمضى ما فعله أبوه من الهدية وزادها أشياء ، فمن الذى زاده ألفا شاش وعدة ثياب من البيارم الرفاع وعدة من الخدم الطواشية ، وجهز ذلك وعليه جماعة من خدامه الطواشية وجهز صحبتهم خمسه آلاف شاش يبيعوها[2] ويشتروا له أمتعة وقماشا سكندريا وغير ذلك .

فركبوا السفن فى البحر فجبرهم الريح وألقاهم على جزيرة من بعض جزائر ديبة ، فوافق موت الطواشى المجهز من القاهرة بها ، وبلغ صاحب ديبه أنه عتيق سلطان مصر فأخذ ما تركه ولم يتعرض للهدية ، وكنا ذكرنا قبل هذا موت

(١) كان مولده بحاب سنة ٧٧٥ وموته بدمشق سنة ٨٥٢ ، وقد نشأ فقيرا فتكسب بالشهادة وكان من خواص القاضى المالطى فلازمه فى قدومه القاهرة سنة ٨٠٠ وظهرت مكانته فى مجالس القضاء ، وقد تولى بعض المدارس الكبرى كالقصاعين والصادرية ونظرها ، انظر الضوء اللامع ٨ / ٥١٩ ، وقضاة دمشق ص ٢١١ ، ٢٢٢ ، والدارس فى تاريخ المدارس ، ج ١ ص ٦٣٣ ، ٦٣٥ ، أما عن الصادرية فراجع عنها المرجع الأخير ، ج ١ ص ٥٣٧ وما بعدها ، وعن القصاعية نفس المرجع ج ١ ص ٥٦٥ وبما بعدها .

(٢) هكذا فى الأصل .

صاحب بنجالة وقيام أحمد ولده فجهز الهدية الباقية ، فلما طاب الريح سافروا من ديبة حتى كادوا يدخلوا[1] جدة حصل ريح عاصف فغرقت مركبهم بما فيها ، فنهض الصاحب كريم الدين لما بلغه ذلك مفصلا وندب الناس حتى نزل جدة ، فأخرج الشاشات والثياب من قعر البحر بعد رسوخها في البحر ستة أيام ، وأما غير ذلك من البراطين الزنجبيل المربى والكابلى ونحو ذلك فتلف ، وطلب القصارين فسلم إليهم الشاشات والثياب فأعادوها كما كانت ، وكتب إلى السلطان بذلك فكتب بالقبض على طواشية صاحب بنجالة وأن تؤخذ منهم الخمسة آلاف شاش وأن لا يمكنوا من الحضور إلى القاهرة ، وأن كل من حضر ببضائع من ديبة إلى جدة — كائنا من كان — تؤخذ بضائعه لديوان السلطان ، وانتدب أبو السعادات بن ظهيرة — قاضي مكة الشافعي —وتبعه أبو الضيا قاضي الحنفية بها فأوقعوا الحوطة على الشاشات ، ورسم على الطواشية حتى أخذت منهم الشاشات بأجمعها ، لكن بعضها صفار وبعضها باق فإنهم باعوا[2] منها شيئا ليبتاعوا عوضه أمتعة ، وحمل ذلك إلى خزانة السلطان .

وفي هذا الشهر نزل القان شاه رخ على مدينة سلطانية وصمم أنه لا يرحل عنها إلى هراة حتى يأخذ غرضه من إسكندر بن قرا يوسف .

شهر ذي الحجة

أهل بيوم السبت :

(١) هكذا في الأصل .

(٢) في الأصل « أتباعوا » .

فى سادسه الذى هو الخميس الموافق سابع عشرين[١] بؤونة نودى على ماء النيل بزيادة خمس أصابع وقد وصلت القاعدة ست أذرع وثمانى عشرة إصبعاً ، واستمرت الزيادة والحمد لله على ذلك .

وفى سابع عشرينه قدم الأمير جرماك بن على باك بن ذلغادر فأحضر بين يدى المواقف الشريفة ثم أنزل إلى مكان ، ولما كان التاسع والعشرون منه رسم بالقبض عليه فسجن بالبرج بقلعة الجبل .

وفى هذه السنة توجهت العساكر الشامية لمحاربة الأمير ناصر الدين محمد بن ذلغادر غير مرة ، فسار إليه الأمير تغرى برمش نائب حلب بعساكر حلب وحماة وصحبته الأمير قانباى الحمزاوى نائب حماة ، ولم يظفروا بشئ منه ؛ كل ذلك فى أوائل رمضان حتى انتهى مسيرهم إلى عينتاب ؛ هذا وقد قام جانى بك الصوفى بمرعش ، فلما بلغهم ذلك دخلوا إليه من مكان يقال له « الدربند » ونزلوا « بزرجق »[٢] وأقاموا يومين وقد عدوا نهر جيحان وخلفوا الجسر من ورائهم وقصدوا الأمير ناصر الدين محمد بن ذلغادر من جهة دربند كيلوك[٣] فلم ينهضوا على الوثوب عليه من عظم الثلج الذى عم تلك الأماكن[٤] ، فمضوا إلى دربند أيزتيت من عمل بهسنا وقد ارتدم بالثلوج أيضا ، فنهض إذ ذاك الأمير تغرى برمش نائب حلب وقد قدم بين يديه عدة من الرجال ممن لهم ملكة

---

(١) التاريخان الإسلامى والقبطى صحيحان ومطابقان لما جاء فى جدول السنين لسنة ٨٣٩ و التوفيقات الإلهامية ، ص ٤٢٠ .

(٢) فسرها النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٧٤٨ س ١ بأن معناها فى اللغة العربية هو « سويقة » .

(٣) وردت هذه الكلمة فى النسخة المطبوعة بأمريكا من النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٨٤٧ س ٢ هكذا « كينوك » ، ثم أشار الناشر — فى هامش نفس الصفحة — إلى ورودها برسم « كنبوك » ، ثم أحال الى المقريزى فى السلوك ؛ طبعة كاترمير ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ١٤٠ ملاحظة رقم ١٧٣ وإلى ابن اياس : بدائع الزهور ، ج ١ ص ١١١ س ١٣ .

(٤) يعنى المؤلف بذلك أنهم عجزوا عن سلوك هذا الطريق .

وخبرة بمسالك الطريق المجاورة للدربند ففتحوها وداسوا الثلوج واستكمل مسيرهم بالعساكر .

ثم لما (١٦١ ب) كان يوم الإثنين ثامن شهر رمضان دخل الأمير تغرى برمش ومن معه من العساكر إلى الدربند واستمر يومه سائرا حتى نزل تحت جبل نزقاق ، وأرسل أربعين فارسا من الشجعان كشافة ، فوافق أنهم ظفروا بدمرادش مملوك ناصر الدين بن ذلغادر في مكان يقال له « خان زكى » ، وكان أستاذه قد جهزه للكشف عن أخبار العسكر وصحبته ثلاثة أنفار ، ففر(١) الثلاثة وقبض على دمرادش وأحضروه إلى الأمير تغرى برمش ؛ فأخبره أن القوم على أباستين . فني الحال ركب نائب حلب بمن معه وجد في السير فطرق أباستين يوم الثلاثاء تاسعه ، فوجد ابن ذلغادر قد رحل عنها لما أتاه الثلاثة الذين كانوا مع دمرداش ، فاستمر نائب حلب في إثره يوما كاملا ، فوجد ابن ذلغادر قد دخل نهر جيحان بمن معه فلم يدركوه ، فعاد نائب حلب وجماعته ونزلوا على ظاهر أباستين ، فرسم لأهلها بالرحيل إلى جهة درنده وأشعل النار في البلد حتى احترقت بأجمعها ، ثم أمر العسكر بنهبها ونهب قراها فنهبوا شيئا لا يعد ولا يحصى من الأقمشة والأمتعة والذهب والفضة والخيول والبغال والحمير والأبقار والجمال والجواميس ، بحيث إنه لم يتأخر أحد من العسكر إلا وقد حصل له من ذلك ما قدر عليه ؛ ورجع نائب حلب بمن معه من العساكر ، والغنائم تساق بين يديه ، وترك أبلستين قاعاً صفصفا ليس فيها ديك يصيح ولا قدح من الغلة ؛ هذا بعد الحريق ؛ ودخل على بهسنا وعينتاب ورحل إلى حلب بعد أن غاب عنها خمسين يوما .

---

(١) في الأصل « ففروا » .

فلما بلغ ابن ذلغادر ما فعله نائب حلب حشد وجمع ورحل ببيوته إلى مكان يقال له أوخان بالقرب من كنبوك ، وكانت الأمراء المجردة من مصر قاطنين[(١)] بحلب ، فعند ذلك أرسل الأمير تغرى برمش نائب حلب الأمير حسام الدين خجا حاجب حلب وصحبته مائة وخمسون فارسا إلى عينتاب عوناً وتقوية للأمير خجا سودون وقد أقام بها ، فلما كان الرابع والعشرون من ذى الحجة هذا قدم الأمير جانى بك الصوفى وصحبته الأمير قرمش الأعور وكمشبغا أمير عشرة من أمراء حلب وقد خرج عن الطاعة وصار من ألزام جانى بك الصوفى وأولاد ناصر الدين بن ذلغادر سوى سليمان يريدون محاربة خجا سودون ، فنزلوا على مرج دلوك ثم ساروا منه إلى عينتاب ، فصافقهم خجا سودون ووقع بينهم حروب شديدة ، وكان ذلك عند آخر النهار وباتوا ليلتهم ، وأصبحوا يوم الثلاثاء خامس عشرينه فقدم الأمير حسن خجا حاجب حلب فى جمع كبير من تركمان الطاعة ، فتقدم إليهم جانى بك الصوفى وصحبته ألفان من الفرسان فقاتلهم عسكر السلطان المذكورون[(٢)] ، هذا بعد انقسموا أقساما :

قسم عليه الأمير خجا سودون و [حسام الدين حسن] حاجب حلب .

وقسم عليه الأمير تمرباى [اليوسفى المؤيدى] دويدار السلطان بحلب .

وقسم عليه تركمان الطاعة .

وكان بينهم وقعة مدهمة انجلت عن انهزام جانى بك الصوفى ومسك عشرين فارسا من أعظم عسكره ، منهم : الأمير قرمش الأعور وكمشبغا أمير عشرة ، وثمانية عشر فارسا ، وتبع العسكر جانى بك الصوفى ومن معه ثم عادوا

(١) فى الأصل « قاطنون » .
(٢) فى الأصل « المذكورين » .

وصحبتهم المأسورون إلى حلب فسجنوا بقلعتها وكاتبوا السلطان بذلك ، والله ولى الممالك .

* * *

ذكر من توفى هذه السنة من الأعيان

٧٤٨ — عبـــد الرحمن بن على بن محمد ، السيد الشريف ركن الدين المشهور بالدخان قاضى القضاة الحنفية ، [مات] بدمشق ليلة الأحد سابع المحرم وقد أناف على ستين عاما لأن مولده بدمشق سنة تسع وستين وسبعمائة ونشأ بها ، وكان من الفقهاء الحنفية ، ذا معرفة بفروع المذهب ماهرا فيه مع مشاركته فى غير ذلك من العلوم . وناب فى الحكم عن قضاتها مرارا وأفتى ودرس ، وكان مشكور السيرة، تولى القضاء بغير رشوة ومشى فيه على منهج واضـــح .

٧٤٩ — وتوفى ملك تونس وسائر بلاد المغرب وإفريقية ، وهو السلطان المنتصر أبو عبد الله محمد بن أبى عبد الله محمد بن أبى فارس عبد العزيز فى يوم الخميس حادى عشرين شهر صفر الخير ولم يلتذ فى مملكته بالهناء لطول أمراضه وعلله ولتوالى الفتن ، وتلف فى أيامه — مع قصرها — خلق لا يحصون ، وقام

---

(١) الوارد فى الضوء اللامع ٤ / ٢٩٤ « ابن الدخان » ، هـــذا وقد وصفه ابن قاضى شهبة فقال عنه « لم نسمع عنه أنه ارتشى فى حكم أبدا » ، انظر النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٨٣٩ ؛ وقضاة دمشق ، ص ٢١٦ — ٢١٨ ، وشذرات الذهب ، ج ٧ ص ٢٣١ .

(٢) فى الأصل « لفروع » .

(٣) اعتبر السخاوى فى الضوء اللامع ، ٩ / ٢٨٠ وفاته سنة ٨٣٨ وأشار إلى أن ابن حجر جعل هذه الوفاة فى السنة التالية ٨٣٩ ، كما أنه أخطأ إذ لقبه بالمنصور ، ويشير السخاوى هنا إلى الترجمة التى ساقها ابن حجر فى سنة ٨٣٨ لمحمد بن المنصور بن أبى فارس فى إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٥٦٠ رقم ٢٦ .

فى المملكة من بعده أخوه شقيقه فخر الدين عثمان فسفك دماء عدة من أقاربه وغيرهـــم .

وسبب موت المنتصر أنه أفضى به المرض إلى أن أقعد، واستمر – إذا أراد الركوب[1] لمنتزه أو لعمارية – يركب بغلا ، وكان يكثر التردد إلى قصره الذى عمره خارج تونس للنزهة والتفرج ، فاتفق أنه ذهب يوما إلى القصر المذكور وصحبته أخوه أبو عمرو عثمان صاحب قسطنطينة[2] وكان قد حضر إليه فأكرمه وأجله وولاه الحكم بين الناس، وصحبته أيضا القائد محمد الهلالى وهو صاحب الحظوة عنده والمكانة والتمكين، وهذان الإثنان هما أصحاب الدولة وأصحاب الحل والعقد فإنه رفع من قدرهما فصارا به إلى ما ذكرنا حتى إنهما صداه عن سواهما ، فلما وصلا[3] به إلى القصر لم يمكنا أحدا من الدخول فيه سوى اثنين أو ثلاثة وتركاه وقد أغلقا عليه أبواب القصر، وأظهرا لمن حضر معهما أنه نائم مستريح لنفسه ، وركبا فى وقتهما ودخلا مسرعين إلى المدينة، فاستولى عثمان على تخت الملك وطلب الناس إلى طاعته والدخول فى بيعته وحرص على ذلك فأقبل عليه الناس ، هذا كله والهلالى القائد قائم بخدمته ، فلما ثبتت دولته أمر بقبض محمد الهلالى القائد فقبض عليه وسجن ثم غيب فلم يعرف له مكان ولا أثر، ثم استيقظ فالتفت إلى أقاربه فسفك دم عم أبيه (١٦٢ أ) وخلق كثيرين[4] من

(١) الوارد فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٨٣٨ س ٧ « إذا سار إلى مكان يركب فى عمارية على بغل » .

(٢) هكذا أيضا فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٨٣٨ س ٩، والأصح أن يقال فيها « قسنطينة » .

(٣) الذى يقصده المؤلف هنا أن المنتصر خرج بصحبة أخيه والهلالى للنزهة فمات فعادا به إلى القصر وكتما خبر وفاته .

(٤) فى الأصل « كثيرون » .

أقاربه، فانفلت عنه الناس وداخلهم الرعب منه وثقل عليهم، وأنشد لسان الحال :

إذا كان هذا فعله في مُحِبّه فياليت شعرى يا لعدا كيف يصنع ؟

فلم يمكث الا اليسير [إلا] وقد ظهر عليه الأمير أبو الحسن بن السلطان أبى فارس عبد العزيز متولى بجاية .

٧٥٠ — وتوفى الأمير التاج بن سيفا الشوبكى ثم القازانى[1] الدمشقى فى ليلة الجمعة حادى عشرين[2] شهر ربيع الأول بالقاهرة، وكان أبوه من أجناد دمشق وممن كان مع الأمير منطاش، فلما بلغ ذلك السلطان الملك الظاهر برقوق أخرج عنه إقطاعه .

وأصل قدومه من حلب إلى الشام ، وولد له التاج بالشوبكة التى تسميها العامة بالشوبك خارج دمشق، واستمر بالشام فى أرذل الأحوالى من الخمول والفقرا المضنى والطريقة القبيحة إلى أن خدم الأمير شيخ وهو فى نيابة دمشق، ودخل فيه[3] فصار عشيره وسميره على ما هو مشهور به من الأفعال المحرمات من الشرب وغيره ، وقاسى معه المحن والإحن ، وولاه الأمير شيخ وزارة حلب لما ولى النيابة بها ، ولما قدم مصر بعد موت الملك الناصر فرج بن برقوق وصل معه فى خدمته وصار من جملة أخصائه ومضحكيه وندمائه، فاستقر به فى سلطنته متولى دار الحرب مدة أيام، فسار فيها سيرة قبيحة من استباحته للحرمات

---

(١) هكذا أيضا فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٨٣٨ ولكنها « القارابى » فى الضوء اللامع ، ٣ / ١٢١ .

(٢) الوارد فى النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٨٣٨ « حادى عشر » وقد تشكك الناشر فكتب فى الحاشية رقم 6 « كان الحادى عشر هو الثلاثاء أو الأربعاء »، والصحيح هو الوارد بالمتن أعلاه ، اذ يستفاد من التوفيقات الإلهامية ص ٤٢٠ أن ربيع الأول ٨٣٩ إستهل بيوم السبت ومن ثم يكون الحادى والعشرون منه هو يوم الجمعة

(٣) تعبير مصرى دارج بمعنى « داخله » .

وإقدامه على الحرام والإثم وصار يأخذ من السراق – إذا وقعوا له – ما أخذوه من أموال المسلمين ويأمرهم بالإنكار ثم يعاقبهم صورة ويطلقهم : قال الشيخ تقى الدين المقريزى فى ترجمته : « ما عف عن حرام ولا كف عن إثم ، وأحدث من أخذ الأموال ما لم يعهد قبله » ، إنتهى .

ثم إنه ترقى عند السلطان الملك المؤيد وكذا عند الملك الأشرف وارتفع مقامه وصار لا يرضى هو بمباشرة الولاية بل نصب أخاه لها مرارا ، وانضم إليه عدة وظائف جليلة ومع ذلك فكان يركب إكديشا قصيرا وأطواقه مفكوكة وعلى رأسه كوفية كثيفة وعيونه من الحشيش كأنهما قطعتا بلخش خاص من شدة حمرتهما ، ويمر فى الأسواق فيقف على السوقة فيبتاع اللحم والدجاج والفواكه بنفسه إلى أن مات من غير حوطة على ما له ولا نكبة ، ولقد اشتمل على جميع القبائح والرذائل ، وصار عارا على جميع بنى آدم لهذه الأوصاف التى قل أن توجد فى مسلم ، واستراح الناس منه .

٧٥١ – وتوفى الأمير قصروه [بن عبد الله من تمراز الظاهرى] نائب الشام بها فى ليلة الأربعاء ثالث شهر ربيع الآخر وهو على نيابتها ، وخلف من الأموال نحو ستمائة ألف دينار من نقد وخيول وسلاح وثياب وبضائع وغلال ومماليك وضياع وغير ذلك ؛ هذا الظاهر أما الباطن فلا يعلمه إلا الله تعالى . وكانت سيرته قبيحة وجمع هذا المال – غالبه – من الحرام ؛ وقال فى ترجمته شيخنا قاضى القضاة البدرى والشيخ تقى الدين المقريزى : « كان من أقبح الناس سيرة وأجمعهم للمال من الحرام » .

(١) أى فى الظاهر .

٧٥٢ — وتوفى الأمير عثمان قرا يلك بن الحاج قطلو باك بن طرغلى التركمانى صاحب مدينة آمد وماردين فى خامس صفر بعد أن انهزم من اسكندر بن قرا يوسف وأرمى بنفسه فى خندق أرزن الروم فغرق وقد قارب المائة سنة، ثم لحقه إسكندر بعد أن أطلعه أولاده[(١)] ودفنوه، فأخرجه من قبره وحز رأسه واستراح العباد والبلاد من شؤمه وعتوه وفساده :

وهو وأبوه من أمراء التركمان الذين كانوا أتباع الدولة الأرتقية أصحاب ماردين، وله أخبار تنبىء عن قبح صنيعه وسيرته وسريرته، فكانا فى غاية القبح والشناعة .

٧٥٣ — ومات الأمير خشقدم [الظاهرى برقوق] الطواشى زمام الأدر الشريفة فى يوم الخميس عاشر جمادى الآخرة وخلف أموالا كثيرة، منها نقد خاصة ستون ألف دينار ذهبا، إلى غير ذلك من القماش والغلال والعقار ما يتجاوز المائتى ألف دينار[(٢)] ؛ وكان شحيحاً إلى الغاية منطوياً على أخلاق خبيثة[(٣)]، مدمنا للعب الشطرنج فى الليل والنهار .

٧٥٤ — ومات الشريف مانع بن على بن عطية بن منصور بن جماز ابن شيحة الحسينى[(٤)] أمير المدينة الشريفة، وسبب موته أنه خرج يتصيد خارج المدينة فى العاشر من جمادى الآخرة فثار عليه حيدر بن دوغان[(٥)] بن جعفر بن هبة الله

(١) فى الأصل « أطلعوه » .

(٢) فى الأصل « منطو » .

(٣) وصفه ابن حجر فى إنباء الغمر فى سنة ٨٣٩ فقال : « كان شهما يحب الصدقة وليه عصبية مع سوء خلق إلى الغاية » . انظر الضوء اللامع ٣ / ٦٨٠ .

(٤) فى الأصل « الحسنى » .

(٥) فى الأصل « درغان » .

ابن جماز بن منصور بن شيحة فقتله بدم أخيه خشرم بن دوغان أمير المدينة وكانت سيرته حسنة مشكورة[(١)] :

٧٥٥ — وتوفى نور الدين محمد بن أحمد بن عبد العزيز المعروف بابن الأمانة[(٢)] فى ليلة الثلاثاء ثامن عشر شهر شعبان ، ومولده سنه اثنتين وستين تخمينا ، وهو من أجل نواب القضاة الشافعية المشهورين بالديانة والعفة ؛ وهو الشيخ الإمام العالم الفاضل والفقيه البارع فى الفقه وأصوله وعلوم العربية . كان رحمه الله من أذكياء العالم عارفاً بمذهب الإمام الشافعى ، له فى البحث يد طولى ، حافظ لما ينقله ، متقن لما يستحضره ، درس وأفتى بالقاهرة واشتهر بالعلم الغزير وبصناعة القضاء ، وناب فى الحكم عدة سنين ، وكان للدهر به جمال وبهاء وكمال .

وتوفى والد الشيخ بدرالدين المذكور فى يوم الخميس الثانى عشر من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانى مائة ، وهو الشيخ الامام العالم ، وصلى عليه بعد صلاة الجمعة بالجامع الحاكمى ، ثم مرة ثانيه بالمصلى خارج باب النصر وكان يعرف الفرائض والحساب وينقل كثيرا من كتاب تمييز التعجيز وغيره ، ويقرأ بالسبع ، وله الحظ الوافر من علوم القرآن المتعلقه بالقراءات يعرف الكشف المكى والرعاية وغيرهما ، ويتقن مخارج [١٦٢ ب] الحروف . قرأ على الحلبى بأبيار ، وقال : « الشيخ بدر الدين بن الأمانة وهو شيخ شيخنا الشيخ فخر الدين الإمام ورحل إلى حلب وأقرأ وأجاز وصف ، وتوفى وقد نيف على السبعين بقليل .

---

(١) وصفه أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٨٤١ بأنه « كان مشكور السيرة غير أنه كان على مذهب القوم » أى كان شيعيا .

(٢) هذا اللقب هو لقب جد أبيه ، وقد يعرف هوذاته بالإبيارى ، أما فيما يتعلق بسنة مولده فقد أوردتها النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٨٤٢ كما هى بالمتن أعلاه ، ولكن جاء فى الضوء اللامع ٦ / ١٠٥١ أنه « ولد — كما بخط والده — فى صفر سنة ست وستين وسبعمائة » .

وتوفى جد الشيخ بدر الدين الد الشيخ شهاب الدين المذكور المسمى عبد العزيز سنة خمس وخمسين وسبعمائة ، وكان رجلا مباركا خيراً صالحاً ، رحمهم الله أجمعين وأبقى خلفهم إلى يوم الدين، وهكذا وجدت ترجمة والد الشيخ بدر الدين بخطه فى كتاب وقفت عليه، بل وقرأ ذلك من لفظه ولده الشيخ بدر الدين للشيخ الإمام الصالح الفاضل الكامل المفنن جلال الدين محمد أحد نواب الحكم العزيز بل وولى أمانة الحكم فى الأيام العلية فمشى فيها مشى الولد لوالده وأحسن فيها ، فشكر عند الأماثل حفظه . الله تعالى .

٧٥٦ — وتوفى الشريف هبة بن جماز من بنى حسين ، وكان قد اتفق مع حيدر بن دوغان على قتل مانع بن على أمير المدينة وتوجه إلى مصر ليأخذ الإمارة عوضا عنه حتى [إذا] بقى بينه وبين دخول القاهرة يوم واحد التقى هو وجماعة من بنى حسين لهم عليه دم فقتلوه فى أخريات جمادى الآخرة ، والجزاء من جنس العمل وكذا تدين تدان ، وعاجلته منيته ولم يبلغ أمنيته ، ومضى وما قضى وطره ، وسعى بظلافه إلى حتفه .

٧٥٧ — وماتت خوند جلبان الجركسية زوجة السلطان وأم ولده المقام الجمالى يوسف فى يوم الجمعة ثانى شوال ، وقيل إنها [ماتت] مسمومة ، ودفنت بتربة السلطان التى أنشأها بالصحراء خارج باب المحروق ، وكانت هى سعد السلطان وسعادته ورأيه ومشورته، وتصدت لقضاء حوائج الناس فقصدت من أقصى البلاد ، وخدمها أرباب الدولة فأثرى مالها ، وكان السلطان منقادا لما تقوله ، مطيعا سامعا لما تأمر به لا يمكنه أن يطأ حتى جاريه من جواريه إلا خفية خوفا منها : وصار عظيم الدولة عبد الباسط يتلطف فى السؤال لها فى غالب الأمور حتى يقضى حاجته عند السلطان ، هذا بعد أن أحضرت إلى

بيته مع تاجرها وعرضت عليه فلم يقبلها لا بهبة ولا بابتياع ، فوصلت إلى السلطان فحظيت عنده وصارت هى صاحبة الحل والعقد حتى بالغ بعض من قال : «صار أمر مصر وحكمها معلوقين بخصى ومرة » ، يعنى جوهر الخازندار وخوند جلبان ، وكذا خوند مغل البارزية زوج الظاهر جقمق ، سألوه بها فامتنع بعد أن رآها ورمى دينارها ثم لم يرض بها فصارت فى أيام الظاهر جقمق خوند ، وصار هو من تحت أمرها .

وكذا وقع لجوهر المذكور بعد موت أستاذه ابن الكويز أن حضروا به إلى بيت عظيم الدولة عبد الباسط ليكون زمام داره كما كان فى أيام أستاذه فلم يفعل ، فانتقل إلى أن صار خازندارا كبيرا متكلما فى بهار السلطان ومتاجره مشاركاً لعظيم الدولة فى الكلام بل فى آخر أمره انفرد عنه بالكلام وصارت حرمته أعظم من حرمة عبد الباسط .

٧٥٨ — ومات السلطان أبو العباس أحمد بن أبى حمو بن موسى بن يوسف ابن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد بن وكدار ابن بند بن طاع الله بن على بن الغنيم ، وهو عبد الواد متملك مدينة تلمسان والمغرب الأوسط فى شوال وكان السلطان أبو فارس عبد العزيز بن أبى العباس أحمد صاحب تونس وبلاد إفريقية — عليه الرحمة — قد توجه إلى تلمسان مرة ثالثة وبها محمد بن أبى تاشفين عبد الرحمن بن أبى حمو المعروف بابن النعاغية فهرب منه فمازال حتى ملكه وسفك دمه وأقام على تلمسان أحمد هذا عوضه فى أول شهر رجب سنة أربع وثلاثين وثمانمائة ، وهو أصغر أولاد أبى حمو ، فاستمر على تلمسان حتى توفى بها وولى بعده أخوه أبو يحيى بن أبى موسى :

(١) فى الأصل «أحمد» لكن راجع النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٨٣٤ ، س ١٣ ، ص ٨٤٢ حاشية رقم F ، راجع أيضا إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٥٣٢ ، ثم أنظر نفس المرجع والجزء والصفحة س ١٠ — ١١ فقد وردت هناك إشارة إلى صاحب الترجمة أعلاه .

٧٥٩ — ومات أحمد جوكى بن ألقان معين الدين شاه رخ ، كذا ذكره جماعة من شيوخنا ، والذى أقوله إنه ليس بمعين الدين بل بعدوّ الدين ، وكان بعد غرق قرايلك وعوده من أرزن الروم فى شعبان مرض أياما فشق ذلك على أبيه وكثر أسفه عليه واشتد حزنه وعظمت مصيبته ، فإنه فقد ثلاثة أولاد فى أقل من سنة.

٧٦٠ — ومات متملك بنجالة من بلاد السلطان الملك المظفر شهاب الدين أحمد شاه بن السلطان جلال الدين أبى المظفر محمد شاه بن فندوكاس فى شهر ربيع الآخر ، وثب عليه مملوك أبيه كالو الملقب مصباح خان ، ثم وزير خان فقتله واستولى على ملكه .

٧٦١ — ومات الشيخ الصالح المسلك زين الدين أبو بكر على بن محمد بن على الخافى الهروى فى يوم الخميس ثالث شهر رمضان بهراة فى الوباء ؛ وخاف : قرية من قرى خراسان قريبة من هراة .(١)

* * *

(١) جاء بعد هـذا فى الأصل : « ومن النوادر الغريبة القليلة الوقوع وهو أن ملوك ثمانى عشرة دولة من دول العالم بأقطار الأرض زالت مملكتهم فى مدة بضعة أشهر ، وأكثر أرباب هذه الدول الذابلة بالموت وهم : الحطى ملك أمحرة وسلطان الحبشة ، وملك كلبركة من بلاد الهنـد ، والسلطان شهاب الدين أبو المغازى أحمد شاه بن أحمد بن حسن شاه بن بهمن ، وكل منهما مات فى رجب سنه ثلاث وثلاثين وثمانمائة ، والمقر السيفى طراباى فى رجب هذا ، والسيد الشريف زهير ابن سليمان بن زيان بن منصور بن جماز بن شيحة الحسينى فى رجب أيضا ، وتوفى أمير زاه ابراهيم سلطان بن شاه رخ بن تيمور لنك متملك شيراز فى شهر رمضان ، ومات ملك دلى مدينة الهند وهو الملك بن مبارك خان بن خضر خان متملك مملكة كربان ، وباى سنقر سلطان بن القان شاه رخ ، ومتملك تونس وبلاد افريقية المنتصر أبو عبد الله محمد بن الأمير عبد الله محمد بن السلطان أبى فارس عبد العزيز فى حادى عشر صفر سنة تسع وثلاثين ، وتوفى المقر الأشرف السيفى قصروه نائب دمشق فى ليلة الثالث من شهر ربيع الآخر ومملكته أكبر مملكة من كثير من ملوك الأطراف ، وتوفى الأمير عثمان بن قرا يلك بن الحاج قطلوبك بن على صاحب مدينة آمد وغيرها فى صفر . وقتل أمير المدينة الشريفة الشريف مانع بن على بن عطيـة فى جمادى الآخرة ولم تطل مدته بعد قتل ابن عمـه زهير بن سليمان ، ومات متملك مدينة تلمسان صاحب المغرب الأوسط أحمد بن أبى حمو العبداوى فى شوال ؛ ومات أحمـد جوكى بن شاه رخ ، ومات قطب الدين نيروز شاه بن بهمن بن جوزن شاه بن طقلق بن طبق شاه ملك هرمز بالبحرين والحسا والقطيف ، وقرا اسكندر بن قرا يوسف عن مملكته تبريز ، والله تعالى هو الدائم الباقى .

سنة أربعين وثمانمائة

أهلت وخليفة الوقت أمير المومنين المعتضد بالله أبو الفتح داود بن المتوكل على الله أبي عبد الله محمد ، وسلطان المسلمين بديار مصر وبلاد الشام وأراضى الحجاز ومكة والمدينة وينبع وجزيرة قبرص السلطان الملك الأشرف سيف الدين برسباى الدقماق ، والأمير الكبير جقمق الأتابكى السيفى رأس ميمنة ، والمقام الجمالى يوسف ولد المقام الشريف رأس الميسرة ، وأمير سلاح قرقماس الشعبانى وأركماس الظاهرى ، ورأس نوبة النوب تمراز الدقماق ، وحاجب الحجاب الأمير يشباك السيفى ، وأمير آخور كبير جانم أخو المقام الشريف .

وبقية المقدمين الأمير تغرى بردى البكلمشى المؤذى ، وخجا سودون والأمير قرا قجا الحسنى ، وإينال الأجرود أمير الرها والأمير مقبل ، وعدتهم ثلاثه عشر [مقدما] بعد أن كانوا أربعة وعشرين مقدما .

ونواب السلطنة بالممالك الإسلامية الأمير إينال الحكمى نائب الشام ، والأمير تغرى برمش نائب حلب ، وقانباى الحمزاوى نائب حماة ، وجلبان نائب طرابلس وتمراز المؤيدى نائب صفد ، ويونس نائب غزة ، وعمر شاه نائب الكرك ، وآقباى اليشبكى نائب اسكندرية ، وأسندمر الأسعردى نائب دمياط وكانت ولاية لا نيابة ، ومحمد الصغير نائب الوجه القبلى ، وحسن باك النوكارى نائب الوجه البحرى ،

---

(١) أنظر الضبط فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ١٦ س ١٧ .

وأمير مكة المشرفة الأمير زين الدين أبو زهير بركات ، وأمير المدينة النبوية الشريفة متان بن مانع بن على بن عطية بن منصور بن شيحة الحسينى ، وبالينبوع الشريف عقيل بن وبير بن نخبار بن مقبل بن محمد بن راجح بن إدريس بن حسن بن أبى عزيز بن قتادة الحسنى ؛ وهولاء الأشراف الثلاثة نواب عن السلطان .

وفى بقية ممالك الدنيا ألقان شاه رخ بن تيمور لنك صاحب ممالك ماوراء النهر وخراسان وخوارزم وجرجان وعراق العجم وما زندران ودلة من بلاد الهند وكرمان وجميع بلاد العجم إلى حدود أذربيجان التى منها مدينة تبريز ، ومتملك تبريز إسكندر بن قرا يوسف وهو فارّ عنها خوفاً من شاه رخ ؛ وحاكم بغداد أخوه إصبهان بن قرا يوسف وقد خربت .

وملك الإسلام ببلاد الروم خوندكار مراد باك بن محمد كرشجى بن بايزيد إيلدريم بن مراد بن أردن على بن عثمان بن سليمان بن عثمان صاحب برصا وكان يولى ، وكانت من بلاد الروم اسفنديار بن أبى يزيد ، وعلى ممالك إفريقية من بلاد المغرب أبو عمرو عثمان بن أبى عبد الله محمد بن أبى فارس عبد العزيز الحفصى صاحب تونس وبجاية وسائر إفريقية ، وعلى مدينة تلمسان والمغرب الأوسط أبو يحيى بن أبى حمو ، ومملكة فارس ثلاثة ملوك أجلهم صاحب مدينة فاس وهو : أبو محمد عبد الحق بن عثمان بن أحمد بن إبراهيم بن السلطان أبى الحسن المرينى وليس له حكم ولا أمر ولا نهى ولا تصرف فى مال حتى ولا فى درهم واحد ولا غيره ، والقـائم بالأمر دونه أبو زكريا يحيى بن أبى جميل ريان الوطاسى ، وبعد صاحب فاس صاحب مكناسة الزيتون على مسيرة نصف يوم من فاس ، والآخر بإصليا على مسيرة خمسة أيام من فاس وهذا أيضا تحت الحجر ممن تغلب عليه وقد مضت مملكة بنى مرين هذه ، ويزعم أهل علم الحدثان السارية تملكها وقد ظهرت إمارة صدق ذلك ، وبالأندلس أبو عبد الله

محمد الأيسر بن الأمير نصر بن السلطان أبي عبد الله بن نصر المعروف بابن الأحمر صاحب غرناطة .

و [على] بلاد اليمن الملك الظاهر يحيى بن الأشرف إسماعيل ملك تعـز وزبيد وعدن ، وعلى صنعاء وصعدة الإمام على بن صلاح الدين محمد بن على المرسى ، وممالك الهند الإسلامية يطول علينا سردهم ، وممالك الفرنج أيضاً بها سبعة عشر ملكا ، وبلاد الحبشة الحطى الكافر ويحاربه ملك المسلمين شهاب الدين أحمد بدلا من ابن سعد الدين أبي البركات محمد بن أحمد بن على بن خير الدين محمد بن ولخوى بن منصور بن عمر بن ولسمع الجبرتى :

وأرباب المناصب بالقاهرة الأمير جانى بك الأستادار دوادار عظيم الدولة عبد الباسط ، والقاضى محب الدين بن الأشقر كاتب السر ، وناظر الجيش عظيم الدولة القاضى زين الدين عبد الباسط ، وناظر الخاص سعد الدين إبراهيم ابن كاتب جكم :

وقاضى القضاة الشافعى شيخ الإسلام وحافظ العصر شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن حجر ، وقاضى القضاة الحنفى بدر الدين محمود العينى ، وقاضى القضاة المالكى شمس الدين محمد البساطى ، وقاضى القضاة الحنبلى محب الدين أحمد بن نصر الله البغدادى الحنبلى ، والمحتسب الأمير صلاح الدين محمد بن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله ، ووالى القاهرة عمر أخو التاج الشوبكى وغيرهم من أرباب المناصب بالبلاد الشامية وغيرها يطول ذكرهم :

شهر الله المحرم الحرام

أهل بيوم الإثنين :

فى عاشره وصل العسكر المجرد من القاهرة إلى حلب .

في رابع عشرينه قدم محمل الحاج صحبة الأمير طوخ[١] مازى أحد الأمراء الطبلخانات وأحد رءوس النوب ؛ قال العلامة الشيخ تقى الدين المقريزى رحمه الله تعالى : « وكنت صحبة الحاج فساءت سيرته فى الحاج وفى ذات نفسه » .

(١٦٣ب) وفى ثامن عشرينه طلبوا أجنادالحلقة الفقراء الضعاف الحال فاجتمعوا وأعيد لهم ما أخذ منهم من المال فى بيت الأمير تمربای الدوادار الثانى ، وسبب إعادة أموالهم أن التجريدة بطلت ؛ ولله الحمد .

وفى هذا اليوم مسك الصاحب تاج الدين عبد الوهاب بن الخطير أستادار المقام الجمالى سيدى يوسف ولد المقام الشريف ثم أخرج عنه فى يومه ، واستقر الصاحب جمال الدين بن كريم الدين عبد الكريم بن سعد الدين بركة بن كاتب جكم عوضه فى أستادارية سيدى نجل السلطان وأخلع عليه من الغد .

وفى يوم الأحد[٢] تاسع عشرينه — الموافق لتاسع عشر مسرى — نودى على النيل بزيادة عشر أصابع فوق الستة عشر ذراعا ، وزاد أربع أصابع فرسم السلطان لولده المقام الجمالى أن يركب ويخلق المقياس ويفتح فم الخليج على العادة ففعل وركب معه عدد كبير من الأمراء والخاصكيه والمماليك السلطانية .

وورد الخبر بأن العسكر المجرد سار من حلب فى عشرينه إلى ناحية إبلستين .

---

(١) هو طوخ الناصرى فرج أما تسميته بطوخ مازى فنسبة إلى أغاته مازى الظاهرى وقد رأس إمرأة المحمل الأول لمكة أكثر من مرة كما أصبح مقدماً على المماليك ، وكانت وفاته سنة ٨٤٣ ، وقد نعته المقريزى بأنه كان من شرار خلق الله . أنظر الضوء اللامع ٤/٣١ .

(٢) الوارد فى التوفيقات الإلهامية لسنة ٨٤٠ أن أول محرمها كان السبت ومن ثم يكون ٢٩ منه السبت أيضاً .

وفى حادى عشرينه هجم أعداء الدين الفرنج على ميناء بوقير[1] خارج مدينة الإسكندرية بثلاثه أغربة مشحونة بالفرنج الكتلان ، فأخذوا من مراكب المسلمين مركبين ، فلحقهم آقباى اليشبكى[2] نائب الثغر المحروس ورماهم وشدد عليهم بالرمى فخاص منهم مركبا واحدا ، ثم إنه قصد أخذ الأخرى فأحرقها[3] الفرنج وسافروا . هذا وقد كان فى ثانى عشرينه وقعت مثل هذه الوقعة بميناء اسكندرية وهو أنه طرقها مركب الكتلان وكان بالميناء مركب للجنوية فأعان المسلمون الجنوية على حربهم مع الكتلان فانهزموا .

وفى هـــذا الشهر برز من مدينة بجاية بإفريقية أبو الحسن على بن السلطان أبى فارس عبد العزيز حتى قدم على قسطنطينة .

* * *

شهر صفر

أهل بيوم الثلاثاء .

فى الرابع منـــه قدم قاصد نائب حلب برأس الأمير الأعور قرمش ابن كشبغا أمير عشرة بحلب ، وكان من خبره ما قدمناه أنه من جملة المماليك الظاهرية

(١) الإسم الغالب عليها هو : « أبو قير » وهى من ضواحى الإسكندرية الآن ، ولكنها قديمة حيث كان إلى جوارها مدينة كانوب ذات الشهرة التاريخية فى التاريخ القديم والتى ينسب إليها أحد فروع النيل المسمى بالفرع الكانوبى ، أما بوقير – أو أبو قير – فقد ذكر المرحوم محمد رمزى فى القاموس الجغرافى للمدن المصرية ، ق ٢ ج ٢ ص ٣١٧ أنها تنسب إلى القديس قير Cyr أحد شهداء المسيحية الأوائل وهو معروف عند المصريين باسم أبا كير : Abbakyr ، وقال نفس المصدر « وأبو » التى فى أول الإسم هى جزء منه لا يجوز أن تتغير بعوامل الإعراب كما يفعل بعض الكتاب الذين لا يعرفون شيئاً عن أصل إسم هذه القرية » .

(٢) هو أقباى اليشبكى يشبك الشعبانى الجاموس ، وكان موته فى هذه السنة ، أنظر فيما بعــد ترجمته فى الوفيات ، والضوء اللامع ٢ / ٩٩٩ .

(٣) فى الأصل « فأحرقوها » .

برقوق وترقى فى الخدمة السلطانية حتى بقى من الأمراء وأخرج إلى الشام ، فلما خامر تنبك البجاسى على السلطان كان معه ثم هرب بعـد قتله فلم يعرف له أثر ولا خبر إلى أن ظهر الأمير جانى بك الصوفى فانتمى إليه ، فلما قدم العسكر المجرد إلى حلب ومن جملتهم الأمير خجا سودون نزل بمن معه على عينتاب وطرقه قرمش المذكور خامروا إلى جانى بك فى جماعة فقطعت رأس كمشبغا وقرمش وجهزا إلى السلطان ، ووسط الجماعة ، فشهر بالرأسين[1] بالقاهرة ثم أمر بإلقائهما فى سراب مملوء من القاذورات .

وفى ثامنه قدم الصاحب كريم الدين بن كاتب المناخ من جدة وصحبتـه الأمير يلخجا والمماليك السلطانية الذين كانوا مركزين بمكة .

وفى هذا الشهر سار أبو عمرو عثمان بن أبى عبد الله محمد بن السلطان أبى فارس عبد العزيز من مدينة تونس يريد قسنطينة لقتال أبى الحسن على الذى سار إليها قبله .

شهر ربيع الأول

أهل بيوم الخميس .

فيه رجع العسكر المجرد إلى أبلستين بعدما وصلوا إلى مدينة سيواس فى تحصيل جانى بك الصوفى وابن ذلغادر ، وسبب رجوعهما أنه بلغهما لحاق جانى بك الصوفى وابن ذلغادر بابن عثمان صاحب برصا فنهبوا من البلاد وأفسدوا ما قدروا عليه وعادوا .

(١) فى الأصل « بالرأسان » .

وفيه رُسم[1] بعزل الأمير تمراز المؤيدى من نيابة صفد وأن يستقر فى نيابة غزة عوضاً عن الأمير يونس الأعور[2]، واستقر يونس الأعور، فى نيابة صفد، وندب لذلك دولات باى المؤيدى أحد رءوس النوب.

وفيه طلع الصاحب كريم الدين بتقدمة إلى السلطان فقُبلت وأخلع عليه.

وفى يوم الأحد رابعه سأل عظيم الدولة القاضى زين الدين عبد الباسط السلطان فى استقرار الصاحب كريم الدين فى الوزارة على عادته، وكان السائل عن القاضى عبد الباسط [بن خليل] الأمير صفى الدين جوهر الخازندار فأجيب « بأن هذا الأمر يتعلق بك فإن شئت استمريت على مباشرتك للوزارة وإن شئت أقمت فيها من تريد » ، معناه أن السلطان لا يعرف شداد دواوينه الأستادارية والوزارة إلا من عظيم الدولة عبد الباسط، ولما كان من الغد تكلم القاضى عبد الباسط مع السلطان شفاهاً فى ذلك فتوقف السلطان فى ذلك لعدم سداد كريم الدين، فمازال بالسلطان حتى أجاب إلى ولايته، فنزل عظيم الدولة إلى داره وطلب كريم الدين المذكور واتفق معه على ما يفعله وأسعفه بجهات ومال يسد منها شهرين، وأنعم عليه بألفى رأس من الغنم وقرر معه أن يُوزع على مباشرى[3] الدولة كلفة شهرين آخرين.

---

(١) أشار أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة، ج ٦ ص ٧٥٠ الى أن سوء سيرته وكثرة ظلمه كانا السبب فى عزله عن نيابة صفد ولكنه جعل هذا الحادث فى أول ربيع الأول ٨٤٠، أنظر فيما بعد ترجمة رقم ٧٧٦ ص ٤٢٩، والمنهل الصافى، والنجوم الزاهرة، ج ٦ ص٩ ٨٤.

(٢) هو يونس الركن بيبرس الأتابك ابن أخت الظاهر برقوق، وكانت وفاته سنة ٨٥١، أنظر ترجمته فى المنهل الصافى، وفى الضوء اللامع ١٠ / ١٣٢٢.

(٣) فى الأصل « مباشرين ».

فلما كان الغد – الذى هو الثلاثاء – خلع[1] على الصاحب كريم الدين واستقر فى الوزارة على عادته وركب فى موكب جسيم ومعه أعيان الدولة إلى داره وفرح الناس بقدومه واستقراره، فإن قلمه أخضر فنفذ وعين وصرف ، وخلع على الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم ناظر الدولة خلعة استمرار ، فنزل فى خدمته وجلس بين يديه كما كان أولا ، وكانت الوزارة بعد [أن] عزل عنها خليل فى شوال سنة تسع وثلاثين لم يستقر فيها أحد وإنما القاضى عبد الباسط ينفذ أحوالها وفى خدمته ابن الهيصم (١٦٤ أ) وهو أنه قسم جهاتها على مباشريها وقرر على كل جهة مالا معلوماً وإذا لم تف الجهات بما قرر عليها أقام بذلك من ماله ، فمشت أحوال الدولة وراجت فى هذه المدة على هذا الترتيب المذكور .

وفى ليلة الإثنين خامسه طُلب سليمان بن أورخن بك بن محمد كرشجى ابن عثمان وأخته شاه زاده وجماعتهم فلم يوجدوا ، وكانوا يسكنون بقلعة الجبل ، وأمر المقام الجمالى ولد المقام الشريف سليمان هذا أن يركب معه ويسير فى خدمته بأمر والده المقام الشريف كونه صغيرا وابن ملك المشرف ووافق ركوب ولد السلطان ولم يوجد سليمان وكان ساكناً فى قاعة الصاحب بقلعة الجبل .

وخبره فى حضوره إلى القاهرة هـو أن مراد بك بن كرشجى صاحب برصا وغيرها من بلاد الروم مسك على أخيه أرخن بك وكحله فى سجنه ، وكان يقوم به وهو فى السجن مملوك من مماليكه يقال له طوغان فحضر إليه بجارية فى السجن من غير أن يشعر بها أحد فوطأها فحملت منه بسليمان هذا

---

(١) أجملت النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٧٥٠ هذا الخبر فى قولها : « فى يوم الثلاثاء سادس شهر ربيع الأول خلع السلطان على الصاحب كريم الدين بعد قدومه من بندر جدة باستقراره وزيراً على عادته ، وكانت شاغرة من مدة طويلة ويقوم بمصارفها الزينى عبد الباسط ابن خليل » .

المذكور ولا يدرى بها أحد سوى طوغان ووضعته، ثم حملت بأخته ووضعتها، ثم مات أرخن والدهما فى السجن ، ففر المماوك بهذين الولدين وأمهما ووصل بهم إلى حلب خوفا عليهم مما يحصل عليهم من مرار ، فأقاموا بحلب حتى حل ركاب السلطان بها فى سنة سبع وثلاثين فوقفوا إليه وأخبروه بقضيتهما، فأجمل فى جوابهم وأحسن إليهم وأمرهم بالنزول فى قلعة حلب، ثم رسم لهما بالتوجه إلى القاهرة المحروسة فأسكنهم[1] بقلعة الجبل فى الدار التى تسمى قاعة الصاحب كما قدمنا ذلك وأفرغ عليهم من الكساوى والخيول والغلمان والمأكل شيئا كثيرا ورتب لهم فى غرة كل شهر من الفلوس اثنين وعشرين ألف درهم بمعاملة القاهرة ولم يضيق عليهم فى النزول والركوب، بل غالبا يركب مع ولد السلطان إذا ركب ويبيت عنده إذا شاء إلى أن فقدوا .

وفى ليلة الإثنين قتل جاسوس معه مطالعات من جانى بك الصوفى .

وفى ليلة الجمعة عاشره كان المولد الشريف النبوى بالحوش السلطانى على العـــادة :

وفى يوم الجمعة المذكور سطا رجل من الهنود على رجلين فقتلهما بعـــد صلاة الجمعة مقابل المدرسة الصالحية بإزاء خيمة الغلمان والخلائق مجتمعون فمسكوه فقطعوا يده ثم قتل ؛ وكانت حادثة فظيعة .

وفى يوم السبت حادى عشره رسم للأمير قرقماس الشعبانى أمير سلاح والأمير جانم أمير آخور كبير بالتوجه إلى الوجه البحرى فى جمع كبير بسبب أن أولاد رحاب- مشايخ الأخماس بالبحيرة وعمهم عيسى — ضموا طائفة من أهل الفساد التى يقال لها محارب[2] وحصل منهم فساد كبير .

---

(١) يلاحظ هنا عدم تقيد المؤلف بالقواعد النحوية من تثنية وجمع .

(٢) ذكر القلقشندى أن بنى محارب بطن من هيب بن بهثة ، وذكر — نقلا عن العبر — أن ديارهم فى الشرق فى جوار العقبة الكبرى والصغيرة ، أنظر نهاية الأرب فى معـــرفة أنساب العرب ، ص ٤١٥ .

وفى ثالث عشره رجع الأروام الذين أخذوا سليمان بن كرشجى وأخته وعددهم خمسة وستون إنساناً، فيهم من المماليك السلطانية ثمانية أنفار، فنزل السلطان إلى المقعد الذى فى الإصطبل المطل على الرميلة وأحضروا بين يديه فوسطوا الثمانية وكذلك وسط طوغان مملوكهم الذى هو اللالا، ورجل آخر يلوذ بهم اسمه علاء الدين ووسطوا عشرة أنفس وقطعت أيدى سبعة وأربعين[1] رجلا، وضرب رجل بالمقارع فكانت من الحوادث القطيعة والشنيعة.

وأما خبرهم فإن طوغان اللالا قصد أن يفر بسليمان إلى برصا وتوجه فى غراب قدم فى البحر وصحبته جماعة منهم المماليك السلطانية الثمانية وعدة من الأروام، وركب معهم فى المركب جماعة من التجار ليسوا معهم فى شيء مما هم فيه بل هم تجار وأصحاب معيشة، وسافروا فانحدروا فى النيل ليلا يريدون ركوب البحر، فأدركهم الطلب الحثيث من السلطان وقد قاربوا رشيد، فوقع بينهم حرب شديدة فى المراكب على ظهر النيل فقتل منهم عدة ثم تخلصوا من رشيد ودخلوا بغرابهم إلى بحر الملح فكان من مقدور الله تعالى أن أرسل عليهم ريحا ردتهم حتى ألقتهم على وصلة لم يقدروا أن يحركوا الغراب عنها وأدركهم الطلب وهم على هذه الحالة فقاتلوا ليدفعوا عن أنفسهم إذ دهمهم نائب الإسكندرية بعدده وعدده فى جيش عرمرم، ومع ذلك فمازالوا يقاتلون حتى نفد ما عندهم من السلاح وغلبوا فأخذوا ووضعوا فى السلاسل الحديد وسيروا إلى أن نزل بهم من البلاء الفادح ما تقدم، ورسم السلطان بسجن سليمان بن أرخن فسجن مدة ثم رسم بالإفراج عنه.

* * *

وشهر النداء بالقاهرة ومصر بخروج الجنود فلم يتوجه أحد.

(١) فى الأصل: «وأربعون».

وفى سادس عشره — الذى هو يوم الجمعة — رحل العسكر من أبلستين بعد إقامتهم عليها عشرة أيام يخربون ويحرقون وينهبون ويأسرون ويفسدون ولا يصلحون، واستمروا سائرين حتى وصلوا تجاه مدينةسيواس فوجدوا العدو المطلوب سبقهم بالرحيل إلى جبل يقال له «آق طلع» ومعناه «الجبل الأبيض»، ثم توجهوا إلى أنكورية .

وفى تاسع عشره — الذى هو الإثنين — أشهر النداء بالقاهرة المحروسة أن لا يلبس أحد زمطا أحمر، ثم نودى من الغد أن لا يحمل أحد[1] سلاحا .

وفى رابع عشرينه خُلع على السعدى إبراهيم بن المرأة واستقر فى نظر جدة على عادته من قبل (١٦٤ ب) استقرار ابن كاتب المناخ وغيره .

وفى سابع عشرينه خلع على الأمير جانى بك الناصرى رأس نوبة سيدى إبراهيم ولد المقام الشريف المؤيد [شيخ] وحاجب ثانى أمير ميسرة، واستقر أمير المجردين إلى مكة ويكون شادا بجدة عوضا عن يلخجا، وتوجه معه من المماليك السلطانية مائة مملوك وعشرة سوى ثلاثين مملوكاً فى خدمته ، وأنعم السلطان عليه من الذهب الأشرفى بألف ، ومن الخيول بأربعة رءوس ، ومن الجمال بقطارين ، ومن النشاب بخمس عشرة ألف فردة .

وفى ثامن عشرينه الذى هو يوم الثلاثاء رسم ليونس خازندار نائب حلب أن يتوجه للأمراء المجردين ويأمرهم بالعود إلى أبلستين، ورسم لأستاذه تغرى برمش نائب حلب بفرس بقماش ذهب وفوقانى وقباء بطراز زركش عريض، وكذلك أنعم عليه بذهب أشرفية خمسة آلاف دينار ، وأنعم على الأمير الكبير جقمق الأتابكى بألف دينار ، وعلى كل من الأمراء المجردين بثلاثة

(١) فى الأصل : «أحداً» .

آلاف دينار وعدتهم ستة أنفار ، وعلى كل من أمراء حلب المقدمين — الذين كانوا فى التجريدة — بألف وخمسمائة دينار وعدتهم ثلاثة أنفار، وأنعم على أميرين من طبلخانات حلب بمائتى دينار : كل نفر ، وعلى سبعة أمراء من العشرين بحلب بثمانمائة وخمسة وسبعين دينارا [أى] بمائة وخمسة وعشرين دينارآ [على] كل واحد ؛ وأنعم على جماعة من أمراء العربان — وعدتهم ستة عشر نفرا — بألف وستمائة دينار ، وأنعم على خمسة عشر أميرآ من أمراء الجهسات بسبعمائة وخمسين دينارا : لكل واحد خمسون دينارآ ؛ وكذلك أنعم على أمراء التركمان ونواب القلاع ومن حضر التجريدة بخمسة آلاف دينار ، وبلغت جملة هذا الإنعام تسعة عشر ألف دينار وخمسة وسبعين دينارآ ، خارجا عن ثلاثين قرضية وثلاثين ثوب صوف وعشرة أقبية سنجاب وما قدمناه لنائب حلب من المركوب والملبوس خاصــة ، وكل ذلك ليبادزوا إلى القبض على عدو السلطان ويجدوا فى السير فى طلبه فى أى مكان كان .

* * *

وفى هذه السنة أشهر النداء بالسفر صحبة الأمير المجرد والمماليك السلطانية والقاضى سعد الدين بن المرأة إلى مكة المشرفة .

شهر ربيع الآخرة

أهل بيوم الجمعة .

فى سادس عشره ركب السلطان من القلعة ودخل من باب زويلة وخرج من باب القنطرة للصيد ، وهذه أول ركبة ركبها وبات ليلته فى طاب الصيد ، وفى غده عاد ، وكذلك فعل فى حادى عشرينه .

شهر جمادى الأولى

أهل بيوم السبت .

فيه وصل[1] رسل مراد بن محمد كرشجى بن بايزيد بن عثمان ملك الروم وعلى يدهم كتاب وهدية .

وفى سادسه برز الأمير جانبك وابن المرة وصحبتهم المماليك السلطانية والحجاج ورحلوا فى عاشره .

وفى ثالث عشره خلع على دمرداش وأعيد إلى كشف الوجه البحرى — مع أن علماء التاريخ يسمون كشف الوجه البحرى بالنيابة[2] — عوضا عن حسن بك الذكارى .

وفى سابع عشره قدم الأمراء المجردون لحرب جانى بك الصوفى وناصر الدين بن ذلغادر ، وهم الأمير الكبير جقمق العلائى الأتابكى والأمير أركماس الظاهرى الدوادار الكبير والأمير يشبك الظاهرى ططر حاجب الحجاب والأمير تنبك والأمير تغرى بردى المؤذى البكلمشى ، وتأخر فى الطريق خجا سودون ، وتمثلوا لدى المواقف الشريفة وقبلوا الأرض ، فأخلع على الأمير جقمق الأتابكى الأمير الكبير فوقانى بطراز ذهب ، ومن تحته متمر ، وخلع على بقية الأمراء المذكورين فوقانيات بطراز زركش وأركبوا خيولا مسومة بقماش ذهب .

ووافق فى هذا اليوم قدوم الأمراء المجردين إلى البحيرة وصحبتهم الأمير حسن بن سالم الذكارى وقد عزل عن كشف البحيرة كما قدمنا ، ومحمد بن بكار ابن رحاب وقد حضر طائعا وهو من رءوس مشايخ الأخماس بالبحيرة ، وعدة

---

(١) فى الأصل : « وصلوا » .

(٢) أى أنه لايسمى بالكشف ولكن بنيابة الوجه البحرى .

الأمراء الذين قدموا : الأمير قرقماس الشعبانى أمير سلاح ، والأمير جانم أمير آخور المقام الشريف والأمير قراجا شاد الشرابخاناة والأمير تمرباى الدوادار الثانى .

وفى هذا الشهر تكرر ركوب السلطان إلى الصيد .

وفيه استولى الأمير جوهر الخازندار على أوقاف الطرحاء المتعلقة بأموات المسلمين ، ورسم لقاضى القضاة بدر الدين العينى برفع يده من ذلك وأن يعمل حساب الوقف مدة ولايته عليه ، ثم بطل عمل الحساب واستمر الوقف تحت يد الأمير جوهر .

وفى سابع عشرينه رسم للقضاة الأربعة أن يجتمعوا بمجلس السلطان للحكم بين الرعية وتخليص الحقوق ودفع المظالم وأن يكون اجتماعهم فى يومى السبت والثلاثاء ، ونودى فى هذا اليوم : « من له ظلامة ، من قهر ، من غبن ، عليه بالأبواب الشريفة » . ثم بطل حضور القضاة الأربعة واستمر جلوس السلطان للحكم فى يوم السبت والثلاثاء .

شهر جمادى الآخرة

أهل بيوم الإثنين .

فى ثالثه توجه الأمير تمر باى الدوادار الثانى إلى الإسكندرية راكباً على ظهر النيل ليبيع الفلفل المحضر من جدة إلى الثغر على الفرنج بعد أن عين القاضى زين الدين عبد الباسط عظيم الدولة لذلك ثم أعفى منه .

وفى ثامنه قدم الأمير خجا سودون الذى كان صحبة الأمراء المجردين لحرب جانى بك الصوفى ، فخُلع عليه .

وفى ثانى عشره وصل كتاب الأمير صارم الدين إبراهيم بن قرمان مضمونه أن ناصر الدين بن ذلغادر وجانى بك الصوفى حضرا بعد أن توجه العسكر بالقرب من أنكورية (١) ، وأن الأمـــير ناصر الدين بن ذلغادر سار إلى مراد بن عثمان ملك الروم فاجتمع به على مدينــة كالى (٢) بولى وترامى عليـــه فأكرمه وطمنه ووعده بمساعدته ومده بالرجال والسلاح والمال ، (١٦٥ أ) وكان ابن قرمان قد تقاتل هووحاكم مدينة أماسيه (٣) وهى تحت حكم ابن عثمان وقتل نائبها فلما بلغ ابن عثمان ذلك غضب وحنق وتحركت العداوة الكامنة بين القرمانية والعثمانية وقصد السير إلى أخذ ابن قرمان وخرج من كالى بولى يريد مدينة برصا ، فلما قدم عليه سليمان بن ذلغادر جهز معه عسكرا وأنعم عليه بالمال والسلاح كما وعده وجهز معه حاكم مدينة توقات لمحاصرة مدينة قيصرية ونزعها من ابن قرمان ، فحصل عند السلطان من هذا الخبر هم كبير ، ورسم أن يجهز إلى كل من بلاد عينتاب وملطية وكختا وكركر المـــال والسلاح والغلال ، وكتب إلى تراكمين الطاعة بمساعدة الصارم إبراهيم بن قرمان على عدوه .

وفى هذا الشهر برزت المراسيم الشريفة أن يشترى من الغلال ثلاثون ألف أردب لتخزن فى الشّون السلطانية ، فلما رآى الناس ذلك انقضوا على ابتياع الغلة من قمح وشعير وفول خوفاً من غلو السعر .

---

(١) أنكورية من مدن آسيا الصغرى وهى المعروفة فى الفرنجية باسم Angora ، وكانت من المدن الهامة فى عهد سلاجقة الروم .

(٢) هى المعروفة حديثاً باسم غاليبولى أو جالبولى .

(٣) من كبرى مدن آسيا الصغرى فى العهد السلجوقى ، واتخذها ملوكهم فى بعض الأحيان مركزاً لحكومتهم ، وقد نقل لسترانج فى بلدان الخلافة الشرقيـــة ص ١٧٩ عن ابن بطوطة وصفه إياها فقال إنها « مدينة حسنة وهى فسيحة الشوارع والأسواق ذات أنهار وبساتين وعلى أنهارها النواعير تسقى جناتها ودورها » .

وفى ثامن عشره حضر الأمير تمر باى الدوادار الثانى بعد ما فرغ من بيع ألف حمل من الفلفل على الفرنج بسعر مائة دينار الحمل ، ومشتراه على السلطان خمسون الحمل .

وفى تاسع عشره قدم القاضى شرف الدين أبو بكر الأشقر كاتب سرحلب المعروف بابن العجمى وتمثّل من الغد بين يدى السلطان ، وقدم تقدمة جليلة فقُبلت .

وفى العشرين رُسم للأمير يشبك الظاهرى ططر حاجب الحجاب والأمير إينال الأجرود لحفر خليج الإسكندرية وتوجه صحبتهما القاضى زين الدين عبد الباسط عظيم الدولة ليرتب الأحوال ثم يعود .

وفى رابع عشرينه سافر الوزير الصاحب كريم الدين بن كاتب المناخ للنظر على حفر الخليج الذى تقدم ذكره بالإسكندرية .

ووقع فى هذا الشهر من الحوادث والنوادر أمر غريب وهو استقرار الأمير صفى الدين جوهر الخازندار فى قضاء دمياط ، وما العادة إلا أن قاضى القضاة الشافعى يفوض القضاء بدمياط لمن يقع اختياره عليه من الفقهاء والعلماء والفضلاء ، فلما صار ولى الدين محمد بن قاسم الحلاوى مضحك السلطان ونزهته ونديمه وجليسه طمع وشره فى تحصيل المال وسأل قاضى القضاة فى أن يكون نائباً عنه فى عدة بلاد منها دمياط ، فأجابه إلى سؤاله لما يعلمه من اتصاله بالملك وما يذكره فى المجلس عنه من المحاسن . فقرر من البلاد نوابا من تحت يده وجعل عليهم مالا يحملونه[1] إليه على سبيل الفريضة فى كل سنة أو شهر ؛ قال الشيخ تقى الدين المقريزى والشيخ بدر الدين محمود العينى رحمهما الله عند ذكرهما لهذا

(١) فى الأصل : « يحملوه » .

الأمر كما هى ضرائب المكوس سوى ما يتبع ذلك من الهدايا » انتهى كلامهما فليت شعرى ماذا يأخذه[(١)] النواب من الريف ومن الفلاحين، وكان الجاه عريضا فما عفت نوابه ولا كفّت ؛ فلما سافر ولى الدين بن قاسم إلى الحجاز نزل عن قضاء دمياط للقاضى جلال الدين عمر ولد القاضى كمال الدين محمد بن البارزى بمبلغ خمسين ألف درهم مصرية فجرى على عادة ابن قاسم فى ذلك إلى أن رسم السلطان للقاضى كمال الدين بقضاء دمشق فسأله الأمير صفى الدين جوهر أن ينزل له عن قضاء دمياط فلم يمكنه إلا الإجابة لذلك ونزل له عن ذلك، فأمضى قاضى القضاة النزول وصار أحد نواب الحكم العزيز بدمياط، فاستناب على عادة من تقدمه وصار يكتب فى مكاتيبه إلى نائبه بدمياط « الداعى جوهر الحنفى » مثلما كان يكتب قاضى القضاة، وشكر أهل الثغر سيرته بالنسبة لمن كان قبله . ولم يعهد فى مثل هذا الأمر نزول ولا ما يشبه النزول، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

شهر رجب

أهل بيوم الثلاثاء .

فيه خلع على القاضى كمال الدين محمد بن البارزى قاضى القضاة بدمشق على عادته ، قيل عوضاً عن سراج الدين عمر [بن موسى] الحمصى بغير سعى منه فيها ولا مال تقدم به وإنما سبب ذلك كثرة القالة السيئة فى الحمصى ومايفعله فى المسلمين من أخذ الرشا وغير ذلك ، فأوجب عزله .

وفى ثالثه أدير محمل الحاج بالقاهرة المحروسة ومصر ، وما العادة إلا فى نصف رجب ، لكن هذا الأمر غُير فى الدولة الأشرفية غير ما مرة ، وحصل على المسلمين ليلة إدارته من البلاء ما لا يوصف، وذلك أن المماليك السلطانية

(١) فى الأصل : « يأخذوه » .

صاروا يصفعون أقفية من يمر بالشوارع ويحرقون لحاهم بالنار ويخطفون عمائمهم ويفعلون أفعالا قبيحة منكرة ننزه كتابنا عن ذكرها ، والأمر إلى الله.

وفيه خلع على الأمير غرس الدين خليل الذى كان استقر فى الوزارة واستقر أمير الركب .

وفى خامسه الذى هو يوم السبت توجه القاضى ابن عبدالباسط عظيم الدولة لكشف قناطر اللاهون من عمل الفيوم ، وكانت قد خربت ورسم بعمارتها .

وفى سادسه قدم الأمير يشبك الظاهرى ططر حاجب الحجاب والوزير كريم الدين والأمير إينال الأجرود وقد قاسوا خليج الإسكندرية فإذا عرضه عشر قصبات فى طول ثلاث وعشرين ألف قصبة ، منها ستة آلاف وأربعمائة قصبة تحتاج إلى الحفر وبقية ذلك يحتاج إلى الإصلاح وبذل الأموال والصناع والرجال .

وفى سابع هذا الشهر توجه جكم ــ خال المقام الجمالى ولد السلطان وخازندار ه إلى طرابلس لينقل الأمير الكبير بها وهــو تمربغا الأحمدى إلى الحجوبية الكبرى وانتقال الأمير آقبجا العلائى من الحجوبية الكبرى إلى الإمرة الكبرى وبرز المرسوم الشريف لتمربغا أن يقوم للذخيرة الشريفة بأربعة آلاف دينار ، وللمسفر الذى هو جكم المذكور بألف دينار ، وأضافوا إلى جكم أن يكون مسفر القاضى كمال الدين بن البارزى الذى هو قاضى القضاة الشافعية بدمشق فاعتذر (١٦٥ ب) بأعذار مقبولة منها أن قضاء الشام ليس له عادة بمسفر منذ خاق الوجود بها وإلى هلم وبعد جهد كبير حتى أخذ جكم ثلثمائة [دينار] .

وفى العاشر منه خلع على الأمير إينال الأجرود واستقر فى نيابة صفد عوضاً عن الأمير يونس [الركنى] ، ورسم ليونس أن يتوجه للقدس بطالا ، وخلع على الأمير طوخ [من تمراز المعروف] بينى بازق ورسم له أن يكون مسفر الأمير إينال الأجرود المذكور .

وفى الرابع والعشرين[1] من هذا الشهر خرج إقطاع إينال الأجرود باسم الأمير قراجا [الأشرفى] شاد الشرابخاناه، واستقر إينال [الأبوبكرى الأشرفى] الخازندار شاد الشراب خاناه ، وهو أحد أمراء الطبلخانات عوضاً عن الأمير قراجا ، واستقر على باى الساقى الخاصكى الخاص خازندارا عوضا عن إينال ، وخُلع على الأمير آقبغا التمرازى بسبب حفر خليج الإسكندرية .

وفى تاسع عشره خلع على حسن بك الذكارى التركمانى وأعيد إلى نيابة البحيرة عوضا عن دمرداش .

وفى السابع والعشرين منه برز المرسوم الشريف للأمير جانى بك الأستادار أن يتوجه إلى شبرا الخيام من بلاد الضواحى التى[2] فى الديوان المفرد تحت أمره ونظره ليهدم الكنيسة التى بها للنصارى ، فركب وهدم الكنيسة المذكورة ونهبوا جميع ما بها حتى إنهم وجدوا عظام رمم كانت بها يزعم[3] النصارى أنها رمم شهدائهم .

وفى هذا الشهر استأدى ما قرر على النواحى بالغربية والشرقية والبحيرة برسم حفر خليج الإسكندرية ، وهو غير العبرة ألف دينار ونصف كل راجل يؤخذ منه ألفان وخمسمائة درهم من معاملة القاهرة ، وندب لحفر ذلك من الرجال عدة ثلاثمائة رجل ، وصنع الصناع فى الميدان الذى داخل القلعة بين يدى السلطان من الجراريف والمقلقلات مائتى قطعة وعشر قطع ، ومن الأبقار ستمائة وعشرين رأسا ، وجهز ذلك لحفر خليج الإسكندرية المذكور .

(١) « الرابع عشر من شهر رجب » فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٧٥١ .
(٢) فى الأصل : « الذين » .
(٣) فى الأصل : « يزعمون » .

شهر شعبان

أهل بيوم الخميس .

فى ثانيه توجه قاضى القضاة كمال الدين بن البارزى إلى دمشق ليباشر وظيفته .

وفى ثالثه خلع على القاضى معين الدين عبد اللطيف أحد موقعى الدست الشريف واستقر كاتب السر بحلب عوضا عن والده القاضى شرف الدين أبى بكر الأشقر ، وخلع على القاضى شرف الدين المذكور ليكون على عادته فى نيابة كتابة السر بمصر .

وفيه أنعم على الأمير ناصر الدين محمد بن صارم الدين إبراهيم بن منجك بتقدمة أرغون شاه الذى كان وزيراً بمصر قديمـا واستقر أستاداراً بالشام ، وأضيف إلى نائب القدس الشريف — الذى هو طوغان العثمانى — أستادارية دمشق والتحدث فى الأغوار عوضاً عن أرغون شاه المذكور .

شهر رمضان

أوله الجمعة .

فى عاشره طلب السلطان الأمراء وعقد المشورة بسبب أن الخبر ورد من البلاد الشامية أن ناصر الدين محمد بن دلغادر ورفيقه بل نزيله جانى بك الصوفى زحفاً بمن معهما على بلاد ابن قرمان ، فانفض المجلس على السفر إلى بلاد الشام فتأهب الأمراء لذلك ، ثم فى ثامن عشره انتقض ذلك وكتب إلى النواب بالمسير إلى نحو بلاد ابن قرمان عونا ونجدة ، فإن العدو أخذ مدينة آقشهر ونازلوا قلاعا أخر .

شهر شوال

أهل بيوم الأحد .

فى الخامس منه خلع على قاضى القضاة علم الدين صالح البلقينى وأعيد إلى قضاء القضاة عوضا عن الحافظ شيخ الإسلام قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر .

وفى السادس منه خلع على القاضى نور الدين بن مفلح ناظر المرستان واستقر وكيل بيت المـال عوضاً عن شمس الدين محمد بن يوسف بن صالح الحلاوى بعد موته ، وكل[1] من ابن مفلح والحلاوى جليس عظيم الدولة القاضى زين الدين عبد الباسط ، ولولا هو ما وصلا إلى شىء .

وفى تاسع عشره خرج محمل الحاج صحبة الأمير غرس الدين خليل ورحل من بركة الحاج فى ثالث عشرينه بعد أن رحل الركب الأول فى أمسه صحبة الأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير أركماس الظاهرى الدوادار الكبير .

وفى هذا الشهر وصـل الخبر بأن صاعقة نزلت بجدة التى هى بندر مكة فأتلفت شيئاً كثيراً وذلك نحو المائة وخمسين نفسا منها .

وكانت بجدة أيضا فتنة بين القواد والأمير جانى بك أمير المماليك السلطانية وقتل فيها وجرح عدة من المسلمين ، ولولا قدوم[2] الأمير الشريف بركات الذى ساس الأمر وسكن الفتنة ما حصل خير .

شهر ذى القعدة

أهل بيوم الثلاثاء .

فيه وصل سيف الأمير تمر باى [اليوسفى المؤيدى] الدوادار بحلب ، وسيف الأمير آقباى اليشبكى [الجاموس] نائب الثغر السكندرى وقد توفيا إلى رحمة الله تعالى ، فعين[3] لنيابة الثغر السكندرى الجناب الجمالى يوسف بن المرحوم الأتابكى تغرى بردى عين المؤرخين ؛ ثم إن الأمير تمر باى الدوادار الثانى أبطل ذلك هـو وعظيم الدولة القاضى عبد الباسط وتقررت ولاية زين الدين

(١) فى الأصل « وكلا » .
(٢) فى الأصل « حتى » .
(٣) خلت النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٧٥١ من الإشارة الى تعيين صاحبها أبى المحاسن المؤرخ لهذه الوظيفة .

عبدالرحمن بن علم الدين [داود] بن الكويز الذى هو أحد دوادارية السلطان بعد امتناع شديد منه ومساعدة الأمير جوهر الخازندار له فى عدم التولية ، ولم يقبل السلطان ذلك وخلع عليه فى ثانيه .

وفى العشرين من هذا الشهر رجع نائب حلب إليها من مسيرة عندما وصل إليه الخبر بمشى مراد بن عثمان ملك الروم على ابن قرمان ، فبلغه أن الصلح تقرر بينهما وهو بمرعش فعاد .

وورد الخبر بأن أصبهان بن قرا يوسف متملك بغداد جمع لحرب حمزة ابن قرايلوك متملك ماردين ، فحشد له حمزة حشدا كثيفاً وحاربه فهزم أصبهان بعد قتل عدة من أمرائه وجنده ، حتى إن بقية عسكره أرادوا قتله فتحصن منهم بقلعة فولاذ .

* * *

شهر ذى الحجة

أهل بيوم الخميس .

فى حادى عشره — الموافق سابع عشرين بؤونه (1) — نودى على النيل بزيادة ثلاثة أصابع وأسفر الماء على خمسة أذرع واثنين وعشرين إصبعا ، وتسميها الناس اليوم القاعدة ، واستمرت زيادة النيل .

(١٦٦ أ) وفى ثانى عشرينه — الذى هو الخميس — خلع على الأمير صلاح الدين محمد بن الصاحب بدر الدين حسن بن نصرالله واستقر كاتب السر بالديار المصرية عوضا عن محب الدين بن الأشقر شيخ الشيوخ مضافاً إلى ما بيده من الحسبة ونظر دار الضرب بالقاهرة ونظر الأوقاف وجليس المقام

---

(1) الوارد فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٤٣٠ أن أول ذى الحجة من سنة ٨٤٠ كان الخميس كما هو فى المتن ، ويوافقه الثانى عشر من بؤونة من شهور القبط ، ومن ثم فإن الحادى عشر من ذى الحجة يوافقه الثانى والعشرون من بؤونة .

الشريف ونديمه ، وكان له موكب جسيم ، وغيّر لبسْ العمامة التركية بالعمامة المدوّرة والفرجيّة هيئة أرباب الأقلام ، وشاهدتُه ، وفرح الناس بولايته ، وكانت ولايته على رغم أنف عظيم الدولة القاضي عبد الباسط فإنه اتصل عند السلطان بالمنادمة ، وأصل إيصاله به أن السلطان اشتهى أطعمة منوّعة فأُخبر أن ليس أحد يُنوّع فى الأطعمة مثل صلاح الدين ووالده ، فبلغهما ، فجهزّا أشياء كثيرة وأردفا ذلك بخدم وهدايا ، فتقرب وصار صاحب كلمة نافذة وحرمة وافرة ولكنه بمساعدة الدهر ، وإلى الله الأمر .

وترجمه العلامة تقى الدين المقريزى بأنّه نشأ من صغره بزىّ الأجناد وبرع فى الحساب وكتب الخط المنسوب وصار أحد الحجاب فى الأيام الناصرية فرج وتقلب مع والده فى مباشرة نظر الجيش ونظر الخاص والوزارة وشُكرت مباشرته لذلك لمـا طبع عليه من لين الجانب وطيب الكلام وبشاشة الوجه وكريم النفس وصار فى الأيام المؤيدية شيخ من جملة الأمراء، وولى الأستادارية فى أيام السلطان الملك الظاهر ططر ، و [ولى] ملك الأمراء ثم عُزل وأعيد إليها فى الأيام الأشرفية برسباى ، وكان ما كان من مصادرته ومصادرة والده الصاحب بدر الدين حسن ولزما بيتهما مدة سنين ، ثم تنبه لهما الإقبال فولى الحسبة ومازال يترقى حتى عينه السلطان إلى منادمته وصار يبيت عنده ، فشكرت حاله وخصاله ولم يسلك فى الطمع وأخذ الأموال من الناس ما سلكه غيره إلى أن سعى بعض الناس فى كتابة السر بمال كبير جداً وأرجف بولايته ، فاقتضى رأى السلطان ولايته . وعرض عليه ذلك ليلا وهو مقيم عنده على عادته فاستعفى من ذلك فلم يعفه وصمم عليه ، ورسم بتجهيز التشريف له ثم أصبح فخلع عليه وأقره على مابيده

واستمر فى منادمته والمبيت عنده ، فضبط أمره وصار يكتب المهمات السلطانية بيده بين يدى المقام الشريف لما هو عليه من قوة الكتابة وجودتها ومعرفة المصطلح والدربة بمعاشرة الملوك وتدبير الدولة ومغالبة الأحوال ، فتميز بذلك عمن تقدمه من كتاب السر بعد ابن فضل الله ، فإنهم من عهد فتح الله صارت المهمات السلطانية إنما يكتبها الموقعون بإملاء كاتب السر حتى باشر هو فاستبد بالكتابة وحجب كل أحد عن الاطلاع على أحوال المملكة بحسن سياسته وتمام معرفته » .

وفى ثامن عشرينه وصل مبشر الحاج .

وفى هذه السنة نزل الوباء ببلاد اليمن وأعمالها وكذلك وقع البلاء بديار بكر فمات بها خلق لا يحصون .

وفيها كانت حروب ببلاد الروم وديار بكر ؛ والله أعلم .

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

٧٦٢ — زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن سليمان بن عبد الله المعروف بابن الخراط ، المروزى (١) الأصل ثم الحموى ، الشاعر الأديب الفاضل الباهر الماهر ، أحد أعيان موقعى الدست . [مات] فى ليلة الاثنين أول المحرم عن نحو ستين سنة بالقاهرة ودفن من الغد وكان له إلمام بالتوصل إلى معاشرة الأعيان والأكابر ، رحمه الله تعالى .

(١) وذلك نسبة الى مروذ أو مرو الروذ وكانت واحدة من كبرى مدن إقليم خراسان ، والإسم الأصلى لها هو مرو الروذ أى مرو الشط ، أنظر عنها لسترانج بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٤٤٧ والمراجع التى أوردها هناك كالاصطخرى وابن حوقل والمقدسى وياقوت والمستوفى .

٧٦٣ — وتوفى بدمشق قاضى القضاة شهاب الدين أحمد[1] بن محمود والمعروف والمشهور بابن الكشك الحنفى وهو معزول عن القضاء فى يوم الثلاثاء ثالث عشر ربيع[2] الأول عن نحو ثلاثين سنة ؛ وكان له وعليه ، رحمه الله تعالى .

٧٦٤ — ومات الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبى بكر بن إسماعيل بن سليم ابن قايماز بن عثمان بن عمر البوصيرى الشافعى ، أحد مشايخ الحديث فى ليلة يسفر صباحها عن الأحد ثامن عشرى المحرم ، وكان رجلا ساكنا مباركا له إلمام بالصالحين وتردد إلى آثارهم ، رحمه الله تعالى .

٧٦٥ — وتوفى شهاب الدين أحمد بن محمد بن صلاح المشهور بابن المحمرة الشافعى بالقدس فى ليلة السبت سادس عشر شهر ربيع الآخرة وولد فى صفر عام تسعة وستين وسبعمائة بخارج القاهرة ، وناب فى الحكم بالقاهرة وتولى مشيخة خانقاه سعيد السعداء وقضاء القضاة بدمشق وتدريس المقام الشافعى ومشيخة الصلاحية بالقدس حتى مات ، وكل هذه الولايات يسعى فيها بالمال ويبذله .

٧٦٦ — وتوفى شمس الدين محمد بن يوسف بن صلاح الحلاوى الدمشقى وكيل بيت المال وجليس عظيم الدولة ومضحكه فى ليلة الجمعة سادس شوال ومولده فى سنة خمس وستين وسبعمائة بالشام .

٧٦٧ — وتوفيت الفاضلة الصالحة المباركة أم عبد الله عائشة بنت قاضى القضاة بالشام علاء الدين أبى الحسن على بن محمد بن على بن عبدالله بن أبى

---

(١) الوارد فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٨٤٤ أنه شمس الدين محمد بن أحمد بن محمود ابن الكشك .

(٢) فى الأصل « ثالث شهر » ، لكن راجع النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٨٤٤ ، س ٣ .

الفتح العسقلانى الحنبلى فى نهار الأربعاء السادس والعشرين من ذى القعدة، ومولدها عام أحد وستين وسبعمائة، وقال شيخنا شيخ الإسلام وحافظ العصر، خادم السنة والأثر، الشهير نسبه العريق ابن حجر رحمه الله وتبعه العلامة الشيخ تقى الدين المقريزى فى ترجمتها «حدثت عن غير واحد فسمع عليها جماعة، وهى من بيت علم ورياسة » أخوها جمال الدين عبد الله وزوجها قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن نصر الله الحنبلى ، وولدها عز الدين أحمد ابن قاضى القضاة برهان الدين .

٧٦٨ — ومات الأمير قرمش الأعور أحد المماليك الظاهرية برقوق ثم ترقى فى الخدمة الشريفة إلى أن صار أحد الأمراء ، ثم لما قتل الناصر فرج بن برقوق أخرج إلى الشام ، فلما خامر الأمير تنبك البجاسى على السلطان وثب معه حتى قتل تنبك فانهزم قرمش هارباً متعثراً فى أذيال الخمول مشتتاً بالبلاد مدة حتى ظهر أمر جانى بك الصوفى فانتمى إليه وقويت شوكته به وصار صاحب [أمر] ، وسار مع عدة من الأعيان يريدون أخذ عينتاب وبها من أمراء مصر المقدمين خجا سودون فقاتله بمن معه فأخذه وأخذ من معه من أمراء حلب المخامرين ومن جماتهم الأمير كمشبغا أمير عشرة فى طائفة ممن معهم ، وحمل هو وكمشبغا إلى حلب فقتلا بها وقطعت رءوسهما وحملت إلى قلعة الجبل ، فرسم بإلقائها فى قناة بعد أن أشهروا بالقاهرة فى المحرم .

٧٦٩ — ومات الأمير بردبك الإسماعيلى أحد الأمراء العشرات فى السابع عشر من شهر جمادى الأولى .

٧٧٠ — ومات قتيلا حمزة بك بن على بك بن ذلغادر فى ليلة يسفر صباحها عن السابع والعشرين من جمادى الأولى ، وهو فى سجن قلعة الجبل .

٧٧١ — ومات الأمير أرغون شاه بدمشق فى حادى عشرى رجب وباشر الوزارة والأستادارية بمصر فلم تحمد سيرته ولاسريرته فإنه كان من الظلمة المتمردين والعتاة المتجبرين ، وهو من آحاد مماليك نوروز الحافظى ثم نُفى إلى دمشق وتكلم له أرباب الدولة حتى أنعم عليه فيها بإمرة وباشر بها أستادارية السلطان والأغوار ، واستراح المسلمون منه .

٧٧٢ — وتوفى ملك صنعاء اليمن الإمام المنصور نجاح الدين أبو الحسن على بن الإمام صلاح الدين عبد الله[1] محمد بن على بن محمد بن على بن منصور ابن حجاج بن يوسف ، من ولد يحيى بن الناصر أحمد بن الهادى يحيى ابن القاسم المرسى بن إبراهيم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم ابن الحسن[2] بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى سابع عشر[3] صفر بعدما أقام فى الإمامة بعد والده ستا وأربعين سنة وثلاثة شهور ، وحارب حصون الإسماعيلية حرباً شديدة وأخذها فضافها إلى صنعاء وصعدة ، وقام بالأمر بعده ولده الإمام الناصر صلاح الدين [محمد] بعهد من والده وبيعة أهل الإجماع له فلحق بوالده بعد ثمانية وعشرين يوماً وذلك خامس عشرى ربيع الأول فاجتمع[4] الزيدية بعد موته على شخص منهم يقال له صلاح بن على بن محمد بن أبى قاسم وبايعوه ولقبوه بالمهدى ، لكنه من بنى عم الإمام المنصور ، وقام بأمره ابن سنقر بشرط أن يكون الحاكم له ، فعارضه الإمام وصار يحكم كما لو اجتهاده إليه ولا يلتفت لما شرط ابن سنقر ، فعند ذلك ثار عليه بعد ستة أشهر رجل

(١) « عبد الله » غير وارد فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٨٤٤ ، س ٤ .
(٢) جعله النجوم حسينياً وليس حسنيا .
(٣) كلمة « عشر » غير واردة فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٨٤٦ .
(٤) فى الأصل « فاجتمعوا » .

يسمى محمد بن إبراهيم البساورى . فأعانه قاسم بن سنقر فقبضا على صلاح وسجناه بقصر صنعاء ووكلا به محمد بن أسـد الأسدى ، واستبد قاسم بالأمر ، فأخذت زوجة الإمام المهدى فى تدبير حيلة فى خلاصه من سجنه، وهى أنها دفعت إلى الموكل بحفظه ثلاثة آلاف أوقية من الذهب فأطلقه حتى خرج من القصر وسار إلى معقل يسمى ظفار وفيه زوجته ، ومضى الأسدى إلى معقل يسمى دمر وهو من أعظم معاقل الإسماعيلية التى[1] أخذها للإمام المنصور على بن صلاح ، وأقام المهدى عند زوجته بظفار ، ثم إنه انتبه وجمع الناس وسار بهم إلى صنعاء فوقع بينه وبين ابن سنقر حرب شديدة انجلى أمرها على كسرة الإمام المهدى وتحصنه بقلعته ، فلما بلغ ذلك الأمر زوجته تملكت صنعاء [و] صعدة وأطاعها من فيهما من الناس ، فاضطرب حال قاسم بن سنقر . وكان الناس فرقتين عليه ، بل كلهم عليه ، فأقام ولداً صغيراً وهو ابن بنت الإمام المنصور على، ووالده من الأشراف الرميثية ، فازداد الناس بغضا فيه وحطا عليه ونفوراً عنه وإنكاراً عليه ، وطلبوا الإمام المهدى إلى صعدة فقدمها فبايعه الأشراف بيعة ثانية فتم أمره ، وأرسل إلى أهل الحصون يدعوهم إلى طاعته فأجابوه ، واعتزل قاسم بصنعاء وحده على كره من أهلها وبغض ، والله تعالى أعلم بحقيقة الحال .

* * *

(١) « الذى » فى الأصل .

سنة إحدى وأربعين وثمانى مائة

المحرم

أهل بيوم السبت .

فى ليلة الأحد تاسعه بلغ عظيم الدولة القاضى عبد الباسط والصاحب كريم الدين والأمير جانى بك الأستادار — دوادار القاضى عبد الباسط — وسعد الدين ابن كاتب جكم أن المماليك السلطانية عزموا على نهب دورهم ، فوزعوا ما يخافون[1] عليه من نقد وقماش وما له قيمة، وتركوا شيئا لا يُلتفت إليه وصعدوا الخدمة وهم فى غاية الوجل ثم رجعوا والهلع والجزع مستدير بهم إلى السادس عشر منه الذى هو يوم الأحد فنزل جماعة من المماليك الأجلاب المقيمين بقلعة الجبل فهجموا دار عظيم الدولة القاضى عبد الباسط ودار دواداره الذى هو الأمير جانى بك الأستادار ودار الوزير ، ونهبوا ما وجدوه بها .

وفى الثانى والعشرين منه قدم الركب الأول من الحاج، ووصل من الغد المحمل ببقية الحجاج .

ووصل الخبر بأن نائب دوركى توجه فى خامس عشره وصحبته عدة نواب من تلك الجهات وغيرهم ووصل عددهم نحو الألفى فارس لطرق بيوت الأمير ناصر الدين بن دلغادر ووجدوه هو والأمير جانى بك الصوفى قريب مرعش بيومين ، فبادروا فى نهب أموالهم ، وتحريق أمتعتهم ، وهرب ابن دلغادر وجانى بك الصوفى ومعهم نفر قليل وأخبر أن جموعهما توجهت مع الأمير سليمان ابن دلغادر لحصار قيصرية .

(1) فى الأصل « يخافو » .

شهر صفر

أهل بيوم الأحد .

فيه توجه الأمير إينال الحكمى نائب الشام منها قاصداً حلب وقد سارت النـــواب تتبعه حتى وصلوا قيصرية بجدة وعونا لابن قرمان ونكاية فى سليمان ابن ذلغادر .

وفى رابع هذا الشهر — الموافق له رابع[1] مسرى — كان وفاء النيل ستةعشر ذراعاً ، فرسم المقام الشريف للمقام الجمالى سيدى يوسف بتخليق المقياس وفتح فم الخليج فركب ، وكان له موكب عظيم على العادة .

وفى السابع منه وصلت تقدمة الأمير إينال الحكمى ، وهى من الذهب النقد عشرة آلاف دينار ، ومن الخيول مائتا[2] فرس منها ثلاثة مكسوة بالسروج الذهب والكنابيش الزركش ، وسمور : عشرة أبدان ، ووشق : عشرة أبدان ، وقاقم : عشرة أبدان ، وسنجاب : مائة بدن ، وبعلبكى : خمسمائة ثوب ، وأقواس حلقة : مائة قوس ، وجمال بخاتى : ثلاث قطر ، وجمال غراب : ثلاثمائة جمل ، وثياب (١٦٧ أ) صوف مربع : مائة ثوب .

وفى يوم الإثنين سادس عشره خلع على القاضى جلال الدين أبى السعادات محمد بن ظهيرة قاضى مكة خلعة الاستمرار وكان قدم من مكة صحبة أمير الحاج بطلب وهو مرجوف ، فبعث له مقام القاضى صلاح الدين بن نصر الله بأمره حتى رضى عنه السلطان ورده على عادته ولكن بمال يقوم به للسلطان نحو الخمسمائة دينار ، وهذا الأمر من المنكرات التى لم يسمع بمثلها .

---

(١) الأرجح أن يقال « رابع عشر مسرى » ذلك لأن أول صفر من هذه السنة كان الأحد كما جاء فى أول هذه الصفحة وفى التوفيقات الإلهامية ص ٤٢١ .

(٢) فى الأصل مائتى .

وفى سادس عشرينه - الذى هو يوم الخميس - كان نوروز القبط بمصر وهو أول[١] شهر توت رأس السنة القبطية، ونودى فيه على النيل بزيادة إصبعين لتتمة تسعة عشر ذراعا وإصبعاً من عشرين ذراعاً ، وهذا الأمر قل أن يكون فى زيادة النيل ، ولله الحمد رب السموات والأرض رب العالمين .

ووصل الخبر بأن الوباء حل بحلب وأعمالها فى هذا الشهر والذى قبله حتى الآن، وأن الأموات بمدينة حلب وصلت عدتهم كل يوم أكثر من مائة إنسان.

شهر ربيع الأول

أوله يوم الثلاثاء .

فيه استقر القاضى بدر الدين محمد بن شيخنا الحافظ شيخ الإسلام أحمد بن على بن حجر فى نظر الجامع الطولونى ونظر المدرسة الصالحية بين القصرين نيابة عن قاضى القضاة علم الدين صالح البلقينى بسؤال عظيم الدولة القاضى عبد الباسط له فى ذلك حتى استنابه .

وفى خامسه خلع على الغرس خليل الذى كان وزيراً بعد نيابة الإسكندرية واستقر فى نيابة الكرك وسافر من يومه بأثقاله وأحماله .

وفيه توجه القاضى أبو السعادات بن ظهيرة قاصداً مكة .

وفى يوم السبت ثانى عشره الموافق[٢] لعيد الصايب نودى على البحر بزيادة إصبعين تتمة عشرين ذراعاً وثلاثة عشر إصبعا .

(١) الوارد فى التوفيقات الإلهامية ، نفس الصفحة ، أن أول ربيع الأول كان الإثنين ويعادله خامس توت ١١٥٤ ، كما ذكر نفس المرجع أن أول توت هذا كان يوم الخميس ٢٦ صفر ٨٤١ (= ٢٩ أغسطس ١٤٣٧) .

(٢) وذلك يوم السادس عشر من شهر توت القبطى .

وفي تاسع عشره خلع على الصاحب جمال الدين يوسف بن كاتب جكم، واستقر في نظر الخاص بعد موت أخيه سعد الدين إبراهيم بمساعدة المقر الأشرف الزيني عبد الباسط وقُرر عليه أموال جمة .

وفي السادس والعشرين منه — وهو أول بابه — بلغ المـاء عشرين ذراعاً وخمسة عشر إصبعاً ، ولله الحمد .

شهر ربيع الآخر

أهل بيوم الأربعاء .

وفي هذا الشهر كملت عمارة الجامع المبرور الذي أنشأه السلطان نصره الله وقفاً على الصوفية بخانقاه سرياقوس على الطريق المسلوكة، وذرع فجاء خمسين[1] ذراعاً وقرر فيه إماماً للصلوات الخمس وخطيبا وقراء يتناوبون القراءة في المصاحف .

وفي هذا الشهر — والذي قبله — وصل الخبر من حماه بأن الوباء نزل بها وبأعمالها ، ووصلت عدة الأموات بها في كل يوم مائة وخمسين[2] نفراً .

ووصل الخبر بأن عدن — التي هي من أجلّ بلاد اليمن — احترقت بأجمعها وكذلك احترقت دار الملك بزبيد مع جانب من المدينة، وأن الملك الظاهر يحيى ملك اليمن قامت بينه وبين المغاربة من عرب اليمن حرب شاديدة قتل فيها عدة من عسكره ونجا هو بنفسه إلى تعز ، وأن العرب اليمانية انتقضت عليه من باب عدن إلى الشحر ، وأنه مسك كبير دولته الأمير سيف الدين برقوق واستأصل ماله وسجنه وضيق عليه ، ثم أفرج عنه .

---

(١) في الأصل « خمسون » .

(٢) في الأصل « خمسون » .

وفيه أيضا كانت بين المسلمين وبين ملك البرتغال وقعة عظيمة على مدينة طنجة من عمل المغرب .

شهر جمادى الأولى

أهل بيوم الخميس .

وفى ثالثه ركب السلطان من قلعة الجبل ودخل من باب زويلة وتوجه إلى الأعمال القليوبية لصيد الكراكى ، وهذا أول صيد اصطاده فى هذه السنة .

وفيه قدم الأمير تمراز المؤيدى نائب غزة .

وفى الخامس منه قدم السلطان من الصيد ودخل من باب القنطرة وشق المدينة حتى دخل من باب زويلة وصعد القلعة ولم يصطد[1] شيئا أصلا أو جملة كافية .

وفى سادسه قبض على تمراز المـؤيدى نائب غزة وقيد وتوجه به إلى الإسكندرية فسُجن بها ، وطلب الأمير جرباش قاشق من ثغر دمياط وهو مسجون بها ليلى نيابة غزة عوضا عن تمراز فلم يصح له ذلك ورجع إلى موضعــه .

وفى ثامنه ركب السلطان ليصطاد من بركة الحاج وتوجه إلى الجامع الذى أنشأه بخانقاه سريا قوس ورجع من يومه ، ثم إنه فى يوم السبت عاشره ركب بكرة النهار قاصداً إطفيح فاصطاد وعاد فى يوم الإثنين ثانى عشره .

وفى سابع عشره خلع على الأمير آقبردى البجاسى واســتقر فى نيابة غزة عوضا عن تمراز المؤيّدى بحكم عزله وسجنه بثغر الإسكندرية .

* * *

(١) فى الأصل « يصطاد » .

وفيه وصل مملوكه[1] الأمير تغرى برمش نائب حلب برأس الأمير جانى بك الصوفى ويده ، وطافوا برأسه على رمح بشارع القاهرة ثم ألقوها فى قناة[2] .

وخبره أنه لما كبس عليه نائب دوركي[3] كما قدمناه فى شهر الله المحرم وانهزم هو وابن ذلغادر على وخوه يزيد بن عثمان ، وأما جانى بك الصوفى فقصد أولاد قرايلوك فنزل على محمد ومحمود ابنى قرايلوك وأقام عندهم ، فبادر الأمير تغرى برمش نائب حلب فى استمالة محمد ومحمود بالمال حتى وعداه بالقبض عليه ، ووعدهما — إن وفيا بذلك — أن يحمل إليهما خمسة آلاف دينار فبلغ هذا الخبر جانى بك الصوفى فبادر وخرج ومعه تسعة[4] وعشرون فارسا لينجو بنفسه ، فأخذوه عندهم وسجنوه عندهم وذلك فى يوم الجمعة خامس عشرى شهر ربيع الآخرة ، فأصبح يوم الجمعة ميتا فحزوا رأسه وأرسلوها إلى تغرى برمش وقطعوا يده ، فأرسلهما صحبة مملوكه إلى السلطان فكاد أن يطير فرحاً وتحقق أنه صفا الوقت وآمن . وعند صفو الليالى يحدث الكدر . وأنطق الله ألسنة العوام والخواص بأن هذا الأمر يدل على انقضاء مملكته وزوال دولته كقول الشاعر : « توقع زوالا إذا قيل تم » .

---

(١) الوارد فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٧٥٤ أن الذى قدم هو تغرى برمش نفسه وليس مملوكه ، كما لم يرد بها ذكر ليد جانى بك وإنما ذكر رأسه فقط .

(٢) « فى قناة سراب » كما جاء فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٧٥٥ س ٤ .

(٣) راجع ما سبق ، ص ٣٩٢ س ١٣ — ١٨ .

(٤) فى الأصل « تسع » ، ويلاحظ أن النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٧٥٥ س ١٤ اعتبرت عدة من خرجوا معه عشرين فارساً فقط .

قال العلامة تقى الدين المقريزى فى تأريخه الحوادث عند ذكر هذه الواقعة « هذا وقد قابل نعمة الله عليه فى كفايته عدوه بأن تزايد عتوه وكثر ظلمه وساءت سيرته، فأخذه الله أخذا وبيلا وعاجله بنقمته فلم يهنه »، انتهى كلامه[1].

وفى تاسع عشره ركب السلطان إلى القايوبية لأجل الصيد وعاد من الغد .

وفيه وصل (١٦٧ ب) كتاب الحطى ملك الحبشة ، وهو الناصر يعقوب ابن داود بن سيف ، وصحبته هدية ما بين ذهب وزباد وغير ذلك ، ومضمون كتابه السلام والتودد والتوصية بالنصارى[2] وكنائسهم .

وفى هذا الشهر شنع الوباء بحماة فوصلت عدة الأموات بها فى كل يوم مائة وخمسين[3] إنساناً ، ثم وصلوا إلى ثلاثمائة ، وهذا الأمر لم يعهد قبل هذا أبداً .

* * *

شهر جمادى الآخرة

أوله الجمعة .

فيه برز المرسوم الشريف باستقرار جمال الدين يوسف بن الصفى الكركى كاتب السر بدمشق فى نظر الجيش بها عوضاً عن بهاء الدين محمد بن نجم الدين عمر بن حجى، وأن يقوم للذخيرة الشريفة بأربعة آلاف دينار ، وأن يستقر

---

(١) وصف أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٧٥٦ كتابة المقريزى حين تعرض للهجوم على برسباى بعد موت جانبك وكثرة ظلم السلطان « وكان له انحرافات معروفة عنه وهو معذور فى ذلك فإنه أحد من أدركنا من أرباب الكمالات فى فنه ومؤرخ زمانه ، لايدانيه فى ذلك أحد مع معرفتى بمن عاصره من مؤرخى العلماء ، ومع ذلك فإنه كان مبعوداً فى الدولة لا يدليه السلطان مع حسن محاضرته وحلو منادمته . . . وأبعدوه (يقصد من جاءوا بعد برقوق) من غير إحسان فأخذ هو أيضاً فى ضبط مساوئهم وقبائحهم ، فمن أساء لا يستوحش » .

(٢) يقصد قبط مصر .

(٣) فى الأصل « خمسون » .

ابن حجى فى كتابة السر بدمشق عوضاً عن ابن الصفى وأن يحمل للخزائن الشريفة ألف دينار .

وفى ثامنه ركب السلطان من القلعة وتوجه إلى بركة الحاج لأجل صيد الكراكى ورجع فى يومه ، وجاء الخبر بحلول الوباء بمدينة طرابلس الشام .

وفى هذا الشهر تكرر ركوب السلطان إلى الصيد .

وفيه نزل الوباء بدمشق وكثر الموت بالطاعون ، وورد الخبر بأن إسكندر ابن قرا يوسف نزل قريباً من مدينة تبريز ، فتلقاه أخوه جهان[1] شاه [بن قرا يوسف] القاطن بها من قبل القان معين الدين شاه رخ بن تيمور كوركان ملك المشرق بجنود كثيرة فكانت بينهما وقعة انهزم فيها إسكندر إلى قلعة بالنجا[2] من عمل تبريز فتبعه جهان شاه وحصره بها ، وأن الأمير حمزة بن قرايلوك — متملك ماردين وأرزنكان — أخرج أخاه ناصر الدين على باك من آمد وأخذها منه قسرا . فاغتم السلطان لذلك وعزم على السفر بنفسه ، وكتب إلى نواب الشام بذلك وبتجهيز الإقامات . ثم بطل ذلك .

شهر رجب

أهل بيوم الأحد .

فى خامسه أدير محمل الحاج وقد ذكرنا قبل هذا أن عادته أن يدور بعد النصف بيوم أو قبله بيوم ، وحصل على المسلمين — فى يوم الإثنين وليلته وهو الخامس —

---

(١) فى الأصل « جهين » .

(٢) فى الأصل « بلخبا » ، وفى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٧٥٧ ، س ١ « النجا » ، هذا ولم نجد فى كتب الجغرافية قلعة بهذا الإسم ، لكن لسترانج أشار فى بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٠١ إلى قلعة ذكرها المستوفى وهى قلعة ألنجق (بفتح الهمزة واللام وسكون النون وكسر الجيم) وأنها واقعة فى الشرق من نخشوان المعتبرة من أعمال أذربيجان .

من القبائح والمصائب والشنائع مالا يوصف ، وذلك أن المماليك السلطانية الأجلاب الذين هم بالطباق فى القلعة اشتاوا على بعض الرعية موافقين فى ذلك أستاذهم ، فنزل كثير منهم فى أول الليل وصاروا ينهبون ما يجدونه[١] مع المسلمين ويخطفون النساء فيفسقون بهن[٢] جهاراً وكذلك الصبيان المرد ، واجتمع عدة كبيرة من العبيد وعدة من المماليك وصاروا يرتعون طول الليل ، وأما خطف العمائم والأمتعة والمأكل فشىء كثير ، وكان هذا أمراً قبيحاً وضيعاً[٣] جداً .

وفيه وصل محمود بن قرايلك بسيف الأمير جانى بك الصوفى الذى قتل .

وفى يوم السبت سابعه برز المرسوم الشريف بتجهيز تجريدة إلى بلاد الشام ، وعين السلطان من الأمراء المقدمين ثمانية أنفار وهم : الأمير قرقماس الشعبانى أمير سلاح والأمير آقبغا التمرازى أمير مجلس والأمير أركماس الظاهرى الدوادار الكبير والأمير تمراز [القرمشى] الدقماق رأس نوبة النواب والأمير يشبك [السودونى] الظاهرى ططر حاجب الحجاب والأمير جانم [الأشرفى] أمير آخور والأمير خجاسودون والأمير قراجا [الأشرفى] من أمير الأشرفى الذى كان شاد الشرابخاناه .

وفى تاسعه نودى بمرسوم السلطان أن أحدا من العبيد لا يحمل سلاحا ولا يمشى بعد المغرب فى الأسواق ، وأن المماليك السلطانية لا يتعرضون لأحد من العبيد ، وسبب ذلك ما وقع بين العبيد والمماليك فى ليالى المحمل من القتل الشنيع ، وصار[٤] المماليك يتتبعون العبيد ومن وجدوه قتلوه ، فقتل منهم جماعة واختفى جماعة ، فلما أشهر النداء بذلك سكنت الفتنة وزال الشر وأمن المسلمون على عبيدهم بعد خوف عظيم .

(١) فى الأصل « يجدوه » .
(٢) فى الأصل « بهم » .
(٣) فى الأصل « أمر قبيح وضيع » .
(٤) فى الأصل « وصاروا » .

وفيه برز المرسوم الشريف للأمير خشقدم مقدم المماليك السلطانية بمنع المماليك الأجلاب من النزول من الطباق إلى القاهرة ، وسبب ذلك أنهم كانوا يجتمعون طوائف ويتوجهون إلى مفترجات القاهرة فينهبون بضائع الناس ويخطفون عمائمهم ويفسدون فى حريمهم ، ولم يسمع[1] هذا المرسوم إلا يومين وعادوا على ما كانوا عليه من أفعالهم القبيحة السيئة .

وفى عاشره جهزت نفقة الأمراء المقدمين الألوف إليهم ، وهى لكل أمير من الذهب الإسلامى[2] ألفان .

وفى سابع عشره — الذى هو يوم الأربعاء — ركب السلطان من القلعة إلى خليج الزعفران من الريدانية خارج القاهرة ورجع من يومه فأصبح متوعكا فى بدنه ليس له نفس تشتهى الغذاء ولزم الوسادة .

وفى هذا الشهر فشا الوباء ببلاد الصعيد من أرض مصر وكذا بدمشق وحلب وأعمالهما .

شهر شعبان

أهل بيوم الإثنين والسلطان ضعيف وقد رسم أن يفرق من خزائنه مالا على سبيل البر والصدقة فى جماعة من المستحقين ، واستمر إلى يوم الثلاثاء تاسعه فتخلص من مرضه وخلع على الأطباء بسبب عافيته ، وركب من غده فزار القرافة وتصدق بمال جزيل على الفقراء والمستحقين وعاد والمرض يلوح على وجهه وسحنته .

وفى يوم الأربعاء عاشره جاءت ريح شديدة فى معاملة طرابلس الشام واللاذقية وحماة وحلب وحمص وأعمالهم ، وبقيت أياماً فأهلكت من الزروع والأشجار مالا يدخل تحت دائرة الإحصاء .

(١) أى لم ينفذ ، وهذا تعبير مصرى دارج .
(٢) أى من الدنانير المصرية الأشرفية .

وفى يوم السبت ثالث عشره خرج سعد الدين بن المرأة إلى ظاهر القاهرة متوجها إلى الطور ليركب البحر قاصداً جدة . وكان قد وصل من مكة وأخذ منه السلطان مالا على وجه المصادرة ثم خلع عليه واستقر على عادته فى نظر الخاص بجدة ، وخلع معه على الخواجا بدر الدين حسن بن شمس الدين محمد بن المزلق الدمشقى ليكون عوضاً عن الأمير المجرد إلى جدة .

وفيه ركب السلطان إلى خارج القاهرة ودخل من باب النصر ثم نزل بالجامع الحاكمى ، وسبب نزوله به أنه ذكر له أن بالجامع المذكور دعامة عظيمة مملوءة ذهبا ، فشره فى أخذ ذلك وطمع فيه ، فقيل له إن هذه الدعامة التى ذُكر لك عنها ما ذُكر ليست هى معلومة ، وهذا الجامع به عدة دعائم فيحتاج إلى هدمها وربما لا يكون ذلك صحيحا فيحتاج إلى إعادتها كما كانت ، فعلم عجزه عن ذلك وطلع راكبا إلى القلعة .

وفى سابع عشره أخلع على الأمير أركماس الجاموس أمير شكار وأعيد إلى إلى كشف الوجه القبلى .

وفيه وقعت بالقاهرة زلزلة عند أذان العصر واهتزت منها الأرض مرتين ، إلا أنها كانت خفيفة جدا ، ولله الحمد والمنة .

وفى يوم الجمعة تاسع عشره هبت بدمشق ريح منكرة فى غاية من القوة واستمرت إلى يوم السبت ، فاقتلعت من الأشجار مالا يمكن عده لكثرته ، وأخربت أعالى دور كثيرة حتى سقط أعالى المنارة بالجامع الأموى وكان أمراً فظيعا مهولا ، وعمت هذه الريح بلاد صفد والغور فأتلفت لهم شيئاً كثيرا .

وفى العشرين منه برز أمير سلاح الذى هو[1] مقدم العسكر إلى الشام وصحبته الأمراء من غير أن يرافقهم فى سفرهم أحد من المماليك السلطانية ونزلوا

(١) يعنى بذلك الأمير قرقماس الشعبانى الناصرى المعروف بأهرام ضاغ .

بالريدانية خارج القاهرة إلى [أن] سافروا يوم السبت سابع عشرينه، هذا بعد أن كتب لنائب الشام الذى هو إينال الحكمى بأن يتوجه بمن معه صحبة الأمراء إلى حلب ويطلبوا حمزة بك بن قرا يلك ، فإن حضر إليهم خلع عليه بنيابة السلطنة فيما يليه وإلا زحفوا أجمعين[1] عليه وقاتلوه وأخذوه .

وورد الخبر بأن محمد بن قرا يلك توجه إلى أخيه حمزة بك باستدعائه وقد حقد عليه لقتل جانى بك الصوفى فإنه كان كتب إلى أخيه [محمد] لما بلغ نزول جانى بك عليه أن يبعث به إليه ليرهب به السلطان ، فما التفت محمد إلى كتاب أخيه ومال إلى ما وعده به تغرى برمش من المال وقتل جانى بك الصوفى، فمازال محمد يعد أخاه ويمنيه حتى وقع فى قبضته ، فأوقع به عاجل العقوبة وقتـــله .

شهر رمضان

أهل بيوم الثلاثاء .

فيه كانت عدة الأموات التى ضبطها مباشرو[2] الوزير والمواريث بالقاهرة ثمانية عشر إنساناً ، وقد تزايد عددهم فى كل يوم حتى فشا الطاعون لاسيما فى الأطفال والعبيد[3] فإنهم أكثر من يموت سريعا ، وقد عم الطاعون بلاد حماة وحلب وطرابلس وحمص ودمشق وصفد والغور والرملة وغزة وما بين ذلك من الأعمال حتى كثرت الأخبار بكثرة من يموت سريعا ؛ وعم الطاعون بلاد مصر حتى الواحات ، لكنه نقص ببلاد الصعيد .

وفى ثالث عشرينه ــ الذى هو يوم الأربعاء ختم البخارى بقاعة الجبل بالقصر التحتانى بحضور المقام الشريف، وقد اجتمع فيه الأعيان وقضاة القضاة الأربعة

(١) فى الأصل « أجمعون » .
(٢) فى الأصل « مباشرى » .
(٣) أضاف أبو المحاسن إليهم «المماليك» فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٧٦٠ .

وعدة من مشايخ العلم والطلبة كما هى العادة من أيام المؤيد شيخ ، تغمده الله برحمته . قال العلامة تقى الدين المقريزى رحمه الله « وهو منكر فى صورة معروف ، ومعصية فى زى طاعة ، وذلك أنه يتصدى لقراءة البخارى من لا جنان له بممارسة العلم وإن كان يصحح قراءته بالمدينة على أحد الشيوخ قبل طلوعه إلى القاعة المرة والمرتين ، ومع ذلك فيقع منه الكثير من اللحن والتصحيف والغلط والخطأ والتحريف ، هذا والجمّ الحاضرون لا يلتفتون لسماعه ولا ينصتون لما يتلفظ به وإنما جل مقصودهم البحث فى مسألة يطول صياحهم فيها فيفضى بهم الحال إلى الإساءات التى ينتج منها أشد العداوات ، وربما كفر بعض بعضا ، لهذا الأمر صاروا ضحكة لمن يحضرهم من الأعيان والأمراء والمماليك السلطانية ، فلا حول ولا قوة إلا بالله » .

وسأل السلطان فى هذا اليوم الذى ختم فيه البخارى من قضاة القضاة ومشايخ الإسلام والفقهاء عن الذنوب التى إذا ارتكبها المسلم أو غيره فينزل الله عليه بالطاعون . وسبب هذا السؤال كثرة الوباء ووهمه منه ، فأجابه بعض الجماعة إن الزنا إذا فشا فى الناس سلط الله عليهم الطاعون ، وإن النساء يتزين ويتبهرجن ويمشين فى الطرقات مهتوكات[1] لم يخف منهن غير رقعة وجههن وغالبهن سافرات الوجوه ؛ ونازع هذا القائل إنسان آخر وقال : لا يمنع من النساء إلا المبهرجات ، وأما العجائز ومن ليس لهن من يقوم بتعاطى أمورهن[2] فلا يمنعهن من ذلك . وجرى الكلام فى هذا على عادتهم فاختار السلطان منع النساء من الخروج إلى الأسواق مطلقا ظنا منه أن منعهن يرفع الطاعون ، وأمر القضاة ومشايخ الإسلام أن يحضروا من الغد مجلسه فاجتمعوا فى يوم الخميس رابع عشرينه ، واتفقوا على

(١) لعلها « متهتكات » .

(٢) فى الأصل « أمورهم فلا يمنعوا » .

منع النساء من الخروج إلى الطرقات ليلا ونهارا ، ونودى بذلك فى القاهرة ومصر وضواحيهما بمنع جميع النساء بأسرهن من الخروج إلى الطرقات ، وتهدد من خالف هذا النداء بالقتل، وركب الأمير الحاجب والمحتسب والوالى، والمشاعلى ينادى بذلك بين أيديهــم ، فامتنع النساء والعجائز والصبايا حتى الإماء ، وصار الوالى والحجاب يتتبعون من خرجت فيثخنونها ضرباً ويحبسونها ،ونادوا من الغد بمثل مانودى به فى الأمس وأكدوا وبالغوا فى التهديد والتشديد، فامتنع النساء حتى لم تر منهن امرأة واحدة فى الأسواق ، لكن حصل على الأرامل والفقراء من النساء بلاء عظيم ، وسببه أنهن منعن من السؤال ومن التردد إلى من يحسن إليهن وكذلك من كان لها صناعة ، وداخلهن ضيق شديد وضرر عظيم ، وتعطل بيع كثير من الثياب والعطر، وأمثال ذلك .

وفى يوم السادس والعشرين منه — الذى هو يوم السبت — رسم السلطان بالإفراج عن (١٦٨ ب) جميع المسجونين [حتى][1] أرباب الجرائم والديون . فأفرج عنهم بأسرهم ، وأمر بغلق السجون كلها وأنه لا يسجن أحد ، فأغلقت السجون بالقاهرة ومصر ، وصار من له عند أحد حق لا يصل إليه ، وانتشر السرّاق فى البلاد .

وفى سابع عشرينه قوى عزم السلطان أن يولى الحسبة لرجل شاطر ناهض فذكر له جماعة فلم يرضهم وقال: « عندى رجل ليس بمسلم ولا يخاف الله » وأمر بإحضاره فأحضر إليه الأمير دولات خجا فخلع عليه واستقر فى حسبة القاهرة عوضاً عن القاضى صلاح الدين محمد بن الصاحب بدر الدين حسن ابن نصر الله، وقصد السلطان بتوليته أنه يمنع النساء والإماء بقلب قاسي وعدم رحمة

(١) الإضافة من النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٧٦١ س ٢ ، ولذلك علق أبو المحاسن على ذلك بقوله : « وكان حال الملك الأشرف فى هذه الحركة كقول القائل :

رام نفعــاً فضر من غير قصد ومن السبر ما يكون عقــوقا »

وكثرة جبروته وشدة عقوبته، فشكوا إلى السلطان أن النساء إذا لم يخرجن لقضاء حوائجهن فالإماء يفعلن ذلك عنهن؛ فنودى بخروج الإماء لقضاء[1] حوائج مواليهن من الأسواق ، وأن لا يتبع الرجال الظلمة أحداً من الإماء إذا وجدوهن وإن يكن سافرات[2] الوجوه ، وأن تخرج العجائز لقضاء أشغالهن، وأن تخرج النساء إلى الحمامات ولا يقمن بها إلى الليل، وحصل بذلك نوع من أنواع الفرج لهن.

وفيه حضر الأمراء المجردون إلى البحيرة وراحوا مثلما جاءوا ، هذا بعد أن أتلفوا شيئاً كثيراً من الزروع .

وفيه انتشر الجراد الجم الكثير بالقاهرة ومصر وضواحيهما ، وأقام أياماً.

وفيه نصبوا بعض المناحيس السفلة الأشرار متحدثا على مواريث أهل الذمة اليهود والنصارى وخلعوا عليه ، وما العادة إلا أن يكون بطرك النصارى ورئيس اليهود ، يتولى ذلك كل منهما ، فتوصل هذا المذكور بالسعى عند السلطان ووعده بالمال والتزم بتحصيل أموال جمة. فمال السلطان إلى حبه للمال كما هى عادته فى الشره فى جمع المال وقرره كما ترى وتسمع .

وفيه برز المرسوم الشريف بالكبس على بيوت اليهود والنصارى لينظر مافيها من الخمر فيريقونه ، والعجب أنهم فى كل سنة عندما يعرفون أولن عصر الخمر يساعدونهم بأن يدفعوا لهم العسل ويأخذوا منهم الثمن ، فانظر إلى هذه الأمور المتناقضة .

---

(١) فى الأصل « لتقاضى » .

(٢) فسر أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٧٦١ ذلك بقوله : « حتى لا تتنكر إحداهن فى صفة الجوارى و تخرج إلى الأسواق » .

وفى هذا الشهر هُدم للنصارى ببحيرة البرلس دير المغطس عند الملاحات، وهذا الدير يحج إليه نصارى الإقليم القبلى والبحرى كما يحجون إلى كنيسة القمامة بالقدس وذلك فى عيدهم من شهر بشنس، ويسمونه عيد الظهور.

وفى هذا الشهر وصل الخبر بإفشاء الطاعون فى بلد عانة من بلاد العراق، حتى إنه أجلاها وأخلاها بحيث لم يتأخر بها أحد، واستولى الأمير نعير على جميع ماتركوه. وكذا شاع الموت فى سائر الآفاق والبلدان من أزواق التركمان وبيوت العربان بنواحى الفرات حتى صار الحى من العرب والزوق من التركمان لا يوجد به إنسان، وصارت الدواب والأنعام مهملة لا راعى لها إلا الذى خلقها سبحانه، وأحصوا من مات ببلاد غزة فى هذه السنة فبلغوا عدة اثنى عشر ألفاً وشيئاً، وكذا وردت الأخبار بكثرة الوباء ببلاد الفرنج، وأن عدة مدن وبلاد أبادها الموت عن آخرهم ببلاد المشرق.

شهر شوال

أوله الخميس.

دخل هذا الشهر والناس فى نكد وجزع وقلق وهمّ ومصاب. وذلك من تزايد عدد الأموات، ورفع عدتهم فى هذا اليوم — الذى هو العيد — فجاءت عدة من مات بالقاهرة مائة إنسان، ومن مصر اثنين وعشرين إنسانا، هذا مع ما الناس فيه من تعطيل كثير من بضائعهم لعدم خروج النساء، وأما نساء الأمراء المجردين فاستوحشن لأزواجهم وأولادهم، وعند الناس من ظلم هذا المحتسب وعسفه غاية القلق من شدة بطشه، وأعظم الأمور ما داخلهم من الوهم خوفاً على أولادهم من الموت بالطاعون وكذا نزول المكاره بأهل الذمة من اليهود والنصارى حتى قال العلامة الشيخ تقى الدين المقريزى: «لم أدرك فى طول عمرى عيداً كان أنكد على الناس من هذا العيد».

وفى ليلة هذا العيد زاد برد الشتاء فى بلاد الشام فأصبح الناس من صفد إلى أذربيكان وقد حل بأشجارهم الضعف الشديد وصارت حطباً بحيث لم يبق على الأشجار ورقة خضراء إلا اسودت ماعدا أوراق الصفصاف والجوز، وبلغت المزروعات بأسرها فعاجلهم من ذلك بلاء فوق ماعندهم من الوباء الفاشى فى الناس .

وفى رابعه وصل الأمراء المقدمون المجردون إلى مدينة حلب .

وفى هذا اليوم خلع السلطان على الأمير أسنبغا الطيارى واستقر حاجب ميسرة عوضاً عن جانى بك بحكم وفاته بمكة المشرفة .

وفى يوم الثلاثاء — سادسه — خلع على شيخنا شيخ الإسلام وحافظ عصره فى الأيام ، خادم السنة والأثر ، أبى الفضل أحمد بن على بن حجر ، وأعيد إلى قضاء القضاة الشافعية عوضاً عن قاضى القضاة علم الدين صالح البلقينى ، وألزموه أن يقوم لعلم الدين صالح بما حمله من المال إلى خزانة السلطان ، هذا بعد أن أشهد السلطان على نفسه وأكد ذلك بالأيمان أن لا يولى أحداً من القضاة بمال . وسبب ذلك أنه داخله الوهم العظيم لكثرة الموت بالطاعون فى الناس وكذا فى كثير من مماليكه وكذا خدامه وحظاياه وجواريه وأولاده .

وفيــه ركب السلطان من قلعة الجبل قاصداً خليج الزعفران فأقام به يومه وعاد إلى القلعــة فى آخره ، وفرق فى الفقراء فضة وذهبا لكنهم تكاثروا على الخازندار[1] وتعلقوا به فسقط عن الفرس فحنق السلطان وطلب سلطان الحرافيش وشيخ الطوائف ورسم لهم بمنع الحعيدية من السؤال فى الأسواق وأن يلزموهم بالتكسب فى الصنائع ، ومن وجد منهم بعد ذلك يسأل قُبض عليه وجهز ليعمل فى الحفير ، فامتنعوا من السؤال وخلت الأسواق منهم والبقاع ، ولم يبق منهم

(١) فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٧٦٣ « متولى الصدقة » .

من يسأل سوى الزمنى والعميان وأرباب العاهات ، ولم عهدنا[١] مثل هذا وقع في زمن من الأزمان ؛ نعم في أيام الغلاء كان الملوك يمنعون (١٦٩ أ) الفقراء من السؤال ويرتبون لهم ما يكفيهم من الإدام والخبز والطعام .

وانطلقت ألسن الفقراء بالدعاء على السلطان وبزواله ، فما كان إلا أن أصبح يوم الأربعاء [إلا] وهو ضعيف وقد أكل أكلا خبيثاً مثل كرش البقر فانتكس ولزم الوسادة .

* * *

وفي هذه الأيام زاد الظلم ممن تولى على أهل الذمة حتى إنه ألزمهم أن يعملوا حساب مواريثهم وما تحصل منها منذ بداية هذه الدولة الأشرفية وإلى يوم ولايته؛ هذامع ما تعمدوه من أخذ أموالهم جهاراً وما يهدونه إليها خافيا، وألزمهم أن يطلعوه على مستنداتهم بأملاكهم التي هم ساكنون بها وكذا بأوقافهم ، فكثرت الشناعة وساءت القالة .

وحصل مع هذا حوادث منكية منها أن امرأة توفى ولدها بالطاعون ولم يكن لها غيره ، فلما غسلوه[٢] وأرادوا المسير به إلى الجبانة ليدفنوه قصدت أمه الخروج معه إلى التربة فمُنعت من ذلك لأجل مارسم به السلطان ، فألقت نفسها خلف ولدها من أعلى الدار فماتت ؛ وكذا خرجت امرأة أخرى من دارها لضرورة دهمتها فلقيها دولات خجا المحتسب فأمر أعوانه بحملها إلى داره ليضربها فماهم[٣] إلا أن أرادوا مسكها [حتى] سقطت مغشياً عليها وقد زال عقلها من شدة الخوف فشفع فيها من حضر من المسلمين فحملت إلى داره وقد صارت لاتعقل ، ومرضت أياماً وماتت .

---

(١) « لم عهدنا » تعبير دارج بمعنى : « ما عهدنا » .

(٢) في الأصل « غسلوهن » .

(٣) جاءت هذه العبارة في الأصل هكذا : « فما هو الا أن أرادوا مسكها سقطت مغشياً عليها ».

وفى تاسعه — الذى هو الجمعة — وقعت حادثة غريبة لم نسمع بمثلها ، وهى أن خطيب الجامع الأزهر صعد المنبر فخطب على العامة وأسمع الناس الخطبة حتى أتمها على العادة وجلس للاستراحة بين الخطبتين فطال جلوسه، ثم قام وجلس سريعاً فاستند إلى جانب المنبر بقدر مايقرأ القارىء ربع حزب من القرآن الكريم مرتلا وصار الناس فى انتظار قيامه، وإذا شخص يقول: « مات الخطيب » ، فضج الناس وكثر اللغط والرهج ، وارتج الجامع وضربوا بأيديهم أسفاً وحزنا ، ثم أخذوا فى البكاء وقد اختلت الصفوف ، وتوجه كثير من الناس يريدون المنبر ، فعند ذلك قام الخطيب على قدميه ونزل عن المنبر ودخل المحراب وصلى صلاة سراً من غير أن يجهر بحرف واحد مع السرعة فى صلاته حتى أتم الركعتين .

وقدمت عدة أموات للصلاة عليهم فلم يعلم من صلى بهم إماماً وحصل عند الناس حركة واضطراب ، فصار جماعة يقولون : « الجمعة ما صحت » ، وتقدم رجل فصلى الظهر أربعا فأتم به جماعة ، فلما فرغ من الصلاة وثب قوم آخرون وأمروا المؤذنين فأذنوا . وأمروا مراقبا فوقف عند المنبر ورقى رجل منهم المنبر فخطب بهم خطبة ثانية بجمعة ثانية . ونزل ليصلى بالناس فمنعوه من التقدم للمحراب وأمروا إمام الجامع فصلى بهم جمعة ثانية ، فلما فرغ من الصلاة بهم ثار جماعة آخرون وصاحوا بأن هذه الجمعة الثانية لم تصح وأقاموا الصلاة ، فصلى بهم الإمام الظهر أربع ركعات ، فاتفق فى هذا الجامع الأزهر إقامة خطبتين وصلاة جمعتين وكذا صلاة الظهر مرتين ، وانصرف الناس وكل منهم يخطىء من صلى الظهر ، وكل منهم يخطىء من صلى الجمعة ، وانطلقت ألسنة العوام والخواص بزوال السلطان من أجل خطبتين فى يوم واحد ؛ هذا وقد كان الناس عندما سمعوا بموت الخطيب داخلهم من الوهم مالا يخبر عنه حتى إن

بعضهم أرعد، وبعضهم بكى، وبعضهم أدهش ، وهبت عند ذلك ريح شديدة باردة فتحققوا أنهم جميعهم ميتون ، حتى إنه لو قدر الله تعالى موت الخطيب على المنبر لهلك جمع كثير ، والله تعالى يفعل ما يريد .

وفى هذه الأيام نما بالسلطان الضعف مع أنه من حين ابتداء المرض وهو يزيد إلا أنه يتجلدويظهر العافية ويخلع على الأطباء ويركب ولكن سحنتهمتغيرة وآثارالعلل موجودة فى وجهه المعتل من اصفرار اللون ونحول البدن وتهبيج الوجه إلى أن عجز عن الحركة من ليلة الأربعاء سابعه .

وفى يوم الإثنين تاسع عشره برز محمل الحاج مع الأمير آقبغا [من مامش] الناصرى أحد الطبلخانات ونزل بركة الحاج فمات من الحجاج عدة ممن خرج إلى البركة بالطاعون ، منهم ولد أمير الحاج وابنته .

* * *

وفى هذا الشهر ثار العشران بنواحى بلاد الشام قيسيها ويمنيها ووقع بينهما حرب فى سادسه ، فهلك من الفريقين كثيرون فيقول المكثر إنهم يزيدون على ألف ، ويقول المقل دون ذلك ، فنزل بأهل دمشق من هذا بلاء عظيم فوق ما عندهم من البلاء بالطاعون ومع ما أصابهم من تلف[1] أشجارهم وفواكههم ومزارعهم .

يوم الأربعاء حادى عشرينه ضبطت عدة الأموات من المواريث فبلغوا ثلاثمائة وأربعة وأ. بعين ميتا ، وضبطت عدة من صلى عليه من الأموات بالمصليات فوصلوا الألف وأكثر .

وفى ثانى عشرينه — الذى هو الخميس — اشتهر أن السلطان عوفى وسببه أنه خلع على الأطباء ، والأمر على خلاف ذلك .

---

(١) فى الأصل « تلاف » .

وفى ثالث عشرينه سار المحمل من بركة الحاج .

وفى يوم السبت رابع عشرينه رسم بتوسيط طبيبيه اللذين خلع عليهما بالأمس وهما خضر الحكيم وابن العفيف رئيس الأطباء ، وسبب ذلك أنه تخيل منهما أن يكونا دسا عليه شيئا من السموم ، وصار السلطان يطلب كلا منهما على انفراد ويقول له : « إيش يصلح لى اليوم ؟ » فيقول له : « كيت وكيت » ويطلب الآخر فيقول ما قاله الآخر فيبلغ أحدهما ما كتبه [١٦٩ ب] رفيقه فينكر عليه فيفكر فى نفسه وقال : « هؤلاء يلعبون فى روحى » ، وأيضا صار كلما يشكو إليهم آلامه التى يقاسيها يقولون له : « أنت طيب ، وضمانك علينا » ، فصار يستعجل فى طلب العافية وهو حريص على دوام الحياة ، فلما لم يحصل له ذلك ساءت أخلاقه وتحقق أن الأطباء مقصرون فى خدمته وأنهم أخطأوا فى علاجه ، فعند ذلك طلب عمر بن سيفا الشوبكى صاحب الشرطة ، فلما مثل بين يديه وهو جالس وبين يديه جماعة من أخصائه ، منهم : القاضى صلاح الدين محمد ابن نصر الله كاتب السر الشريف ، والأمير صفى الدين جوهر الخازندار وخاصكيته الخاص وسقاته وفيهم العفيف وخضر ، فأمره أن يأخذ العفيف ويوسطه بالقلعة فأقامه ليمضى فيه أمره ، فإذا خضر أقبل فأمره أن يوسط خضرا أيضاً ، فأخذ وهو يصيح ويستغيث ، فقام أهل المجلس يقبلون الأرض ومنهم من قبل رجل السلطان وهم يتضرعون إليه فى العفو عنهما ، فلم يقبل السلطان أحداً وصار يستعجل الوالى فى توسيطهما واحداً بعد واحد وهو[(١)] يتراخى ويتباطأ ويتعلل بالمشاعلى أنه أرسل بطلبه رجاء أن يصادر العفو عنهما ، فلما طال عليه الأمر أرسل إليه السلطان شخصاً من أشد أعوانه ليحضر توسيطهما فتوجه وأغلظ على الوالى فى المقال ، فقدم العفيف وهو مستسلم لله تعالى ثابت صابر على منازل

---

(١) أى الوالى .

به فوسط قطعتين ، وقدم خضر وهو فى غاية الوجل والجزع والخوف والصياح والمدافعة عن نفسه ، فتكاثروا عليه وغموه بثيابه ، فوسط توسيطا فظيعا لتململه ومدافعته وتلويه؛ ثم حملا إلى بيوتهما وأهلهما بالقاهرة ،فشق ذلك على المسلمين ونفرت قلوبهم من السلطان وبالغوا فى الدعاء عليه ،فكانت من الحوادث القبيحة جــداً .

ومن وقته تزايد مرضه واستمر فى الانحطاط إلى يوم الخميس تاسع عشرينه طلب المقر الأشرف الأتابكي جقمق العلائى أمير كبير ومن تأخر من الأمراء المقدمين بالقاهرة وجميع المماليك السلطانية وقال لهم: «انظروا من يكون عليكم بعدى» وخوفهم بما جرى على دولة الملك المؤيد شيخ من بعده من الاختلاف ، فبكوا وقالوا : « الله تعالى يعافى مولانا السلطان ! » ، وانفض المجلس على خباط ولم يعقلوا أمرا وانصرفوا إلى حالهم .

* * *

شهر ذى القعدة

أهل بيوم السبت .

وقد داخل أهل مصر من البلاء والنكد مالم يعهد اجتماعه وذلك أن السلطان انحط عليه المرض وكثرت القالة بموته غير مرة ، وفشا الطاعون فى مماليكه حتى ذهب منهم نحو الألف ومن أولاده الذين من حظاياه السرارى سبعة عشر ولداً صغاراً ذكوراً وإناثا ،ومن الطواشية الخدام ستون خصيا، ومن الجوارى اللائى[1] برسم الخدمة مائة وستون جارية غير سبع عشرة سرية من الحاظى وليس هذا مختصا به وبمماليكه وجماعته بل هو شامل للبلاد أجمعها خصوصا القاهرة ومصر

(١) فى الأصل « الذين »

وضواحيهما ، هــذا مع كساد المبيع وغلق الحوانيت إلا من بيــع الأكفان وما يحتاج إليــه الموتى من القطن والسدر والكافور ، وأما الحفارون والغسال والقراء والحمالون فحالهم فى رواج وكذلك الأكفانية الذين تؤخذ منهم عدة التابوت ونحو هذا ، إلا أن الله أدرك عباده بخير وهو أن الهلال من يوم أهل تناقص الطاعون فى كل يوم عن أمسه بعدة كبيرة ، ولله الحمد .

* * *

وفى أوله وصل العسكر المجردون إلى أبلستين .

وفى الرابع منه — الذى هو الثلاثاء — عهد السلطان لولده المقام الجمالى يوسف بالسلطنة ، وسبب ذلك أن السلطان لمــا تحقق منه عدم الحياة وانسلك فى عداد الأموات فإنه ما قارب لشىء يعطى حكمه ، ونهكه المرض وليس له شهوة إلى الطعام ، ولا تغمض أجفانه بمنام من عظام الآلام تكلم عظيم الدولة القاضى زين الدين عبد الباسط مع الأمير صفى الدين جوهر الخازندار فى ذلك وأمره أن يشافه السلطان به فى خلوة ويسند ذلك إليه . يعنى أن يسند عهد المقام الجمالى إلى أن عبد الباسط أشار به . ويحسّن للسلطان ذلك ، فوافق أن السلطان طلب الأمير جوهر وسأله أن يضبط الأوقاف التى أوقفها على أولاده : كم يتحصل منها فى كل شهر وفى كل سنة . ويحرر ذلك ؛ فامتثل ما أمره به وأعاد عليه جوابه ووجد فرصة فيما كلمه فيه القاضى عبد الباسط فاغتنمها وأعلمه بما أشار به عظيم الدولة من عهد السلطان لولده المقام الجمالى ، فأعجبه هذا وأمر بإحضاره فأحضر فى أسرع وقت ، فلما مثل بين يديه سأله عما ذكره له الأمير جوهر الخازندار فأجاب بأن هذا لا يقصر أجلا ولا يقصر من بقى لــه أجــل واحد بحينه ، ويقول «هذا يكون بعد موت السلطان فإنه يحصل به اجتماع الكلمة وسد باب الشر وعمارة بيت المقام الشريف ومنافع أُخر تعم البلاد والعباد» ،

ونحو ذلك من هذه الكلمات ، فأجاب السلطان سؤاله ورسم له أن يستدعى الخليفة وقضاة القضاة الأربعة والأمراء وأعيان الدولة والمماليك السلطانية إلى عنده ، وتوجه القاضى زين الدين عبد الباسط إلى منزله وأرسل فأعلم من تقدم ذكرهم بأن يحضروا غد تاريخه بكرة النهار عند السلطان ، وأخذ القاضى شرف الدين أبو بكر بن الأشقر نائب كاتب السر يُوَرِّق (1) عهد المقام الجمالى ، وسبب ذلك أن كاتب السر — الذى هو القاضى صلاح الدين محمد بن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله — لما رسم السلطان بتوسيط العفيف وخضر ووُسِّطا بعد أن كانا من جلساء الحضرة حصل له جزع وقلق ، فتغير مزاجه وحم فى ليلة الجمعة فنزل من القلعة إلى داره ولزم الوسادة وتزايد به الألم وظهر أنه مطعون (١٧٠ أ) فى عدة مواضع من بدنه ، فأخذ القاضى شرف الدين بن الأشقر فى كتابة العهد ليلا ، وأصبح يوم الثلاثاء فطلع الجماعة الذين طلبهم السلطان إلى بين يديه بالقاعة . وحمل السلطان إلى المقعد المطل على الحوش السلطانى وجلس الخليفة والقضاة الأربعة حول السلطان ، ووقف بين يديه خشقدم الطواشى مقدم المماليك السلطانية وحوله جميع من تأخر بالقاعة من المماليك السلطانية ، بل وحضر بقية المماليك السلطانية وغيرهم ، وكان مجلساً عظيما محيفا حضر فيه الخليفة أمير المؤمنين المعتضد بالله أبو الفتح وقضاة القضاة وأتابك العساكر جقمق ومن تأخر من المقدمين الألوف والمباشرون وأعيان الدولة خلا صلاح الدين كاتب السر فإنه شديد الضعف ، فنهض عظيم الدولة القاضى عبد الباسط بفتح الكلام فى عهد السلطان من بعده لولده المقام الجمالى يوسف بالمملكة وقد جلس إلى جانب أبيه ، فسر الحاضرون بهذا الأمر واستحسنوه أجمعين ، فبادر القاضى شرف الدين أبو بكر بن الأشقر — نائب كاتب السر —

---

(1) هكذا ضبطها المؤلف فى الأصل .

بقراءة العهد ، وأشهد السلطان على نفسه أنه عهــد إلى ولده الملك العزيز جمال الدين أبى المحاسن يوسف من بعد موته بالسلطنة ، وأمضى الخليفة العهد وشهد بإمضائه وبالعهد قضاة القضاة الأربعة ، ثم التفت السلطان إلى خشقدم — مقدم المماليك السلطانية — وكلمه باللغة التركية كلاما تركيا يسمعه الحاضرون وأمره بتبليغه للمماليك الذين هم واقفون ، مضمونه أنه صنع مع المماليك خيراً كثيراً فإنه جلبهم واشتراهم وأخذ فى تربيتهم وهدايتهم لدين الإسلام وقراءتهم القرآن وأنهم فعلوا فى مقابل هذه النعم من المفاسد والذنوب ما غيّر خاطره عليهم حتى دعا الله تعالى عليهم حتى أهلك الله منهم من مضى بالطاعون فى عام ثلاث وثلاثين ، ثم إنه فعل كما تقدم من مشتراهم وتربيتهم وهدايتهم فاقتدوا بأفعال الهالكين فدعا الله عليهم فوقع فيهم الطاعون وقال «مات منكم من مات وقد عفوت عنكم ورضيت عنكم ، وأنا راحل إلى الآخرة وذاهب إلى الله وتارك فيكم ولدى هذا يوسف ، وهو وديعتى عندكم فاحفظوها واسمعوا له وأطيعوا ، فإنى قد استخلفته عليكم ولا تختلفوا فيدخل فيكم غيركم فتهلكوا » ، ومثل لهم مثالا وهو أنه استدعى بخمسين فردة نشاب جملة واحدة وأمر بعض الحاضرين بكسرها جميعا فتعب فى ذلك تعباً كثيراً . ثم أمره بكسرها واحدة واحدة فهانت عليه . فقال لهم : « وانتم إذا اجتمعتم كنتم كذا ، وإذا اختلفتم كنتم كذى » وأوصاهم ألا يغيروا على أحد من النواب بالبلاد وكذلك من المقدمين الألوف . فعند ذلك قام الصراخ والبكاء ولم يتأخر أحد إلا وبكى ، وإن كان فيهم من حضر وهو فرحان فيكون بكاؤه كما قال الشاعر :

هجم السرور على حتى إننى من عظم ما قد سرنى أبكانى

ثم حمل السلطان من بين كتفيه إلى فراشه فلزمه ؛ هذا بعد أن كتب الخليفة بإمضاء عهد السلطان وشهد عليه القضاة بذلك . ثم رسم عظيم الدولة القاضى

عبد الباسط للقاضي شرف الدين بن الأشقر أن يكتب إشهاداً على السلطان أنه جعل المقرّ الأتابكي أمير كبير جقمق العلائي مدبراً لأمور الملك العزيز وأخذ عليه خط الخليفة بالإمضاء وشهد القضاة على السلطان بذلك وألصقوا الإشهاد بالعهد .

ثم بعد هذا في هذا اليوم أحسن السلطان وتنصّل ونفق على المماليك السلطانية المشتروات وغيرهم ، لكل نفر منهم مبلغ ثلاثين ديناراً فحُصِرت النفقة فوصلت جملتها مائة ألف وعشرين ألف دينـــار ، والله تعالى هو الواحـــد القهـــار .

وفيه خلع على تغرى بردى أحد أتباع التاج الشويكي واستقر والى القاهرة عوضا عن عمر بن سيفا أخو التاج الشوبكي ، فإنه ظهر فيه الطاعون من آخر يوم الجمعة .

وفي يوم الجمعة سادسه أمر السلطان باستدعاء الصاحب بدر الدين حسن ابن نصر الله إلى القلعة ، فلما مثل بين يديه أُخلع عليه بوظيفة كتابة السرّ عوضاً عن ولده صلاح الدين محمد بحكم وفاته ، ونزل في موكب جسيم ؛ وخلع فيه على نور الدين على بن السويفي الإمام واستقر في الحسبة بالقاهرة عوضاً عن الظالم دولات خجا بحكم موته .

* * *

وكان — في أول هذا الشهر — انتشر الجراد بضواحي القاهرة فأتلف كثيراً من المقاثي والزروع ، وظهر الطاعون حتّى في الغنم والدواب والقطط والكلاب والدجاج والنحل ؛ وأما بداية الطاعون بالقاهرة فإنه من أول شهر رمضان ، ونما في شوال ، وضبطت عدة من صلى عليهم من الأموات في المصلاة بباب النصر فوصلت عدتهم إلى أربعمائة ميت سوى بقية المصليات التي بالقاهرة وعدتها

تسع عشرة مصلاة ، والديوان الذى هو المواريث لم تصل عدة الأموات فيه بالقاهرة جميعها إلى أربعمائة ميت وذلك أن الناس أوقفوا توابيت للسبيل ، وغالب الأموات أطفال وعبيد وإماء فلا يلتفتون إلى إطلاقهم من ديوان المواريث .

ومن أعجب ما وقع فى هذه الأيام أن رجلا احتاج إلى بيع عبد فتوجه إلى السوق فوجده مقفولا ، فأخذه بيده وصار ينادى عليه فى الأسواق والشوارع : « من يشترى منى هذا العبد فإنى محتاج لثمنه ويكون أجره إذا مات على الله » فلم يلبه أحد ولا فرّج عنه خوفاً على حالهم .

ووقع لشخص آخر أنه نادى على قباء فلم يجد من يبتاعه منه لتعطّل المبيعات (١٦٩ ب) وكسادها وغلق الأسواق .

وفى حادى عشره رحل الأمراء المجردون من أبلستين وصحبتهم نواب الممالك الشامية بعسكرهم وجنودهم من غزة إلى الفرات وصحبتهم جمع كبير يقصدون مدينة آقشهر فنزلوا عليها وابتدءوا بحصارها .

* * *

وفى يوم السبت خامس عشره اشتد بالسلطان المرض فاحتجب[1] عن الناس فلم يدخل إليه أحد من الأعيان والأمراء سوى الأخصاء واستمر الحال على ذلك أياماً ، ولم يدخل إليه سوى الأمير جوهر الخازندار وأخوه الأمير جوهر اللالا والزمام والأمير إينال [الأبو بكرى] شاد الشراب خاناه ، والأمير على باى الخازنــدار .

وأما القاضى عبد الباسط وبقية المباشرين [فكانوا] يصعدون القلعة ولكن لا يدخلون عليه بل القاضى عبد الباسط يستفهم من الأخصاء عن أحوال السلطان ، هذا وقد داخله من الجزع والهلع هو وبقية العسكر من أن المماليك السلطانية فى

(١) الوارد فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٧٧٠ أن احتجابه عن الناس كان من يوم الثلاثاء ٢٠ ذى القعدة .

قيل وقال ، وحركة وخباط ولكنهم مفترقون فرقا ، فاختلف كبراؤهم ، فبادر أعيان الدولة إلى تحويل ما فى دورهم — حتى نساءهم وأولادهم — خوفاً من النهب والفتك ، فإذا كان هذا حال القاهرة ومصر فما بالك بأهل الضواحى وصعيد مصر والوجه البحرى ، فإنهم قد خيفت سبلهم وشاع نفوقهم : شاماً ومصرا . وأما الأموات فتناقص عددهم بالقاهرة ومصروضواحيهما من أول هذا الشهر كما قدمنا ذلك قبل هذا .

وفى أواخر هذا الشهر وصل الخبر بأن السيل هجم على المسجد الحرام بمكة وكان سيلا عظيما حتى ملأ الحرم من غير تقدم مطر عليه .

* * *

شهر ذى الحجة

أهل بيوم الإثنين .

وقد فقد أعيان أهل مصر الخدم وصاروا يخدمون أنفسهم وسبب ذلك أنه توفى بالقاهرة ومصر — من شهر رمضان إلى أواخر ذى القعدة — ما ينيف على مائة ألف نفس غالبهم من الأطفال وأكثرهم من البنات ، وهلك العبيد والإماء ، بل وأكثر من مات مطلقا فمن الرقيق .

وأما السلطان فاجتمع فيه مع سقوط شهوته للغذاء مدة أشهر مع انحطاط قواه بحدة ردية من عدم المأكول زيادة هذيانه وتخبيطه وتخليطه ، ولولا أن الله لطف بالمسلمين بضعف قوته لمـا كان يتأخر عن فعل أشياء كثيرة تشبه أفعاله فى أطبائه ، إلا أنه غالب الأوقات يكون غائباً عن الحس فإذا استيقظ تكلم بكلام ليس له معنى .

وأما العسكر فكثرت بينهم القالة، وصار[1] الناصرية والمؤيدية والسيفية فرقة وتسمى القرانصة ، وفرقة أخرى وهى مشترى السلطان الأجلاب المقيمون بالأطباق وهم الأشرفية ، وقصدهم أن يكون ولد أستاذهم منفرداً بالكلمة من غير مشاركة الأمير الكبير جقمق الأتابكى فى شىء له ، والقائم بأعباء المماليك سبعة: الأمير إينال دوادار خاناه والأمير على باى الخازندار والأمير يخشى باى أمير آخور والأمير قرقماس الجلب والأمير جغلباى الجقمقى أستادار الصحبة وإينال بلك والقرانصة المقيمون بالمدينة من بقية الأمراء المقدمين والسيفية وأمثالهم فخافوا على أنفسهم من الصعود إلى القلعة [مخافة أن] يوقع بهم الأجلاب القتل فأحجموا عن صعود القلعة، فبلغ عظيم الدولة عبدالباسط ذلك فبادر إلى الإصلاح بين الفريقين وإسكان حرب الفتنة وخمودها ولم شعثها ، فوافق على ذلك الأمير إينال والأمير على باى والأمير قرقماس وبقيتهم ، وطلب المماليك الذين بالأطباق إلى الجامع بالقلعة، واستدعى بالقضاة، وكمل الجمع وأخذ فى الكلام فى الصلح بينهم والتأليف بينهم وما زال حتى أذعنوا إلى الحلف أنهم لا يشوشون على أحد من العسكر وأنهم على طاعة الملك العزيز وأن الأمير جقمق الأتابكى لا يتعرض لأحد منهم بسوء ولا كيد ولا فتنة، وحلف الأمير إينال والأمير على باى وعامة المماليك، وحلف القاضى عبد الباسط أن يكون مع الفريقين ولا يباطن طائفة على طائفة؛ وانفض المجلس على ذلك، وتوجه القاضى زين الدين عبد الباسط إلى بيت الأمير الكبير جقمق العلائى وصحبته عدة من أعيان الأشرفية حتى حلفه وحلفوا له، وكذلك حلفوا من بقى من أعيان الدولة ، ثم بعد ذلك توجه الأمير إينال والأمير على باى إلى بيت الأمير الكبير جقمق وقبلوا

---

(١) فى الأصل « وصاروا » .

يده ، فبالغ فى إكرامهم واحترامهم ، وخمدت الفتنة فى الظاهر ، والله الولى القـــادر .

وفى يوم الأربعاء عاشره — الذى هو يوم عيد الأضحى — طلع الملك العزيز وصلى صلاة العيد بجامع القلعة المجاور للأدر الشريفة ، فأفرغ على الأمير جقمق الأتابكى خلعته على العادة ، وأخلع على بقية الأمراء ومن له عادة بذلك فى مثل هذا اليوم الذى هو عيد النحر ورجعوا إلى دورهم سالمين مسرورين ، فنهض الملك العزيز داخلا الأدر الشريفة فسمى وذبح ونحر الضحايا بالحوش السلطانى ، هذا وقد دهم السلطان من نوب الصراع مراراً فانحطت قواه حتى صار كما قال القائل « لم يبق فيه من رمق سوى ما يرمق » ، واستمر إلى أن مات وقضى الله أمره فيه ، وكان أمر الله قدرا مقدوراً فى يوم السبت وقت العصر ثالث عشره ، والله الباقى على الدوام .

* * *

السلطان الملك العزيز
أبو المحاسن يوسف بن السلطان الملك
الأشرف أبي النصر برسباى

تولى المملكة بعهد من أبيه بعد موته قبل الغروب بساعة فى ثالث عشره ، وذلك أن السلطان لما توفى بعد العصر تقدم القاضى عبد الباسط مبادراً ومعه إينال [الأحمدى الفقيه الظاهرى برقوق] والأمير على باى الدويدار إلى الاجتماع بالقلعة ، فطلبوا ابن الأشقر نائب كاتب السر فاستدعى الخليفة وقضاة القضاة والأمراء والأعيان ، فلما تكامل جمعهم دخل الأمير جوهر الزمام إلى الأدر السلطانية وأظهر الملك العزيز إلى باب الستارة فأحدق به الأمراء والأكابر والأصاغر والمماليك السلطانية ، وحضر الوزير وناظر الخاص وكاتب السر ، فنهض الخليفة وفوض السلطنة للملك العزيز أبى المحاسن يوسف ، فعند ذلك أفاضوا عليه الخلعة الخليفتية (١٧١ أ) وقلدوه بالسيف البداوى والطراز الأسود والعمامة بالعذبة المرخية المتوجة ببعض الذهب ، وركب فرسا مسروجا بالذهب ، ومشى فى خدمته الأكابر والأصاغر ، وحمل القبة والطير على رأسه الأمير جقمق الأتابكى ، و[كان] عمر السلطان إذ ذاك أربع عشرة سنة وسبعة شهور ، واستمر الأمير الكبير فى خدمته إلى أن دخل القصر وجلس على تخت الملك وسرير السلطنة ، وقبل الأمراء الأرض بين يديه ، وقرأ عهد والده بالسلطنة الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله كاتب السر ، وطلعوا من القصر فوجدوا السلطان الملك الأشرف قد غُسِّل وأُدرج فى الأكفان ،

وخرجت جنازته من باب الستارة إلى باب القلعة فوضعت هناك ، وتقدم للصلاة[١] عليه شيخنا شيخ الإسلام خادم السنة ، سيد الأنام قاضى القضاة شهاب الله والدين أحمد بن على بن حجر فصلى عليه قبل الغروب بيسير . وحضر جنازته وشيعها الأمراء المماليك حتى وصلوا به إلى تربته التى أنشأها بالصحراء خارج باب المحروق تحت القبة . وقد اجتمع فى تربته من الخلق مالا يحصيهم إلا الذى خلقهم ؛ هذا جميعه والناس فى حوانيتهم يتسببون فى أمن ودعة واطمئنان . ونودى فى القاهرة ومصر بالأمان والاطمئنان والبيع والشراء والدعاء للسلطان الملك العزيز ، و [نودى] للمماليك السلطانية بالنفقة ، لكل نفر مائة دينار ، فازداد الناس أمناً على أمنهم وسروا بذلك غاية السرور وخمدت الشرور ، ولله عاقبة الأمور.

وأصبح أعيان الدولة والمملكة فبادروا الصبيحة عند قبر السلطان ؛ هذا وقد قام بها القراء لا يسكتون عن تلاوة القرآن عند قبره جميع الليل إلى أن ختموا القرآن ودعوا وأهدوا وانفضوا ، واستمر القراء مقيمين عند القبر سبعة أيام .

وفى هذا اليوم عملت الخدمة السلطانية بالقصر وصعد الأمير الكبير جقمق الأتابكى إلى القلعة وسائر الأمراء والأعيان وأهل الدولة على العادة ، فأمر السلطان للخليفة بزيادة جزيرة الصابونى[٢] مضافة إلى إقطاعه ، وكتبت البشائر فى هذا اليوم إلى البلاد الشامية التى هى من أعمال مصر بسلطنة الملك العزيز .

وفى خامس عشره — الذى هو الإثنين — جلس السلطان بالمقعد المطل على الحوش على باب البحرة ، وأنفق[٣] على المماليك السلطانية ، فأنفق فى كل نفر منهم مائة دينار .

---

(١) فسرت النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٧٧٢ تقدم ابن حجر الصلاة عليه دون الخليفة بأن الأخير كان عليه أطلسان خلعهما عليه الملك العزيز .

(٢) هى جزيرة الذهب ، انظر عنها محمد رمزى : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ، ق ٢ ج ٣ ص ١١ .

(٣) فى الأصل « ونفق » .

وتوجه فى هذا اليوم الأمير إينال الأحمدى المعروف بالفقيه بالبشارة إلى البلاد الشامية ، وعلى يده كتب للنواب وكتب للأمراء المجردين .

وفى سادس عشره أنفق السلطان بالحوش فيمن بقى من المماليك .

* * *

ووافق فى هذا اليوم قدوم مراد بك رسول الأمير حمزة بن قرايلك متملك ماردين، مضمونه الدعاء والسلام وصحبته شمس الدين القطماوى ومعهما هدية ، ومفهوم كتابه ومنطوقه ينهض أنه داخل فى طاعة السلطان وأنه ضرب السكة وأقام الخطبة باسم السلطان ، وعلى يد القطماوى كتب من الأمراء المجردين إلى الأمراء المقيمين بمصر ، وسبب ذلك أن الأمراء لما وصلوا إلى حلب كاتبوا حمزة المذكور فى دخوله تحت الطاعة السلطانية ، وأن يقدم إليهم ، فأجاب بالسمع والطاعة ، وضرب السكة وأقام الخطبة باسم السلطان وجهز هديته وماضربه من الدراهم ، واتفق ذلك بعد موت السلطان ، فأكرم الرسولان وأمر لهما بما يكفيهما فى كل يوم وكتب جوابهما وجهز معهما هدية .

* * *

وفيه خلع على الأمير طوخ مازى واستقر فى نيابة غزة، وهى شاغرة منذ مات نائبها .

وفى عشرينه — الذى هو السبت — وقع بين الأمير إينال الخازندار وبين جكم خال السلطان — الذى هو الخاصكى — مفاوضة شنيعة فظيعة تؤول إلى شر كبير ، وذلك أن أمور المملكة وأحكامها انحصرت فى ثلاثة هم : الأمير جقمق الأتابكى ، وعظيم الدولة زين الدين عبد الباسط ، والأمير إينال شاد الشرابخاناه وليس للسلطان إلا الاسم ، واستمر إينال مقيما بالقلعة فأنكر عليه جكم

ذلك وحصل بينه وبينه ماذكرناه ونزل إلى داره مغضباً ، وكان هـذا ابتداء الشر والفتنة بعد الحلف .

وفيه اجتمع عدة من المماليك السلطانية تحت القلعة وانتظروا القاضي عبد الباسط ليوقعوا به سوءا ، فنزل من القلعة ومعه جماعة يحفظونه مثل الأمير دولات باى المؤيدى وتمر باى الدويدار فاحتاطوا به وأغلظوا عليه في الكلام ولم يقدروا منه على أكثر من هذا، وتوجه إلى داره وهو في غاية الإرجاف.

وانتشر الطاعون بثغر الإسكندرية ودمياط وفوة ودمنهور وما والاها من الأعمال .

وفي يوم السبت سابع عشرينه كان ابتداء الزيادة في ماء النيل فزاد خمسة أصابع ، وجاءت القاعدة خمسة أذرع وثلاثا وعشرين إصبعاً ، واستمرت الزيادة متوالية في كل يوم .

وفيه أنعم السلطان على الأتابكى جقمق نظام الملك بإقطاع[1] السلطان بعد سؤال الأتابكى في ذلك لنفسه مراراً والسلطان يأبى ذلك ومازالوا به حتى أخرجه له ، وأنعم بإقطاع نظام الملك على الأمير تمراز القرمشى رأس نوبة النوب ، و[كان] أحد الأمراء المجردين [إلى البلاد الشامية] ،وأنعم بإقطاع الأمير تمراز على الأمير تمرباى [التمربغاوى] الدويدار الثانى ، وأنعم بإقطاع الأمير تمر باى على الأمير على باى [الأشرف الساقى الخزندار] . وأنعم بإقطاع الأمير طوخ مازى نائب غزة على الأمير يخشى باى، وأنعم بإقطاع يخشى باى على الأمير يلخجا [من ما مش] الساقى رأس نوبة ، وأنعم بإقطاع يلخجا — وهو[2] إمرة عشرة — على قانباى الشركسى ، وخلع على الأمير إينال [الأبوبكرى المشد] واستقر دويداراً [ثانياً] عوضا عن الأمير تمرباى .

(١) أى إقطاع السلطان العزيز نفسه ، وهو الإقطاع الذى كان بيده فى حياة أبيه .

(٢) في الأصل « وهى » .

وفى يوم الأحد ثامن عشرينه أخلع على على باى الخازندار واستقر شاد الشرابخاناه .

وفى يوم الإثنين تاسع عشريه خلع على دمرداش أحد المماليك السلطانية الأشرفية ، واستقر فى ولاية القاهرة عوضاً تغرى بردى الناصرى الذى كان من أتباع التاج الشوبكى .

وفيه اجتمع نفر كثير من المماليك السلطانية تحت القلعة [١٧١ ب] ينتظرون نظام الملك ، فأحاطوا به من القلعة إلى بيته متنمرين على الفتك به ، فخلصه الله منهم ودخل إلى بيته من غير ضرر ؛ وأما عظيم الدولة عبد الباسط فإنه فى غاية ما يكون من الهلع والجزع والإرجاف(١) من وثوب المماليك عليه فى الصباح والمساء .

* * *

ووصل الخبر بأن الأمراء المجردين لما وصلوا مدينة آقشهر تلقاهم السلطان أحمد بن قليج أرسلان صاحب تلى صار بالطاعة وبالسمع وتوجه معهم حتى نزلوا على مدينة آقشهر فى مستهل ذى الحجة وقد فر متملكها حسن الايتاقى ليلة الثلاثاء إلى قلعة برداس ، فملك الأمراء المدينة وقلعتها وأحاطوا بعدة من أعيانها فقبضوا عليهم ، ووجهوا سلطان أحمد بن قليج أرسلان على عسكر الملك قلعتى فارس وعشلى وأقروه على نيابة السلطنة بهما ، وتوجهوا لقتال حسن بقلعة برداس فهرب منها إلى قلعة يرطلس ، فقدم العسكر عليها ونزل بها فأخذها فى ثامن عشره بعد قتال وحرب جرت بين أهل يرطلس وبينهم نحو بضعة عشر يوما ، ثم هدمها الأمير قرقماس الشعبانى حتى سوى بها الأرض

(١) يقصد الرجفة .

بعد أن هرب منها حسن اليتاقى[1] ؛ ثم توجه الأمير قرقماس أمير سلاح ومن صحبه من العساكر قاصدين أرزنكان ، فقام عليهم الأمير مرزا بن الأمير يعقوب بن الأمير قرايلك رسولا من عند والده متملك أرزنكان وكماخ ، وقد رحل عن أرزنكان وأقام بكماخ وصحبته زوجة والده المسماة تمراز وجماعة من القضاة والأعيان يطلبون العفو عن الأمير من قدوم العساكر عليه وأن يرسلو لنيابة أرزنكان الأمير جهان بن قرايلك وتوسلوا لهم وتشفعوا حتى أجيبوا لذلك، فخلع على ناصر الدين على باك بن قرا يلك وخلع على الأمير مرزا وجهز صحبته خلعة لأبيه الأمير يعقوب وفرس بسرج ذهب وكنبوش زركش وأعيدوا صحبة الأمير جهان كير وقد خلع عليه بنيابة أرزنكان حسبما سألوا .

هذا وقد جهز إلى أرزنكان — صحبة المذكورين — الأمير سودون النوروزى دويدار نائب حلب وصحبته نائب دوركي ونائب بهسنا فتسلموا أرزنكان بلا تعب ولا نصب ولا مانع وجلسوا بها ، ثم بعد ذلك أرسلوا القاضى معين الدين عبد اللطيف بن القاضى شرف الدين أبى بكر الأشقر كاتب سر حلب لتحليف أهل أرزنكان بطاعة السلطان ، فحلفهم .

ثم سارت العساكر من مدينة آقشهر فى ثانى عشرينه حتى نزلوا على أرزنكان وعسكروا بها فلاقاهم أهلها بالميرة والهدايا وابتاعوا منهم ما أرادوه ، وصارت أبواب البلد مفتحة، ومن أراد من العساكر الدخول إليها يدخل ولكن من غير نهب ولا تشويش ، واستمروا مقيمين بها إلى آخر الشهر ، ولله الأمر .

* * *

(١) أنظر الصفحة السابقة حو ١٣ .

ذكر من توفى فى هذا العام
من الأعيان بعلة الطاعون وغيره

٧٧٣ - الأستاذ الإمام الشيخ علاء الدين محمد بن محمد بن محمد [بن محمد] البخارى الحنفى ، توفى بدمشق فى الخامس من شهر رمضان ، وكان رحمه الله من أهل الصلاح والدين والزهد والورع الزائد والتعفف عن التردد إلى أحد من الأكابر ، مع ما هو مشتهر به كالعلم فى العلوم الشرعية والعقلية من تفسير وفقه وعربية ومعانى وبيان وغير ذلك ، وكلمته فى الدولة مطاعة بعفته وزهده ، وسكن بلاد الهند وعظم عند ملكها وأثرى منها ماله ، وصار ملكها فى كل عام يجهز إليه الهدايا السنية والتحف البهيّة فيأخذ من ذلك بقدر حاجته ويهب المتأخر لطلبته ومن فى خدمته ، وتصدر لإظهار العلم وإفادته فقرأ عليه جماعة منهم : الشيخ شمس الدين القاياتى والشيخ شمس الدين الوفائى وأمثالهما ، وبلغه عنهما أنهما نزلا بمدرسة الملك المؤيد فمنعهما من القراءة عليه ؛ فأعاد كل منهما الوظيفة حتى يقرأ عليه وينتفعا بعلمه ، فعظم مقامه على رءوس الأشهاد وارتفع قدره بين الأنام ثم توجه إلى دمشق فسكنها حتى توفى رحمه الله ؛

٧٧٤ - القاضى سعد الدين إبراهيم بن القاضى كريم الدين عبد الكريم بن سعد الدين بركة المشهور بابن كاتب جكم ناظر الخاص وابن ناظر الخاص ، [توفى] فى يوم الخميس السابع عشر من شهر ربيع الأول عن نحو ثلاثين سنة ، وكان رحمه الله من الظرفاء اللطفاء والكرماء المشهورين ، واشتهر بذلك بين المباشرين بل وأصحاب المملكة والمتعممين ، وتوجه السلطان للصلاة عليه تحت القلعة فصلى عليه ودفن بالقرافة عند والده ، وترجمه الشيخ تقى الدين المقريزى فقال : « وكان من المترفين المنهمكين فى الملذات ، المنغمسين فى الشهوات » .

٧٧٥ — وتوفى الشيخ العالم علاء الدين موسى بن إبراهيم الرومى الحنفى بالقاهرة فى يوم الأحد العشرين من شهر رمضان، وكان قدومه من بلاد الروم فى سنة ....(١) ، وولى تدريس المدرسة الأشرفية برسباى التى بالصحراء مدة ثم عزل عنها، وكان له فضل فى عدة من العلوم لكن عنده خفة وسرعة فى الجواب ، وقال الشيخ تقى الدين المقريزى : « كان فاضلا فى عدة علوم مع طيش وخفة وجرأة بلسانه على مالا يليق، وفحش عند مخاطبته عند البحث معه »، عفا الله تعالى عنه ورحمه .

٧٧٦ — ومات الأمير تمراز المؤيدى مخنوقا بالثغر السكندرى فى الثالث والعشرين من شهر جمادى الآخرة ، وكان من آحاد المماليك المؤيدية شيخ ، رباه [شيخ] صغيراً وقربه فرآى منـه ماغير خاطره عليه فضربه ونفاه إلى طرابلس الشـام ، فلمـا مات المؤيد ركب مع الأمير تنبك البجاسى نائب الشام ، ثم قبض عليـه [الملك الأشرف] وسجن بقلعة الروم مدة طويلة ثم أفرج عنـه ورسم له بإمرة عشرة بحلب ، ثم انتقل منهـا إلى إمرة عشرة بدمشق ، ثم ولى نيابة صفد(٢) ، (١٧٢ أ) ثم انتقل منها(٣) إلى غزة وهذا انتقال من الأعلى إلى الأدنى ، ثم قدم على السلطان فقبض عليه وسجنه بإسكندرية فقتل بها ولم يكن له خير يُعرف به ولا فضل يذكر به ، ولا [كان] صاحب سيف ولا ضيف ، وقال العلامة المقريزى « ولم يكن مشكور السيرة » .

---

(١) بياض فى الأصل بقدر كلمتين .

(٢) جاء بعد هذا فى الأصل بخط المؤلف — والظاهر أنه نسى فأدرجها هنا — العبارة التالية : « ذكر فى مجلسه الشـيخ علاء الدين البخارى وسال عن علمه فقال : يبحث فى مذهب الشافعى حتى يقول لا يعرف إلا مذهب الشافعى ، ويبحث فى مذهب أبى حنيفة حتى يقول : لا يعرف إلا مذهب أبى حنيفة ومنع الشيخ شمس الدين القاياتى من الجلوس بدكان الشهود » .

(٣) أى انتقل من صفد إلى غزة .

٧٧٧ — ومات الأمير جانى بك الصوفى فى خامس عشر ربيع الأول الذى هو يوم الجمعة وكان من آحاد المماليك الظاهرية برقوق، ترقى فى الخدمة الشريفة إلى أن بقى من الأمراء المقدمين من الألوف ثم تقلبت به الليالى والأيام، وتنقلت به الأحوال إلى أن قبض عليه الأشرف، وقد ذكرنا خبره مفصلا وسجنه بسجن الثغر السكندرى فهرب منه، وأعيى السلطان أمره وصار يتطلبه من سائر البلاد وجهز إليه العساكر وأنفق فى حربه الأموال مع حرصه عليها، وحصل على جماعة من جهته غاية الضرر إلى أن ظهر خبره عند ابن ذلغادر ورام أمراً ومراد الله أغلب، وقضى وما قضى وطره، ومات دون بلوغ غرضه، وحملت رأسه ويده إلى القاهرة كما تقدم ذكر ذلك مفصلا فى محله.

وكان فى الشُح على جانب، و [أما] فى الظلم و التجبر فلا يقاس به أحد من جنسه مع أنه عديم الدين كثير الفساد، ترجمه الشيخ الإمام قاضى القضاة بدر الدين العينى والشيخ تقى الدين المقريزى فقالا : « كان ظالما عاتيا جباراً، لم يعرف بدين ولا كرم »، قلت : فأراح الله بلادة وعبادة منه.

٧٧٨ — وتوفى الأمير جانى بك الباش المجرد على المماليك السلطانية بمكة المشرفة فى حادى عشر شعبان وأراح الله المسلمين منه ومن جوره وظلمه.

٧٧٩ — ومات الشيخ شمس الدين محمد بن الخضر بن داود بن يعقوب، المصرى شهرة، الحلبى مولداً، الشافعى مذهبا، فى النصف من شهر رجب الذى هو الأحد، وكان رجلا من أهل الدين والخير والصلاح، ملازما لتلاوة كتاب الله العزيز، له فضيلة جمة سيما فى المحاضرة ؛ باشر توقيع الإنشاء مدة، ثم عزم على السفر إلى القدس بعدوطنه بالقاهرة فتوجه إليها ومات بها، رحمه الله تعالى.

٧٨٠ — وتوفى محمد بن حسن الفاقوسى موقع الدست بالإنشاء فى ليلة [الاثنين تاسع شوال بالطاعون][1].

(١) الإضافة من النجوم الزاهرة، ج ٦ ص ٨٥٢.

سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة
من الهجرة النبوية على صاحبها[1] أفضل الصلاة والسلام

استهلت هذه السنة وغالب عساكر مصر والشام وأعمالهما فى التجريدة ، ومن تأخر منهم فى مصر فهو فى قلق وإزعاج وإختلا ف .

* * *

شهر الله المحرم

أهل بيوم الثلاثاء .

فيه وصل الخبر بعود العسكر من أرزنكان إلى حلب .

رابعه : عين الأمير تغرى بردى البكلمشى المؤذى وتحت أمره من المماليك السلطانية عدد نحو الخمسمائة إلى البحيرة بسبب عرب لبيد وخرابهم البلاد وكثرة أذاهم والفساد .

وفيه خلع على جكم الخاصكى واستقر خازندارا ثانيا عوضا عن على باى بحكم انتقاله إلى إقطاع الأمير تمر باى .

وفى سابعه الذى هو الإثنين قدم[2] المبشرون بالحاج وأخبروا بسلامة الحاج والجمال والرخاء والأمن .

---

(١) فى الأصل « ساكنها » .

(٢) فى الأصل « قدموا » .

وفى التاسع منه خلع على بهاء الدين أحمد بن شمس الدين محمد المعروف بابن النسخة شاهد القيمة واستقر وكيل بيت المـال ، وكان لها — من وفاة نور الدين على بن مفلح — وهى شاغرة .

وفيه أخلع على نظام الدين بن مفلح الواعظ الدمشقى واستقر فى قضاء القضاة الحنابلة بدمشق عوضا عن عز الدين عبد العزيز البغدادى .

وفى يوم الإثنين ثالث عشره استدعى شيخنا الشيخ العلامة والبحر الفهامة سعد الدين سعد بن قاضى القضاة شمس الدين محمد بن الديرى المقدسى الحنفى شيخ المدرسة المؤيدية شيخ . وفوض إليه قضاء الحنفية بالديار المصرية فلم يقبل فألح عليه نظام الملك وتكرر السؤال والمنع من الشيخ ثم أجاب ولكن بشروط، فأخلع عليه واستقر فيها عوضاً عن شيخنا الشيخ الأستاذ قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى ؛ وكان من شروطه أن الأمراء : الأكابر والأصاغر لا يرسلون إليه رسالة ولا يتجاهون عليه ، ولا يطلب [هو] أحداً منهم فيمتنع ، ولا يؤخذ من بابه غريم ، كل ذلك وهم يجيبونه(١) بنعم وسمعا وطاعة .

وفى هذا اليوم أنعم على سبعة من الخاصكية الخاص بأن يكونوا أمراء عشرات ، وهم : الأمير قانم التاجر من صفـر خجا والأمير قانى بك الشامى وجانم الدوادار وجانبك الساقى وجكم المجنون وجكم خال السلطان وجرباش رأس نوبة الجمدارية .

وفى خامس عشره رسم لمراد بك — قاصد الأمير حمزة بن قرا يلك — بالعودة إلى سيده وصحبته القاضى شمس الدين القطماوى موقع الدست بحلب وعين معهما مبارك شاه البريدى وعليه جواب كتاب الأمير حمزة ومضمونه

(١) فى الأصل « يجيبوه » .

الشكر والثناء عليه ، وصحبته تشريف بأن يكون نائب السلطنة الشريفة وفرس بسرج ذهب وكنبوش زركش وهدية ما بين حرير تفاصيل سكندرى وسلاح وغير ذلك من التحف والطرف ، ونسخة يمين يحلفه بها القطماوى الموقع المذكور ، وكتب للأمراء المجردين جوابات كتبهم وأن يتقدموا بالحضور سريعا عاجلا .

وفى يوم السبت تاسع عشره أخلع على الأمير أزبك خجا المؤيدى وجهز بتقليد المقر الكفيلى إينال الحكمى نائب الشام باستقراره على عادته ، وعُين لتقليد الأمير جلبان نائب طرابلس إينال (١٧٢ ب) الخاصكى وعُين لتقليد الأمير قانباى الحمزاوى نائب حماة ودولات باى الخاصكى وكذا بقية سائر النواب عينوا تقاليدهم صحبة الخاصكية ، ومنهم : الأمير إينال الأجرود نائب صفد عُين لتقليده يشبك الخاصكى ، هذا جميعه والنواب المذكورون فى التجريدة خارج حلب ، وكتب إليهم بسرعة الحضور .

وفيه حصل على القاضى عبد الباسط مالا خير فيه من بعض المماليك السلطانية وهو فى الخدمة ، هذا بعد أن عملوا به من الإساءة والبهدلة قبل هذا فى هذه الأيام مالا يرتضيه أحد لنفسه من الأشياء الشنيعة ، ولزم من ذلك أنه صار يدارى عن نفسه بالمـال حتى إن بعضهم صار معه وبعضهم عليه .

وفى عشرينه الذى هو الإثنين وصل[(١)] المماليك المجاورون بمكة من السنة الماضية وكانت سيرتهم بمكة قبيحة فإنهم كثر فسادهم وزاد شرهم وعلم خيرهم واستخفوا بالكعبة الحرام لاسيما [منذ أن] مات أميرهم بها .

وفى ثانى عشرينه وصل الركب الأول .

---

(١) فى الأصل « وصلوا المماليك المجاورين » .

وفى يوم الخميس ثالث عشرينه وصل محمل الحاج وأخبروا أنه حل بمحمل الغز وابن ومن انضم إليهم من أهل القاس وصفد والرملة والساحل وأهل ينبع بلاء عظيم، وسببه أنهم لما عادوا من مكة ومروا بوادى عنتر قريب أزلم طلع عليهم من عربان بلى نحو من أربعين فارسا ومائة وعشرين راجلا ، فطلبوا منهم شيئا من المال فما كان جواب الينابعة إلا أن جمعوا من بينهم شيئا ودفعوه إليهم فكفوا عنهم وتركوهم إلى حال سبيلهم فلحقوا بالركب المصرى .

أما الغزاويون فأظهر مقدمهم نفسه ومنعهم أن يعطوهم شيئاً وبادر فرمى عليهم بالسهام فقتل منهم ثلاثة أنفار، فحملوا عليه حملة واحدة واحتاطوا به فصاروا يقتلون وينهبون ويأسرون وما كفوا عنهم ، فقال المكثر إنهم ثلاثة آلاف جمل بأحمالها ما بين عسجد وورق ونحاس وبضائع وجواهر حتى اللازورد والمياه والعبيد والجوارى وشىء كثير لا يحصره الإنسان ، ومن سلم من الموت فهو عريان حافى جيعان عطشان يتبع المحمل ليحمله أو يسقيه أو يطعمه، فالبعض منهم مات بأثناء الطريق فيما ذكرنا ، والبعض لحق بالمحمل وهو فى هذه الحالة المذكورة، ومن تأخرت منيته قدم إلى القاهرة، وفيهم من تأخر فى البريد وحضر فى البحر فى أسوأ حالة، وعدم فى هذه الحادثة من الرجال والنساء والصبيان عدد كبير ، وهذه حادثة لم يسمع بمثلها فى عصرنا .

ولما بلغت هذه الحادثة مسامع أهل الدولة والحكام بها لم يهتموا بها ولا التفتوا ولا عولوا عليها لما بينهم من الاختلاف وإهمالهم المصالح حتى يصلوا بذلك إلى مقاصدهم الدنيوية ، فما شاء الله ولا قوة إلا بالله ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

وفى يوم السبت خامس عشرينه خلع على الأمير شاهين الساقى الطواشى واستقر فى مشيخة الخدام بالحرم الشريف النبوى عوضا عن ولى الدين بن قاسم مضحك السلطان المرحوم الأشرف برسباى .

وفى ثامن عشرينه — الذى هو الثلاثاء — قدم[1] مماليك نائب دمشق وعلى يادهم مطالعات مضمونها[2] أن العسكر المنصور ملك مدينة أرزنكان؛ وأخذهم بها بعد موت السلطان الملك الأشرف برسباى ، ولو علموا بموته ما وصلوا إليها لكن حرمته وبأسه وسطوته [كانت] فى قلوبهم وقلوب أهل تلك البلاد عامة مع بعد مسافتها عن مصر .

وفى هذا الشهر بعد أن سار العسكر المنصور من أرزنكان سار الأمير حمزة ابن قرايلك من ماردين ليتملكها بعد أن أنكر على أخيه يعقوب كونه سالم العساكر السلطانية وسلمهم المدينة وسار حتى قرب من المدينة ، فخرج إليه جهان كير ابن أخيه وأقام جعفر بن أخيه يعقوب بمدينة أرزنكان ، وعندما — التقى الجمعان خامر أكثر الأمراء [ممن] مع حمزة وصاروا إلى جهان كير ، ففر بعد حرب شديدة كانت بينهما وهو جريح فى عدة مواضع .

* * *

شهر صفر

أهل بيوم الخميس .

فيه حشد جمع كبير من المماليك السلطانية على القاضى زين الدين عبد الباسط وهو نازل من الخدمة عند باب القلعة[3] فهجموا عليه يريدون الفتك به ، فرجع إلى القلعة وهم فى طلبه ، فامتنع بها المقام ونائبه وفى خدمته جماعة من الخاصكية يحمونه[4] من المماليك مثل دولات باى الساقى ، فأقام يومه بالقلعة وبات بها وهو يريد الإعفاء من نظر الجيش والأستادارية ، فلما أصبح يوم الجمعة صعد

(١) فى الأصل « قدموا » .
(٢) فى الأصل « مضمونهم » .
(٣) الوارد فى النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ١١ أن ذلك كان بالقرب من باب الوزير .
(٤) فى الأصل « يحموه » .

نظام الملك الأتابكى جقمق إلى القلعة وأهل الدولة وأعيان المملكة ، وطلع السلطان إلى الحوش فاستدعى القاضى زين الدين عبد الباسط فحضر وهو مصمم على أن يعفى من المباشرة هو ومملوكه، ومهما راموه من المال يقوم به للذخيرة، فوقع بينه وبين الأمير الكبير نظام الملك مراجعات ومخاطبات فى استمراره على عادته وهو يمتنع إلى أن خلع الخلعة الأمير الكبير وأفاضها عليه ، وخلع على جانى بك مملوكه أيضا(١٧٣ أ) ورسم لهما من الاصطبلات الشريفة بفرسين خاص مسروجين بالذهب والكنابيش الزركش ونزلا إلى دارهما فى موكب جسيم وقد ركب معهما أعيان المملكة وأهلها .

وفى يوم الأحد رابعه قدمت مطالعة الكفيلى إينال الحكمى نائب الشام بقدومه حلب هو والعساكر المجردة ، خلا [حسين بن أحمد المدعو] الأمير تغرى برمش نائب حلب فإنه لم يدخل حلب إلا بمفرده ، فإنه بلغته وفاة السلطان الملك الأشرف وقصد أن يهجم على عسكر المصريين فبلغهم ذلك واعتدوا[(١)] له ، فلما دخلوا حلب بلغهم أنه أرسل كتابا إلى نائب الغيبة أن يسكنهم فى المدينة ، هذا بعد أن التف عليه جمع كبير من طوائف التركمان وغيرهم ؛ وأما الأمير إينال نائب الشام فصار يسكن العسكر المصرى عنده وأرسل إليه يعاتبه على انفراده عنهم ، فأجاب بأنه خوف منهم وأنهم اتفقوا على القبض عليه .

وفى[(٢)] يوم السبت عاشره برز المرسوم بأن الخدمة تكون فى الأسبوع أربعة أيام بالدهيشة والحوش ، وأن خدمة القصر بطالة .

(١) أى استعدوا له .

(٢) الوارد فى النجوم الزاهرة، ج ٨ ص ١٢ أن السلطان رسم باقتصار الخدمة السلطانية على القصر فقط عندما يحضر جقمق وأن تبطل خدمة الحوش لغيبة الأتابك منه .

وفى يوم الإثنين ثانى عشره قدم مملوك المقر الكفيلى تغرى برمش نائب حلب وعلى يده كتاب يتضمن رحيل الأمراء ونائب الشام عن حلب جميعا إلى جهة الشام فى سادس عشرين المحرم ، وأنه (١) دخل حلب بعدهم بيومين من رحيلهم .

ولما كان الثانى عشر منه وقعت بالقلعة فتنة كبيرة ، وهى أن المماليك الأشرفية المقيمين بالأطباق والحابان اجتمعوا واتفقوا على قتل أغواتهم كالأمير إينال [الأبو بكرى] الدوادار فهرب من القلعة وهو فى جمع كثير من المماليك الأجلاب وهم يحمونه إلى أن وصل إلى داره ، ثم إنهم انتظروا الأمير الكبير (٢) إلى أن مر عليهم فوقفوا له وسألوه أن يكون هو الحاكم بمفرده ، وأن يكف يد إينال عن الحكم وغيره ، فأجابهم إلى سؤالهم وانصرف إلى داره ، وأصبح يوم الثلاثاء فاجتمع تحت القلعة المماليك (٣) فرقتين : فرقة من جهة إينال ، وفرقة عليه ، فوقع بينهم ضرب بالدبابيس إلى أن كان لهم ضجيج وعجاج مهول وانفضوا ، ثم عادوا بكرة يوم الأربعاء إلى مواضعهم تحت القلعة بغير سلاح ولا لبس ، هذا بعد أن صار العسكر فرقتين : فرقة مع الأمير الكبير جقمق العلائى الأتابكى نظام الملك وهم القرانصة وهم المماليك الظاهرية برقوق والناصرية فرج والمؤيدية شيخ ، وفرقة من الأشرفية برسباى قد اعتزلوا عن خشداشيتهم ولحقوا بهذه الفرقة — وهؤلاء المذكورون — مع من انضم إليهم من النوروزية والحكمية وغيرهم والأمير الكبير يظهرون الطاعة لله ولرسوله والسلطان الملك العزيز يوسف بن برسباى ظاهراً لا باطناً ويقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ، وقد سأل الأمير الكبير فى أن طائفة من الأشرفية تنزل إلى داره

(١) فى الأصل « وأنهم » .
(٢) يقصد بذلك الأمير جقمق .
(٣) يستفاد من ذلك أن المماليك الأشرفية الذين كان يخشاهم جقمق قد وقع الاختلاف ودبت الفتنة بينهم وأن ذلك الاختلاف هو الذى فتح باب الأمل أمام جقمق فى أن يستبد فيما بعد بالسلطنة .

ولا يطلعون القلعة وسماهم فإنهم أثاروا الفتنة وهو يريد إطفاءها، والفرقة الأخرى من المماليك الأشرفية الجلبان المقيمين بالقلعة عند السلطان، وأمير المؤمنين الخليفة مقيم عندهم أيضا وبأيدهم خزائن الأموال وخزائن السلاح، إلا أنهم مختلفو[1] الآراء لا يطيع صغيرهم من هو أكبر منه ولا ينقادون إلى من له عقل وتجربة لعدم سياستهم وقلة تدبيرهم مما سبب خذلانهم وذلك لعدم التجارب.

وأما القرانصة — وإن كانوا أقل عدداً وعددا — فإن لهم معرفة بحيل الحرب وتدبيرها، وإذا تكلم كبيرهم أطاعوه وانقادوا إليه فأجمعت كلمتهم وانقادوا لطاعة الأمير جقمق الأتابكي وتحالفوا على الموت بين يديه.

فلما أصبح يوم الخميس لم يطلع الأمير الكبير إلى القلعة وانتقل من داره المطلة على بركة الفيل وتحول إلى بيت قوصون المقابل لباب السلسلة وفي خدمته من وافقه من القرانصة والعوام وقد حفوا به وقد وعدهم بالنفقة. فاستعدوا المماليك الأشرفية بالقلعة على القتال وباتوا على ذلك وأصبحوا فصلوا الجمعة سادس عشره وهم على ما هم فيه إلى أن أذن العصر فزحف أتباع الأتابكي جقمق على القلعة وهم ملبسون، ولكنهم بالنسبة لأهل القلعة عدد يسير، وأهل القلعة في العدد الكبير والعدد المنيعة، فرماهم[2] الأشرفية بالسهام حتى أبعدوهم فمالوا نحو باب القرافة فهدموا جانبا من سور الميدان السلطاني وملكوه، فنزل[3] الأشرفية فقاتلوهم وأخرجوهم واستمروا إلى أن حال بينهم الليل، وبات الفريقان[4] على حذر، هذا وقد طرق الزردخاناه جماعة الأشرفية، فأخذوا من السلاح ما لا يحصى ولا يحصر، ونصبوا المناجيق والمكاحل النفط على سور القلعة وغدوا على حربهم

(١) في الأصل «مختلفين».
(٢) في الأصل «فرموهم».
(٣) في الأصل «فنزلوا».
(٤) في الأصل «الفريقين».

يوم السبت ، فمات بين الفريقين من العوام بالنشاب والأسهم الخطائية وغير ذلك عدد كبير ؛ هذا وقضاة القضاة يترددون بين الفريقين فى إخماد الفتنة (١٧٣ ب) والأمير الكبير نظام الملك جقمق العلائى الأتابكى مصمم على ألا تزول هذه الفتنة ولا تخمد إلا بإرسال أربعة أنفار إليه وهم : الأمير جكم الخازندار خال السلطان والأمير على باى والأمير با يزيد والأمير يخشباى وهم ممتنعون من ذلك إلى أن أجابوا بعد جهد كبير وجهزوهم إليه بعد عصر يوم السبت فى البيت الذى هو مقيم به وهو بيت قوصون ، فحين وقع نظره عليهم رسم بقبضهم وتصفيدهم وجهزهم فى أسرع وقت إلى داره المطلة على البركة ليسجنوا بها وانتقل إلى داره المطلة على بركة الفيل ، فكان هذا أول ضعف وخلل وقع بالأشرفية ؛ ولوظنوا أوهموا أن يفعل بهم هذا ماجهزوهم إليه وإنما تحققوا أنه يمنعهم من سكن القلعة وتخمد الفتنة.

واجتمع يوم الأحد ثامن عشره والحال ما حال والقصاد والرسل يترددون بينهما ، وأكثرهم من الأشرفية ، والأمير جقمق يأمر بطلب قوم آخرين غير الأربعة المتقدمين ، فنزل إليه عظماؤهم — أعنى عظماء الأشرفية — وهم يخشباى أمير آخور وعلى باى الخازندار ؛ فعند ذلك طلب الأمير نظام الملك خشقدم مقدم المماليك وأمره بنزول من بالقلعة من المماليك الجلبان الأشرفية المقيمين بالأطباق فنزلوا بأجمعهم خاضعى[(١)] الأعناق مستسلمين لما حل بهم من البلاء ، هذا بعد أن استدعى الأمير الكبير قضاة القضاة وأهل المملكة وأعيان الدولة ، فحلفهم أنهم على طاعته ولا يخالفون له أمرا ومن خالف ذلك يقع فى محذور عظيم ؛ قال الشيخ تقى الدين المقريزى : « وحكم قاضى القضاة سعد الدين الديرى الحنفى بسفك دم من خالف منهم هذا اليمين وزعم أن فى مذهبه نقلا بذلك ، وكان هذا الحكم مما لا يعهد بمثله » ، قال شيخنا البدر العينى : « وليس فى مذهب أبى حنيفة نقل ولا وجه يدل على ذلك » ، انتهى كلامهما .

(١) فى الأصل « خاضعين » .

فلما بلغ السلطان ومن حوله من الأعيان أن المماليك السلطانية أجمع أمراؤهم بإنزالهم من الأطباق وحولوا جميع ما هو لهم من أثاث وقماش وسلاح أرسل إلى الأمير الكبير يراجعه فى أمر المماليك الكتابية ، فرسم بأن يقيموا عندهم ، وصار السائل السلطان والمسئول الأمير الكبير ،وكان هذا الحادث من أغرب ما سمعناه فى خلدهم مع أنهم ألف وخمسمائة نفر وعندهم السلاح والمال الجزيل وهم مقيمون بدار السلطنة التى هى القلعة والذى بيحاصرهم[1] ليس معه درهم ولا دينار ، وإنما القاضى زين الدين عبد الباسط يمده بالأموال وما يحتاج إليه خوفاً على نفسه من الهلاك ، وهذا التصرف السيء من عظيم جهلهم وعدم انقيادهم إلى من يعقل الأمور واختلاف آرائهم ، فلا أفاد عددهم ولا عددهم ولا أموالهم ، والذى يظهر أن السلطان الأشرف اعتمد على ماله ورجاله وسلاحه فوقع لهم هذا الأمر ،ومن ثم استفحل أمر نظام الملك وخمدت الأشرفية واستبان زوالهم وإدبارهم وخذلانهم وظهرت رايات الغلاء والبشائر بالسعادات للأمير جقمق تهنيه بتجديد سعادته .

وسبب هذه الحادثة العظيمة أن جكم خال العزيز وعلى باى الخازندار وإينال الدوادار وأمثالهم اختلفوا خلفاً كبيراً أفضى إلى أن بعضهم صار يسمع ما يبرمونه[2] وينقله إلى الأمير الكبير وهو لا يصدق بل يأخذ فى ذلك ويعطى إلى أن رتب جكم واتفق مع عدة من الأشرفية على قبض الأمير الكبير جقمق ومن معه من الأمراء وعلى قبض عبد الباسط ومن معه من المباشرين كناظر الخاص وأمثاله ، فاطلع الأمير إينال الدوادار على ذلك ولم يوافقهم عليه وزجرهم من فعله ،فلما تحقق جكم أن إينال لا يوافقه فى هذا الأمر اتفق مع جماعة من المماليك على

---

(١) إدخال الباء على الفعل المضارع من خصائص العامية المصرية الدارجة .

(٢) فى الأصل « يبرموه » .

قتله ، فعندما أرادوا الفتك به أخبره بعض خشداشيه بذلك ففر منهم وهو فى جماعة من المماليك يحمونه[1] إلى أن وصل إلى نظام الملك وأخبره وانتمى إليـه إليه والتجأ به ، فتحقق نظام الملك صادق مقاله ؛ وكان قد وقع للأمير الكبير أنهم غلقوا عليه أبواب القلعة وعزموا على قتله هو وعبد الباسط فما خلصهما إلا الله ، ومن ثم امتنع نظام الملك من صعوده إلى القلعة وصار الأمير الدوادار من جملة أخصاء الأمير الكبير و [لا] يأمن للأشرفية وقاطعهم وصار من جملة جماعة الأمير الكبير ، وكان سببا فى زوال دولة الملك العزيز بل وفى سبب خراب بيت نفسه ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

وبعد أن فرط من إينال هذا الأمر وشاع وذاع وملأ الأسماع صار يندم حيث لا ينفعه [الندم] ويبكى حيث لا ينفع البكاء ، ويعاقب نفسه بنفسه ويقول لها : « ما كان جزائى منك أن توقعينى فى خراب بيت سيدى الذى أعتقنى وأحسن تربيتى ، وأقرأنى القرآن ورقانى إلى ما صرت إليـه فى النمو بل فى هذه السعادات والنعم الظاهرة المتظافرة .

وأخبر جماعة من ندماء الأشرف برسباى — رحمه الله — أنه كان وهو مريض كلما دخل عليه الأمير إينال ينظر إليه شزراً ويقول : « مادام هذا واقفاً على قدميه يخرب بيتى » ، وكان كما قال ؛ وفى المثل السائر على ألسنة الناس : « إتق شر من تحسن إليه » ، وأيضا بالمحسن : « أحسن ، كفى بالمسىء فعله » وقد لقى عاقبة ما فعله وجنى ثمرته .

* * *

(١) فى الأصل « يحموه » .

وفى يوم الأحد هذا وصل الأمير تغرى بردى ومن معه من المماليك السلطانية من تجريدة البحيرة بغير طائل ولا نائل بعد أن أفسدوا وظلموا كما هى عادتهم .

وفيه ورد الخبر بأن العساكر وصلت إلى دمشق وهم مجدون[1] فى سرعة الحضور إلى القاهرة وذلك فى خامس صفر .

وفى يوم الثلاثاء عشرينه أرسل السلطان يسأل فى الإفراج عن خاله ومن سجن معه فأفرج عنهم وخلع عليهم لأجل (١٧٤ أ) شفاعة السلطان فيهم وأطلقوا وهم فى غاية ما يكونون من الذل والهوان ، وكانت مدة سجنهم وتصفيدهم ثلاثة أيام ، والله الباقى على الدوام .

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه صعد الأمير جقمق الأتابكى نظام الملك وسائر الأمراء إلى قلعة الجبل السلطانية وكذلك المباشرون بعد أن منع الأمير الكبير المماليك الأشرفية من الدخول إلى القصر يوم حلفهم بحضور القضاة ، ومن جملة الحلف للأجلاب أن لا يدخل أحد منهم القصر فى الخدمة إلا من له نوبة ، لا سوى ذلك .

ولما صعد الأمير الكبير والأمراء إلى الخدمة بادر السلطان وأمر بخلعة فأفيضت على نظام الملك وهى جليلة وعاد من القصر بعد انقضاء الخدمة إلى الحراقة بباب السلسلة فأقام بها ، على أنه استولى [على] أمور المملكة واستبد بأمرها ونهيها وليس من السلطنة للسلطان إلا الاسم ، وسببه أن نظام الملك صار هو الذى يعزل ويولى ويخرج الإقطاعات ؛ وأما الأشرفية فإنهم لما شاهدوا الأمير الكبير انتقل إلى الإسطبل السلطانى شق عليهم ذلك وأخذوا فى إقامة الفتنة

---

(١) فى الأصل « مجدين » .

وتجديدها وركبوا واستمروا بالرميلة وهم فى هرج ومرج واختلاف ثم انفضوا وكأن لم يكونوا ، فأخذ الأمير الكبير فى تحصين الإصطبل بالسلاح والرجال وبطل الخدمة بالقلعة ، فأقبل أهل الدولة عليه ومالوا إليه، ولازم مجلسه أعيان المملكة من قضاة القضاة، وتلاشى أمر السلطان وزال عزه وانحط قدره وخفض أمره، إلى [أن كان] يوم الثلاثاء سابع عشر شهر صفر وسادس عشرى مسرى كان وفاء النيل ستة عشر ذراعاً ، فركب الأمير أسنبغا الطيارى الحاجب فخلق المقياس وفتح فم الخليج على العادة وسر الناس بذلك سروراً عظيما ، فإنه أبطأ عن مجاله أياما كثيرة فحصل بذلك زيادة الثمن فى سعر الحبوب وهرع الناس لشرائها .

* * *

شهر ربيع الأول

أهل بيوم السبت .

يوم الأربعاء خامسه حضر الأمراء المجردون إلى أرزنكان خلا الأمير خجا سودون فإنه تأخر عنهم وهو ماش على هيئته ، فصعد منهم ستة أنفار إلى الحراقة بالإصطبل السلطانى وتأخر الأمير يشبك حاجب الحجاب بسبب ضعف اعتراه وقدم من سفره وهو فى محفة فنزل فى داره[1] ، هذا بعد أن كان كاتبهم نظام الملك بما قصده الأشرفية من الفتك به ومن القبض عليهم ، وحذرهم وأنذرهم وخوفهم فقدموا مستعدين بأطلابهم إلى باب السلسلة ولم يعهد مثل هذا فيما مضى أبداً ، ولما بلغ نظام الملك قدوم الأمراء أمر السلطان بالجلوس فى شباك القصر

(١) جاء أمام هذا فى هامش ورقة ١٧٤ أ من النزهة وبخط المؤلف العبارة التالية : « اتفق أن آقبغا الجمالى الأستادارية مسك ليشبك فلاحا فرآه فى بعض الطريق فكلمه بسببه فما التفت لكلامه ، فهمل عليه بالفرس الذى هو راكبه ، فصار يدوسه تحت رجليه ثم تركه وانصرف » .

المطل على الإصطبل ليدخل الأمراء تحته ويقبلوا الأرض بين يديه فلم يسعه إلاّ أن فعل ذلك، هذا بعد أن سلب جميع أمور السلطنة ولم يبق له منها شيء سوى مجرد التسمية، ودخل الأمراء بطبولهم تلق[1] حربيا إلى أن صعدوا من باب السلسلة نزلوا عن خيولهم على درج الحراقة وأطلابهم وطبلهم يدق حربى، فتلقاهم الأمير نظام الملك مهرولا وصار يقبل أياديهم وهو فى خجل عظيم من الأمراء والمماليك والخاصكية حتى سلم عليهم وهم على أقدامهم وسار بهم قاصداً الإصطبل السلطانى فوجدوا السلطان قد جلس فى الشباك المطل عليه[2] فوقفوا على بعد وأطرقوا رءوسهم يومئون بها كأنهم يقبلون الأرض، وفى أسرع وقت أحضرت التشاريف فأفيضت عليهم فأومأوا ثانيا برءوسهم عوضا عن تقبيلهم الأرض، وقدمت إليهم الخيول من الإصطبل السلطانى فأومأوا برءوسهم مرة ثالثة وولوا عائدين إلى منازلهم بغير زيادة على ذلك وقد عاد معهم الأمير نظام الملك فصعدوا معه إلى الحراقة فسلموا عليه خدمة له، ثم ركبوا خيولهم بتشاريفهم ورجعوا إلى دورهم . فقويت شوكة نظام الملك فى هذا اليوم وازداد عزه عزا وكبرت مهابته فى عيون العسكر وزادت، وانحط قدر السلطان وتلاشى حاله، ونطق لسان الكون بزوال دولته إلى يوم الخميس سادس شهر تاريخه اجتمع الأمراء والمباشرون وأعيان الدولة وأصحاب الوظائف، وقد برز وتعين منهم الأمير قرقماس الشعبانى بجرأته ووقاحته وانهماكه على الرياسة بغير معقول ولا سياسة، وصار يأمر وينهى ويشارك نظام الملك فى الكلام فى المجلس أيضا، وجلس من عداه من الأمراء على مراتبهم، وبادر الطلب بإحضار جماعة الأشرفية فأحضروا فى أسرع وقت، وكان قرقماس الشعبانى قد هيأ جماعة من

---

(١) فى الأصل « دخلوا » .

(٢) أى الشباك المطل على الإصطبل .

المماليك والخاصكية مستعدين للقبض عليهم ، فحين وصول الأمير جانم أمير آخور قبض عليه وصفد ، وكان قدومه فى أمس من التجريدة صحبة الأمراء المجردين ، ثم [قبض] على الأمير على باى شاد الشراب خاناه ثم على الأمير جكم خال السلطان وعلى أخيه أبى يزيد وعلى الأمير يخشى باى أمير آخور وعلى الأمير خشقدم اليشبكى مقدم المماليك السلطانية وعلى الأمير فرفر الركنى الطراشى نائبه ، وعلى دمرداش الأشقر والى القاهرة . وعلى الأمير خشكلدى رأس نوبة ، و على أزبك البواب وبيبرس الساقى ويشبك الفقيه أحد أعيان الخاصكية الشجعان ، وتاجره صفر خجا وما يبعد أن يكون تاجر الأمير قانم التاجر وبيرم خجا أمير مشوى وجانى بك قلقسيز وأرغون شـاه الساقى وتنبك الفيسى وصفدوهم أجمع بالقيود ، وعدتهم ستة عشر أميراً ، هذا خارجاً عن جماعة مسكوا مثل أزبك خجا وتنم حوى وقانصوه وألمـاس سجنوا بصفد وغيرهم ؛ وعين الأمير تمر باى الدوادار نائب الثغر السكندرى فامتنع من ذلك فلم يسمع له ، وحلف له نظام الملك أنه ما يدعه نائبا حتى يسجن الأمراء الممسوكين بحضوره ثم يعيده ، فعند ذلك أجاب لمـا أمر به ، فخلع عليه عوضا عن زين الدين عبد الرحمن بن الكويز وطلب ابن الطبلاوى — وهو من بعض أتباع نظام الملك — واستقر والى القاهرة عوضا عن دمرداش (١٧٤ ب) ؛ وعين الأمير تنبك أحد مقدمى[1] الألوف وصحبه من العشرات الأمير أقطوه وفى خدمتهم عدد من المماليك السلطانية لحفظ القلعة فصعدوا إليها وكان يوما عظيما لا تكاد توصف أهواله وأفعاله ، وبرز قرقماس بوجه وقح ولسان جرئ وخفة رأس مع طيش وحماقة وأظهر ما كان كميناً فى صدره من ميله إلى مثل هذ الفعل الشنيع الفظيع ولقى عاقبة فعله عاجلا ، قبحه الله .

وفى يوم الجمعة سابعه سار الأمير تمرباى إلى إسكندرية لمحلّ ولايته بها .

(١) فى الأصل « مقدمين » .

وفى يوم السبت ثامنه أخذوا الممسوكين إلى ثغر إسكندرية وكان يوما — فى عظم كثرة الخلق — لا يوصف حتى لا يقاس به يوم المحمل وقد مروا بهم على الناس فنهم من بكى رحمة بهم، ومنهم من شمت بهم، وفيهم من يعتبر بما وقع لهم ، وهكذا حال الدنيا بأهلها ، أف لها ولأهلها .

وفى هذا اليوم أمر نظام الملك الأمير جوهر الخزندار القنقبائى أن يجهز للأمراء القادمين من التجريدة مالا فجهز إليه وأنفق[1] فيهم وهو بقدر ما أنفق عليهم عند ذهابهم ، غير أن قرقماس أخذ ضعفا زائداً عنهم .

وفى يوم الأحد تاسعة استدعى عبد اللطيف العثمانى الطواشى الذى كان مغضوباً عليه فى الأيام الأشرفية وأمر أن يصعد به إلى بين يدى السلطان ليخلع عليه بتقدمة المماليك السلطانية فخلع عليه واستقر فيها عوضاً عن خشقدم اليشبكى بحكم عزله وسجنه بالإسكندرية .

وفى يوم الإثنين عاشره ركب السلطان من الحوش بالقلعة وركب معه القاضى زين الدين عبد الباسط ناظر الجيش ونزلا إلى الميدان وجميع المباشرين حتى الأمير إينال الدوادار مشاة فى الخدمة السلطانية ، فرآهما نظام الملك جقمق فبادر مسرعاً وركب من الحراقة وفى خدمته الأمراء خلا الأمير قرقماس أمير سلاح والأمير أركماس الدوادار ودخلوا إلى السلطان بالميدان ، فبمجرد ماشاهدهم القاضى عبد الباسط ترجل عن فرسه وترجل الأمراء أيضا عن خيولهم ، وقد بقى راكبا على فرسه السلطان بمفرده ، فقبلوا الأرض بين يديه ووقفوا وتقدم الأمير جقمق الأتابكى نظام الملك فقبل رجل السلطان فى الركاب وصار يحدثه ويحلف له أن هذا الذى فعله من مسك من مسك ما كان أحد منا يرتجى له حياة ولا بقاء ، وأنه مملوك السلطان وعبده وغرس نعمة والده ، وخلع على الأمير يشبك حاجب الحجاب الذى حضر مع الأمراء وكان موعوكاً فى بيته

(١) فى الأصل « ونفق » .

لم يصعد إلى القاعة بين يديه ، وعاد الأمير نظام الملك وفى خدمته الأمراء إلى الحراقة ،وكان السبب فى عدم تأخر الأمير قرقماس من الخدمة زيادة حمقه وخفته وادعى أنه سمع ما غير خاطره ،وكان هو أضمر فى نفسه أن يتسلطن ،وفهم هذا عنه جماعة من الكذابين الذين يزعمون أنهم أولياء وأنهم يطلعون على شىء فى عالم الغيب وكذلك جماعة من المنجمين ووعدوه وحققوا عنده أنه يلى السلطنة ويأبى الله ذلك والمسلمون ، وتقرر ذلك فى ذهنه غير أنه [كان] يخفيه وهو مسافر فى التجريدة حتى بلغه موت السلطان فتحقق أنه وصل إلى [تحقيق] هذيان ما قيل له فصار يتعاظم على الأمراء زيادة على ما يعهدونه منه ومن تكبره ، فازدادوا فيه بغضاً ونفورا وصاروا يداارونه ويحابونه حتى وصلوا القاهرة فى إرجاف من المماليك الأشرفية أن يفتكوا بهم لما بلغهم عنهم ، فصار قرقماس يمد يده ولسانه بأفعال لم يسبقه مثاله إليها منها دخوله وطبله يدق حربيا وعدم مثوله بين يدى السلطان بالقاعة بل وقف بالإصطبل ، وصارت داره تمتلىء وتفور من المماليك السلطانية ، وأعظم أموره قبضه على الأمراء ، وأحواله مفصلة عند نظام الملك. وبلغ قرقماس أن أحواله مفصلة عند جقمق وأنه أخذ فى خاطره منه فتأخر عن الركوب رقاعة وحماقة وسخفا ؛ فخشى نظام الملك من فتنة يطول فيها مكث السلطان فبادر الأمير جقمق الأتابكى وجهز إليه الأمير تمراز رأس نوبة النوب والأمير قراجا أحد المقدمين الألوف والقاضى زين الدين عبد الباسط يستعطفون خاطره ويعتذرون إليه عن الأمير جقمق الأتابكى ، فأظهر لهم ما فى نفسه من تغيير خاطره لما نقل إليه، فمازالوا يترققون إليه ويحلفون له حتى ركب معهم وصعد إلى الأمير نظام الملك بالحراقة ودخلوا إليه فى جمع كبير من الأخصاء المقربين فى الخلوة وتعاتبا وتحالفا ، ثم خرج من عنده فأركبه الأمير نظام الملك فرسا مسروجا بذهب وكنبوش زركش ونزل إلى داره وفى خدمته الأميران

الأجلان تمراز وقراجا . فحين وصوله إلى داره أركب كلا منهما فرسا بسرج ذهب وكنبوش زركش . ومن ثم سلك طريقا يروم بها السلطنة لنفسه وصار صباحاً ومساء يلح على نظام الملك بالجلوس على تخت الملك ، فإن أصحاب الرمل حققوا عنده أن السلطنة له ولكن بعد جقمق ، فصار الجاهل يستعجل بالأمير نظام الملك حتى يصل هو إلى المملكة بعده ، والواقع أنه حافر على حتفه بظلفه وصار فى إعجاب وتكبر وزهو مفرط .

وفى هذا اليوم كتب إلى دمشق باستدعاء المقر الكمالى محمد بن البارزى قاضى قضاة دمشق ليستقر فى كتبة السر ، وجهز القاصد لإحضاره وعليه مرسوم السلطان وكتاب نظام الملك وكتاب أمير سلاح .

وفى يوم الخميس رابع عشر منه كانت الخدمة السلطانية بالقصر على العادة بين يدى السلطان ، وصعد الأمير جقمق نظام الملك والأمير قرقماس وعامة الأمراء والمباشرون بعد أن كانت الخدمة مهملة مدة طويلة ونسيت بل ولا بقى منها شىء يقال له « السلطان » ، فصار له بعض ذكر بها فى هذا اليوم .

وفى يوم الجمعة خامس عشره كانت الخدمة لصلاة الجمعة وصعد الأمير قرقماس فصلى فى المقصورة إلى جانب السلطان ولم يكلم أحد منهما الآخر ببنت شفة ، وتأخر الأتابكى عن الصلاة بالخدمة وصلاها بالحراقة .

وفى يوم السبت سادس عشره عملت الخدمة بالقصر وكذلك فى يوم الإثنين ولم يحضر نظام الملك الخدمة بل هو مقيم (١٧٥ أ) بالحراقة فى جمعه ؛ والأمير قرقماس وسائر الأمراء وأرباب الوظائف يهرعون إلى خدمته ويأكلون على سماطه إلى أن قدر الله سبحانه خلع الملك العزيز فى يوم الأربعاء تاسع عشر فكانت سلطنته أربعة وتسعين يوماً صرفاً ، وزال ملكه فسبحان من لا يزول ملكه ولا يقهر ، وهو الغالب القاهر الدائم ، وما سواه فان .

* * *

تم الجـزء الثـالث من كتاب نزهـة النفوس والأبدان
فى تواريخ أهل الزمان للخطيب الجوهرى الصيرفى
ويليه الجـزء الرابع وأوله السلطان المـلك
الظـاهر أبو سعيد جقمق
العـلائى الجاركسى

ابن الشحنة: الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب (طبعة يوسف سركيس)، بيروت ١٩٠٩ م .

صالح بن يحيى: تاريخ بيروت (نشره الأب شيخو)، بيروت ١٩٠٢م

الصيرفى : نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان (تحقيق حسن حبشى)، ج ٢ .

الطباخ : اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، ج ٣

ابن طولون الصالحى : قضاة دمشق (تحقيق صلاح المنجد) .

ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (تحقيق البجاوى) ٣ أجزاء .

ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ج ٦، ٧ .

العزاوى (عباس) : العراق بين احتلالين، ج ٣ .

على مبارك : الخطط التوفيقية ٢، ٣ .

القلقشندى : نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب (تحقيق إبراهيم الإبيارى) .

لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة .

المقريزى : الخطط (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) . طبعة التحرير بالقاهرة، ٤ أجزاء .

أبو المحاسن (يوسف بن تغرى بردى) :

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، طبعة بوبر، ج ٦ .

محمد رمزى : القاموس الجغرافى، ج ١، ٢، طبعة دار الكتب المصرية .

محمود مختار : التوفيقات الإلهامية .

النعيمى : الدارس فى تاريخ المدارس ج ١ ، ٢، تحقيق جعفر الحسنى .

* * *

المراجع الأجنبية :

Ayalon (D).,

Structure of the Mamlouk Army. (B. S. O. A. S.)

Van Berchem :

Materiaux pour un corpus inscriptionum arabicarum, Egypte, (Memoires de la mission archeologique francaise, t. xix).

Dussaud : R.

Topographie Historique de la Syrie antique et Medievale.

Marcel :

L'Egypte depuis la conquête des Arabes jusqu'à la domination francaise, Paris, 1848.

Mayer :

Arabic Inscriptions (in) Journal of the Palestine Oriental Society.

Mehren :

Cahirah of Kerafat (2 vols), Copenhaguen 1870.

Sauvaire :

Description de Damas, (in) Journal Asiatique.

Le Strange :

Palestine Under the Moslems, London 1890.

Sobernheim :

Materiaux pour un corpus inscriptionum arabicarum, Syrie du Nord, (in) Memoires de l'Institut français d'Archeologie orientale, t. xxv.

Vincent et Mackay :

Le Hebron El-Khalil, sepulture des patriarches, Paris, 1923.

Weit (G.),

Les Biographies du Manhal Safi (in) memoires de l'Institut d'Egypte, t. xix.

Wiet :

Les Secretaires de la Chancellerie en Egypte sous les Mamlouks Circassiens, Paris 1923.

* * *

الفهـارس

فهرست الوفيات

الصفحة

(وفيات سنة ٨٢٥)

* * *

(وفيات سنة ٨٢٦)

الصفحة

(وفيات سنة ٨٢٧)

(وفيات سنة ٨٢٨)

(وفيات سنة ٨٢٩)

الصفحة

(وفيات سنة ٨٣٠)

(وفيات سنة ٨٣١)

(وفيات سنة ٨٣٢)

الصفحة

(وفيات سنة ٨٣٣)

الصفحة

(وفيات سنة ٨٣٤)

(وفيات سنة ٨٣٥)

(وفيات سنة ٨٣٦)

(وفيات سنة ٨٣٩)

(وفيات سنة ٨٤٠)

فهرست الأحداث الواردة
فى الجزء الثالث من
نزهة النفوس والأبدان

* * *

حوادث سنة ٨٢٥

* * *

حوادث سنة ٨٢٦

* * *

حوادث سنة ٧٢٧

الموضـــوع صفحة

* * *

(حوادث سنة ٨٢٨)

* * *

حوادث سنة ٨٢٩

* * *

حوادث ســـنة ٨٣٠

* * *

حوادث سنة ٨٣١

الموضـــوع صفحة

* * *

حوادث سنة ٨٣٢

* * *

(حوادث سنة ٨٣٣)

* * *

حوادث سنة ٨٣٦

• • •

حوادث سنة ٨٣٧

* * *

(حوادث سنة ٨٣٨)

الموضــوع صفحة

الموضـــوع صفحة

* * *

الموضــوع صفحة

حوادث سنة ٨٤٠

* * *

(حوادث سنة ٨٤١)

* * *

(حوادث سنة ٨٤٢)

* * *

كشاف

الجزء الثالث من نزهة النفوس والأبدان

فى تواريخ الزمان

الكشاف التفصيلى

فهـرس الأعـلام

(ب)

(ح)

(ل)

(م)

(٢) ـ كشاف بالأماكن والبلاد والمواقع الجغرافية والعمرانية

(ا)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(ك)

(٣) ـ كشاف بأسماء أصحاب الوظائف والممالك والعمال والولاة

(أ)

(ن)

(٤) ـ كشاف بطبقات المجتمع

(٥) كشاف الألفاظ والتعابير الاصطلاحية

(٦) كشاف بالعلل والعاهات الجثمانية

(٧) كشاف بالجرائم والذنوب والعقوبات

(٨) ـ كشاف بالوظائف والحرف والصناعات

(و)

(٩) ـ كشاف بالعلوم والمعارف والفنون

(١٠) - كشاف بأسماء المأكولات والمشروبات والمشمومات

(١١) - كشاف بالأقمشة والملابس

(١٢) - كشاف بالعملة والمعادن والأحجار والأخشاب

(١٣) – كشاف بأسماء أدوات القتال والتعذيب والتأديب والرمى والصيد

(١٤) ـ كشاف بالشعوب والأجناس والقبائل والطوائف والفرق والمذاهب

(١٥)– كشاف بالظواهر الطبيعية

(١٦) ـ كشاف بالموازين والمكاييل والمقاييس

(ا)

(ب)

(ح)

(ر)

(غ)

(ق)

(م)

(١٧) – كشاف بأسماء الكتب والأجزاء والرسائل

(١٨) ـ كشاف بالحيوانات والطيور والزواحف والحشرات

(١٩) – كشاف بألقاب خاصة

(٢٠) ـ كشاف بالعادات والتقاليد

(٢١) - كشاف بأسماء الأدوية والعلاجات

(ب)

بذر الرجلة : ١٨٨ .

(ت)

تكبيس الرجل : ١٣١ .

(٢٢) - كشاف بالعيوب والأمراض الاجتماعية

(٢٣) – كشاف بظواهر اجتماعية عامة

(٢٤) ـ كشاف بأشياء عامة

(٢٥) – كشاف بالألعاب

(٢٦) - كشاف بالمواسم والأعياد

كتب وأبحاث للدكتور حسن حبشى

نور الدين والصليبيون	نشر	دار الفكر العربى
الحروب الصليبية الأولى	»	»
أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس (مترجم من اللاتينية)	»	»
حملة لويس التاسع على مصر والشام	»	»
أهل الذمة فى الإسلام (لترتون)	»	دار المعارف
زنجبار من ١٨٩٠ الى ١٩١٣	»	»
رحلة طافور فى عالم القرن الخامس عشر	»	»
مذكرات جوانفيل عن القديس لويس	»	»
تاريخ مسلمى أسبانيا لدوزى (ج ١)	»	»
فتح القسطنطينية لكلارى (مترجم من الفرنسية القديمة)	»	مركز كتب الشرق الأوسط
الاحتكار فى العصر المملوكى	»	حوليات جامعة عين شمس

— A Fifteenth Century Crusade Attempt Against Egypt (1959).

— The Egyptian Expeditions Against Castellrosso & Rhodes.

تحقيق ونشر مخطوطات :

حوليات دمشقية لمؤرخ شامى مجهول	»	مكتبة الأنجلو المصرية
إنباء الهصر لعلى بن داود الجوهرى الصيرفى	»	دار الفكر العربى
إنباء الغمر بأنباء العمر لابن حجر العسقلانى (٣ مجلدات)	»	المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
مضمار الحقائق لمحمد بن عمر بن شاهنشاه	»	عالم الكتب
نزهة النفوس والأبدان لعلى بن داود الجوهرى الصيرفى (٣ مجلدات)	»	مركز تحقيق التراث

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٥٨٠ لسنة ١٩٧٤

(مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ٢١/١٩٧٤/٣٠٠٠)

UNITED ARAB REPUBLIC
MINISTRY OF CULTURE
THE NATIONAL LIBRARY

NUZHAT AN-NUFŪS WAL ABDĀN FĪ TAWĀRĪKH AHL AZ-ZAMĀN

By

ʿALĪ B. DĀWŪD AL-JAWHĀRĪ AṢ-ṢAIRAFĪ

Vol. III (825 - 842 A.H.)

Edited & Annotated

By

HASAN HABASHI

(M. A. Dist. Cairo, Ph. D. London)

Prof. of Islamic History, Ain Shams University, Cairo.

The National Library Press

1974

ثبت
بالمصادر والمراجع المستعملة
فى حواشى هذا الجزء
من نزهة النفوس

العربيـــة :

ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور، ج٢، القاهرة سنة ١٨٩٧م

البقاعى (إبراهيم) :عنوان الزمان فى تراجم الشيوخ والأقران،(مخطوط مصور بدار الكتب المصرية) ويعدّه المحقق للنشر .

ابن الجيعان : التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، القاهرة ،١٨٩٨م

ابن حجر العسقلانى : إنباء الغمر بأنباء العمر ، ج١ ، ٢ ، ٣ تحقيق حسن حبشى ، نشره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة .

السخاوى (محمـــد بن عبد الرحمن) : التبر المسبوك فى ذيل السلوك (نشره أحمد زكى باشا) القاهرة ١٨٩٦ م.

السخاوى : الضوء اللامع لأعيان القرن التاسع (طبعة القدسى) القاهرة ١٢ جــزءاً .

السمهودى : خلاصة الوفا (بولاق) ، سنة ١٢٨٥ هـ .

السيوطى : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، طبعة القاهرة

: نظم العقيان ، طبعة فليب حتى.